رواية

عالم أفضل

البعث

عالم أفضل – البعث

رواية

تأليف :

شريف ثابت

تصميم وتصوير الغلاف:

أحمد مراد

مراجعة لغوية:

سيد عثمان

رقم الإيداع: 2016/22456

الترقيم الدولي: 2-007-820-977-978

إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيفين التهامي

***

كيان للنشر والتوزيع

٢٢ ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة - الهرم

هاتف أرضي: 0235688678- 0235611772

هاتف محمول: 01001872290-01000405450-01005248794

بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com - kayanpub@gmail.com

الموقع الرسمي : www.kayanpublishing.com

©جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبعٍ أو نشرٍ في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعيةٍ أو بصريةٍ دون إذنٍ كتابيٍ من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

شريف ثابت

البعث

عالم أفضل

رواية

عالمٌ أفضل

«إِمَّا أَنْ تَموتَ بطلًا، وَإِمَّا أَنْ تَعيشَ طَويلًا لِتَتَحَوَّلَ إِلَى الشِّرِّيرِ».

The Dark Knight -هارفي دِنت

(قبل ما يزيد عن الخمس وعشرين عامًا):

انهمر رذاذ المياه الساقعة من الدُّش القديم الصدئ في تلك الشقة بإحدى عمارات العتبة القديمة، على جسد أمل الشافعي الذي سَرَت فيه قشعريرة قوية، اصطكَّت لها أسنانُها.

تشاغلَت عن هذه القشعريرة بدعك جلدها ببقايا صابونة عديمة اللون والرائحة والرغوة، في محاولة محمومة لإنجاز هذه المهمة الثقيلة في هذا الطقس البارد من دون سخان.

في سرها كالت السُّباب لبشير الهلالي، صديقها القديم ورفيق النضال، والذي سمح لها ولعريسها بقضاء ليلة دخلتهما في شقته القديمة. سُباب فاحشٌ لم تجرؤ يومًا على التفوه به، لإهماله إصلاح السخان القديم مما ترك جسدها نهبًا لسياط المياه المثلجة.

ولكنها في الحقيقة لم تكُ ساخطة لهذه الدرجة ... .

كانت القشعريرة تعبر جسدها وتدغدغ قلبها، من دون أن تميز إن كان مصدرها هو الماء البارد أو نشوة تلك الليلة الأسطورية التي لم يمض على انقضائها سويعات قليلة.

أسبلت جفنيها، ورفعت وجهها لأعلى مُستقبِلة الرذاذ البارد.

بعد أن أتيَا شهوتهما الأولى، فوجِئَت به يمد أصابعه ويمسد أسفل عينيها متسائلًا برفق:

- دموع!

حاولت أن تنفي، حاولت أن تمنع نزول المزيد، غير أن مقاومتها الواهية تبددت في الفراغ، فأومأت برأسها تاركة العنان لإفرازات قنواتها الدمعية.

نظر لها بعينين حائرتين.

ذابَ في عينيها المترقرقتين بحثًا عن علة ما يراه، وأرادت هي أن تتكلم، أن تحكي له عن وحدة وبرودة السنين، عن الوَحشَة التي ظلت تلتهم روحها منذ فقدت أحبابها.

عـن الجسـد الـذي ذبـل، والقلـب الـذي باضـت عليـه الحمامـة ونسـج حولـه العنكبـوت خيوطه.

عـن الخطـر والخـوف والأمـان الضائـع في القلـق والمطـاردات مـن شـارع لشـارع، ومـن بيـت لبيـت خـلال العامـين الأخيريـن.

أرادت أن تفـرغ كل هـذا الـركام عـلى مائدتـه لتتحـرر، ولكـن الراحـة التـي غمـرت روحهـا، والتنميـل اللذيـذ الـذي سرى في نصفهـا السـفلي بعـد قحـط سـنين، جعـلًا الـكلام يبـدو سـخيفًا ثقيـلًا.

خفضت رأسها لتدفنه في صدره.

أين هو الآن؟!

اسـتيقظت ولم تجـده إلى جوارهـا، وخطـر ببالهـا للحظـة أن كل مـا مـضى كان حُلـمًا، غـير أن أنفاسـه التـي لازالـت تـتردد في صدرهـا، ومـذاق لعابـه في فمهـا، أنبآهـا أنهـا لم تكـن تحلـم ... . سَرَت القشـعريرة مُجـددًا في بدنهـا، بينـما المياه تنسـدل مـن بـين خصـلات شـعرها الملتصقـة بجبينهـا وأعـلى ظهرهـا، وتتسـابق عـلى جسـدها نحـو أرضيـة البانيـو الآدم المربـع ... .

خرجـت مـن غرفـة النـوم ملتحفـة بالمـلاءة القديمـة الممزقـة حـول جسـدها العـاري، بحثـت عنـه في أرجـاء الشـقة المكونـة مـن غرفـة أخـرى وصالـة وحـمام ومطبـخ ضيقـين، مـن دون أن تعـثر لـه عـلى أثـر ... تدافعـت الخواطـر في ذهنهـا بينـما سـبَّابتها تجـرى عـلى شاشـة هاتفهـا النقـال بحثًـا عـن رقـم هاتفـه ...

بعـد أن فرغَـا مـن المـرة الثانيـة تحدثـا طويـلًا ... حديـثُ عـذب تخللتـه ضحـكات مـن القلـب ومداعبـات حَمَلَـت شـيئًا مـن الخشـونة وأنفـاس مـن سـيجارة محشـوة حصـلَا عليهـا مـن ديلَـر معـروف بشـارع شـامبليون ...

شـعرَا بالجـوع، فنهضـت هـي لترتـدي قميصـه وتجلـب الأكيـاس البلاسـتيكية التـي تحـوي أرغفـة الفينـو وعلبـة الجبنـة النسـتو والشـيبسي ولـتر البيبـسي والتـي أسـقطاها لاشـعوريًّا عنـد بـاب الشـقة مـع استسـلامهما لطوفـان الشـهوة الـذي جرفهـما بمجـرد أن انغلـق البـاب عليهـما ...

أخبرتـه -بشـدقين متكوريـن- أنهـا تعلـم الآن جـزءًا مـن ماضيـه المسـتعصي عـلى ذاكرتـه، سـألها مُتكِئًـا بمرفقـه عـلى طـرف المرتبـة عـمَّ تقصـد فأجابتـه مبتسـمة بمكـر:

- أنتَ فيه ستات في حياتك ...

رفع حاجبيه وابتسم بدوره مرددًا:

- أستغفر الله العظيم! ...

ضحكت بطلاقة وقالت:

- مستحيل دي تكون أول مرة ...

نفث سحابة من دخان سيجارته باتجاهها وقال متهكمًا:

- طَب ما انتي كمان! ...

- فـ الحلال يا معلم ... أنا كنت متجوزة ... إنما أنت ... ! ...

- أنا إيه؟!

غمزت بعينها قائلة بلهجة عابثة:

- الله أعلم بقي!

وغابـت في أثـيرٍ مـن الأفـكار للحظـات توقفـت خلالهـا عـن المضغ قبـل أن تقـول بـشرود:

- وجايز تكون في اللحظة دي مستنياك ترجع.

لم يـرُد، تجـوَّل بعينيـه في وجههـا واسـتداراتها مـن بـين طـرفي القميـص المفتـوح، في شـدقيها المتكوريـن وشـفتيها المبتسـمتين والملطختـين ببقايـا الجبنة النسـتو، قبـل أن يغـوص في العينـين السـوداوين اللتـين التمعتـا رغـم الـشرود ومسـحة الحـزن، بمزيـج مـن العاطفـة والبهجـة والمـرح والارتيـاح وشيءٍ آخـر أدركـه فيـما بعـد أثنـاء اسـترجاعه لهـذه اللحظـة: اكتـمال الأنوثـة.

شعر بوجيبٍ في قلبه، همسَ:

- في اللحظة دي مش عايز أشوف أو افتكر واحدة غيرك ...

ارتفع حاجباها وانفرجت شفتاها ...

أردف بصدق:

- والله العظيم ...

حاولت أن تداعبه أو تتهمه بالبكش، ولكن صوته وكلماته أصابَا وترًا في سويداء قلبها، فلم تَدر بنفسها إلا وهي تتمرغ في حضنه مجددًا، وتلوثت شفتاه بمعجون الجبنة النستو ...

وكانت الثالثة ...

غادرت الحمام وجسدها المُبتَل المُلتحِف بالملاءة ينتفض من البرد ... اتجهت رأسًا بخطوات متصلبة إلى حجرة النوم، ولم تَنس لدى عبورها للصالة أن تمسح أركان الشقة بعينيها أملًا في أن يكون قد عاد ...

داخل الغرفة التي تسلل إليها نور الشمس القادم عبر خُصاص ضلفة الشيش الخشبية التي تسد فتحة النافذة الطولية كما هو معمولٌ به في الشُقق القديمة، أتمت تجفيف جسدها والتقطت قطع ثيابها المتناثرة بعشوائية هنا وهناك، وقفت للحظات أمام مرآة قديمة مشروخة ذات إطار مترب معلقة إلى الحائط ... ألقت نظرة طويلة على انعكاس جسدها العاري على السطح الذي كان مصقولًا، وراحت تمسد بأطراف أصابعها برقة على انحناءاتها ... ابتسامة رضا تتسع على شفتيها، ثم بدأت تضع ثيابها عليها ...

مدت أصابعها تمسح برقة على بطنه العاري الذي تناثرت عليه مجموعة من الندوب متفاوتة الحجم والطول والعمق، أبشعهم ندبة عميقة تشق البطن طوليًا حتى أعلاه ثم تنحرف يمينًا لتنتهي بـ *E.N*. غائرة محفورة على الكتف الأيمن ...

حدقت فيها ثم رفعت عينيها إلى وجهه هامسة:

- دي ... ؟! ...

سرح بعينيه في ظلام الحجرة الذي أوهنه ضوء القمر، ثم هَزَّ رأسه قائلًا:

- مش فاكر ...

ساد الصمت بينهما للحظات عادت هي خلالها لتمسد على ندوبه

وقد فاض قلبها بمشاعر مختلطة تسيدتها الشفقة، أرسلَت القشعريرة في جسدها، اعتدلَت تَضُم أطراف القميص وراحت تُحكِم إغلاق أزراره، فتأملها للحظات ثم قال:

- عايزة رأيي؟ مشهد واحدة بتدخُل جوا هدومها مُثير أكتر بكتير من واحدة بتخرج منها ...

ضحكت مُردِدة:

- والنبي إيه؟! ...

- (يبتسم): أنا عارف إنك مش هَتصدقيني ... بس دي الحقيقة ... الأنثى وهي بتدخل جوا هدومها بتكون أجمل ... بتغطي مفاتنها، أسلحتها، بتداري آثار المؤامرة اللي اشتركت فيها مع حبيبها ... ممارسة الحب - بالجنس ومن غير الجنس- هي مؤامرة على العالم بيشترك فيها اتنين ... مؤامرة تشوفيها في الابتسامة ولمعة العين، النهجان والعرق الخارج من المسام ... مؤامرة بتكتمِل بإخفائها ... من غير ما الحمقى اللي حواليهم في الشارع والشغل والمواصلات يلاحظوا حاجة، المؤامرة الناجحة هي اللي مَحدِش يشعر بيها ... عشان كدا دايمًا بَشوف الأنثى اللي بتغطي نفسها أكثر إثارة من اللي بتقلع هدومها؛ لأنها بتستكمل شروط المؤامرة الأجمل في الدنيا.

فرغت من ارتداء ثيابها، أدَت صلاة الصُبح ثم اتجهت إلى النافذة الطولية الضيقة ... أزاحت ضلفة الشيش الخشبية واستندت بمرفقيها إلى حافة النافذة، وبعينين شاردتين راحت تتابع المظاهرة المارة في الشارع الرئيسي باتجاه وسط البلد، والمكونة من مئة أو مائتي شخص أغلبهم مُلتح، يحملون لافتات تندد بـ *Egy- Nergy* وجرائمها، بينما هتافاتهم تتوعد يهود خيبر بأن جيش محمد سوف يعود!! ...

تحسست بسبابتها الدبلة الفضية التي توسطت يُمناها منذ الأمس، ورغمًا عنها راحت هواجسها تأكل من بهجتها وهي تسأل نفسها عن السبب الذي دعاه للمغادرة ...

هـل هبـط ليجلـب فطـورًا؟ ... هـل انطلـق عائـدًا للميـدان؟ ... وإذا كان قـد فعـل، فلـماذا لم يوقِظهـا لتذهـب معـه؟ ...

أم لعلـه لم يَهنـأ بغـرام ليلـة الأمـس كـما هَنَـأت هـي وتخيلـت أنـه فعـل بالمِثـل؟! ...

جعلـت تسـترجع تفاصيـل الليلـة الماضيـة ... أداءهـا وأحاسيسـها ... حـرارة قبلاتـه، حركتـه المحمومـة داخلهـا، ارتعاشـاته، علامـات النشـوة التـي افترشـت أساريره ... تنبـش بقلـق بحثًـا عـن إشـارات للإحبـاط أو عـدم الرضـا ...

شـعرت بصدرهـا يضيـق، وبالقلـق والحـيرة يخنقاهـا مـع مـرور الوقـت ببـطء ثقيـل ... بحثـت عـن علبـة سـجائرها، فوجدتهـا ملقـاة بالقـرب مـن المرتبـة القديمـة التـي شـهِدَت غرامهـما، ولم تَبـق بهـا إلا سـيجارة واحـدة، أشـعلتها وعـادت لتدخنهـا أمـام فتحـة النافـذة ...

وبينـما تنفـث الدخـان مُعبقًـا بخواطرهـا السـوداء، تلمَسَـت الونـس مجـددًا في الملمـس البـارد للدبلـة حـول إصبعهـا، وتوعدتـه في سرهـا أن «تنفخـه» عتابًـا لـدى عودتـه، وتخاصمـه لإسـبوع عـلى الأقـل جـزاءً وفاقًـا لهـذه الهواجـس التـي تتصـارع في صدرهـا ...

لم تكُ تعرف أن انتظارها سيطول ...

***

الجزء الثالث

البعث

-١-

لم يستغرق الأمر طويلًا ...

نصف دقيقة من الحركة العنيفة المهتاجة داخلها، واعتصار لحمها الأسمر بأصابعه الطويلة ذات الأظافر المتسخة، أغمضت صَباح عينيها، وحاولت أن تتغاضى عن رائحة عرقه النفاذة وأن تندمج بلَفِّ ذراعها حول عنقه على سبيل الحُضن، غير أنه لم يمهلها، سرعان ما تخشب جسده، وشعرت ببلله الدافئ.

فتحت عينيها على الشعر المفلفل الذي يعلو رأسه المدفون في صدرها، لهاثه يتردد ليمتزج بصيحات الضفادع وحشرات الليل التي تسرح في الحقل القريب، وصوت خطاب الرئيس المشوب بالاستاتيكية، والمنبعث من راديو التوكتوك المتوقف عن قرب.

ظلا جامدين في هذا الوضع للحظات قبل أن ينهض حسن من بين فخذيها ببطء ويرتمي على ظهره إلى جوارها.

«أيها الإخوة المواطنون، أتحدث إليكم اليوم في ظرفٍ عصيب تمرُ به مِصرُنا الحبيبة، بل ويمر به العالم أجمع».

سمعت صوت حكة عود الثقاب، وتسللت إلى أنفها رائحة البانجو المحترق لتطغي قليلًا على رائحة فضلات الغنم التي تمر من هذا المكان جيئةً وذهابًا كل يوم، مَدت يدها في الظلام الذي أوهنه ضوء القمر من بين أغصان الشجرة التي يرقدان تحتها، تناولت السيجارة من بين شفتيه، سحبت منها نفسًا طويلًا ونفثت دخانه ببطء وتلذذ قبل أن تعيدها له.

أسدلت طرف جلبابها الأسوَد لتستر عري فخذيها، وأدارت رأسها لتتأمل ملامح وجهه التي كساها وجوم مُتَوَقَع.

«الإرهاب وحشٌ أسوَد، لا يفرق بين غني وفقير، رجلٍ أو امرأة، طفلٍ أو شيخ ... شعبٍ أو حكومة».

- ماتشيلش هَم.

قالتها بصوتٍ على شيء من الخشونة المكتسبة بفعل طول العهد بالدخان، فلم يُجِبها سوى نقيق الضفادع وصوت السيد الرئيس.

«لقد خَبرنا هذا المسخ اللعين من قبل، مَرات ومرَات، وفي كل مرة كان ينال من دماء الشهداء والضحايا الأبرياء قبل أن نَدحره ونعيده إلى جحره مذمومًا مدحورًا».

نفث سحابة من الدخان عبر منخاره وهو يرمق القمر الذي راح يناور قطعًا من الغيوم الداكنة، شعر بأصابعها تمسح على ضلوعه النافرة من قميصه المفتوح، وسمع صوتها الأجش يردد:

- كل الرجالة المتجوزين بيبقوا كدا.

أدار رأسه إليها يرمق وجهها المجدور الذي تتوسطه شفتين مكتنزتين ويعلوه شعرٌ أكرت لامع، وتساءل:

- كدا إزاي؟!

قالت مبتسمة بإشفاق:

- ماعندهُمش صبر.

«لقد وجهنا للإرهاب ضربة قاصمة قبل عقدين من الزمان، وها هو يطل برأسه من جديد ساعيًا لهدم كل مكتسبات شعبنا العظيم من رخاء وتقدم طيلة السنوات الماضية».

أزاح أصابعها عنه بشيء من العنف، واعتدل يربط أزرار بنطلونه الجينز حائل اللون، رمقته حتى انتهى وهَبَّ واقفًا بخفة، ثم انتزع ورقة نقدية من جيب قميصه، قذفها في وجهها قائلًا بقسوة:

- بَطَلي رغي!

ارتطمت الوريقة بوجهها وسقطت في حجرها، نظرت له بغِلٍّ وهو يبتعد متجهًا نحو التوكتوك، قبل أن ترفع عقيرتها مرددة:

- ربنا يشفيهالَك!

تجمد في مكانه والتفت بحركة حادة إليها، فتابعت بسخرية:

- بكرة تخِف وتعرف تنام معاها وترجع أبو علي الوَحش بتاع زمان،

ثم –في اللحظة التالية- شهقت بمزيجٍ من فزع وألم عندما وجدته فوق رأسها، وقد قبض بأصابعه على جمشة من خصلات شعرها الأكرت.

جذبها بقوةٍ انتزعت الصرخة من حلقها وهو يقول بغلظة:

- جبتي منين الكلام دا؟!

صرخت:

- سيبني يا خو ...

قاطعتها الصفعة التي هوَت على وجنتها، وامتزج دويها بصوت صياحه:

- منين يا بت الوسخة؟!

بصقت في وجهه وهي تسبه بأفحش الألفاظ، فتوالت صفعاته الرنانة بسرعة على وجهها بالتزامن مع صيحاته وشتائمه، حاولت أن تضربه ولكن ضرباته المتلاحقة لم تمنحها الفرصة، فتلوَّت وهي تحاول حماية وجهها ورأسها، بينما صرخاتها تشق عنان السماء المظلمة.

«الإرهاب يتخذ دومًا خطابًا تبريريًّا يخفي وراءه نواياه التخريبية، خطابٌ يسهل به اجتذاب أنصار يدعمون خِسته وحقارته وغدره».

- انطقي!

صرخت بألم:

- الناس بتتكلم.

رفسها في معدتها هاتفًا بشراسة:

- ناس مين وبيقولوا إيه؟!

تكورت حول نفسها وهي تشهق متوجعة، فعاد يجذبها من شعرها وفتح مطواته، وبحركة سريعة، شق صدر جلبابها ودَسَّ نصلها الحاد أسفل منبت ثديها الأيسر وضغط مرددًا:

- اتكلمي بدل ما اخليكي ماشية ببِز واحد!

صرخت:

- بيقولوا انها مبقيتش تِنفع تتركِب بعد اللي حصلها فـ الخرابة، وانك ...

- أنا إيه؟؟

- لـولا التوكتـوك الـلي جابهولَـك ابـو حطـب كان زمانـك رجعتهـا لبيـت عمهـا مـن تـاني يـوم.

لمعت عيناه بغضبٍ مكتوم وسألها:

- هُما مين بقى؟!

- الناس!

ثم صرخت مُجددًا إذ شعرت بالنصل الحاد ينغرس في منبت ثديها ...

- النـاس كلهـم! صُحابـك وزملاتـك الـلي بيجـوني هنـا، حتـى الشـيخ طُلبـة إمـام الجامـع! أهـل العزبـة كلهـم.

حـدق في وجههـا المرتعـب بعينـين يتطايـر منهـما الـشرر، قبـل أن يسـحب مطواتـه ويسـتدير متجهًـا نحـو التوكتـوك، بينـما شـتائمها المقذعـة تلاحقـه.

«إن مـا تشـهده شـوارعنا ومدننـا مـن أعـمال عنـف تحـت سـتار الاعـتراض عـلى الأوضـاع المعيشـية التـي تـردت بسـبب الإرهـاب هـو في حـد ذاتـه دعـم للإرهـاب، بـل هـو الهـدف الـذي يسـعى إليـه الإرهـاب».

لم يشـعر بالحركـة الاهتزازيـة المسـتمرة لجسـم التوكتـوك الـذي يـكاد يتفـكك في أي لحظـة طيلـة دقائـق القيـادة عـلى الأرض الترابيـة غـير الممهـدة، كانـت عينـاه ترصـدان الطريـق المظلـم إلا مـن ضـوء مصبـاح التوكتـوك، وصـوت الخطـاب الرئـاسي المُخَـروَش عـبر الأثـير يمـلأ أذنيـه، أمـا عقلـه فغائـب، يسـترجع كل حـرف غرسـته المومِـس بصوتهـا الغليـظ في كرامتـه ...

- **بيقولوا انها مبقيتش تِنفع تترِكِب بعد اللي حصلها فـ الخرابة.**

ألقـى نظـرة طويلـة عـلى الخرائـب وتِـلال الزبالـة التـي تتبـدى عـن بُعـد، والتـي تفصلهـا عنـه مئـات الأمتـار وسـورٌ عـالٍ مـن الأسـوار الشـائكة، تـم ترميمـه مؤخـرًا بفضـل نفـوذ الحـاج أبـو حَطـب نائـب الدائـرة مـن بعـد «الحادثـة». ولوهلـة، خيـل لـه أنـه يسـمع أصـداء صرخـات ريهـام التـي ترددت هنـاك قبـل عـام، بينـما عـشرات المتـشردون ينهشـونها.

- **لـولا التوكتـوك الـلي جابهولَـك ابـو حطـب كان زمانـك رجعتهـا لبيـت عمهـا**

من تاني يوم.

أزيز طوافة تشق السماء المظلمة على ارتفاع منخفض لا يزيد عن بضع عشرات من الأمتار فوق رأسه باتجاه العاصمة.

«أعداؤنا كُثُر، وهُم يستغلون حماس واندفاع وبراءة شبابنا ليدفعوا بهم وقودًا لحرق وطنهم».

- **الناس كلها!**

أنوار الكلوب الذي يُضيء الغرزة القريبة من مدخل العزبة تقترب ...

- **صُحابك وزملاتك اللي بيجوني هنا.**

عَبَرَ عن كثب، صَكت أذنيه أصوات ضحكاتهم وشتائمهم وقرقرة المياه في الجوزات، لاحظوه فتصايحوا مُنادين إياه، لم يلتفت إليهم، فقط جَزَّ على أسنانه وهو يدير مقود التوكتوك لينحرف عند أقرب ناصية بعد أن تجاوزهم ...

- **حتى الشيخ طُلبة إمام الجامع! ...**

«أعداؤنا ليسوا بالضرورة من خارجنا، بل والحق أقول لكم إن أعداء الداخل أشد خطرًا وفتكًا، الخونة من أصحاب المصالح، المختبئون في الظلال بانتظار وقوع البلاء حتى ينقضُّوا على الوطن ويلتهموا مقدراته، هؤلاء المجرمون أحذرهم».

- **أهل العزبة كلهم.**

دفع باب العِشة، ودلف إليها.

ريهام كانت جالسة في الصالة إلى طرف الأريكة المجاورة للكوة المفتوحة على الزقاق المجاور، رَفعَت إليه عينين زجاجيتين عن شاشة التليفزيون صيني المنشأ، والذي ينقل خطاب الرئيس على الهواء، رمقها بنظرة سريعة وهو يلقي عليها تحية المساء، ثم عَبَرَ الصالة الضيقة المُضاءة بمصباح فلوروسنت، رَدَت تحيته بصوت رقيق وهي تنهض ببطء من جلستها، وأشارت إلى الأطباق المغطاة بفوطة قماشية، والمرصوصة على السفرة الخشبية الصغيرة في جانب الصالة، وسألته:

- أسَخَّن الأكل؟

- لأ.

قالها باقتضاب قبل أن يدلف إلى دورة المياه الضيقة ويدفع الباب وراءه.

«لا تظنـوا أنكـم بمأمـن مـن العقـاب، أنتـم مرصـودون ومراقبـون بالكامـل، خيانتكـم لوطنكـم لـن تمـر بـلا عقـاب، تراجعـوا عـن غِيِّكُـم قبـل فـوات الأوان؛ لأن الثمـن بعـد أن نفـرغ مـن هزيمـة الإرهـاب سـيكون فادحًـا، وستسـددونه بالكامـل».

***

-٢-

شعرت كاترين، ذات السنوات الاثني عشر، بأصابع والدتها الرقيقة تهزها بقدر غير مألوف من الخشونة، تسحبها من البئر المظلم الذي غرقت فيه بمجرد أن لامست رأسها وسادتها الناعمة ...

فتحت عينيها بصعوبة، وميزت من بين رموشها الطويلة وجه أمها، وقد بَدَت عليه علامات قلق وتوتر.

- مامي!

قالت لها:

- قومي والبسي هدومِك ... هَنتحرك حالًا!

تساءلت بصوت ملأه النعاس:

- الصُبح جِه؟!

- لسه.

- أومال بتصحيني ليه؟!

جذبتها أمها من ذراعها صائحة بعصبية:

- يالا مفيش وقت، كاتي!

انتزعت الصيحة الفتاة المراهقة من غياهب النوم، واختصرت عملية تحميل سريعة لمعطيات العالم من حولها، استقرت عيناها على حقيبة سفرها، وقد انفرجَت وتكومت قطع من ملابسها بين فكيها عشوائيًّا، وسمعت مامي تقول وهي تغادر الحجرة بخطوات سريعة حادة:

- أنا طلعتِلِك شوية هدوم. جهزيها فـ الشنطة بسرعة ويالا بينا.

- هنروح فين، مامي؟!

- مش وقت رغي! هَحكيلِك فـ السكة.

وفي سيارته المُموَّهة المتوقفة بمحاذاة سور الفيلا، تثاءب الملازم إيهاب عبد الله وهو يلقي نظرة على أرقام ساعة التابلوه، ثم أدار رأسه إلى

الشـاب متـين البنيـان الواقـف إلى جـوار السـيارة في زي عسـكري ورتبـة رقيـب عـلى منكبيـه العريضـين وردد بسـأم:

- رابع عملية النهاردة، ومحدِّش أخرنا بالمنظر دا.

فرَك الرقيب الشاب كفيه داخل قفازين صوفيين وهو يقول:

- معاليك، يمكن مَحدِّش بلغهم يستعدوا؟

هَزَّ إيهاب رأسه قائلًا:

- صعـب، الأسـامي الـلي معايـا عـلى الكمبيوتـر كلهـا تلقـت اتصـال، جايـز يكـون الاتصـال هنـا اتأخـر شـويَّة، بـس مـش وارد يكـون مَحَصلـش ...

قال الرقيب والبخار الأبيض يغادر من بين شفتيه:

- لا وبنـت الوسـخة مـش عاجبهـا، وراسـها وألـف صرمـة قديمـة العربيـة مَتدخُلـش الجنينـة ونسـتناها بـره!

لم يهتـم الضابـط باللعنـات التـي انصبـت مـن بـين شـفتي الرقيـب عـلى مهابـل أمهـات شركـة Egy- Nergy بمديريهـا وكبـار موظفيهـا المطلـوب نقلهـم وعائلاتهـم عـلى وجـه السرعـة إلى الثكنـات العسـكرية لحمايتهـم، ألقـى نظـرة عـلى صـف الفيـلات المظلمـة المهجـورة والمتراصـة عـلى الجانـب المقابـل مـن هـذا الشـارع العريـض مـن شـوارع باراديـس هايتـس، وعـاد بـلا تركيـز لخطاب الرئيـس الـذي أُذيـع قبـل سـاعتين، ويُعـاد بثـه للمـرة الثالثـة عـلى راديـو ٩٠, ٩٠ ...

«أدعوكـم يـا أبنـاء مـصر للاصطفـاف، والوقـوف يـدًا واحـدة في مواجهـة الإرهـاب الأسـود الـذي عـاد ينهـش في وطننـا وفي عالمنـا كلـه».

خـارج السـيارة، راح الرقيـب يتحـرك جيئـةً وذهابًـا عـلى الرصيـف بحِذاء سـور الفيـلا، بينـما عينـاه معلقتـان بالحركـة المحمومـة داخـل الفرجـة بـين ضلفتـي البوابـة نصـف المفتوحتـين، خـدم يروحـون، وخـدم يجيئـون، حقائـب سـفر مغلقـة عـلى عجالـة تخـرج مـن البوابـة فيتلقاهـا الجنديـان المدججـان بالسـلاح المرافقـان لـه، ويضعانهـا في الجيـب العسـكرية الثانيـة المتوقفـة خلـف سـيارة الضابـط، ألقـى نظـرة عـلى أرقـام السـاعة فوجدهـا تشـير للرابعـة والربـع

صباحًـا ...

«وأقـولُ للشـباب ... شـباب مـصر الحـر الواعـي ... لا تدعـوا أحـدًا يخدعكم ... لا تدعـوا أحـدًا يسـتغل حماسـتكم وبراءتكـم لتخريـب وطنكـم ... كونـوا لمِـصر ولا تكونـوا عليهـا».

في تمـام الرابعـة وسـبعٍ وثلاثـين دقيقـة، انزاحـت ضلفتـي البوابـة بأزيـز ناعـم، وبـدت الحديقـة مـن بينهـما نصـف مظلمـة، عـبرت الدكتـورة فيبـي رزق اللـه -مديـرة القسـم الاقتصـادي بـــ Egy- Nergy- في ثيـاب ثقيلـة، وذراعاهـا ملتفان حـول كتفـي ابنتيهـا كاتريـن ونيفـين نصـف النائمتـين، ملامحهـا تمـوج بالقلـق، وشـفتاها تتحـركان في مكالمـة متوتـرة غـير مسـموعة عـبر هاتفهـا النقـال، هبـط المـلازم إيهـاب مـن سـيارته، ودعاهـم للانضـمام إليـه، شـكرته الأم بصـوت رقيـق منهـك وهـي تقـترب مـع ابنتيهـا مـن البـاب الخلفـي المفتـوح، بينـما الجنديـان المدججـان بالسـلاح يُحْكِـمان إغـلاق صنـدوق السـيارة الأخـرى التـي تكدسـت فيهـا حقائـب الأسرة.

وفي اللحظـة التاليـة انفجـر رأس الدكتـورة فيبـي وتناثـرت نِتَـف مخهـا عـلى الأريكـة الخلفيـة.

«الإرهـاب مهـما تشـدق بشـعارات براقـة، فهـو لا يسـعى إلا إلى الخـراب، فـلا تكونـوا أداة في يـده».

انهمـر سـيل الطلقـات بـدويٍّ هائـل وبسرعـة لا تُصـدَّق، وثـب الضابـط بحركة غريزيـة ليحتمـي داخـل سـيارته المصفحـة التـي انغلقَـت أبوابهـا أوتوماتيكيًّا، لمـح جثـث الرقيـب والجنديـين والفتاتـين وأمهـما عـلى الأسـفلت، وقـد مزقتهـم الرصاصـات إربًـا، وضاعـت صرخـات الخـدم داخـل أسـوار الفيـلا التـي نهشـت الطلقـات كِسـوتها الحجريـة الأنيقـة، وسـط الـدوي المتصـل للطلقـات المنهمـرة كالمطر.

وبينـما كان جسـم السـيارة المدعـم بالـدروع يرتـج بعنـف بفعـل مئـات الرصاصـات التـي ترتطـم بـه في هـذه الدقيقـة، هضـم المـلازم إيهـاب الصدمـة بسرعـة المحترفـين، فاعتـدل آمـرًا كمبيوتـر السـيارة المـزوَد ببرامـج عسـكرية

بعـرض وإرسـال تقريـر عاجـل للموقـف إلى قيـادة العمليـات.

وفي اللحظـة التاليـة كان ينظـر لهولوجـرام مسـقط أفقـي مُلتقَـط عـن طريـق القمـر الصناعـي للشـارع والفيـلات المتراصـة عـلى جانبيـه، وقـد توزعـت نقـاط خـضراء في مواضـع الجثـث بالشـارع، ونقطـة حمـراء أعـلى سـطح المبنـى المقابل للفيـلا تبـين موضـع السـلاح الـذي تهـدر منـه الطلقـات، وسـمع الصـوت المميـز للكمبيوتـر يحلـل نـوع الطلقـات والسـلاح وإمكانياتـه.

نقـر الضابـط الشـاب النقطـة الحمـراء، فتحولـت لصـورة ثلاثيـة الأبعـاد للجيـل السـابع مـن مدفـع الـ M16 مُثبَّـت إلى درابزيـن السـطح بمبنـى الفيـلا المقابلـة، يقـذف الرصاصـات بـلا توقـف، سَـمِعَ صـوت قائـده يـتردد عـبر موجـة الاتصـال متسـائلًا عـمَّ يـدور، فأجابـه بكلـمات مختـصرة وبصـوت حـاول أن يعلـو عـلى الـدوي المتصـل، وبـدوره تجـاوز قائـده الصدمـة وأنبـأه بـأن الدعـم في الطريـق وسـيصله خـلال دقيقتـين، وأن عليـه إبقـاء الوضـع تحـت السـيطرة حتـى وصـول القـوة القادمـة مـن المعسـكر القريـب.

- تمام يا فندم ...

«سـتظل مـصر صامـدة بالالتحـام بـين وعـي شـعبها ووطنيـة جيشـها وصلابـة دولتها».

انطلقت السيارة.

دارت عجلاتهـا، نـاورَت بمـا سـمحت بـه دروعهـا وهـي تعـبر الشـارع تحـت وابـل الطلقـات التـي لم تكـف عـن الارتطـام بسـطحها المقـوى، بينـما انتصـب مدفعـان آليـان عـلى جانبيهـا أطلقـا وابـلًا مـن الرصـاص باتجـاه الـ M16، ثـم اندفعـت مبـاشرةً باتجـاه أسـوار الفيـلا التـي تنطلـق النـيران مـن على سـطحها...

اخترقـت البوابـة بعنـف فأطاحـت بضلفتيهـا، ثـم وثـبَ قائدهـا مغـادرًا إياها، وقـد أحـاط جسـده بصديريـة مضـادة للرصـاص، وغطـى عينيـه منظـار الرؤيـة الليليـة، تدحـرج بمرونـة عـلى أرضيـة حديقـة الفيـلا المعشوشـبة، قبـل أن يَهِـب شـاهرًا سـلاحه فيمسـح بـه دائـرة ٣٦٠ درجـة حولـه، ثـمَ ينطلـق ليركـض بحِـذاء الفيـلا مبتعـدًا عـن النـيران المتبادلـة بـين المدافـع في مسـارٍ خططـه ارتجـالًا قبـل

ثـوان داخـل السـيارة.

دار حــول الفيــلا، وعنــد نقطــة محــددة وثــب برشــاقة يتســلق الجــدار الخارجـي للفيـلا التي هجرهـا سـاكنوها مـع مـن هجـروا المنتجـع كلـه خـلال الأيـام القليلـة الفائتـة بعـد التفجـير الـذي اسـتهدف مقـر Egy- Nergy في قلـب بارادايـس هايتـس.

أقـل مـن عـشر ثـوان بفضـل التدريبـات القاسـية اسـتغرقها في تسـلق حجـارة الواجهـة، قبـل أن يثـب بجسـارة ليعـبر درابزيـن السـطح، بينـما فوهـة سـلاحه تـدور بحثًـا عـن أي هـدف متحـرك، رغـم تأكيـد كمبيوتـر السـيارة لـه عـبر مسـماع جهـاز الاتصـال أن السـطح والمبنـى كلـه خاليـن مـن أيـة أهـداف بشريـة أو غـير بشريـة. فقـط الــ M16 المُثبَـت إلى الضِلـع القَـصي مـن السـطح.

كان سـيل البيانـات ينهمـر أمـام عينيـه عـلى عدسـتي منظـاره الـذكي المتصـل بكمبيوتـر السـيارة عــن الــ M16، مــداه وزاويــة إطلاقــه وقاعــدة تنشــينه وسرعتـه ومـا تبقـى مـن ذخيرتـه وطـرق التعامـل معـه، ومـا كاد يخطـو نحـوه خطوتـين حتـى تجمـد في موضعـه؛ إذ انخفـض بغتـة هديـر وابـل الطلقـات المنهمـرة واقتـصر عـلى الطلقـات القادمـة مـن مدفعـي السـيارة بالأسـفل، فيـما توقـف الــ M16 عـن إطـلاق الرصـاص، ثـم دارت ماسـورته آليًّـا حـول محورهـا الـرأسي بزاويـة تقـترب مـن المائـة وثمانـين درجـة ليجـد الشـاب نفسـه في مواجهـة الفوهـة التـي يتصاعـد منهـا الدخـان مباشرةً مـن عـلى مسـافة لا تقـل عـن الخمسـة عـشر مـترًا ...

كانـت تلـك هـي اللحظـات الأصعـب في حيـاة المـلازم إيهـاب عبـد اللـه كـما خطـر ببالـه بعـد مـا يزيـد عـن الدقيقـة، تمـرغ خلالهـا عـلى بلاطـات السـطح، وشـعر بلفـح وابـل الطلقـات يشـق الفـراغ الـذي كان يحتلـه بجسـده قبيـل جـزء مـن الثانيـة، قبـل أن يسـتدعي في الجـزء التـالي كل خـبرات التدريبـات الشـاقة اللاإنسـانية في معسـكرات الصاعقـة طيلـة الأعـوام الماضيـة، فيرتـد واقفًـا كاليويـو ويركـض واضعًـا كل قوتـه في عضـلات سـاقيه، وشـاعرًا بالطلقـات تتطايـر محاولـة النيـل منـه، وعندمـا اندلـع الألم الحـارق في سـاقه اليـسرى، تخاذلـت

ساقاه عن الوثبة التي كان ينشد بها النجاة من هذا الوابل، فهوى أرضًا على مرمى حجر من سور السطح.

أغمض عينيه منتظرًا الموت الداني الذي يمزق دويُّه طبلتي أذنيه، غير أن دويًّا من نوعٍ آخر دخل على الخط.

فتح عينيه غير مصدق، وحدق في الـ M16 الذي توقف عن إطلاق الرصاص بعد أن تحطمت ماسورته إثر قذيفة أطلقتها الطائرة بدون طيار التي مَرَقت من فوقهم على ارتفاع منخفض، زفر بعمق بينما صوت ضابط العمليات يتردد في السماعة المستقرة داخل أذنه، حدق في الدماء التي تنزف من ساقه التي اخترقتها طلقة المدفع، وغمغم بأنه بخير وبأن الطيران تعامل مع الهدف، وبأنه بصدد فحصه لمعرفة الكيفية التي يعمل بها أوتوماتيكيًّا والجهة التي تتحكم فيه عن بُعد، لحين وصول بقية الدعم.

كان بإمكانه –مع إصابته- الانتظار وترك عملية فحص الـ M16 وتتبع مُطلقه للدعم القادم، ولكنه مدفوعًا بشعورٍ غير مبرر بالتقصير بسبب سقوط رجاله وإخفاقه في حماية أهداف مهمته قرر ألا ينتظر، تعاملت أصابعه باحترافية مع إصابته، ثم نهض بصعوبة ومشى بخطوات عرجاء وساق مُضمَّدة باتجاه المدفع المعطل.

دار حول ماسورته المحطمة التي تتصاعد منها بقايا الدخان، وتوقف أمام شاشة جهاز التوجيه خلف الماسورة، ضغط أزراره، ثم استل جهازًا صغيرًا من الجيب المتسع لبنطاله المموه، ألصقه بالشاشة بعد أن ضغط زرًّا صغيرًا في قمته، ولثوانٍ وقف يراقب سيل الأرقام الذي انهمر على شاشة الجهاز.

- إشارة التوجيه من بره مصر.

قالها مخاطبًا ضابطه في غرفة العمليات والذي سأله عن المَصدر، فأجابه وهو يرمق الخريطة الرقمية الهولوجرامية التي انبعثت من الجهاز الصغير:

- ثواني وهَنعرف القمر الصناعي اللي بينقـ ...

بـتر عبارتـه بغتـة عندمـا انبعـث صفـير حـاد متصـل مـن قلـب جهـاز توجيـه الـ M16 اتسـعت لـه عينـاه، ونَـدَت منـه حركـة سريعـة في محاولـة للابتعـاد،

وفي نفـس اللحظـة تقريبًـا، رصـدت الطائـرة بـدون طيـار التـي كانـت تحلـق في دوائـر عـن قـرب، ولمـح أفـراد قـوة الدعـم التـي كانـت قـد بلغـت مدخـل الشـارع، الانفجـار العنيـف الـذي دوى عـلى سـطح الفيـلا ودمـر أرضيتـه وأطـاح بأشـلاء المـلازم إيهـاب عبـد اللـه لمسـافات واسـعة.

***

-٣-

أومأ إلى رأسها وتسَاءَل بفمٍ مملوء بالبيض والبسطرمة:

- من إمتى؟

ارتفعت أصابعها لتمسِد خصلات شعرها القصيرة فضية اللون التي التمعت في أشعة شمس الصباح التي غمرت المطبخ، وقالت مبتسمة بشيء من الخجل:

- من كام إسبوع.

- دا كان عشان الفيديو؟

أومأت برأسها مجيبة:

- فيه أجهزة بتنبِش ورا كل تفصيلة، وظهوري بالحجاب هَيدي فرصة لأسلمة الحِراك زي ما حصل زمان.

وأطلقت ضحكة قصيرة وكأنما تداري بها خجلها:

- وبعدين أنا خلاص من القواعِد يا ابني، يعني اقلع والبس براحتي، ياكش حتى انزل المية بـ البكيني!

ضحِك بدوره وهو يمسح ما علق بشفتيه من بقايا السمن بمنديل ورقي، تناول منها كوبًا تتصاعد منه أبخرة قهوة زكية الرائحة، شكرها ورشف باستمتاع، قبل أن يرفع عينيه إليها يرمقها بنظرة طويلة.

ابتسمت أمل مجددًا وقالت:

- منظرى alien أوي كدا؟!

هَز زين رأسه قائلًا:

- بالعكس.

- (ضاحكة): ربنا يجبر بخاطرك.

«وقد أثار خطاب الرئيس فتحي منصور الذي أذاعه التليفزيون المصري في ساعة متأخرة من ليلة أمس ردود فعل دولية وإقليمية واسعة».

سارا متجاورين على الأرضية المبلطة بالحجارة والتي تمتد بكامل مسطح السوق التجاري.

المحلات والبازارات وباعة الصحف الإلكترونية والكافيتريات التي تفوح منها روائح أطعمة صباحية شهية، بينما تحتل واجهة الهايبر ماركت العملاق قسطًا عظيمًا من المجال البصري، المناضد خالية، والوجوم يكسو وجوه المارة والعاملين الذين وقفوا أمام محال أكل عيشهم يتبادلون كلمات مقتضبة متبادلة تخفي وراءها توجسًا هائلًا.

لاحظ نظرتها التي طالت لصورة الرئيس المصري والتي تحتل مانشيتات جورنال الأهرام الإليكتروني على شاشة إحدى الأكشاك، وسمعها تتمتم:

- كإنه ما كبرش يوم واحد.

ألقى نظرة على صورة الرئيس، صاحب العينين الخضراوين والحاجبين الكثين والملامح القوية، وسألها:

- تعرفيه شخصيًّا؟

نظرت للعينين الخضراوين، وتداعت أمامها ذكريات قديمة ذات أصواتٍ وألوانٍ ورائحة.

«قادم قادم يا إسلام» ...

خرجت مندفعة بحماس من حلق الشيخ فتحي الذي تلقى المايك من خالد عباس، فرددتها خلفه آلاف الحلوق، ودَبدَبَ معها ضعفها من الأقدام داخل الأحذية على أسفلت الميدان ...

- أعرفه كويس.

قالتها من دون أن تنزع عينيها من على الصورة الهولوجرامية، ثم استطردت ببطء:

- بعد سنين من فض الاعتصام والصياعة والتنطيط في أوروبا، شوفته في المحطات الفضائية لما طرح نفسه كمرشح رئاسي قادم من قلب المؤسسة الاستخباراتية، افتكرت ساعتها الشيخ فتحي، واحد من أكتر شباب الإخوان تطرفًا وتعصبًا أيام الثورة والاعتصام، نفس الشخص اللي بيفتخر على

شاشة التليفزيون بسنوات خدمته في جهاز المخابرات العامة.

وارتسمت ابتسامة مريرة على شفتيها بينما تردف:

- الليلة دي قضيتها في شقتي الصغيرة في نيس، أسترجع كل ذكرى وكل تفصيلة فاكراها عنه، تعصبه وشراسته ضد أعداء الجماعة، صوته الغليظ وهو بيصرخ في الهتافات، ضيق أفقه ومُزايدته على الكُل، أفتكر واضحك شوية وأعيط شوية، أعتقد إن فتحي منصور إداني أكبر درس تلقيته في حياتي.

بلغا نهاية السوق، ثم استدارا عائدين.

قالت له وهي تدور بعينيها من وراء المنظار الشمسي الداكن الذي يداري نصف وجهها -وكانت قد غطت شعرها الفضي بإيشارب داكن بعد أن تصدرت ملامحها صفحات الصحف ومواقع الإنترنِت إثر البيان المُصوَّر الذي أذاعته بنفسها- في ملامح المارة والبائعين والشراة المسكونة بالقلق:

- تفتكر هَيسامحونا؟

التقط قطعة من الزلابية الساخنة المغطاة بعسل النحل الطازج من العلبة التي يمسك بها، والتي تحمل سلوجان مخبز قريب بالسوق ودَسَّها في فمه قائلًا:

- مِش مُهتَم.

حدقت فيه مرددة بدهشة:

- فعلًا!

أومأ برأسه وهو يمضغ بتلذذ، فتساءلت بصوتٍ خفيض:

- مش مهتم انهم يعرفوا انك ثائر، مش إرهابي أو فوضوي؟!

- آه.

بدا له صوته –رغم هدوئه- محملًا بنبرة عابثة عجيبة، ساد الصمت بينهما لبعض الوقت، قبل أن تنظر له وتقول بهدوء:

- عايزة اسألك سؤال.

لأ، سؤالين!

- اسألي زي ما انتي عايزة ...

قالها وهو يبادلها النظر.

- إيه اللي خلاك تسيب Egy- Nergy؟

- والتاني؟

- ليه بتتعاون معانا؟

غابـت عينـاه للحظـة في السـماء المبرقشـة بالغيـوم، تذكـر مُحادثـة سـابقة دارت بينـه وبـين الكابـتن تريفـور في مُعسـكر التدريـب، فارتسـمَت ابتسـامة خفيفـة عـلى شـفتيه، فقـال:

- أنا بقيت بَتسِئِل السؤال دا كتير على فكرة.

«ففـي اسـتجابة سريعـة لدعـوة الرئيـس المـصري، أعلـن السـيد جـون لي كوك، الأمـين العـام للأمـم المتحـدة، عقـد قمـة دوليـة طارئـة لمكافحـة الإرهـاب غـدًا صباحًـا، وتوجيـه الدعـوة لجميـع الـدول الأعضـاء».

- في آخر عملية صيد خرجت فيها، شوفت مشهد بشع.

الأظافر والأسنان والقضبان تنتهك كل ملليمتر من جسدها ...

تشـعر باختنـاق وضغـط شـديد يحطـم ضلوعهـا، تعجـز عـن التنفـس، وقـد فقـدت إحساسـها بنصفهـا السـفلي الـذي فشـخت الأذرع سـاقيه، وتناوبـت القضبـان عـلى المهبـل بعنـف مجنـون، الواحـد تلـو الآخـر.

- ماستحملتِش منظرها.

قالهـا باقتضـاب وهـو يرمـق قمـم الأشـجار مـن وراء حاجـز الفرانـدة بنظـرة خاويـة.

يتسـاقطون مـن حولهـا، ويظهـر مـن ورائهـم جنـدي متشـح بالسـواد، وجهـه مُغطـى بالكامـل بقنـاع أسـود، يقبـض عـلى بندقيـة بـين أصابعـه.

لم تشـعر بـه وهـو يتحسـس نبضهـا، ثـم يميـل عليهـا لينصـت إلى صـوت تنفسـها.

- ضربت تقرير تشريح يفيد بوفاتها، وهربتها من المزرعة.

ونفث دخان سيجارته مستطردًا بشرود:

- نقلتها البيت عندي.

«المعـدلات الحيويـة بتتحسـن، والجـروح بتلتِئِـم، إمبـارح بالليـل فاقـت شـوية وطلبـت تـشرب».

سألته أمل:

- عملت كدا ليه؟

«إقـرا عقـدك يـا كابـتن! سرقـة وتهريـب البطاريـات جريمـة، خيانـة عظمـى في عُـرف الشركـة، والخيانـة عقابهـا واحـد في كل الأعـراف».

هَمَسَ بصوتٍ مختنق:

- عشان افتكرت أمي.

الباب في نهاية الممر المظلم.

خـط دقيـق مـن الضـوء قـادم مـن الداخـل، يلامـس الأرض عنـد موضـع التقائهـا بالبـاب ...

صوت أمه الضعيف الواهن يئِن متألماً من وراء الباب ...

يبـكي بـدوره ... يـضرب البـاب الموصـد بقبضتيـه الصغيرتـين ... يـصرخ مناديًـا باسمها ...

مَـدت أصابعهـا لتربـت برفـق عـلى كفـه، فنظـر لهـا زامًّـا شـفتيه عن ابتسـامة شاحبة.

ران الصمـت عليهـما لوهلـة إلا مـن زقزقـة العصافـير فـوق الأغصـان القريبـة، ثـم قالـت هـي بخفـوت:

- بس انت بعد ما هربت من الشركة كانت عندك خطط تانية.

أومأ برأسه قائلًا:

- صحيح.

«مـش موضوعنـا ... المهـم إن البطاريـة تحـت إيـدي دلوقتـي ... وانـك انـت يـا كابـتن خالـد لـو لقيتهـا ورجعتهـا، فـ دا الـشيء الوحيـد الـلي ممكـن يرفـع أسـهمك فـ الشركـة ويخليـك تجتـاز التحقيـق عـلى خـير، إن مكانـوش يكافئـوك كمان».

«تمثيلية صغيرة ... مداهمة ... تبادل إطلاق نار ... بوووم كبير يخلف جثة متفحمة مطموسة الملامح ... الصياد الهربان مات ... تم العثور على البطارية المفقودة ... *case closed* ... بس كده!».

- وإيه اللي خلاك تنضم لينا؟

ابتسم قائلًا:

- دا سؤالِك التاني؟

- آه.

مرت لحظة من الصمت، فوجئت بعدها بأصابعه تتسلل لتحتضن أصابعها، وسمعته يقول بنبرة دافئة غير متوقعة:

- إنتي.

حدقت غير مستوعبة في أصابعهما المتشابكة، ثم رفعت عينيها إلى عينيه اللتين أطلت منهما نظرة حانية بدت متناقضة مع ملامح وجهه الحادة، وتمتمت بدهشة:

- أنا!

- إنتي يا أمل.

- أنا إيه؟!

***

-٤-

(قبل أربع سنوات) ...

الحفل كان بارعَ التنظيم كما هو مُتوقَّع ومألوف من جهة مُضيفةٍ ومنظِمةٍ لها سمعتها العالمية التاريخية كـ ريتز- كارلتون بارادايس هايتس..

هذه السُّمعة التي جعلت قسم العلاقات العامة بشركة *Egy- Nergy* يرفع توصية لمجلس الإدارة بقبول عرض السعر الذي تقدمت به إدارة ريتز- كارلتون العالمية لتنظيم حفلات ومناسبات الشركة لخمس سنوات قابلة للتجديد، رغم اعتراض القسم الاقتصادي على هذا العرض الذي لم يكن الأقل سعرًا بين العروض التي تقدم بها عددٌ من كُبريات شركات الفندقة حول العالم.

القاعة الفسيحة مُجهزة على أعلى مستوى معماري تصميمًا وتنفيذًا، والمسار المرسوم باحترافية لدخول المَدعوين من كبار رجال السياسة والاقتصاد والإعلام ونجوم الفن والثقافة في العالم كله، ووصولهم إلى أماكنهم المُخصصة بتلك القاعة الفاخرة المؤثثة وفق أحدث الصيحات في عالم الديكور، ومُزوَدة بأعلى التِّقنيات الصوتية والبصرية، بالإضافة لمستوى الخدمة العالمي المرادف لعلامة «ريتز-كارلتون».

وبين الموائد العامرة بالضيوف من أصحاب السلطة والنفوذ والشهرة والجاه، والخدم ورجال الحراسة المنتشرون هنا وهناك بحركة دءوب لا تتوقف لحظة من أجل خدمة وراحة ضيوف الشركة الكبرى في حفلها السنوي، وعلى خلفية من الاستعراضات البصرية المبهرة والأغنيات العالمية التي يؤديها أصحابها من النجوم لايف بعد أن حصلوا على المقابل اللائق الذي طلبوه لقاء حضورهم بالطائرات إلى *PH* (بارادايس هايتس) وأداء فقراتهم، راح موظفو قسم العلاقات العامة يتحركون بنشاط للإشراف على كل صغيرة وكبيرة من تفاصيل الحفل، وعلى رأسهم رئيس القسم

الـذي جلـس في الجنـاح المخصـص لـه بالفنـدق يراقـب بعينـي صقـر الشاشـات الهولوجراميـة التـي تنقـل مـا تبثـه الكامـيرات المُوَزعـة بأنحـاء القاعـة ومدخلهـا والممـرات المؤديـة إليهـا والمطبـخ الكبـير ودورات الميـاه، هـذه المـرة تحديـدًا - ورغـم أنهـا ليسـت مهمتـه، بـل مهمـة مديـر المناسـبات بالفنـدق!- كان الرجـل شـديد الحـرص والحـذر، ويـصرخ في معاونيـه المنتشريـن في القاعـة لأيَّـة هفـوة تلتقطهـا عينـاه، وذلـك تفاديًـا لأي لـوم أو توبيـخ يوجهـه لـه المسـتر عمـرو عـزام، النائـب الجديـد الشـاب للمسـتر آدم المـصري، رئيـس مجلـس الإدارة، والغربـال الجديـد ذو الشـدة، الراغـب في إثبـات جدارتـه بهـذا المنصـب رغـم صِغـر سـنه.

ووَسَـط هـذا الكرنفـال البـصري المبُهِـر والصـوتي الصاخـب، لم يلحظهـا أحـد إذ انسلَّت داخـل القاعـة بجسـدها الضئيـل في ثـوبٍ أسـوَد مـن الدانتيـل، يكشـف عــن كتفـين دقيقـين، وعنـق أبيـض حليبـي رُفِعَـت عنـه خصـلات الشـعر السـوداء الطويلـة، ومفـرق ثديـين صغيريـن يتألـق فوقهـما عُقـدٌ مـن الألمـاس رقيـق التصميـم، وقفازيـن مـن المخمـل يداريـان أصابعهـا.

بَـدَت كيمامـة رقيقـة وهـي تخطـو بقدمـين دقيقتـين عـلى السـجاد الفـارسي الفاخـر بـين الحشـود، والضحـكات والثرثـرات والكامـيرات والموسـيقى والهولوجـرام الـذي يخطـف الأبصـار، بينـما عيناهـا السـوداوان تتقافـزان مـن وجـهٍ لوجـه مـن دون أن تقفـا عـلى أيٍّ منهـم رغـم شـهرة أغلبهـم، وكأنهـا تبحـث عـن وجـه محـدد سرعـان مـا التقَـت صاحبـه الشـاب مُقبـلًا عليهـا في بذلـة سـوداء أنيقـة.

دنا منها فأشارت إلى السماعة الدقيقة في أذنها اليمنى قائلة:

- من غير دي ولا كُنت هلاقيك وسط الحشد دا!

ابتسم قائلًا:

- أنا هنا من ساعات.

- وعَمَلت إيه؟

مَـدَّ كفـه يلتقـط كأسًـا مـن عـلى إحـدى الصـواني التـي يحملهـا أحـد الخـدم

المنتشريـن جيئـةً وذهابًـا بأزيـاء القاعـة ذات اللـون القرمـزى المميـز، وكاد يرفعـه إلى شـفتيه لـولا أنهـا سـبقته فنزعـت الـكأس مـن بـين أصابعـه وأعادتـه برشـاقة إلى الصينيـة قائلـة:

- مفيش شُرب لغاية ما نخلص شغلنا.

نظر لها متبرمًا وقال:

- مَلوش أثر في القاعة.

التقى حاجباها المُزججان وهي تقول:

- زي ما توقعنا.

ودارت بعينيهـا في المـلأِ المحيـط، وكأنهـا تلقـي نظـرة اطمئنـان أخـيرة، مسـتطردة:

- كـدا نُـص المعلومـة الـلي اشـتريناها سـليم، باقـي نتأكّـد مـن صحـة النـص التـاني.

ونظرت له فأومأ لها، ثم غادرا القاعة معًا إلى لوبي الفندق.

قال لها بينما يسيران على الأرضية البورسلين الشاهقة:

- سـخيف أوي! آخـر دور، وحاجـز دوريـن كاملـين تحـت منـه، دا لـو رئيـس الجمهوريـة الـلي نـازل مكانـش عمـل كـدا ...

- لو رئيس الجمهورية هو اللي نازل هنا ماكوناش عرفنا ندخل أصلًا!

اتجهـا مبـاشرةً إلى موظـف الاسـتقبال، الشـاب الوسـيم الـذي اسـتقبلهما بابتسـامة فُندقيَّـة، وتبـادل معهـما حـوارًا قصـيراً تخللتـه نقـرات عـلى لوحـة المفاتيـح أمامـه واطـلاع عـلى بطاقتـي هويتيهما، وتسـجيل بصمتيهـما الحيويتين، ثـم لم يلبثَـا أن تسـلمهما موظـفٌ آخـر اقتادهـما -وقَـد طـوَّقَ الشـاب خـصر الفتـاة بذراعـه- لجنـاح بأحـد الطوابـق.

ومـا أن انغلـق عليهـما البـاب حتـى أزاحـت الفتـاة ذراع رفيقهـا مـن حـول خصرهـا وهـي تقـول لـه بابتسـامة سـاخرة:

- ملهاش لزمة الأفورة دي!

أحاطها بكلتي ذراعيه هذه المرة وهو يقول مبتسمًا:

- كاموفلاج.

أفلتت منها ضحكة خافتة وهي تنفلت منه برشاقة وخرجت إلى التراس المُطِل من فوق منحدرٍ، تغطيه الحشائش الخضراء اليانعة على بحيرة صناعية واسعة، انعكست الإضاءة الاحترافيَّة على سطحها الرقراق، ومن ورائها سطعَت أنوار بنايات ومولات بارادايس هايتس كشموس في قلب الليل تنافس النجوم التي زانت ظلمة السماء ...

أما هو فجلسَ إلى طرف الفراش العريض الذي يتوسط الحجرة، وراح يفحص حقيبة ظهر جلدية كانت بانتظارهما بجانب الفراش، ألقى نظرة على محتوياتها، استخرج منها لوحًا حاسوبيًّا رقيقًا جرَت أنامله على شاشته بسرعة ثم رفع عقيرته مناديًا رفيقته الواقفة في التراس.

قَدِمَت إليه وقد أطل التساؤل من عينيها، فرفع لها وجهه وقد كللته ابتسامة مُظفرة وهو يقول:

- *It is done* ...

وأدار شاشة التابلت لتواجهها، فألقت عليها نظرة سريعة تمتمت بعدها أن «جميل» لينهض هو بنشاط قائلًا:

- يالا بسرعة، مفيش وقت.

اتجهت للدولاب وأزاحت ضلفته المنزلقة لتستخرج من داخله زيًّا رسميًّا يحمل شعار الفندق المُكَوَّن من قميص أبيض يحمل على صدره بطاقة هوية عليها لوجو الفندق وجوب قصير داكن، فاستبدلت به ثوبها الدانتيل الأنيق وعقصت خصلات شعرها السوداء على هيئة ذيل حصان طويل متدلي خلف ظهرها، نظرت لصاحبها متساءلة:

- إيه النظام؟

التفت يتأملها وصَفَّرَ بشفتين مضمومتين إعجابًا، فتبسمت بدلال وهي تجلس على طرف الفراش لتستبدل حذاء السهرة بآخر من قلب الحقيبة قائلة:

- أنفع يعني؟

ضحك وهو يهز رأسه نافيًا بينما يستخرج زجاجة من النبيذ الفرنسي المُعَتَّق من ثلاجة الغرفة وقال:

- لأ، انتي برنسيس.

وانشغل برَصِّ طاقم السرفيس على صفحة مائدة صغيرة ذات عجلات لتقديم المشروبات كانت بانتظاره إلى جانب الثلاجة، ألقت هي نظرة على الرَصة المُتقنة ثم قالت ضاحكة:

- انتَ بقى تنفع!

- كويس عشان لو اتعكشنا الاقي شغلانة تأكِّلني عيش.

أنهيا ضحكاتهما التي بدت وكأنما يفتعلاها بصعوبة للتغلب على عواصف الترقب والانفعال.

التقط هو نفسًا عميقًا وقال بجدية، وكأنما يطوي صفحة الهزل:

- جاهزة؟

بَدَت أقل منه اكتراثًا وتهيبًا وهي تهز رأسها وتتقدم لتلف أصابعها حول مقود عربة المشروبات قائلة:

- أنت جاهز؟

تجاهل سؤالها وهو ينقر مواضع الأزرار على شاشة التابلت لثوانٍ ثلاث، ثم رفع عينيه إلى الهولوجرام الذي انبعث على بُعد متر ونصف المتر منه والذي جَسَّدَ صورته من وجهة نظر رفيقته.

وضع على سطح عربة المشروبات حاسوبًا لوحيًّا آخر أصغر مقاسًا، محفورٌ على ظهره حرفان *RC* واضحَان وهو يقول:

- حاولي خلال الثواني اللي هتقابليه فيهم إنك تركزي على وشه بَس. كل ثانية اللينسِز بتاعتِك (مشيراً بسبابتيه ووسطيه إلى عينيها) هَتصورها وتنقلهالي هنا (يدير أصابعه إلى الهولوجرام المتلألئ) هَترفعنا فوق أكتر وتخلى القنوات والمواقع تجري ورانا.

أومأت برأسها متفهمة، فتنهد قائلًا:

- انا مش عارف ازاى طاوِعتِك فـ الجنان دا!

قالت وهي تتقدم منه:

- لازم نتجَنِّن عشان نعرف نعمل اللي غيرنا مَعرِفش يعمله.

تعانقَا وتبادلا قُبلة دافئة، إحتوى وجهها بين كفيه، وهَمَس وهو ينظر في عينيها:

- خلي بالِك.

داعبت أنفه بأرنبة أنفها وهي تقول:

- في أسوأ الظروف لو سَلِّمني للبوليس، أنكِل ثروت هَيخلص معاه فـ ساعة زمن.

كرَّر:

- خلي بالِك.

فتح باب الحجرة وأطل برأسه ذات اليمين وذات الشمال ثم أفسح لها لتعبر فتحة الباب، فسارت تدفع عربة المشروبات أمامها حتى بلغت المصعد، انتظرت حتى انزلقت أبوابه بنعومة، أومأت لرفيقها ثم دلفت وتلاقت الأبواب خلفها.

عاد هو إلى الحجرة، وطفق يراقب الهولوجرام الذي تنقله عدستا رفيقته.

انفرجَت أبواب المصعد على ارتفاع طابقين آخرين، فوجدت نفسها أمام ثلاثة من الحراس الشخصيين ضخام الجثث في بذات سوداء حالكة ... سمعها تقول لهم:

- *Room service*. سويت ٢٠٢٧، مستر آدم المصري.

رفعت أمام وجوههم التابلت الصغير الذي يحمل *RC* محفورَين على ظهره، فتفحص أحدهم الأوردر المبُيَن بوضوح على شاشته المتصلة بشبكة الخدمات حاملًا رقم الجناح واسم شاغله وتاريخ الأوردر ومكوناته، في حين انهمك الثانى في فحص عربة المشروبات بجهاز صغير للكشف عن المعادن، ثم لم يلبث أن مَرَره على جسدها باحترافية قبل أن تضيء لمبة خضراء أعلاه، فيشير إلى زميله الثالث ليتقدمها نحو الجَناح المطلوب.

وفي جَناحـه، عقـد الشـاب سـاعديه أمـام صـدره وهـو يراقـب الهولوجـرام الـذي تبثـه عدسـات رفيقتـه، وهـي تتقـدم خـلال الممـر المفـروش بالبورسـالين الفاخـر والـذي توزعـت أبـواب الأجنحـة عـلى جانبيـه حتـى بلغـت إحـدى الأبـواب، فتوقفـت وانتظـرت الحـارس الشـخصي؛ إذ ضغـط الـزر المجـاور للبـاب المنقـوش عليـه الرقـم ٢٠٢٧ .

مـرت ثـوانٍ، حبـس الشـاب خلالهـا أنفاسـه، وكذلـك رفيقتـه التـي تصاعـدت ضربـات قلبهـا رغـم مـا أبدتـه حتـى الآن مـن رباطـة جـأش، وهـي تسـمع الحـارس يخطـر صاحـب الجنـاح بمـا هنالـك عـبر الإنـتركام المثبـت.

في هــذه الثــواني بَــدَت لهــا خطتهــا ورفيقهــا واهيــة شــديدة الســذاجة، وعجبـت لحماسـهما الصبيـاني لهـا بينـما نجاحهـا أصـلًا مرهـون بالحـظ، جَـفَّ حلقهـا وانتظـرت أن تسـمع الأمـر الصـوتي عـبر الإنـتركام بصرفهـا أو الأسـوأ: إلقاء القبـض عليهـا، غـير أن كل هـذا التوجـس انـزاح في ثانيـة واحـدة، وحَلَـت محلـه دهشـة عارمـة عندمـا انفتـح البـاب أوتوماتيكيًّـا وأشـار لهـا الحـارس بكفـه المفتـوح داعيًـا إياهـا للدخـول.

خفق قلبها وهي تهز رأسها ثم تدفع عربتها إلى داخل الجَناح الفاخر.

وفي حجرتــه، حــدق الشــاب بانتبــاه شــديد في الهولوجــرام الــذي تنقلــه العدســتان للجنــاح، والــذي يناهــز الفيــلات في الاتســاع والفخامــة، وتركــز اهتمامـه عـلى الرجـل طويـل القامـة الـذي توقـف في منتصفـه والـذي راحـت ملامحـه تتضـح رويـدًا رويـدًا مـع اقـتراب العدسـتين منـه.

ألقـى نظـرة خاطفـة عـلى التابلـت ليتأكـد مـن أن عمليـة تخزيـن الهولوجـرام مسـتمرة، ثـم عـاد يتابـع.

الرجـل ممشـوق القـوام في ثيـاب كاجواليـة الطابـع لم تقلـل بسـاطتها مـن أناقتهـا، لا تخلـو ملامحـه الصخريـة مـن قـدر مـن الوسـامة، وثمـة لحيـة ناعمـة تحيـط بوجهـه وتضفـي عليـه مزيـدًا مـن المهابـة.

أمـا عينيـه فلمعتـا بالاهتـمام وهـما تفحصـان الفتـاة الشـابة التـي تدنـو بجِملها.

حَيتـه بصـوت حاولـت أن تتحكـم في نبراتـه، ثـم لم تلبـث أن لم تتحمـل نظـرات عينيـه الثاقبـة فزاغـت بعينيهـا بعيـدًا عنـه.

- *Shit*!

خرجـت سـاخطة مـن بـين شـفتي الفتـى، وهـو يـرى الهولوجـرام يـدور في أرجـاء الجنـاح الفاخـر بعيـدًا عـن هـدف المهمـة الرئيـس، كاد يهمـس لهـا عـبر السـماعة المثبتـة في أذنهـا كي تعـود ببصرهـا إلى الواقـف أمامهـا، غـير أنـه سـمع صوتـه يـتردد:

- اسمِك ايه؟

عـاد الهولوجـرام يسـتقر عليـه مجـددًا إثـر عـودة عينـي الفتـاة إليـه، حدقـت في وجهـه برهبـة ليسـت مـن شـمائلها، ثـم أشـارت إلى بطاقـة التعريـف المثبتـة إلى صـدر قميصهـا وهـي تخـبره بالاسـم المطبـوع عليهـا، فهَـز رأسـه قائـلًا:

- الحقيقي.

هـوى قلـب الشـاب في صـدره، وفي لحظـة واحـدة تيقنـت الفتـاة مـن أن خطتهـما المهـترأة مـن أساسـها قـد تشـظَّت وتطايـرت رمـادًا منثـورًا، والعجيـب أن هـذا اليقـين لم ينَـل منهـا بـل عـلى العكـس بـدَت كـما لـو كانـت قـد تحـررت مـن عـبء يثقـل كاهلهـا، فشَـدَّت قامتهـا وقالـت بنـبرة واثقـة:

- اسمي حياة.

تراقـص شـبح ابتسـامة عـلى شـفتي آدم المـصري، وأطـل الشـغف مـن عينيـه وهـو يومـئ لهـا لتسـتكمل تعريـف نفسـها.

- طالبة في نهائي إعلام.

مـرت لحظـة مـن الصمـت بَـدَت للشـاب في جناحـه دهـرًا، قبـل أن يـرى هولوجـرام آدم يمـد كفـه المفتوحـة نحـو رفيقتـه الشـابة، ويسـمع صوتـه يـتردد هادئًـا:

- العدسات من فضلِك.

***

-٥-

الناظـر لــ آدم المـصري، وقـد اسـترخى في مقعـده وأسـبلَ جفنيـه مُنـذُ أن أقلعَـت طوافتـه الخاصـة مـن المنصـة المُخصصـة بمقـر E. N. بالهايتـس، لـن يساوره الشـك في استغراقه في نعاسٍ عميـق مـع مـرور مـا يقـرب مـن الثلاثـين دقيقـة لم يحـرِك خلالها ساكنًا، غـير أن هـذا الشـك كان لينفجـر مـرة واحـدة عندمـا فتحَ عينيـه وزفـرَ بعمـق وكأنـه يدفـع بتوتـره خـارج صـدره.

أشـعل سـيجارًا، ونفـث سـحابة مـن دخانـه وهـو يخـرق ببـصره الكـوَة الزجاجيـة المجـاورة لمقعـده، والتـي ملأهـا اللـون الرمـادي الداكـن للغيـوم الهائجـة التـي تُحلِّـق الطوافـة خلالهـا.

ثـوانٍ مـرَت ثـم أدار رأسـه إلى صاحـب الجسـد الفـارع المُتشِـح بالسـواد الجالـس إلى مقعـدٍ قريـب، ألقـى نظـرة متفحصـة عـلى قامتـه المشـدودة ومنكبيـه العريضـين وملامـح وجهـه التـي لم يخـفِ جمودهـا ملاحتهـا، سـأله بصـوتٍ فضـح نـذرًا مـن توتـره:

- جاهِز؟

مـرَت لحظـة مـن الصمـت إلا مـن أزيـز خافـت مُنبعِـث مـن المُحـركات، قبـل أن يجيـب صاحـب السـواد بإيمـاءة بسـيطة برأسـه.

- إنتَ الوحيد اللي البطارية متقدرش تنبش في مخاوفه.

قالهـا بصـوتٍ خافـت وكأنـه يحـدث نفسـه، فلـما لم يتلـق إيمـاءات مـن أي نـوع هـذه المـرة، زَفـر بحـرارة مـرةً أخـرى وعـاد ببـصره إلى الرمـادي العظيـم خـارج الطوافـة مُطلقًـا سـحب الدخـان بـين الفينـة والفينـة، حتـى قطـعَ هـذا الصمـت صفـير منغـوم تصاعـدَ تدريجيًّـا في فـراغ كابينـة الطوافـة.

«عمرو عزام».

تـردَدَت بالصـوت الأنثـوي المُسـجَل في ذاكـرة الهاتـف الـذي أمـرهُ آدم بالإجابة، فتشـكلَّ أمـام عينيـه هولوجـرام متوسِـط لنائبـه الثلاثينى الـذي بادره:

- نصير لبكي طالِب يكلِمَك، مستر آدم.

التقى حاجبًا آدم وهو يردد:

- عايز إيه دا؟!

- حاولت اعرف منه، لكنه أصر إنه ما يتكلِّمش غير مع حضرتك، وأَكَّد أن الموضوع في غاية الخطورة.

وزمَّ شفتيه لحظة ثم تابع بتوتر:

- وفـ الظروف الصعبة دي مكانش هَينفَع اتجاهل احتمال إنه يفيدنا بأي داتا، فاضطريت اتِصِل بمعاليك رغم تعليماتك إن محـ ...

قاطعه آدم باقتضاب:

- وَصلني بيه.

في اللحظة التالية تماوج هولوجرام النائب الشاب توطئةً للتلاشي بالتزامن مع انبعاث هولوجرام آخر للبناني الأربعيني نُصير لبكي، المدير الإقليمي لمجموعة The Eye في منطقة الشرق الأوسط الكبير، والذي ابتسم بحفاوة متمرسة زادت من وسامة وجهه المصقول بالبوتِكس وحيَّى آدم بحرارة:

- لعلِي لم أتصل في وقتٍ غير مناسب، مستر مصري؟

قالها بأمريكية قُحَة، فأجابه آدم بمثلها من وراء سحابة من الدخان الأبيض:

- فقط إذا كان اتصالك بخصوص البيزنس، عزيزى لبكي.

أطلق اللبناني ضحكة متكلِّفة وقال:

- نحن رجال أعمال، مستر مصري، وأنفاسنا نفسها عبارة عن بيزنس في صورة غازية.

عبرَت ابتسامة سريعة شفتي آدم لطرافة التشبيه، لم تفُت على عيني لبكي المتمرستين، واعتبرها خطوة أولى موفقة، سمع آدم يقول بعدها:

- على ما أذكر، فالتعاقد بيننا مفسوخ منذ ما يقرب من العام بسبب...

قاطعه:

- بسبب المشاكل التقنية التي تعرضنا لها، وتسببت في قصور خطير في

تلبيـة الطلـب الاسـتخباراتي.

صمَتَ آدم مُحدِّقًا في وجه مُحدثه الباسِم الذي تابعَ:

- أعـترف أنهـا كانـت مرحلـة دقيقـة في عُمـر شركتنـا، ربمـا لا تقـل خطـورة عـما تمـر بـه Egy- Nergy هـذه الأيـام.

قال آدم بصرامة:

- ما كانت E. N. لتتعرَّض لهذه التهديدات لولا تقصيركم، نُصير.

- أؤكِـد لـك، مسـتر مـصري، أن الفاعِـل واحـد في الحالتـين، والفايـروس الـذي تسـلل إلى منظومتنـا المعلوماتيـة كان تدبـيرًا لتعطيلنـا عـن كشـف مـا يُـراد بكـم... واتصـالي بـك هـو لتقديـم الدليـل وتعويضكـم عـن تقصيرنـا ...

ردد آدم:

- تعويضنا!

اتسعت ابتسامة اللبناني من تحت شاربه الدقيق وهو يقول:

- لعلَـكَ تابعـت المعركـة التاريخيـة في أروقـة الأمـم المتحـدة خـلال الأسـابيع والأشـهر الفائتـة، مسـتر مـصري.

أومـأ آدم برأسـه ببـطء وهـو يدفـع بسـحابة مـن دخـان السـيجار مـن بـين شـفتيه، فتابـعَ لبـكي:

- لقـد تكللـت جهودنـا وجهـود أصدقائنـا حـول العـالم مـن التقدميـين وأنصار المسـتقبل بإصـدار قـرار أممـي تاريخـي بتعديـل قانـون الآلـة، ورفـع درجـة ذكائهـا مـن المسـتوى الرابـع للمسـتوى السـادس.

قال آدم ببرود:

- أخبرني بشيء لا أعرفه!

قال لبكي بحماس:

- مـا لا تعرفـه، مسـتر مـصري أن هاتـين الدرجتـين مـن الـذكاء، منحتـا ديـف، حاسـوبنا الرئيـس، مـن القـدرة والعافيـة مـا تغلـب بـه عـلى الأضرار الفادحـة التـي أحدثهـا الهجـوم الفايـروسي الإرهـابي الـذي أضعـف قدرتـه وكفاءتـه في أداء مهامـه الاسـتخباراتية ...

رفع آدم حاجبيه متسائلًا:

- وَهل نجح هذا؟!

خبَطَ لبكي يُمناه المضمومة في راحة يُسراه المفرودة وهو يضحك هاتفًا:

- كـما لا تتخيـل يـا صديقـي، لقـد عـاد عزيزنـا ديـف لإحصـاء أنفـاس مـا يزيـد عـن ٩٤٪ مـن سـكان هـذا الكوكـب، وبكفـاءة تفـوق بكثـير مـا كان عليـه قبـل الأزمـة الأخـيرة ...

- حقًّا!

- ستتأكَّد بنفسك.

سأله آدم باختصار:

- هل تملك لي عرضًا مُحددًا؟

- بالتأكيد.

قالها اللبناني بسرعة ثم استدرَك:

- ولكننـي لـن أقدمـه لـك الآن، سـأمنحك أولًا دليـلًا لا يقبـل الشـك عـلى الصِّلـة بـين الهجـمات التـي تعرضـت لهـا منظومتنـا، وفي نفـس الوقـت عـلى درجـة الكفـاءة التـي أصبـح عليهـا أداؤنـا الاسـتخباراتي بعـد أن اجتزنـا أزمتنـا، وأنـا متأكـد مـن أنـك بعـد أن تتأكـد مـن قيمـة بضاعتنـا، لـن تفاوضنـا مـن أجـل خفـض أسـعارنا الجديـدة.

ابتسم آدم في سخرية هذه المرة مُرددًا:

- حقًّا!

- (بثقة): حقًّا.

ألقى آدم نظرة على أرقام الساعة في طرف الهولوجرام ثم قال:

- يَجـدُر بِـكَ عزيـزي نـاصر أن تسـارع بطـرح دليلـك الخطـير هـذا؛ لأن طوافتـي عـلى وَشَـك الهبـوط.

- حسنًا.

ومـال بجذعـه للأمـام قليـلًا في حركـة مسرحيـة للإيحـاء بالخطـورة، ثـم قـال ضاغطًـا عـلى حروفـه:

- دليـلي هـوَ تفاصيـل مـا يُدَبـر لشركتكـم خـلال السـاعات القادمـة، مسـتر آدم. التفاصيـل الكاملـة!

***

-٦-

همسَت أمل:

- أنا إيه؟!

«محليًّا، انعقدت جلسة طارئة ضَمَّت كامل أعضاء مجلسي الشعب والشورى صباح اليوم، صدر عنها بيانًا مشتركًا يؤيد قرارات السيد رئيس الجمهورية، ويدعم أجهزة الدولة في مواجهة الإرهاب».

قال زين:

- إنتي السبب ورا كل الشغل والتدريبات والمعسكرات اللي اشترَكت فيها الشهور اللي فاتت.

دغدغَ شيء ما قلبها وهي تقول بصدق:

- مش فاهماك!

في اللحظة التالية سرَت قشعريرة في جسدها، وشعرت بسخونة مفاجئة في شحمة أذنها عندما مستها أصابعه التي داعبت الخصلات الفضية بينما هو يقول:

- أقصد انى مش فارقة معايا الشركة ولا الثورة ولا الناس.

وغاص بعينيه في عينيها مباشرةً وهو يستطرد:

- أنا من ساعة ما لقيت نفسي وحيد وضعيف وخايف، وملقيتش حُضن غير حُضنِك ...

«ضربني ... معلش ... آسف ... قولتله ... والله العظيم ... الكرباج ... ماما... قوليله ... قوليله ... آخر مرة والله العظيم ... ماما ... قوليله ... ماما ... قوليله ... قوليله ... قوليله!!».

غمرتها شفقة كاسحة، لم تدر بنفسها إلا وهي تحتضن رأسه بقوة ... تعالى بكاؤه وجسده يرتعد بقوة بين ذراعيها.

- وانا مش عايز ابعِد عنِك، وكله اللي بَعمله، بَعمله عشانك.

ونمَت ابتسامة صافية على شفتيه وهو يردف:

- عشان هَيرضيكي.

حدَّقَت فيـه للحظـات قبـل أن تسـتفيق لنفسـها، فتزيـح أصابعـه المتخللـة خُصلاتهـا الفضيـة، وتقـول بابتسـامة سـاخرة:

- شوية تاني وهصَدقَك!

أطلق ضحكة خافتة وقال:

- لازم تصدقيني.

ردَدَت ضاحكة:

- أنا أَد أمك!

- عارف.

هَزَّت رأسها قائلة بجدية:

- اللي انتَ حاسس بيه دا مش اللي فـ بالك!

- سَميه زي ما تسميه، المهم انه حقيقي.

نظرت له للحظة، ثم أشارت بسبابتيها ووسطيها إلى دماغها قائلة:

- شيل الفكرة دي من دماغك.

قال بلهجة تقريرية:

- مستحيل.

وهز رأسه مستطردًا:

- أنـا بقـالي شـهور في الصحـرا، مفيـش يـوم عـدَّى عليَّـا مـن غـير مـا افكـر فيـكي، مـن غـير مـا احلـم باللحظـة الـلي هَشـوفِك فيهـا.

قالت بقلق:

- انتَ قولتلي انك جِيت هنا بُناءً على تعليمات!

- إرحمي نفسِك شوية!

حدقته بنظرة متشككة فضحك قائلًا:

- يـا سـتي واللـه مـا ضحكتِـش عليـكي، التعليـمات وصلـت اني اتحـرَّك مـن المعسـكر عـلى هنـا قبـل بـدء العمليـة.

- مفهِمتِش ليه.

أجاب بهدوء:

- ولا انا، اتحركت بمجرد ما التعليمات وصلتني.

وأطل اشتياقٌ جارف من عينيه وهو يردف:

- كان لازم أشوفِك قبل ما ...

أطبق شفتيه على بقية عبارته، وتضرخ وجهها هي بحُمرة وهي تتلقى نظرته في إنسانَي عينيها مباشرةً، قبل أن تتنهد وتقول له بخفوت:

- إنتَ عارف علماء النفس بيسموا اللي انتَ حاسس بيه دا إيه؟

ابتسم قائلًا:

- إيه؟

- عقدة أوديب!

رفع حاجبيه بدهشة، ثم لم تلبث ابتسامته أن تحولت لضحكة قصيرة وهو يقول باستهانة:

- أوديب، إليكترا، وولفرين! قولتلِك مش مهم الأسامي.

ابتسمت رُغمًا عنها وقالت بشيء من الدلال بدا لها عجيبًا:

- وطلباتك إيه يا سي وولفرين؟!

احتوى كفها بين راحتيه وهو يقول برِقة:

- إني أفضَل جنبِك.

سَحَبَت كفها قائلة بجدية:

- أنا عايزاك ماتفكرش فـ حاجة غير العملية اللي هَتبدأ بعد كام ساعة... مصير الملايين مرهون بنجاحكم يا زين.

أومأ برأسه قائلًا:

- اطمني.

واكتسب صوته نبرة واثقة وهو يضيف:

- خلال أربعة وعشرين ساعة قواتنا المُدرَبة هَتجتاح مزارع E.N حول العالم، وهَتحرر البطاريات اللي جواها، وتنسف كل منشآتها وماكيناتها.

تمتمَت:

- بإذن الله.

- وبعدها.

- بعدها؟!

عادت الابتسامة الصافية إلى شفتيه وهو يقول:

- مش هَنفترِق.

«في اللحظة دي مش عايز أشوف أو افتكر واحدة غيرك» ...

ارتفع حاجباها وانفرجت شفتاها ...

أردف بصِدق:

«والله العظيم».

قالت بشرود:

- ماتفكرش غير فـ العملية يا أدهم.

بَهتَت ابتسامته فانتبهَت هي لزلتها وتمتمَت مُصحِّحَة:

- يا زين.

حدَّقَ في وجهها مُتسائلًا بخفوت:

- إنتي لسه؟!

أطرقت برأسها قليلًا ثم همَسَت بصعوبة:

- مِش زَي ما انت فاكِر.

عضَّت على شفتها.

مَدَّ أصابعه ليحتوي ذقنها ...

- القصة إني ... طول السنين دي ...

رفع رأسها برِفق.

- كُل ليلة ...

رأى عينيها مرقرقتان بالدموع.

- أنا عايزة أعرَف ... بَس!

احتواها بين ذراعيه، واستكانت هي في صَدره لبرهة من الزمن، ساد

خلالهـا السـكون، وكأن العـالم كلـه قـد حبـسَ أنفاسـه، قبـل أن تدفـع هـي نفسـها خـارج أحضانـه وتمسـح عينيهـا قائلـة:

- العملية يا ...

رأت في عينيه نظرة تحذيرية تمثيلية فتابعَت بابتسامة شاحبة:

- يا زين.

رَفَـعَ أصابعـه المفـرودة المتلاصقـة إلى رأسـه مؤديًـا التحيـة العسـكرية وهـو يقـول بمـرح:

- تمام يا افندِم.

هنا فقط، أفرجت عن ابتسامتها كاملةً وقالت:

- أنا هَعمِل شاي.

- آجي اعمله معاكي.

- قولنا إيييه؟!!

قالتهـا باسـتنكار تحذيـرى لم تُخـفِ مرحـه هـذه المرة، فأجابهـا هـو بتحيـة عسـكرية ضاحكـة أخـرى صامتـة.

وفي منتصـف الردهـة المؤديـة للمطبـخ توقفـت أمـام السـطح الناعـم المصقـول للمـرآة الزجاجيـة غـير ذات الإطـار، والتـي تتوسـط أحـد الضلعـين الطويلـين للردهـة ...

تفرسـت بتمعـن في التجاعيـد المنتـشرة حـول عينيهـا وجانبَـي شـفتيها، اللتـين لم تلبثـا أن انفرجتـا عـن ابتسـامة رائعـة أضـاءت ملامحهـا، وأعـادت لهـا قبسًـا مـن ملاحـة غابـرة.

هـذه الملاحـة التـي التقطتهـا عينـاه لـدى عودتهـا إليـه في الفرانـدة حاملـة صينيـة عليهـا مَجَّـين يتصاعـد منهـما البخـار، وطبـق ممتلـئ بالبسـكويت. ابتسـم وهـو ينهـض بقامتـه الفارعـة ليتنـاول منهـا الصينيـة، وفتـح فمـه ليقـول شـيئًا عندمـا تجمـدَت هـي في مكانهـا إذ سـمعت الأزيـز الخافـت يـتردد داخـل أذنهـا.

نظـر مُندهشًـا إلى وجههـا الـذي تبخـرت ابتسـامته في لحظـة، وعـاد ليكتـسي

بقناع الجدية المألوف ... سألها غيرَ فاهمٍ:

- فيه إيه؟

بَدَت وكأن روحًا مُختلفة قَد تلبستها وهي تُشير إلى السماعة داخل أذنها مُجيبة باختصار:

- تعليمات جديدة.

ثم أومأت لـ مَج الشاي مستطردة بلهجة عملية:

- إشرَب شايك على ما ارجعلك.

أغلقت باب حجرتها بإحكام، وضغطت زرًّا وحيدًا في هاتفها النقال الذي ثبتته إلى حزامها، فانبعثت صورة هولوجرامية نقية رأتها خلال العدستين المثبتتين إلى عينيها والمُتصلتين بالهاتف مباشرةً، لرجل متوسط القامة، في أواسط الأربعينات، أصلع تمامًا، ملامح وديعة وبذة سوداء أنيقة، بادرته بإنجليزية سليمة:

- اتصال خارج الجدول، نظيم!

قال باقتضاب:

- مُستجدات.

حدقت في صورته باهتمام، فسألها:

- أين زين؟

أجابته مُندهشة:

- ينتظر بالخارج!

ثم تساءلت:

- ألهذا علاقة باستقدامه إلى هنا؟!

- بالتأكيد.

بدت لها نبرته، رغم هدوئها، مُحَمَلة بنُذُر غامضة غير مُطمئنة.

تابعَ:

- أصغِ لي جيدًا؛ لأن الوقت يداهمنا.

بعد ما يقرب من نصف الساعة، انقبض قلب زين وهو يحدق فيها،

وقد عادت بغير الوجه الذي ذهبت به، غابت بسمتها، واكتست بشرتها بشحوب أميل للاصفرار، واحمرت عيناها بلونٍ كالدم خلف طبقة لامعة زلقة من دموعٍ حبيسة.

خَطَا نحوها وهو يسألها بجَزَعٍ عمَّا هُنالِك، فقالت بصوتٍ مُنهَك:

- استعِد.

- أستعِد لإيه؟!

- هَتتحرَك من هنا حالًا.

***

- سايب دقنك من إمتى؟
- بقالي فترة.
- (تضم شفتيها مُطلقة عمودًا من دخان سيجارتها): نيو لوك؟
- كَسَل.
- شكلها حلو عليك.
- شكرًا.
- (تبتسم): وشوية الشعر الأبيض دول عاملين شغل ...
- ... ...
- (بمرح): أغيب عَنَك شوية، ارجَع ألاقيك كلبَظت وعَجِزت وربيت دقنك؟!

أصغا عميلَا Egy- Nergy الميدانيان –الأصلع وزميله طويل الشعر- عبر سماعات الكمبيوتر داخل سيارتهما المتوقفة بمحاذاة رصيف الأمفتريون الكلاسيكي العتيق بمصر الجديدة، للمُحادثة الدائرة داخل سور الأمفتريون الحجري على بُعد ما لا يزيد عن الثلاثين مترًا ...

تساءلت إيمان:

- هَتفضَل ساكت كتير؟!

أجابها يحيى بهدوء:

- بَسمَعِك.
- أنا بَتكلِم من ساعة ما قعدنا.
- وأنا بَسمع.

ابتسمت قائلة:

- طب مش عايز تقولي حاجة؟

رَشفَ من فنجان القهوة المُستقِر على منضدته من دون أن يرد، فانطفأت ابتسامتها ببطء وأطرقت برأسها متسائلة بخفوت:

- أد كِدا شايل؟

ارتسمَت بسمة خافتة على طرف شفتيه وهو يقول باستخفاف:

- خالِص!

هَزَت رأسها المؤطَر بخصلات الشعر الأحمر وهي تغمغِم:

- ليك حَق.

قال بجدية:

- مفيش حاجة يا إيمان. بجَد.

«وقد جدَدَت وزارة الداخلية على لسان العميد محمود فياض، متحدثها الرسمي، تحذيرها للمُخربين من أصحاب دعوات التظاهر باكر الجمعة والتي انتشرت على صفحات التواصل الاجتماعي، وبعض القنوات المشبوهة على الإنترنِت باعتبارها غطاءً للأعمال التخريبية التي تكررت الأيام السابقة، وأكدَت استعدادها للتصدي لها وحماية أمن الوطن والمواطنين» ...

لدقيقة كاملة كان الصمتُ ثالثهما، فتشاغل هو بمتابعة التوك شو الصباحي على الشاشة الهولوجرامية التي تتوسط الكافيه، بينما استمرت هي في إطلاق أعمدة الدخان من بين شفتيها المضمومتين، وهي ترمق من وراء منظارها الشمسي الداكن زوجًا من العصافير يتبادل حديثًا مجوسقًا على غصن شجرة قريبة ...

هَمَسَت:

- يحيى.

أدار إليها عينيه ... قالت بلهجة رجاء:

- من فضلك اسمعنى من غير مقاطعة.

ظل يرمقها بدعوة صامتة للاسترسال، فدفعت مزيدًا من الدخان خارج صدرها ثم قالت بصعوبة:

- إحنا ... أنا وانت ... كُنا مع بعض ... كانت فيه حاجة بينا ... حاجة حلوة، ليها مكانة كبيرة جوايا ... وعارفة إن نفس الحاجة كانت جواك.

وخمشت برفق السطح الخشبي للمنضدة بإظفر سبابتها الطويل وهي تستطرد:

- أنا متخيلة شعورك ناحيتي لما اختفيت مرة واحدة بدون سابق إنذار، من غير حتى phone call. من غير ماسدج أو إيميل، لكن ...

حدَّقَ فيها بنظرة لو لاحظتها لبَدَت لها خاوية، ولكنها كانت مُطرقة الرأس تحاول -بصعوبة- استجماع وصياغة أفكارها، فلم تلاحظ.

- لو كان الحال معكوس، وانتَ بكل اللي بتمثله ليا، كنت اختفيت من حياتي مرة واحدة كدا ... كُنت ... مش عارفة.

وصمتت للحظة ثم تنهدت قائلة:

- لأ، عارفة! ... كُنت هَكرهَك يا يحيى!

ورفعَت عينيها إليه وكأنما تستطلع أثر كلماتها على صفحة وجهه، فلما وجدتها مُسطحة لا تعكس انفعالًا مُحددًا وكأنه لم يسمع شيئًا، ازدردَت لعابها وتابعت:

- عشان كدا أنا حاسة باللي جواك ناحيتي في اللحظة دي، وبشكلٍ ما دا بيطمني على إن الحاجة الحلوة اللي كانت (وضغطت على حروف «كانت») بيننا، كانت حقيقية؛ لأن محدِّش بيكره إلا لما بينجرح، والجرح مابيكونش إلا في الحاجة الغالية.

رَشفَ مُجددًا من قهوته بينما صمتت هي للحظة ثم قالت:

- أنا مِش طمعانة فـ اننا نرجَّع اللي كان بيننا، مش بعد غياب سنة. فاهمة والله ومتقبلة، رغم انى كدا فعليًّا جُثة ماشية على الأرض. بس خلاص، انا غلِطت ولازم أدفع تمن غلطتي، مش هَقدَر اقولَك إيه سبب الغلطة وإيه اللي حَصل، وماعتقِدش انك هَتهتَم تعرف؛ لأن خلاص الموضوع مُنتهي.

لاحَظَت نظرته التي عبرَت سريعًا على أصابعها الخالية من الدِّبَل، فومضَ أملٌ في قلبها، وهَزَّت خُصلاتها الحمراء قائلة:

- مفيش حَد تاني لو بتفكَر إن دا هوَ سبب الغياب.

وانتظرت لثوانٍ آمِلة تعليقًا منه، فلما لم يحدث خبى الأمل سريعًا. تابعت:

- كل اللي انا عايزاه مِنَك، انك بعد ما نفترق، تبقى عارف كويِس انى اتعذِّبت وبَتعذِّب نفس العذاب اللي انتَ اتعذِّبته.

لمحَ خيطًا لامعًا من الدموع ينسال من وراء المنظار الداكن.

- أنا آسفة انى اتسبِّبتلك في كل دا. حقيقي آسفة.

سحب منديلًا ورقيًّا من الصندوق الخشبي الموضوع على جانب المنضدة، تناولته منه وخلعت منظارها لتمسح الدموع التي بللت وجهها الذي بدا له أكثر نحولًا وشحوبًا مما كان عليه قبل عام.

ران عليهما صمتٌ ثقيل لم تخدشه إلا أصوات البث التليفزيوني المُجسَّم، وزقزقات الطيور على الأغصان القريبة، وهمهمات الرواد القلائل من كبار السن الذين بدأوا يتوافدون على الكافيه الكلاسيكي، والذي خَلَت أغلب موائده على غير المعتاد في هذه الساعة من الظهيرة.

قالت له بصوتٍ مُنهَك:

- أرجوك يا يحيى اتكلم، قول أي حاجة.

ونظرت له برجاء بينما هو يأتي على ما تبقى من قهوته، ويمسح ما عَلِقَ منها بشفتيه الدقيقتين.

قال لها بهدوء:

- قولتلِك مفيش حاجة م اللي بتفكري فيها دي يا إيمان، ومفيش داعي تعتذري حتى! ...

رَدَدت وهي تحدق فيه بعينين حمراوين حاصرتهما هالات قلة النوم السوداء:

- فعلًا!

أومأ برأسه مؤكِدًا فتساءلت:

- إزاي؟!

قال بنبرة محايدة وهو يعبر الشارع ببصره ليتأمل أسوار ومباني قصر الاتحادية، والذي تحول لأثر سياحي بعد أن انتقلت أعمال الرئاسة للعاصمة الإدارية مُنذ سنوات بعيدة:

- أصلِك بتتكلمي فـ حـوار مَرت عليـه سـنة. سـنة! اتنـاشر شـهر. يعنـي بفـرض ان الحاجـة الحلـوة الكبـيرة الـلي بتقـولي عليهـا دي كانـت موجـودة فعـلًا، فزمانهـا ماتـت خـلاص وشـبعِت مـوت والـدود أكل جثتهـا!

تكوَّرَت دمعة جديدة في عينها وهي تردد مرة أخرى:

- فعلًا!!

ارتسمت ابتسامة متهكمة على شفتيه وهو يقول:

- إنتي كنتي متخيلة حاجة تانية؟!

لم تـرُد، وتركـت الدمعـة السـميكة تغـادر مقلتهـا لتفسـح الطريـق لأخـرى تتكـوَّر حـول نفسـها، فتابـع هـو وابتسـامته تتـلاشى ببـطء:

- مُتخيلـة مثـلًا انى قرَبـت أتجَنـن في الشـهور الأولانيـة وانـا مـش لاقيـكي؟! لا تليفـون ولا إنترنِـت، وروحتلِـك البيـت والشـغل والجيـم وسـألت عليـكي كل حَـد ممكـن يوصلنـي ليـكي. مُتخيلـة دا؟!

راح صدرهـا يعلـو ويهبِـط وهـي تنصـت لـه وقـد اكتـسى صوتـه بقـدرٍ مـن الحِـدة.

- ولا تكـوني فاكـرة مثـلًا انى بَقيـت عامـل زي المدمنـين الـلي أعـراض الانسـحاب بتفـترس أرواحهـم وأجسـامهم، عايشـين ومـش عايشـين، بيروحـوا وبييجـوا وبيشـتغلوا وبيعملـوا شـوبينج وهُـما فعليًّـا بيصارعـوا وحـوش بتنهـش جواهُــم؟!

تقلصت ملامحه وكأنما تؤلمه الذكرى.

- أو متصـورة ان الغـيرة حرقتنـي شـهور طويلـة، وانـا بَفَكـر ان حَـد حَـل محـلي في قلبـك؟!

حَمِلَت كلماته مرارة أوجعَت قلبها وهو يقول بشرود:

- أو انى خـلال الشـهور دي كُنـت بَحـارِب عشـان اشيلِك مـن جوايـا. بَسـأل نفـسي: ليـه؟

ليـه ظهـرِت في حيـاتي وخلتنـي اتعلـق بيهـا وأدمِنهـا وبعديـن تختفـي وتسـيبني انكِـوي؟

ليه كانت أنانية لدرجة انها ماشافيتش فيا غير ممرِض بيغيرلها على الجرح ويحقنها بالمسكنات؟!!

وحدجها بنظرة طويلة أرسلت القشعريرة في جسدها وهو يستطرد بهدوء:

- لو مُتخيلة حاجة من الحاجات دي، فـ ماتتعبيش نفسك يا إيمان، مفيش اعتذار في الدنيا يكافئ العذاب دا، اللي انا مُتأكِد انِك مادوقتيهوش ولا تعرفي حاجة عنه.

انهمرت دموعها وهي تغمغم بوهن:

- مش صحيح!

امتزجت السخرية بالقسوة في ابتسامته وهو يردد هذه المرة:

- فعلًا!

هَمَسَت من بين عَبَراتها:

- مفيش عذاب أفظع من إني أشوف الكراهية في عينيك بعد ما كنت بَشوف عكسها زمان.

قال بلهجة باردة كالثلج:

- مفيش كراهية ولا حب ولا أي مشاعر يا باشمُهَندسة، سنة من العذاب كافية انها تحرق الأخضر واليابس، والأحسن انِك تقنعي نفسِك ان مكانش فيه شيء حقيقي بيننا من الأصل، واننا بَس كنا بنفضفَض لبعض، ودي حاجة سَهل كل واحد فينا يكررها مع أي حَد تاني.

هَزَّت رأسها متفهمة، مسحت دموعها مُجددًا ثم أعادت منظارها الشمسي إلى عينيها، نهضت قائلة بصوت ضعيف وهي تحاول رسم ابتسامة على شفتيها:

- أسمع عنك كل خير.

تابعها بعينين جامدتين وهي تبتعِد وتتضاءل بين الموائد، ثم تنحرف لتعبر مصراعي الكافيه وتغيب عن نظره.

وفي سيارتهما، تبادل عميلَا Egy- Nergy نظرة سريعة عقب «أسمع عنك

كل خير» الأخيرة التي نقلتها لهم الشريحة التي زرعها صاحب الشعر الطويل في هاتف يحيى النقال قبل أيام في جراج كارفور.

نظرة سريعة ثم تحرك حليق الرأس، فتناول علبة أسطوانية صغيرة من تابلوه السيارة، دسها في جيب بذته الداكنة، غادر السيارة ذات الزجاج الأسوَد المعتم ومشى بخطوات واسعة بمحاذاة ضلع الأمفتريون القصير حتى خرج إلى شارع الأهرام، حيث لمَحَ إيمان.

كانت تخطو على بلاطات الرصيف بخطوات متثاقلة، وكأن عمرها قد تضاعف عشرين عامًا دفعة واحدة، مُنفصلة عما يدور حولها من زحام وضجيج سيارات، فلم تنتبه للعملاق حليق الرأس، الذي يدنو منها في بذلة داكنة ومنظار شمسي.

إنحرفت إلى الشارع العمودى وسارَت باتجاه محطة المترو الطائر.

لم تكن قد قطعَت بضعة أمتار عندما أجفلَت، إذ شعرت بتلك الأصابع القوية تلتف حول معصمها وتجذبها إليها.

***

-٨-

استغرق اجتماع مجلس الدفاع الوطني ما يقرب من الثلاث ساعات، استُعرِضَ خلالها عددٌ من القضايا المُلحة في هذه المرحلة الصعبة، خطط تأمين الحدود والمحافظات والطرق والمنشآت القومية، وأحدث المستجدات المعلوماتية بخصوص الوضع متأزم الذي تمر به البلاد، عُرِضَت خرائط هولوجرامية التقطتها الأقمار الصناعية لمواضع يُشتبه في تموضع ميليشيا «وعد الله» الإرهابية بها، مع خطط عاجلة لقصفها بالطيران الحربي خلال الساعات القليلة القادمة، استعرض وزير الداخلية التدابير التي اتخذتها وزارته لمواجهة التظاهرات الضخمة المتوقعة غدًا الجمعة، والتي انتشرَت دعواتها على مواقع التواصل الاجتماعى، وأكدَ على أن التعامل سيكون سريعًا وحاسمًا رغم تقديرات خبراء مباحث أمن الدولة، والتي حدَّدَت التصنيف الاجتماعي للكتلة الأكبر من المتظاهرين المتوقعين في شريحة من مواطني الطبقة الوُسطى الغاضبين من تدهور الخدمات، وهؤلاء ليسوا صداميين بطبيعتهم، وسيتراجعون لدى أول بادرة عُنف من جانب قوات الأمن.

أما رئيس الحكومة، فتحدث عن نتائج مساعي حكومته للتواصل مع عددٍ من شركات إنتاج الطاقة التقليدية القديمة واستطلاع استعداداتهم لتلبية الطلب المصري على الطاقة، الكمية والسعر والمدى الزمني، وذلك تحسبًا لعجز المُورِد الرئيس الحالي Egy- Nergy عن الاستمرار في التوريد بسبب الضربات الإرهابية التي طالت منشآته وموظفيه حول العالم، وأضعفت من قدرته على الوفاء بتعهداته.

انتهى الاجتماع في تمام الواحدة ظهرًا، فصفا فراغ قاعة الاجتماعات بالقصر الرئاسي من الصور الهولوجرامية للحَضور من قيادات الجيش والحكومة باستثناء هولوجرام اللواء مُحيي الدين ذو الفقار، مدير المخابرات العامة،

والـذي ظـل شـاخصًا أمـام عينـي رئيـس الجمهوريـة الجالـس في صَـدر القاعـة.
تباحثَـا في نِقـاط مُحـددة أعدهـا اللـواء محيـي سـلفًا بخصـوص الاضطرابـات التـي سـادَت في أجهـزة الدولـة بسـبب الأحـداث الأخـيرة، وعندمـا فَرغـا، نظـر للرئيـس بعينـين ضيقتـين شـبيهتين بعينـي ثعلـب وقـال:
- وفيه نقطة تانية يا رَيِس.
رمقه الرئيس بنظرة ثاقبة متسائلًا:
- خير يا مُحيي؟
صمَتَ اللواء للحظة مدروسة ثم قال بتؤدة:
- التعيينات الأخيرة.
بـدا وجـه الرئيـس -رغـم علامـات الإجهـاد بعـد سـهرة خِطـاب الأمـس ومتابعـة ردود الأفعـال الإقليميـة والدوليـة- مُصمتًـا لا يعكـس أيـة انفعـالات بمـا يليـق بخـبرة السـنوات الطويلـة في الحقـل الاسـتخباراتي، رغـم علمـه بمـا وراء هاتـينِ الكلمتـين اللتـين نطـق بهـما مديـر مخابراتـه مـن تدابـير وألاعيـب لا نهايـة لهـا.
تلقى مُحيي الدعوة من صمت رئيسه للاستفاضة، فتنحنح متابعًا:
- التعيينـات الـلي معاليـك وقعتهـا امبـارح بالليـل، ونزلـت عـلى موقـع الجريـدة الرسـمية.
وزمَّ شفتيه بحركة تمثيلية وكأنه يجِد صعوبة في عرض فكرته.
ساد الصمت للحظة قبل أن يقطعه الرئيس متسائلًا بهدوء:
- إنتَ عندك اعتراض معين على الأسامي الجديدة يا سيادة اللوا؟
أسرع يقول:
- العفـو معاليـك! الأسـماء لا غبـار عليهـا، وكلهـا كفـاءات عظيمـة، وقامـات وطنيـة محـل تقديـر واحـترام، إنمـا ...
أتصـور إن أسـماء جديـدة في مواقـع حساسـة في ظـروف صعبـة زي الـلي بنمُـر بيهـا حاليًـا، ممكـن تـضر أكـتر مـا تفيـد.
- وَضَح أكتر.

تراجع اللواء مُحيي في مقعده بحجرة مكتبه وهو يقول:

- الأسماء الجديدة ... رغم إن اختيارها تَم على غير المُتعارَف عليه من دون علمي وإعلامي كمدير للمخابرات العامة رأيه -بحكم موقعه- لا غِنى عنه لما يتعلق الأمر بأجهزة الدولة السيادية (!) وتَم بسرعة وبالليل بدون أي مُقدِمات، وبالتزامن مع الخِطاب الرئاسي اللي احتوى على تحذيرات مثيرة للجدل، رغم كل دا إلا إن اختيارات الأسماء الجديدة تَنُم عن دراسة مُدققة لتاريخهم وكفاءاتهم وتوجهاتهم، دراسة قام بيها متخصصين من خارج الجهاز اللي بَرْأُسه طبعًا.

وضاقت حدقتاه أكثر وهو يتابع:

- كل دا عظيم، لكن معاليك أكيد عارف إن القيادات اللي استبدِلتها كانت مُستقرة في أماكنها من سنين، وخلال السنين دي عِرفِت تمِد جذورها وتبني شبكات من المصالح والعلاقات، وإزاحتها بالشكل دا، وفي الظرف دا، بيخلق حالة من البلبلة والتخوين والتشكيك في الأسماء اللي اتشالِت من مناصبها، وبالذات مع الإشارة في خطاب معاليك لـ «أعداء الداخل» و«المتربصين» اللي ممكن تتفسَر تفسيرات كتيرة، منها ما يطعن في نصاعة القيادات المُقالة، وبالتالي يثير بلبلة وحفيظة مرءوسيهم اللي بتربطهم بيهم شبكات مصالح في وَقت البلد محتاجة فيه لتكاتف كل أجهزتها ومواطنيها.

أنهى كلماته وصَمَتَ مُستطلِعًا مردودها على وجه رئيسه الذي ظلت ملامحه مُستغلقة على القراءة باستثناء عينيه الخضراوين اللتين سُلطِتَا على وجهه، وكأنما تنفذان خلاله لتسبرا أغواره، ثُمَّ ...

- ولحِقت يا مُحيي ترصد البلبلة بين قيادات المؤسسات اللي اتغيرِت رءوسها من كام ساعة؟!

تلاعبَت ابتسامة ثعلب على شفتي الاستخباراتي العجوز وهو يقول:

- دي مجرَد استنباطات بُناءً على الخبرة، ولقِيت ان من واجبي انى انقلها لمعاليك.

شبَّكَ الرئيس أصابعه تحت ذقنه الحليقة وقال:

- مُنتظِر من خِبرتَك أكتر من كِدا.

ارتفع حاجبا مُحيي الفضيانِ وهو يردد:

- معاليك عندَك ملاحظات معينة؟!

أومأ الرئيس برأسه ثم قال:

- مِش محتاج اشرحلَك مدى صعوبة الظرف اللي بنمُر بيه يا مُحيي. وكمان مِش محتاج اقولَك انى حاطِط ثقتي الكاملة فيك.

أطبَق اللواء مُحيي شفتيه بائِعًا لا شار، فسأله الرئيس مُباشرةً:

- عندَك معلومات عن التحركات اللي بتحصل في اللحظات دي داخل النظام لاستغلال الاضطرابات الحاصلة لزعزعته؟

هوى السؤال كالصاعقة على الثعلب العجوز، ولكنه بمقدرة فائقة سيطر على مشاعره وأجاب بهدوء:

- عندي.

- وعن اللي ورا التحركات دي؟

أومأ مُحيي برأسه فتساءل الرئيس:

- زي؟

قال مُحيي باقتضاب:

- ناس من اللي كانوا مُجتمعين معانا من شوية.

- اتصلوا بيك؟

صمت مُحيي للحظة ثم قال ببطء:

- حصَل.

- مابلغتنيش ليه؟

قالها الرئيس ضاغطًا على حروفه فأجاب مٌحيي:

- دي قضية دقيقة يا ريِّس ومُتَصِلة بأسماء خطيرة في صُلب الدولة، وكان لازم ملفاتي تكون كاملة قبل ما اعرضها على معاليك.

- رَدَيت عليهُم بإيه؟

- وافِقت. عشان اعرَف.

ساد صمتُ ثقيل بينهما للحظات قبل أن يقطعه الرئيس قائلًا بصرامة:

- هَستنى مِنَك تقرير شامِل خلال دقايق.

- أمرَك يا رِيس.

- وأي update توصلني أول بأوِل.

أومأ مُحيي برأسه مرةً أخرى، ثم قال:

- لكن اسمحلي يا رَيِس، أنا مُندهِش!

- مِن؟!

- أنا شايف تناقض بين ثقتك فيا، وبين استبعادي من مشاورات استبدال القيادات الأخيرة.

- المجموعة المرصودة هَتثِق فيك أكتر لما يعرفوا انَك مش ضِمن الجبهة المُضادة ليهم.

ابتسم اللواء بإعجاب، فاستطرَد الرئيس بحزم:

- مِش هَسمَح يا مُحيي إن الدولة تتعرض لخطر التفكك عشان شوية خَونة عايزين يحققوا مصالح شخصية، مِش هَسمَح ومش هتهاون مع أي حَد يتقاعس عن أداء واجبه، والعقاب هَيكون حاسم وناجِز مهما كانت الراس كبيرة، معايا؟

أجاب بآلية:

- إعتَمِد عليا يا رِيس.

- شُكرًا، سيادة اللوا.

انتهى الاجتماع فبَهُتَ هولوجرام اللواء مُحيي وتلاشى، وغمغم الرئيس وهو ينظر صَوبَ الموضع الذي كان يشغله من الفراغ المقابل:

- طول عمري شغوف بقراءة التاريخ، المملوكي تحديدًا، حفظت ألاعيبه ومؤامراته وحكاياته ونهاياته عن ظهر قلب؛ لأنها خلاصة الصراع على السلطة على مر العصور، بما فيه عصرنا الحالي ... الديمقراطية، إرادة الصندوق، أصوات الناس، كلها إطار شيك لصراع المماليك في كل بلد على السُلطة ...

ورفع صوته قليلًا:

- تعليقَك؟

تكـوَّنَ في نفـس الموضِـع –محـل نظـر الرئيـس- هولوجـرام جديـد لــ اللـواء فـؤاد سـلطان، مديـر مخابـرات الرئاسـة الـذي أجـاب:

- مُحيي مش سهل.

قال رئيس الجمهورية:

- بس هَنكسَب وقت، على ما يفكروا إيه اللي ورا المناورة دي.

قال اللواء سلطان بقلق:

- الوقت سلاح ذو حدين، معانا وفـ نفس الوقت علينا.

انتبـه الرئيـس إلى علامـات القلـق التـي تكسـو ملامـح مديـر مخابراتـه، فتسـاءل:

- إيه الجديد يا فؤاد؟

- جديديـن سـيادتك؛ الأول انى لسـه مخلـص الاجتـماع مـع الفريـق محمـود عزمـي، راجعـت التشـكيلات والتوزيـع واتأكِـدت ان وحـدات الحـرس الجمهوري عـلى أتـم اسـتعداد للتحـرك والسـيطرة بمجـرد إشـارة البـدء.

- إيه نسبة ثقتك في ولاء محمود عزمي؟

أجابه بهدوء:

- عزمـي رفيـق كفـاح وصديـق قديـم مـن أيـام الكليـة الحربيـة، ولـولا انى متأكـد مـن إنـه ظابـط منضبـط، ملفـه نضيـف وولاءه الرئيـسي للشرعيـة ماكونتـش أيِـدت ترشـيحه لمنصـب قيـادة الحـرس الجمهـوري.

- والموضوع التاني؟

تنهد سلطان قائلًا:

- دا الموضوع الأخطر، معاليك.

التقى حاجبًا الرئيس الكثان من فوق عينيه الخضراوين، بينما يقول:

- اتكلم يا فؤاد.

قال رئيس مخابرات الرئاسة بلهجة تشف عن خطورة الأمر:

- مـن دقايـق وصلنـا ملـف شـديد الخطـورة، والشـباب عنـدي بيجهـزوا تقريـر.

- ملف من مين؟

- من آدم المصري.

***

-٩-

كان الزحـام حاشـدًا حـول السـلالم المتحركـة المؤديـة إلى محطـة المـترو الجـوي، والتـي اصطُلِحَ شـعبيًّا عـلى تسـميتها بمحطـة الكوربـة، رغـم اللافتـة التـي تشـير بحـروف هولوجراميَّـة مُتألقـة أنهـا «محطـة الاتحاديـة». السـبب في ذلـك بطبيعـة الحـال هـو القـرار الـذي اتخذتـه إدارة شركـة المـترو بتخفيض عـدد الرحـلات والقطـارات مـن أجـل التعامـل مـع مشـكلة نقـص إمـدادات الطاقـة اللازمـة لتشـغيل الخطـوط.

ومـن هنـا نتفهَّـم حِـرص عميـل Egy- Nergy حليـق الـرأس عـلى ألا تغيـب إيمـان عـن عينيـه للحظـة واحـدة، وسـعيه إلى بلوغهـا قبـل أن تـذوب وسـط هـذا الحشـد.

أعـاد العلبـة الأسـطوانية إلى جيـب بذتـه بعـد أن اسـتخرجَ منهـا واحـدًا مـن تلـك الأقـراص المُخـدرة التـي تَحمـل كـودًا محفـورًا عـلى وجههـا يشـير إلى زمـن التخديـر الـذي يُحدِثـه القـرص بمجـرد ملامسـته لجلـد الجسـم المـراد تخديـره.

لمحهـا العميـل عـلى بُعـد خطـواتٍ منـه تَنـدَس بـين الأجسـاد الرائحـة والغاديـة عـلى الرصيـف؛ فدفـع المـارة مـن حولـه بـشيء مـن الخشـونة وهـو يتقـدم نحوهـا، ورَفـعَ القـرص المُخـدِّر بـين أصابعـه ليلصقـه بجيدهـا الطويـل الـذي انزاحـت عنـه خصلاتهـا الحمـراء.

ثم لم يستوعِب بدقة ما جرى بعد ذلك.

في البـدءِ ارتطـم بـه أحدهـم قادمًـا مـن الجهـة المقابلـة، وفي جـزء مـن الثانيـة شـعر بالأصابـع الفولاذيـة تقبـض عـلى معصمـه الممـدود بالقـرص المَخـدِّر، في الجـزء الثـاني مـن الثانيـة لمحَ وجهًـا مُغضنًـا تتوسـطه عينـان حادتـان، ويكللـه شـعرٌ أشـيبُ بالكامـل انسـدلت خصلاتـه عـلى الكتفـين، وفي الجـزء الثالـث انفجـر الألم المُـبرح في ذراعـه مقرونًـا بصـوت مكتـوم لعظـامٍ تتحطـم.

خرجـت منـه شـهقة مكتومـة، ثـم أظلمـت الدنيـا أمـام عينيـه، ومـادت

بـه الأرض مـن دون أن يـدرك أن هـذا مـن جـراء حركـة فنيـة خاطفـة مـن حـركات الجيجتسـو لَـوَت ذراعـه حامـل القُـرص المُخـدِّر لتلصقـه بجلـده فترسـله لغياهـب الغيبوبـة.

وإذ تلقفـه ذراعـان مفتـولان منعـاه مـن السـقوط، وسـحباه بقـوة مُدهشـة بحيـث بـدا وصاحـب الذراعـين وكأنهـما صديقـين يسـيرا متلاصقـين إلى مدخـل بنايـة عتيقـة عـلى بُعـد خطـوات قليلـة.

لم ينتبـه أحـدٌ مـن المـارة لهـذا الأكشـن السريـع، الـذي لم يسـتغرق ثـوانٍ معـدودة، وعـلى رأسـهم إيمـان التـي وجـدت نفسـها في لحظـة واحـدة محجوبـة عـن العـالم كلـه بـين ذراعـي يحيـى.

ارتجـف جسـدها وقلبهـا، وهـي ترفـع عينيهـا لتمـلأ بهـما وجهـه الممتلـئ، وديـع المحيـا، دقيـق القسـمات، والمُحـاط بلحيـة ناعمـة الخصـلات امتـزجَ بياضهـا بسـوادها، واسـتقرتا داخـل عينيـه اللتـين غشـيتهما غلالـة مـن دمـوعٍ حبيسـة.

سألها بصوتٍ مُتحشرِج:

- الفترة اللي فاتت دي ... كنتي مع سامِح؟

هزَت ملامحها المتأثرة نفيًا.

- مع هيثم؟

كررت النفي.

- مع حَد تاني؟

قالت بصِدق:

- لأ.

أغمض عينيه وقد غمر الارتياح أساريره، فهَمَسَت هي بصوتٍ متهدِج:

- أنا ماستاهِلش يا يحيى.

مَـسَّ شـفتيها بأناملـه برقـة داعيًـا إياهـا للصمـت، ثـم ضمهـا برفـق إلى صـدره.

حاولـت أن تقـول لـه بصـوت ضعيـف أخير إن عالمـه سـيكون أفضـل وهـي

خارجـه، ولكـن مقاومتهـا الواهيـة ذابـت تحـت لمساته، فاستسـلمت شـاعرة بخـدرٍ عجيـب وهـي تغـوص في حضنـه، بينـما الدمـوع تنهمـر كالشـلالات لتغـرق وجههـا.

أمـا عميـل Egy- Nergy الآخـر –طويـل الشـعر- الجالـس في سيارته بانتظـار عـودة زميلـه الحليـق بالهـدف –إيمـان- فـكان آخـر مـا سـمعه عـبر جهـاز الاتصـال بينهـما هـو الشـهقة المكتومـة التـي غـادرت شـفتي هـذا الزميـل عندمـا تحطمـت عظـام سـاعده.

لم يفهم ما جرى، وراح يناديه شاعرًا بالتوتر من دون مجيب.

طلـب مـن كمبيوتـر السـيارة أن يحـدد مكانـه، فانبعـث هولوجـرام لمسـقط أفقـي للشـارع المزدحـم مُحـددٌ عليـه موضـع العميـل المفقـود بنقطـة خـضراء مضيئـة، حَـددَ طويـل الشـعر الموضـع بدقـة، وتنـاول مسدسـه مـن تابلـوه السـيارة، فدَّسـه في غمـده أسـفل إبطـه وأحكـم إغـلاق جاكيـت البـذة، ثـم فتـح البـاب المجـاور ليغـادر السـيارة.

هنا، ارتطم باب السيارة بجسد أحد المارة.

سـمعه عميـل E. N يتـأوه بـألم، فألقـى نظـرة سريعـة عليـه مـن وراء منظاره الشـمسي، وقـد ارتكـن إلى جانـب مقدمـة السـيارة وارتسـمَت علامـات الألم عـلى وجهـه المغضـن المكلـل بشـعر أشـيب طويـل الخصلات.

هنـا، تجمـدَّ العميـل في مكانـه، ووثـبَ لذهنـه موقـفٌ مُحـدد اسـتدعاه مـن تلافيـف ذاكرتـه مشـهد هـذا العجـوز المتألِّـم.

اسـتغرقت وجبتهـما في إحـدى كافيهـات المـول مـا يقرب مـن الثلاثـين دقيقة، انطلقـا بعدهـا عائديـن لسـيارتهما، وقبـل أن يبلغاهـا بعِـدة أمتـار، ارتطم بذي الشـعر الطويـل كهـلٌ أربعينـي أشـيب الشـعر، يدفـع أمامـه عربـة محملـة بأكيـاس كارفـور منتفخـة بالمشـتروات، تسـاقط بعضهـا عـلى الأرض حـول الكهل الـذي سـقط بـدوره متأوِّهًـا إثـر ارتطامـه بجـدار العضـلات هـذا ...

ضاقـت حدقتـاه مـن وراء العدسـات الداكنـة وهـو يُحـدَق في الوجـه المُغضـن المألـوف وهـو يقـول:

- إنتَ قاطرنا بقى من يوم المول!

توقفَ الكهل عن التأوه، وارتسمَت نظرة ثابتة في عينيه وهو يحدق في العميل الذي تابع متسائلًا:

- بس ازاى؟! لو كنت بتراقبنا كنا لاحظنا!

- آسِف!

قالها الكهل بصوت ضعيف وهو ينهض من سقطته بصعوبة، لم يرد عليه ذو الشعر وهو ينفض غبارًا افتراضيًّا عن بذته الأنيقة، ثم يبتعد مع رفيقه الحليق متجهين نحو سيارتيهِما.

- يا أستاذ.

التفتا مُجددًا إليه، فوجداه وقد وقف على قدميه، ويمد كفه نحوهما.

- الموبايل دا وِقِع منك؟!

- الموبايل!

خرجت من بين أسنانه وكأنها بصقة، ثم وثبَت أصابعه لتستل سلاحه وترفعه بسرعة صَوبَ الكهل الذي دَبَت في جسده حيوية مباغتة لا تناسب سنه وتجاعيده وتأوهاته التمثيلية، فقبض على معصم العميل، وأداره لينتزع منه المسدس بحركة فنية خاطفة، ثم يُسقِطه أرضًا، وقد نزع عنه خزانة الطلقات في نفس اللحظة تقريبًا التي ارتفع فيها ساعده ليصُد ضربة وجهها له العميل بقبضته اليسرى المضمومة.

ومن بين اللكمات والركلات في الشارع الجانبي الهادئ العمودي على شارع الأهرام، هتف العميل بينما أصابعه المضمومة تشق طريقها نحو فك خصمه:

- إنتَ مين يا جدو؟!

تلقى «جدو» اللكمة على مرفقه، ومال بجذعه متفاديًا أخرى خاطفة وقال:

- مِش انت وزميلَك اللي زين عَلِّم عليكم السنة اللي فاتِت في المستشفى؟

ارتبك العميل لوهلة، طاشت خلالها الركلة التي حاول تسديدها لركبة

خصمه.

سمعه يقول:

- أنا خالد فضالي.

وتلقى تلك الضربة التي رَجَّت مخه داخل جمجمته بينما الخصم يردف:

- زميل قديم.

ثم اصطدم مرفقه كعمود من الفولاذ بعظام جمجمته وهو يضيف:

- الكابتن بتاع زين!

ثوانٍ معدودة استغرقها هذا القتال الخاطف الذي استعرض طرفاه عصارة سنوات من التدريبات والخبرات القتالية، انتهَت باصطدام رأس العميل بجسم السيارة ثم سقوطه أرضًا مغشيًّا عليه ...

ومع سقوطه، أدار الكابتن خالد رأسه فيما حوله ليتأكد من استمرار خلو الشارع الجانبي الهادئ، وأن أحدًا من قاطنيه أو المارة في الشارع الرئيس لم يلحَظ هذه المعمعة، ثم انحنى يجذب خصمه فاقد الوعى من أسفل إبطيه، وهو يدفع باب السيارة نصف المفتوح بمقدمة حذاءه.

عندما بدأ يستعيد إدراكه لم يدرِ كم من الوقت ظل مغشيًّا عليه، كان الصداع يطرق رأسه بإلحاح، وثمة مشكلة في الرؤية المعتمة غير الواضحة، غير أن هذا لم يمنع عقله المُدرَّب من إدراك أنه مُمَدَّد على الأريكة الخلفية لسيارته، وأن وثاقًا مُحكمًا يقيد كفيه وراء ظهره، وأن صاحب الوجه المطموس بالظلال الذي يطُل عليه من المقعد الأمامي الأيمن هو نفسه الشيطان الذي هزمه مُنذُ قليل.

- أعتقد انتَ سامعني كويس دلوقتي.

قالها الكابتن خالد بنبرة هادئة، فتساءل هو بصوتٍ مبحوح:

- فين زميلي؟

أجابه خالد ببساطة:

- الله يرحمه.

اخترقت العبارة وعيه بخشونة، فارتسم توتر عنيف على صفحة وجهه

المُخضبة بآثار العراك الفائِت، مما دفع خصمه الكهل ليقول:

- لأ، اهدا! لسه بيننا كلام مهم.

ثم أردف وهو يجمع خصلات شعره الأبيض الطويل ويعقصها في خصلة ذيل حصان واحدة خلف رأسه:

- إحنا دلوقتي في العربية بتاعِتكو، يعني محَدِش م الناس اللي حوالينا فـ الشارع هَيشوف أو يسمع حاجة بتحصل جواها، فـ متحاوِلش تصرخ وتنبح فـ صوتك.

واحتشدَت التجاعيد على جانبي شفتيه إذ ابتسم ملوِحًا بجهاز صغير مستقر في راحته:

- وقبل ما تفكر تطلب أي حاجة من كمبيوتر العربية (ينظر في ساعته) إحنا معانا لسه عشر دقايق شوشرة، وبعدها الكمبيوتر هيستردِ سيطرته ويرصد اللي بيحصل.

وعاد بعينيه إليه قائلًا:

- عشر دقايق يكفوا وزيادة.

تمالك العميل أعصابه بمقدرة احترافية، وتساءل:

- يكفوا لإيه؟

أومأ برأسه إلى كابينة السيارة من حوله قائلًا:

- إنَك تِدَخَل -بصفتك العميل اللي العربية الجميلة دي في عُهدِته- بصمتي الحيوية على سِستِم العربية.

رغم قيوده المُحكمة والرؤية المشوشة والصداع، حدق العميل في وجه خصمه بثبات ثمَ هَز رأسه ببطء، فقال خالد بهدوء:

- قبل ما ترفض، عايزك تشوف دي.

ورَفعَ كيسًا شفافًا مُبقعًا بدماء طازجة لزجة لم تمنع العميل الميداني من تمييز الكرية البيضاء الملوثة بالحُمرة الراقدة في قاع الكيس.

فَهِمَ على الفورِ لمَ بدَت له الرؤية معتمة منذ استعاد وعيه، فشحب وجهه وارتجف جسده رُغم ثباته الانفعالي الذي هو جزء من طبيعة

عملـه، ونـدَت شـهقة مـن أعـماق روحـه وهـو يحـدق بعينـه الوحيـدة في عينـه الأخـرى التـي ترمقـه مـن داخـل الكيـس النايلـون الشـفاف.

أشعل الكابـتن خالـد سـيجارًا سَـمينًا، صَمَـت للحظـات نفَـث خلالهـا الدخـان في فضـاء السـيارة وهـو يراقـب الانفعـالات عـلى وجـه ضحيتـه المُمَـددة عـلى الأريكـة بـلا حـول ولا قـوة، شـحوب ودمـوع وضـمادة بدائيـة لوثتهـا الدمـاء تجويـف العـين المُقتلعـة، قبـل أن يقـول:

- أنـا اضطريـت الجـأ للأسـاليب السريعـة دي رغـم قسـوتها عشـان وقتـي ضيـق، وانـتَ مـش هَتتعـاون بسـهولة.

وأدار الكيس بين أصابعه كأنه في محاضرة علمية واستطرد:

- مـش هَينفـع يركبولَـك خليـة بصريـة مـكان العـين الـلي راحِـت؛ لأني لـو لاحِظـت، اسـتأصلت العـين بالعصـب البـصري. (يبتسـم) أخُويَـا كان بيـدرِس طِـب واتعلمـت منـه شـوية مهـارات.

وتأمل الكرية الملوثة الراقدة في قاع الكيس وهز رأسه بإعجاب:

- جراحـة بالدقـة دي، بـأدوات بدائيـة، في الكنبـة الورانيـة، خـلال الدقايـق الـلي نمتهُـم.

نفَثَ سحابة كثيفة من الدخان:

- قطعة من الفن الرفيع.

انهمـرت الدمـوع سـاخنة مـن العـين الباقيـة للعميـل الميـداني، وفقـد السـيطرة عـلى مثانتـه فتصاعـدت رائحـة صنـان منفـرة مـن بـين سـاقيه، لم يعبـأ بهـا خالـد الـذي تابـع:

- أنـا مِـش هَقتلَـك زي مـا قتلـت زميلَـك، بَـس الاختيـار ليـك، تعيـش ضريـر، ولا تكمِّـل حياتـك وانـت شـايف الدنيـا زيَـك زي أي حَـد سـليم؟!

صاح العميل بصوتٍ متحشرِج:

- عايز مني إيه؟

توهجَ طرف السيجار المُستقِر بين أسنان الكابتن خالد وهو يقول:

- إنت سمعتني.

- قولتِلَك مش هَينفَع!

- وانا قولتلَك انى زميل قديم وعارف بَطلُب منك إيه.

وأطلق سحابة جديدة بيضاء قائلًا:

- وماتقلَقش من الإدارة والتحقيقات والسَحلة والجو الرخيص دا. بعد ساعات مِش هتبقى فيه Egy- Nergy أصلًا.

تساءل العميل من بين دموعه:

- عايز العربية فـ إيه؟!

نَفَضَ الكابتن خالد ما علِقَ بسيجاره من رماد وأجاب بهدوء:

- عايز اللي انتو عايزينه.

والتقى حاجباه وهو يردف:

- زين.

***

-١٠-

تحولَ الطابق الثامن من تلك البناية الشاهقة في قلب العاصمة الجديدة، والذي تشغله قناة Egypt Now الإنترنتيَّة لخلية نحل طيلة الساعات التي استغرقها تصوير حلقة الليلة من التوك شو المسائي «مصر الآن».

البرنامج يُبَثُّ يوميًّا على الهواء مُباشرةً في تمام التاسعة مساءً على حِساب القناة على أكثر من موقع من مواقع الإنترنت، منهم موقع القناة الرسمي، ولكن قرار مجلس التحرير أو للدقة قرار إبراهيم جودة مالك القناة ورئيسها هو تصوير الحلقات مُسبقًا قبل ساعات من موعدها الرسمي ثم بثها مع التنويه على أن البَث مباشر.

- عشان الظروف اليومين دول مش مستحملة مفاجآت الهوا.

كذا أجاب إبراهيم جودة مرءوسيه بنبرة حاسمة من موضعه على رأس منضدة الاجتماعات، نفث دخان سيجاره مستطردًا:

- أي استفسارات تانية؟!

خرج الاستطراد منه بنبرة بدت رغم هدوئها أكثر حسمًا، وهو يدير عيني ذئبٍ عجوز في الوجوه الشابة المحملقة فيه، والواقع أنه لم يكن بحاجة لهذا التأكيد على سيطرته، فأغلبهم شبانًا وشابات تخرجوا حديثًا من كليات الإعلام لا يملكون اعتراضًا أمام شخصيته الكاسحة، وسنوات عمره التي تفوق ضعف متوسط أعمارهم، وما يكافئها من خبرات حياتية امتزجت بدناءة طويته وبذاءة لسانه، فصنعت منه كيانًا مخيفًا يُستحَب تجنبه، بالإضافة لعامل آخر حيوي هو أنه رب عملهم وحارس بوابة الخبرة العملية التي تنقصهم ...

الوحيد الذي «كان» يملك مناقشته هو (النجم)، وهو اللقب الذي يُنَادَى به مُذيع التوك شو، الشاب العشريني الذي التقطه إبراهيم جودة ببصيرة نافذة من على صفحات السوشيال ميديا بعد بحث مُدقق كلَفَ

بـه مرءوسـيه الشـبان عـن صاحـب العـدد الأضخـم مـن الفولـورز واللايـكات والشـير أيًّـا كان مـا يقولـه.

دعاه إلى مكتبه وقدَّمَ له عرضًا يصعب رفضه:

- إنـتَ عملـت شـغل حلـو عـلى الفايـس والـكام موقـع الـلي بينقلـوا مِنَـك. كويـس بـس دي مجـرَد بدايـة.

وناوله علبة باردة من المياه الغازية المستوردة واستطرد:

- أنـا مِـش هَكـدِب عليـك يـا ابـو حميـد، إحنـا مـش أحسـن قنـاة إنترنِـت ممكــن تشــتغل معاهــا، فيــه قنــوات تانيــة أكــبر وأغنــى مننــا، بــس دول بيتعاقــدوا مــع النجــوم بَــس، وانــتَ رغــم الشــغل الجميــل بتاعَــك، إلا إن نجوميتـك محصـورة عـلى السوشـيال ميديـا، دا انـتَ حتـى مَحـدِش مـن الفانـز بتوعَـك يعـرف شـكلك بالصـورة العجيبـة الـلي انـت حاططهـا بروفايـل بيكتـشر دي!

العـرض بتاعـي بقـى انَـك تسـيبلى نفسـك سـنة، سـنة واحـدة بَـس تاخـد خلالهـا رقـم كويِـس يرضيـك، ومعـاه لقـب «الأعـلى مُشـاهدةً» تتفـاوض بيـه مـع القنـوات الكبـيرة وانـت حاطـط رِجـل عـلى رِجـل بعـد السـنة بتاعتنـا مـا تخلـص.

- طَب وبالنسبة لـ ... ؟

- (مقاطعًا): هَتقول اللي عايز تقوله. إحنا منبر إعلامى حُر.

كان هــذا أقــوى مــن مقاومــة الشــاب الصغــير الــذي جــاوز العشريــن مــن عمـره بثلاثـة أعـوام بالـكاد؛ ليكتشـف بعدهـا أن المنـبر الإعلامـى حُـر بالفعـل، ولكـن هـذه الحريـة لا تنسـحب إلى العاملـين فيـه، والخاضعـين لسـطوة صاحـب المـال، وأنـه –وهـو مـن انبنَـت شـهرته السوشـيال ميدياويـة عـلى كتابـة وأداء فيديوهـات لــ shows لاذعـة جريئـة تنتقـد كل شيء في البلـد- مُضطـر لتسـخير خفـة ظلـه وسرعـة بديهتـه لطـرح وجهـات نظـر ربمـا تتطابـق مـع مـا كان يسـخر منـه قبـل أشـهر عـلى صفحتـه الفايسـبوكية، فوجـئ أن سـطوته كـ (نجـم) لا تمنحـه إلا حيـزًا ضئيـلًا للمناقشـة أو الاعـتراض سرعـان مـا تقلـصَّ

خلال أيام قلائل من بدء العمل، واقتصر على مناقشة الإعداد في تفاصيل جانبية بسيطة لا تمَس جوهر الاسكريبت الذي يشرف السيد إبراهيم جودة بنفسه على كتابته.

لم يتسَن لـ (النجم) حضور هذا الاجتماع الطارئ بحكم كونه من القلائل المسموح لهم بالحضور متأخرًا بسبب طبيعة وضعه كمذيع توك شو مسائي، يسهر أحيانًا في الاستوديو حتى ساعة متأخرة من الليل، وبالتالي أُبلِغَ تليفونيًا بالحضور مبكرًا عن موعده بساعات لتصوير الحلقة التي ستُعرَض ليلًا باعتبارها بثًّا مباشرًا، وبالفعل هرع من فوره لتلبية أمر رئيسه الذي جلس إلى جوار مخرج البرنامج وباشرَ بنفسه كل صغيرة وكبيرة ابتداءً من موضوع الحلقة وفقراتها واختيار الضيوف والمداخلات الهاتفية، وصولًا للمونتاج وحتى اختيار الفواصل الإعلانية.

قال المُذيع الشاب:

- أعزائى المشاهدين، نتيجة استطلاع الرأي المنشور على صفحاتنا على مواقع السوشيال ميديا: هل تعتقد أن الدولة المصرية قادرة على صَد الموجة الإرهابية الحالية، وتأمين احتياجاتها من الطاقة على المدى القريب والمتوسِط والبعيد؟ الإجابة «نعم» بنسبة ٧٤٪ و«لا» بنسبة ٢٦٪.

(يلتفِت إلى الضيف الجالس قبالته في الاستوديو)

٢٦٪ نسبة مش بسيطة يا دكتور جمال!

- وليها دلالة خطيرة.

- اللي هيَ؟

- اللي هي فقدان أكتر من رُبع المُشاركين في الاستطلاع -واللي هُما عينة عشوائية غير مُسيَسة ممكن نعتبرها بتمثل الشباب المصري- ثقتهم في إدارة الدولة الحالية وقدرتها على مواجهة الأزمات، فضلًا عن إيجاد حلول لها، الرُبع!! وشباب!! يعني ٢٥٪ من طاقتك وإمكاناتَك كنظام سياسي فقَدِت فاعليتها وأصبحت عبء عليك وعلى البلد.

قرأ المذيع الشاب كلمات الاسكريبت الهولوجرامية المنتصبة أمامه بزاوية

بعيـدة عـن حـدود كادر الكامـيرا:

- وإيه تفسيرك للتراجع في ثقة الشباب في إدارة الدولة؟

- كل الـلي احنـا فيـه دا مِـش تفسـير كافي؟! إحنـا بقالنـا شـهور بننـام ونصحـى عـلى أخبـار التفجـيرات والاغتيـالات، حياتنـا كلهـا اتشـلِّت بسـبب نقـص الطاقة، الأسـعار بَقِـت نـار، دي مسـئولية الدولـة العاجـزة عـن حمايـة مصـادر طاقتهـا.

- (يلامـس السـماعة الدقيقـة في أذنـه): معانـا اتصـال تليفـوني أخـير مـن أحـد مُشـاهدينا، مسـاء الخـير.

اقـترب مُعتـز حشـاد في هـذه اللحظـة بـذراعٍ مجبـورة ووجـه منتفـخ بآثـار الـضرب مـن مدخـل الاسـتوديو، وتمكـن مـن تمييـز صـوت يـارا البديـري زميلتـه الشـابة، وقـد تلاعـب بـه الكمبيوتـر فجعلـه أكـثر امتـلاءً ودسـامة بمـا يليـق بربـة منـزل في منتصـف العمـر.

- مساء النور يا أستاذ أحمد.

- ممكن تعرفينا بحضرتِك؟

- أنا مدام غيداء، ربة منزل.

- أهلًا بيكي، اتفضلى قوليلنا رأيِك في موضوع الحلقة.

مـن وراء الحاجـز الزجاجـي، انتظـرت يـارا إشـارة إبراهيـم جـودة التـي أتـت بعـد ثـلاث ثـوان بالضبـط، ثـم قالـت بصـوتٍ يحمـل المـرارة:

- أنـا عيلتـي اتعرضِـت مـن يومـين لمحنـة صعبـة بسـبب الأحـداث الحاصلـة، أختـي وضعـت طفـل، واضطـروا يدخلـوه الحضانـة عشـان الـولادة جَـت مبكرة، بَـس بسـبب عجـز الطاقـة الحضانـات في المستشـفى توقفـت عـن العمـل، ولؤى الطفـل الرضيـع الـلي اختـي وجوزهـا انتظـروه سـنين، اتـوفى بعـد سـاعة واحـدة مـن دخولـه الحضانـة (تبـكي).

ارتسمَت علائم التأثر على وجهي الضيف والمذيع الذي قال:

- البقاء لله يا مدام غيداء.

رفعَ إبراهيم كفه المفتوحة لأعلى، فقالت يارا بانفعال مُتصاعَد:

- إحنـا خـلاص مبقينـاش قادريـن نسـتحمل أكـتر مـن كـدا، احنـا بنمـوت،

والـلى عايـش عايـش بيتعـذِب، دي مسـئولية مـين؟! لـو المسـئولين في البلـد مـش قادريـن يسـيطروا يتفضلـوا يمشـوا وييجـي حَـد غيرهـم!! خـلاص! مفيـش حَـد فـ الحكومـة أو النظـام أو الجيـش يقـدر ياخـد خطـوة جريئـة ويريَـح الشـعب الغلبـان مـن معاناتـه؟!

«ستوووووووب».

خرجـت غاضبـة عاتيـة ارتعـدَت لهـا أبـدان الجميـع، وتعلقـت عيونهـم بإبراهيـم جـودة الـذي هَـب مـن مقعـده بوجـه محمـر وعينـين تقدحَـا شررًا وصـاح بصـوتٍ هـادر مخاطبًـا المُذيـع الشـاب الـذي غـادرت الدمـاء وجهـه:

- جـرى إيـه يـا ابنـي؟! أنـا مِـش قايلَـك ومفهِمَـك، وهـي بتتكلِـم تهِـز راسـك وتـزم شـفايفك؟!! تهـز راسـك وتـزم شـفايفك ... تهـز راسـك وتـزِم شـفايفك ... اييـه؟! آجـى اهزهالَـك أنـا؟!

بينـما تنفـس الـكل الصعـداء -بمـن فيهـم المُخـرج المُنكمـش في كرسـيه- لأن الغضبـة جاوزتهـم هـذه المـرة، انسـكبَت كلـمات الاعتـذار مـن بـين شـفتي المذيـع الشـاب مـن دون أن تحـول دون تناثـر الشـتائم وكلـمات التقريـع القاسـية كالرصـاص حتـى هـدأت العاصفـة، وعـاد الإمبراطـور إلى عرشـه ونقر الشاشة أمامه قائلًا:

- عيدلي تاني من أول البقاء لله يا مدام نيلة!

انتظـر معتـز لسـاعة كاملـة حتـى انتهـى التسـجيل والمونتـاج وخـرج إبراهيـم مـن بـاب الاسـتوديو ليجـده أمامـه، بُهِـتَ وهـو يحـدِق في آثـار الـضرب المتناثرة عـلى وجهـه مـن كدمـات وسـجحات وخياطـة وانتفاخـات زرقـاء، بالإضافـة لذراعـه المُضمـدة والمربوطـة إلى عنقـه، ثـم لم يلبـث أن ابتسـم قائـلًا برفـق:

- حمد الله على السلامة.

هَز معتز رأسه، فقال له إبراهيم:

- تعالى معايا على مكتبي.

في الغرفـة ذات الجـدران الزجاجيـة، لم يَمَـس معتـز المـشروب السـاخن الـذي جلبـه لـه رئيسـه، والـذي انشـغل لدقائـق في إجـراء مكالمات هاتفيـة ثـم عـاد

إليـه فكـرر تهنئتـه بسـلامته وشـبك أصابعـه أسـفل شـعيرات ذقنـه مسـتطردًا:

- أنـا أول مـا بلغنـي انـك اتمسـكت امبـارح في الأزبكيـة، عملـت اتصـالاتي لغايـة مـا عرفـت مكانـك وماسـكِتِّش لغايـة مـا خليتهُـم يخلـوا سـبيلَك، اسـأل أي حَـد هيقولَـك في الظـروف المنيلـة دي مَحـدِش بيتمِسـك وبيتعـرف مكانـه -مـش بيُخـلى سـبيله!- في أقـل مـن أربعـة وعشريـن سـاعة.

أطـرق معتـز برأسـه ولم يـرد، فجـاس إبراهيـم ببـصره في وجهـه المُلـوَّن بالأحمـر والأزرق والأسـود ثـم أردف:

- بس واضح انهم مكانوش بيلعبوا فـ الكام ساعة دول!

سـاد صمـتٌ ثقيـل لثـوانٍ، قبـل أن يرفـع معتـز رأسـه وينظـر إلى رئيسـه مـن بـين أجفانـه المنتفخـة ويقـول بصـوتٍ ضعيـف:

- عايز اسأل سؤال.

قال إبراهيم وهو يشعل سيجاره:

- إسأل.

- ليه المُداخلة الأخيرة في البرنامج؟

خرجـت الكلـمات مدغومـة مـن فـك تحملـت عظامـه الكثـير، وحنجـرة أنهكهـا الـصراخ والأنـين. حـدق إبراهيـم في مرءوسـه الشـاب وقـد فاجـأه سـؤاله، قبـل أن تنفـرج شـفتاه عـن ابتسـامة ذئبيـة وهـو يقـول:

- ابتديت تسأل الأسئلة الصَح.

صمت الشاب بانتظار الإجابة، فقال الكهل باقتضاب:

- رسالة.

وأطلق سحابة كثيفة من الدخان ثم استطرد من بينها:

- فيـه غبـار جـوا دوايـر النظـام، جناحـين وسـط الدوامـة دي بيضربـوا فـ بعـض، متسـألنيش عرفـت ازاى، الشـعر دا (مُشـيرًا للشـيب عـلى جانبـي رأسـه) مابيضِـش مـن فـراغ، المهـم ان تدهـور الحـال الحاصـل فـ البلـد سـبب مـن أسـبابه ان جـزء مـن السُـلطة بيسـتغل القلـق والإرهـاب عشـان يكـوِش، لعبـة قديمـة وبتنجـح.

إحنا بقى دخلِنا إيه بـ دا؟

نظريًّـا مَلنـاش دَخـل، احنـا موقـع وقنـاة شـبابية إنترنتيـة بتقـدم خدمـة إخباريـة، تمويلنـا مـن الإعلانـات، الـكل عـارف إن Egy- Nergy هـي الـلي شـايلانا، مهـما حققنـا نِسَـب مشـاهدة عاليـة تخلينـا أصحـاب صـوت وتأثـير عنـد شريحـة كبـيرة مـن المُشـاهدين، هَنفضَـل برضـه بتـوع Egy- Nergy.

إنمـا عمليًّـا بقـى، السُـلطة وخصومهـا عارفـين كويـس ان الواقـع الـلي النـاس بتصدقـه بيتعمـل هنـا (يشـير للشاشـة الهولوجراميّـة) مـش فـ مـكان تـاني، المداخلـة التليفونيـة الـلي انـت سـمعتها والحلقـة كلهـا كانـت عبـارة عـن اسـتمارة تقديـم عـلى وظيفـة مفادهـا: إحنـا اهـو. وممكـن تعتمـدوا علينـا.

السُـلطة مـش هتمولِنـا ... لكـن هَتأمِننـا ... ولـو حصـل والسُـلطة الحاليـة خرجـت مـن الـصراع دا عـلى خـير، فاحنـا كنـا بنشـوف شـغلنا في تغطيـة المُمَـوِل بتاعنـا الـلي هـي مَتسـتغناش عنـه، ولـو اللعبـة نجحـت وجَـت سُـلطة جديـدة فاحنـا هَنبقـى النـاس بتوعهـا الـلي عرفـوا يراهنـوا عليهـا ووقفـوا معاهـا وقـت الصعـب ...

أنهـى حديثـه وصمـت يدخـن سـيجاره مـن دون أن ينـزع عينيـه عـن عينـي مرءوسـه، وكأنمـا يرصـد أثـر كلماتـه عـلى وجهـه ...

قال معتز بعد هنيهة:

- إنت مِش فارقة معاك حاجة خالص؟

بـدا السـؤال في إسـلوبه ومحتـواه مفاجئًـا غـير معتـاد فيـما بينهـما كمـرءوس ورئيـس مـن أحاديـث، غـير أن إبراهيـم ابتلـع المفاجـأة بسرعـة وأومـأ لوجـه الشـاب قائـلًا:

- إنتَ بعد اللي حصلّك فارقة معاك حاجة؟

عاد معتز للصمت مُجددًا، فتنهد إبراهيم وقال:

- خُدهـا قاعـدة يـا ابنـي مـن واحـد أد ابـوك، النـاس كلهـم ولاد كلـب، كلهـم بـلا اسـتثناء ... الغنـي زي الفقـير، الابيـض زي الاسـود، الكبـير زي الصغـير، الراجـل زي السِّـت، المؤمـن زي الكافـر، الحكومـة زي المعارضـة، كلـه سـاعة

الجَد بيقول يلا نفسي، فمَتخليش ولاءك غير لنفسك. لمستقبلك. لا تقولى قِيَم ولا وطن ولا أخلاق ولا حتى دين. اهو انا مسلم وحاجج بيت ربنا وبقولَك كل الدين اللي اتعلمته فـ بيتكو وفـ المدرسة والجامع دا مش دين!

أطلَت نظرة متهكمة لأول مرة من بين الجفون المتورِمة، فتابع إبراهيم بجدية:

- اضحَك براحتك، بس دي الحقيقة! الدين يا ابني هو الصِّدق مع النفس، مكانش النبي قال المؤمن يسرق ويزني ولا يكذب، أنا مابمثِلش لا على نفسي ولا على غيري، عشان كدا أنا أنضف واحد ممكن تقابله فـ الشغلانة بنت الوسخة دي.

نقرَت الباب الزجاجي السكرتيرة ذات الملامح الآسيوية ثم دخلَت حاملة قدحًا خزفيًّا يتصاعد منه البخار.

- أنا عايزَك تتجاوز التجربة اللي مريت بيها دي بسرعة يا معتز، انت كنت محتاج خبرة قاسية تخلصَك من شوية المراهقة اللي لسه جواك، خبرة ترسم النظرة اللي انا شايفها فـ عينيك دلوقتي، عارف أنا بَفكر فـ ايه؟

نظر له معتز مستطلعًا، فقال:

- بَفكر اعمِلَك توك شو، بجد والله! إنت لو ظهرت للمشاهدين بشوية اللخبطة اللي فـ وِشَك دي هَيصدقوا أي حاجة تقولها، هَتبقى المُناضل الثوري اللي دفع تمن مواقفه، نجم بجَد مش زي الأراجوز اللي قاعد بره فـ الاستوديو.

احتفظ وجه معتز بتعبير ثابت محايد خالٍ من أية انفعالات.

- (مبتسمًا): دا غير التعاوير والجروح بيعملوا شغل حلو مع المُزَز، كدا ولا إيه يا رشا؟

ابتسمت السكرتيرة التي كانت قد وضعت القدح الخزفي على سطح المكتب ووقفت تتابع المحادثة عن كثب، وقالت بلهجة عابثة وهي ترمق معتزًا:

- بَس تكون التعاوير من فوق بَس يا مستر إبراهيم.

- وسخة!

قالهـا إبراهيـم مجلجـلًا بالضحـك، وشـاركته سـكرتيرته بضحكـة مُتهتِكـة، في حـين ظَلَـت الشـفتين المتورمتـين عـلى حالهـما.

***

-١١-

قـاربَ زمـن الــ break عـلى الانتهـاء مـن دون أن تتحـرك هِنـد شـعلان مـن وراء مكتبهـا بمقـر عملهـا، والـذي أوصـدت بابـه الزجاجـي بإحـكام. الهـالات السـوداء حـول عينيهـا، ومنفضـة السـجائر إلى جوارهـا مُمتلئـة بالأعقـاب المُحترقـة، تأملَـت الشاشـة الهولوجراميَّـة المُنتصبـة أمامهـا بعينـين فاترتَـين أنهكهـما الملـل والإحبـاط.

مَـدَّت طـرف سـبابتها لتنقُـر الصـورة الهولوجراميَّـة لتنـزاح وتَحِـل محلهـا أخـرى، سرعـان مـا أُزيحَـت بدورهـا بنقـرةٍ أخـرى.

توهَجَ طـرف السيجارة بـين شـفتيها المضمومتـين، ثُـمَ انهمـر الدخـان الأبيَـض مـن طاقَتَـي أنفهـا الدقيـق، قبـل أن تنقـر الشاشـة مُجـددًا فـوق أحـرُف الـ Customer Service هـذه المرة، فتمُـر ثـوانٍ تمتلـئ الشاشـة بعدهـا بصـورة متوسـطة لموظفـة خدمـة العمـلاء، الشـابة العشرينيِّـة الجميلـة ذات الملامـح الآسـيويَّة والتـي حيَّتهـا بابتسـامة جذابـة، وحدثتهـا بالانجليزيِّـة، فعرَّفتهـا باسـمها –مـالا- وسـألتها عـمَّا يمكـن أن تفعلـه لمُسـاعدتها.

أجابت هِند بالإنجليزيَّة:

- لم أَجِد طلبي.

سألتها الشابة بتهذيب:

- هل بإمكانِك أن تشرحي لي طلبِك؟

ولزمَـت الصمـت طيلـة الثـواني التـي اسـتغرقتها هِنـد بـين التفكـير المُـتردِد وإطـلاق الدخـان، قبـل أن تقـول:

- طلبي هو ... السعادة.

قالت مالا:

- كثيرات عَثرنَ على السعادة بفضل مُنتجاتنا.

- ولكنني لم أفعل.

- هل يمكنك أن تشرحي لي مفهومِك للسعادة؟

صمتت هِند مُفكرة للحظات ثُمَ قالت:

- علاقة حقيقيَّة.

قالت مالا بثقة:

- العلاقات الجنسيَّة الحقيقيَّة مُتاحة ضمن مُنتجاتنا بفضل جهاز RSL012 ونُسخته المُحدثة RSL300 والتي تُتيح علاقة افتراضيَّة تفاعليَّة كاملة بين شريكين –أو أكثر- من المُسَجلين على موقِع الشركة حول العالم، وبدرجة مُحاكاة حسيَّة وشعوريَّة ١٠٠٪ بفضل الـ ...

قاطعتها هِند مُلوحة بطرف سيجارتها الذي تطايرت من شذرات من الرماد:

- أمتلِك هذا الجهاز، وخُضت هذه التجربة مرتين أو ثلاثة.

وهَزَت رأسها مُردِفة:

- كانت زائفة.

ردَدَت مالا من دون أن تفقد ابتسامتها:

- زائفة!

أومأت هند:

- في لحظات الذُروة، كُنت واعية تمامًا؛ لأنني وحدي في فراشي وبيتي، وأن الأصابع التي تداعب جسدي هي مجسَّات الجهاز، وأنَّ ما يهتز بداخلي ليس إلا أنسجة صناعيَّة تُغلِّف حِزمة من الألياف القابلة للتمدُّد وفقًا لأوامر كمبيوتر الجهاز التفاعُلي، واللُهاث والفحيح وكلمات الغزل والشتائم البذيئة التي تتردد في أذني هي في واقع الأمر تَصدُر من شريك على بُعد آلاف الأميال من جسدي.

رمقتها مالا باهتمام وهي ترفع السيجارة بأصابع مُرتعشة إلى شفتيها وسألتها:

- أنت لا تُفضلين العلاقات الافتراضيَّة التفاعُليَّة من الأساس.

- لَم تُحقِق لي ما أصبو إليه.

- وماذا عن العلاقات الحقيقيَّة؟ أقصد مع شريك له حضور فيزيائي.

- (بضجر): لم تَعُد تجدي أيضًا.

- لِمَ؟

هزَت هِند كتفيها وهي تجيب:

- لا أدري، ربما لَم يَعُد الرجال يملكون ما يُقدِّمونَه.

وعادت للشرود قليلًا، ثم استطردَت بعينين لامعتين وكأنما تُكلِّم نفسها:

- كُلهم، مهما ثرثروا وتظرفوا وتظاهروا بالانفتاح والتعاطف والفيمنستيَّة، كلهم يبحَث عن ثُقب يتبول فيه لا أكثر.

تساءلت مالا:

- هل أنتِ مُتزوجة؟

لوحَت هِند بكفها بازدراء التقطته مالا المُدربة على دراسة وتقييم عملائها، فصمتت للحظة ثُمَ عادت تسأل باهتمام:

- وماذا عن الحُب؟

ابتسمَت هِند مُجيبة بسخرية:

- ماذا عنه؟

التمعَت عينا مالا المائلتين وهي تنصت فيما تابعت هِند بمرارة:

- لم يعُد الرجال قادرين على الحُب يا صغيرتي، هذه حِكمة من امرأة تَكبُرِك بخمسة عشر عامًا على الأقل.

اتسعت ابتسامة الشابة وهي تومئ قائلة بغموض:

- يُمكنني أن أرى، مسز شعلان.

***

-١٢-

مـع اكتـمال شـبكة خطـوط القطـارات السريعـة بـين المحافظـات المصريـة قبـل سـنوات، انخفـض الإقبـال عـلى اسـتخدام الطـرق البريـة التقليديـة بشـكل ملحـوظ، وذلـك بسـبب المزايا الكـبرى التي تتيحهـا القطارات الكهرومغناطيسـية السريعـة مـن تقليـص زمـن الرحـلات بـين المـدن والمحافظـات، واحتوائهـا عـلى كافـة وسـائل الراحـة والرفاهيـة والتسـلية، الأمـر الـذي جعـل مـن الرحلـة في حَـد ذاتهـا متعـة، بالإضافـة إلى الاسـتيفاء الكامـل لـشروط الأمـان وفقًـا للمعايـير الدوليـة، وبخاصـةً أن بعـض هـذه الطـرق البريـة القديمـة يخـترق مسـاحات شاسـعة غـير مأهولـة مـن صحـراء مـصر الشرقيـة والغربيـة، ومنهـا مـا لا يبعـد كثـيرًا عـن مسـتعمرات الهَمَـج والمتوحشـين مـن سـكان الصحـراء.

كل هـذه العوامـل، بالإضافـة طبعًـا لانتعـاش حركـة الطـيران الداخـلي، أدَّت إلى هجـرة شـبه جماعيـة مـن هـذه الطـرق الأسـفلتية التـي خدمَـت البـلاد والعبـاد لعـشرات السـنين، فأغلِـقَ بعضهـا وقـررت الدولـة الاحتفـاظ بالبعـض الآخـر في الخدمـة لاسـتخدامها في أغـراض نقـل البضائـع ومُعِـدات ومركبـات الجيـش، الأمـر الـذي اسـتلزم إعـدادًا وتأمينًـا وصيانـة دوريـة تحملـت عبئهـم بالكامـل الهيئـة الهندسـية للقـوات المسـلحة.

وبالرغـم مـن أن طريـق القاهـرة- الغردقـة الـذي يربـط العاصمـة بهـذه المدينـة السـاحلية الجميلـة الواقعـة عـلى شـاطئ البحـر الأحمـر، واحـدُ مـن هـذه الطـرق التـي تـم تحديثهـا وِفـق أحـدث المواصفـات العالميـة إلا أنـه ظـل دومًـا يحمِـل لقـب «الطريـق القديـم»، واقتـصر اسـتخدامه لسـنوات عـلى الأغـراض العسـكرية والتجاريـة.

لـذا كان عجيبًـا غـير مألـوف، وبالـذات في هـذا اليـوم الغائـم المُنـذِر بطقـس غـادِر، أن يـرى موظفـو الكارتـة القائمـة عـلى مُفتَتـح الطريـق، ومعهـم عسـاكر الجيـش المنتشريـن حولهـا بأسـلحتهم، سـيارة مدنيـة تقـترب مـن إحـدى مدخـل

الكارتة المقطوع عرضيًا بحاجزٍ من الصلب.

توقفت أمام أحد شبابيك الكارتة يطل منه موظفٌ خمسيني، ثم لم يلبث الزجاج الفيميه الداكن أن انزاح لأسفل؛ ليظهر من ورائه السائق صاحب الملامح الحادة والشعر الأبيض الطويل المعقوص في خصلة واحدة طويلة وراء الرأس، والسيجار المشتعل بين شفتيه المحاطتين بلحية بيضاء.

- الغردقة.

قالها السائق باقتضاب من دون أن يتخلى عن السيجار المحشور بين فكيه، وهو يمد يده ببضعة وريقات مالية، بينما دار اثنان من الجنود في ثياب الجيش المموهة حول السيارة بأجهزة الكشف عن المتفجرات.

تساءل الموظف وهو يومئ برأسه للسماء الرمادية المُلبدة:

- فـ الجو دا؟!

لم يرد الكابتن خالد فضالي عليه، وإن ظلَت يده ممدودة بالوريقات، فقال الموظف بلهجة رسمية:

- تبَع ايه؟

أومأ الكابتن خالد إلى لوجو E. N. المُلصَق على زجاج السيارة الأمامي مجيبًا:

- Egy- Nergy.

- Egy- Nergy بيدفعوا رسوم الكارتة أونلاين!

أضاف خالد وريقتين أخريين إلى الوريقات الممدودة وهو يقول:

- السِستِم واقع.

تناول الموظف منه المال، وضغط أزرار حاسوبه لثوانٍ، ثم ناول خالدًا بطاقة ممغنطة دقيقة قائلًا:

- خلي بالك، الراديو بيقول ان الجو لسه هيقلِب أكتر.

- شكرًا.

كان هذا هو آخر ما سمعه الموظف قبل أن ينغلق الزجاج الفيميه تمامًا، ثم تنطلق السيارة مبتعدة بعد أن انزاح الحاجز المعدني الذي يَسُد

مخـرَج الكارتـة.

- أشكال وِسخة!

قالهـا الرجـل وهـو يـدس الوريقتـين الماليَّتـين في جيـب سـترته، ألقـى نظـرة سريعـة أخـيرة عـلى «السِسـتِم» السـليم تمامًـا عـلى الشاشـة، ثـم تراجـع ليسـترخي في مقعـده.

أمـا الكابـتن خالـد، فقـد تأكـد مـن ضبـط بيانـات السرعـة والمسـار والزمـن عـلى كمبيوتـر السـيارة، ثـم لم يلبـث أن اسـترخى في مقعـده، وأسـبل جفنيـه تـاركًا قيـادة سـيارته التـي نهبـت سـيارتها أسـفلت الطريـق بسرعـة مائتـين وخمسـين كيلومـتر/ سـاعة، للسـائق الآلي ...

***

-١٣-

في المعتـاد، لا تتسبَب تقلبات الطقـس في تعطيـل أو تأخير أو إلغـاء الرحـلات الجويـة، وذلـك مـع إدخـال أنظمـة الملاحـة المتطـورة والمؤهلـة للتعامـل مـع أعتـى الظـروف الجويـة والفنيـة، وتـولي قيـادة الطائـرة في حـالات الطـوارئ القصـوى نيابـةً عـن الطيـار، ومسـاعده لـو اسـتلزم الأمـر لتأمـين هبـوط الطائـرة بالـركاب مهـما سـاءت الظـروف، غـير أن نُـذُر الاضطرابـات الجويـة المقبلـة وتحذيـرات الأرصـاد، وجـو التوتـر العـام المخيـم عـلى الأجـواء بسـبب الأعـمال الإرهابيـة الأخـيرة وبخاصـةً حـادث قطـار شرم الشـيخ المـروِّع قبـل أسـابيع، والـذي ألقـى بظلالـه الداكنـة عـلى قطـاع النقـل بكاملـه، كل هـذا دفـعَ مسئولي مطـار الغردقـة الـدولي -أحـد أكـبر محطـات الترانزيـت في العـالم بحكـم الموقـع والتجهيـزات- لتأجيـل إقـلاع الرحـلات المتوجِهـة إلى عـددٍ مـن بلـدان العـالم، ومنهـا الرحلـة المتوجهـة إلى مطـار القاهـرة والتـي كان مـن المفـروض ألا تسـتغرق أكـثر مـن عشريـن دقيقـة ...

وهكـذا ربَضـت الطائـرات المدنيـة مختلفـة الأحجـام والجنسـيات كطيـور عملاقـة أمـام ممـرات الإقـلاع، وتحـت سـماء رماديـة غاضبـة تزحـف الغيـوم عليهـا بسرعـة، وتكـدسَ الـركاب في صـالات الانتظـار والوصـول، وانتـشروا في الممـرات والكافيتريـات، ومنهـم زيـن الـذي اسـتقر في مقعـده وسـط الزحـام يرمـق -مـن وراء الجـدار الزجاجـي العظيـم لصالـة الـركاب الرئيسـية- الأمطـار التـي راحـت تـضرب الأرض وأجسـاد الطائـرات المتراصـة عليهـا، وعُـمال المطـار يهرولـون تحـت وابلهـا داخـل سـترات الووتـر الـبروف، بينـما ذهنـه مُنـصرِف بالكليـة لــ أمـل التـي تركهـا خلفـه في المنـزل الآمـن بالكومباونـد المُتاخِـم للغردقـة.

- **مستحيل!**

- **المستحيل انك دلوقتي تخالف التعليمات.**

- التعليـمات الـلي عنـدي انى بعـد سـاعات هَكـون ضِمـن القـوة الـلي هَتجتـاح مزرعـة الفرافـرة.

- التعليمات الجديدة اللي بَقولهالك من الـ *source* نفسه.

- (بـإصرار): مَليـش فيـه، انـا مـش مَرمـي فـ الصحـرا بالشـهور بَصمِّـم برامـج التدريـب وخِطـط اقتحـام المـزارع عشـان سـاعة الجَـد اهـرَب يـا أمَـل.

- (بصوت مُنهَك): مِش هروب يا زين! دا دورَك الجديد.

- دوري أنا عارفه كويس.

- الظروف اختلفِت، فيه أبديتس.

- أعرفها.

- مَينفعش!

- أفندِم؟!

- زين، هوَ فيه ايه؟! انت من إمتى بتحَدِد وبتختار دورَك؟!

- أنا مِش عسكري عندكم!

- أومال عملت كل اللي عملته دا على أساس إيه؟!

- لسه قايلِك انه عشان...

- (تنظر له بعتاب): ... ...

- عشان خاطرِك.

يسـترجع وجههـا الشـاحب وملامحهـا المُجهَـدة، عينيهـا الحزينتـين اللتـين تحمـلان لازالتـا بقايـا دمـوع.

- مش هَقدَر اسيبِك وانتي كدا!

- لو عايز ترضيني فعلًا لازم تتحرك حالًا.

- مِش هيحصل!

- زين! من فضلك!

«تتقـدم إدارة مطـار الغردقـة الـدولي للسـادة ركاب الرحـلات المُنطلقـة مـن المطـار باعتذارهـا عـن تأخـر قيـام الرحـلات، وذلـك حرصًـا عـلى سـلامتهم بسـبب سـوء الأحـوال الجويـة، وتنـوهِ بـأن تأجيـل الرحـلات سـيمتد لأجـلٍ غـير

معلـوم، حتـى توافينـا بيانـات مُطمئِنـة مـن الهيئـة العامـة للأرصـاد الجويـة، كـما تنـوهِ الإدارة إلى اسـتعدادها لتقديـم كافـة الخدمـات المتاحـة لتيسـير فـترة التأجيـل للسـادة الـركاب، بمـا في ذلـك خدمـات الحجـوزات عـلى نفقـة الإدارة في فنـادق الغردقـة، وشركات النقـل الـبري للسـادة ركاب الرحـلات الداخليـة».

تكـرر النـداء باللغـات العربيـة والانجليزيـة والفرنسـية والإسـبانية والروسـية والعبريـة مـرات ومـرات عـبر مكـبرات الصـوت المنتـشرة في أرجـاء المطـار، وفي كل مـرة يُصاحـب النـداء جلبـة ضخمـة حركيـة ولسـانية بلغـات مختلفـة.

- رِفعَـت هـو مهمِتَـك الأساسـية دلوقتـي يـا زيـن، مفيـش حَـد هَقـدَر اسـتأمنه عليـه غـيرك.

- المكان؟

- أي مكان سري خاص بيك محدِش يعرفه.

- حتى انتي؟!

- بالذات أنا.

- كلامِك دا زوِد قلقي!

- متخافش، أنا فـ أمان.

- مِش مقتنع.

- (بابتسامة شاحبة): بَس هَتنفِذ عشان بَطلب مِنَك.

- (يتنهَد): هَطمِن عليكِ إزاي؟!

- (تربت على وجنته): هَوصلَك في المكان اللي أنتَ فيه.

- (يحتضن كفها بين أصابعه ويلثمها).

- مفيش وقت، إوعدني.

- بـ ... ؟

- إنك تحافظ على الأمانة اللي هَسلِمهالَك.

أدار زيـن عينيـه ليرمـق رفعـت المسـتكين في المقعـد المجـاور لمقعـده في صالـة الانتظار.

ضئيـل، جامـدٌ كتمثـال، ظهـره مسـتقيم، كفـاه متعانقـان في حِجـره، وجهـه

الدقيـق الـذي يختفـي أغلبـه خلـف منظـارٍ داكـن عريـض شـاخصٍ للأمـام، وكأنـه مُسـتغرقٍ في تأمـل الأمطـار الغزيـرة عـبر الزجـاج؛ إذ تؤرجحهـا الريـاح العاصفـة في سـاحة المطـار المفتوحـة.

- رفعت، انت هَتِنزِل مع زين دلوقتي ...

لم يحـرِك سـاكنًا منـذُ اسـتقر في مقعـده وكأنـه متوحـد، مُنفصـلٌ بكيانـه عـن الصخـب والضجيـج المحيطـين، غـير أن مشـاعر الخـوف والرعـب كانـت تصلـه بسلاسـة مـن الآلاف المتكدسـين حولـه، يسـمع أنينهـم وأنفاسـهم الثقيلـة ودقـات قلوبهـم، تفـور حمـم الكراهيـة في أعماقـه، ويلجـم نفسـه بصعوبـة عـن إطـلاق عنـان مـارِدَهِ مـن القمقـم ليُجسِّـد مخـاوف وكوابيـس هـؤلاء الـكلاب -بمـن فيهـم زيـن نفسـه الجالـس إلى جـواره- حتـى تتوقـف قلوبهـم عـن النبض مـن فـرط الرعـب.

صوت أمل لا يزال عالقًا بأذنيه.

- أنا عارفة انَك مَبتثِقش فـ حَد غيري، بس انا عايزاك تثِق في زين.

يذكـر جيـدًا أنـه تفـرَّسَ آنـذاك في ملامحهـا بخليتيـه البصريتـين مـن وراء منظـاره الداكـن، في علامـات الحـزن والإرهـاق المضاعفـة عـلى تضاريـس وجههـا، ونظـرة الهلَـع في عينيهـا –هـو وحـده يسـتطيع التقاطهـا- والتـي بـدَت لـه دعـوة صريحـة لم يـتردد في تلبيتهـا.

- عايزاك تسمع كلامه فـ أي حاجة يقولهالَك.

في نفـس اللحظـة كان يقـرأ سـجلاتها الأكاشـية، تحـرك عـلى عجالـة بـين المخـاوف العاديـة الصغـيرة التـي تمـرح بـين صخـور الكهـف الـذي تـداري فيـه أمـل مخاوفهـا؛ خـوف مـن الفـئران، خـوف مـن العناكـب، خـوف مـن الحُقَـن، إلـخ ... تجـاوز كل هـذا بخطـوات أقـرب للعـدو، وإن أثـار انتباهـه أن كهفهـا يبـدو هـذه المـرة، عـلى عكـس المـرات التـي زاره فيهـا مـن قبـل، أكـثر إظلامًـا، ورائحتـه أكـثر عطنًـا عـما اعتـاده.

ثمـة شيء مـا مختلـف هـو السـبب في نظـرة الهلـع التـي اسـتقرت في عينـي أمـل، وميزهـا هـو بوضـوح منـذ دخلـت عليـه حجرتـه، شيء شريـر يعـرف هـو

جيدًا كيـف وأيـن يجـده ...

- **هياخد باله مِنَك ... وعايزاك انت كمان تاخد بالك منه ...**

وصل بسرعة إلى هدفه.

البـاب الخشـبي الضخـم الـذي ينتهـي إليـه الكهـف، والـذي يختفـي وراءه الكابـوس المـروِع الـذي يـؤرِق أمـل ويرسـم نظـرة الرعـب في عينيهـا.

الظـلام هنـا أشـد كثافـة، وأصـوات أنـين وأنفـاس ثقيلـة تـتردد في كل شَـق مـن شـقوق الكهـف حـول الباب.

بـلا تـردد هـذه المـرة رفـع كفـه ليمسـح عـلى أخشـاب البـاب الجافـة، وعـلى الفـور لمـح مـن وراءه أمـل وقـد عـاد بهـا الزمـن امـرأة جميلـة في منتصـف العمـر، عاريـة إلا مـن مـلاءة قديمـة تضـم أطرافهـا لتسـتر عريهـا، الرعـب مطبـوع عـلى ملامحهـا، تحيـط بهـا نـيران هائلـة مـن جميـع الجهـات تلفحـه حرارتهـا، وأعاصـير مـن دخـانٍ أسـوَد حالـك السـواد، وثمـة أصابـع قويـة مُلتفـة حـول عنقهـا تعتـصره فتجحـظ عيناهـا ويتـدلى لسـانها خـارج شـفتيها.

- **(بتوتر شديد): فيه خطر بيقرَّب، خطر شديد.**

زحف ببصره من الأصابع المُلتفة حول عنقها إلى الذراع، المِنكَب، العنق.

ببطء، التفت الرأس إليه. التقت عيناهما.

- **خطر مَحدِش يقدر يصدُه غيرك.**

ولأول مـرة منـذ اكتشـف قدرتـه عـلى نبـش مخـاوف الآخريـن وتجسـيدها وهـمًا ذي ملمَـس ولـون ورائحـة، سَرَت رعـدة في بـدن رفعـت.

- **بس مش دلوقت، أما تبقى مُستعِد.**

ملامحـه قاسـية ذات طابـع شـيطاني مخيـف، وقـد انعكسـت عليهـا ألسـنة اللهـب المُحيطـة بـه، وبأمـل التـي تحـشرج صوتهـا والتفَـت أصابعهـا حـول معصمـه في مُحاولـة للتحـرر مـن قبضتـه، وحـول أحدهـا لمـحَ تلـك الدبلـة الفضيـة اللامعـة ...

- **ولما يِحصَل، هتحتاج دي.**

كان يحدِق في الدبلـة الفضيـة المستقرة في كفهـا المفـرودة، ورغـم أنهـا بَهتـت

وفقـدت بريقهـا، إلا أنـه لم يبـذل جهـدًا ليعـرف أنهـا نفـس الدبلـة التـي رآهـا حـول إصبعهـا قبـل ثانيـة واحـدة داخـل كهـف مخاوفهـا.

- **رفعت.**

- **(يحدق صوبها) ...**

- **إنـتَ أمـلي الوحيـد. مـش انـا بـس، أمـل كل الـلي بيتعذبـوا العـذاب الـلي انـت اتعذبتـه جـوا مكّـن الشركـة، هَعتمِـد عليـك؟**

رده كان عمليًّا، تناول منها الدبلة ودسها في إصبعه.

مجـرد ذكـر الابتسـامة الدافئـة التـي ارتسـمت عـلى شـفتيها آنـذاك وأصابعهـا التـي ربتـت عـلى وجنتـه بعـث شـيئًا مـن الطُمأنينـة داخـل قلبـه، بينـما هـو جالـس وسـط آلاف الغربـاء في صالـة المطـار.

أمـا زيـن، الـذي انمحَـت خـبرة صدامهـما القديـم -في جـراج دانـدي مـول قبـل عـام- مـن ذاكرتـه الواعيـة، وإن لم ينمـحِ معهـا شـعوره بالانقبـاض تجـاه هـذا «الـشيء» صاحـب القـدرات المخيفـة، والـذي أوصتـه بـه أمـل الحبيبـة خـيرًا، فقـد عـاد ببـصره إلى مشـهد غضبـة الطبيعـة بالخـارج.

ومـضَ الـبرق فانعكِـس وميضـه عـلى الوجـوه والموجـودات، ولكـن هزيـم الرعـد المكتـوم مـن وراء الجـدار الزجاجـي العـازل ضـاع وسـط ضجيـج الآلاف والشاشـات الهولوجراميـة التـي تبـث أغنيـات ومـواد ترفيهيـة ودعائيـة للمناطـق السـياحية عـلى سـواحل البحريـن الأبيـض والأحمـر، والآثـار ومنتجعـات الواحـات، اسـتجابةً للأوامـر المُشـددة بحظـر بـث القنـوات الإخباريـة في المطـارات المصريـة، كي لا تؤثـر أخبـار الاضطرابـات والتفجـيرات والمظاهـرات عـلى حركـة تدفـق السـائحين عـلى مـصر.

- **مفيش وقت، إوعدني.**

- **بـ ... ؟**

- **إنك تحافظ على الأمانة اللي هَسلِمهالَك.**

تنهد.

حاضر يا أمل، حاضر.

لن يمسه سوء.

هذا وعد.

***

-١٤-

ساعة كاملة انقضَت على أمل الشافعي جالسة إلى أحد المقاعد بالشرفة الرئيسية للشقة التي اتخذتها ملاذًا آمنًا وِفقًا للبرنامج الأمني المُصَمَّم لتضليل أي جهة تسعى خلفها.

ساعة كاملة مَضت منذ لوَّحَ لها زين بذراعه من نافذة التاكسي المُنطلِق به وبرفعت للمطار قبل أن يغيب عند ناصية صَف العمائِر، استقرَت في مقعدها غير شاعرة بالوقت ولا بالبرد الذي صَاحَب تكاثف الغيوم الرمادية، ثم بدأ تساقط قطرات خجولة من المطر، حول كتفيها النحيلين التفَّ شالٌ من الصوف، بينما تحجرَت الدموعُ في عينيها الشاردتين ...

لم ينزعها من شرودها إلا التماع البرق الذي انعكس على شعرها الفضي القصير، رَفَعَت عينيها لأعلى، للسماء الرمادية الداكِنة التي أغلقت غيومها كل مَنفذ تتسرب منه شمس العصاري، ومنها انهمرَت زخات غزيرة من الأمطار.

بَدَت وكأنها انتبهَت لبرودة الجو لأول مرة على إيقاع هزيم الرعد، ضمَت الشال أكثر حول كتفيها، ونهضَت لتقترب من الدرابزين المصنوع من الفيرفورجيه المشغول بالليزر، أغرق المطر المنهمر وجهها وشعرها وثيابها في ثوانٍ، غير أنها لم يبدُ عليها أي رد فعل وكأن شيئًا لم يحدث.

تجمدت في وقفتها، ترمق المشهد المفتوح أمامها والذي تسيدته الأمطار بجدارة جعلت الشوارع الخالية من المارة أشبه بمجارٍ مائية.

جسدها يرتعش من تحت ثيابها المبتلة وأسنانها تصطَّك من البرد، بينما عيناها مُثبتتان على مدخل الشارع المؤدي للمجاورة السكنية التي تقع فيها بنايتها.

كلمات نظيم الدين كمال –الديك الرومي- لا تفارق أذنيها:

- **خسرنا محمودًا، أمل.**

الغيوم الرمادية الكئيبة تحتشد، والدنيا تزداد ظلمتها.

- ليس هذا كل شيء.

المطر، وميض البرق، المطر، هزيم الرعد، المطر، الهواء المثلج، المطر،

جسدها يرتعش، يرتعش.

- ما سأخبرك به الآن.

كم من الوقتِ كان قد مضى عندما لمحَت أضواء المصابيح الأمامية لتلك السيارة تفترش الأرض الغارقة عند مدخل الشارع؟

لم تَدرِ، فعليًّا كانت قد انفصلَت عن البرد ورذاذ المطر والمكان والزمان وارتدَت بوعيها ساعة إلى الوراء، ليظل صدى صوت نظيم يتردد بين جنبات عقلها.

- أعلم أنه سيؤلمك.

وكأنما استردها من أثير الذكريات، مرأى هذه السيارة الهامر السوداء التي انزلقت عجلاتها ببطء بين مياه البحيرة التي تحول الشارع إليها.

- ولكنني مُضطر.

زال عنها جمودها، ضاقت حدقتاها وهي تحاول التغلب على خيوط المطر المنهمرة من بين الخصلات الفضية الملتصقة بجبينها، واختراق الهواء الرمادي والزجاج الفيميه الداكن ببصرها لتسترق النظر إلى ركابها.

لم تميز شيئًا بطبيعة الحال، وإن أنبأت بالعكس قبضتها المعروقة المتقلصة على حديد الدرابزين، واصفرار وجهها، ورعشة شفتها السفلى، وأنفاسها المتلاحقة التي غادرت صدرها سُحُبًا من البخار الأبيض.

انطفأت أنوار مصباحي السيارة، وإن ظَلَّت المساحات تزيح قَطر المطر عن زجاجها الأمامي بلا كلل.

هنا، استدارت أمل عائدة إلى داخل الشقة.

انزلق مصراعي الباب لينغلقا أوتوماتيكيًّا بعد دخولها بثوانٍ معدودة لم تمنع اجتياح الهواء البارد ورذاذ المطر لفراغ المعيشة الدافئ، الأمر الذي دفعَ كمبيوتر الشقة لرفع درجة حرارة التكييف المركزي لمعادلة الحرارة

واستعادة الدفء الذي خدشته الرياح والأمطار خلال هذه الثواني القليلة.

- **هذه الأرقام أمِلك وأملنا الوحيد يا أمل، فهمتيني؟؟**

سارت بقامة محنية يقطر منها الماء، خطواتها متثاقلة وكأنما ناء كاهلها بعشر سنوات فوق سنواتها الستين، دلفَت لغرفتها، فأبدلت ثيابها المبتلة بأخرى جافة، توضأت بالماء الدافئ وأحاطَت رأسها بحجاب بسيط، ثم آوَت إلى مقعدٍ وثير مجاور لفراشها.

- **كلمة السِّر هي *Plan B*.**

التمع وميض البرق من وراء الستارة التي تغطي النافذة الزجاجية التي تتوسَط أحد جدران الغرفة، أعقبه هزيمٌ للرعد أقرب لزئير الضواري.

تناولَت مُصحفًا من على الكومود، فتحته، وعلى ضوء الأباجورة بدأت تقرأ بصوت خفيض مبحوح.

بدأت الدموع تتكور ثم تنسال من عينيها.

«بعد أن أتيا شهوتهما الأولى، فوجِئَت به يمد أصابعه ويمسد أسفل عينها متسائلًا برفق: دموع!» ...

تهانَفت عاجزة عن التلاوة.

- **عارفة، حاجتين، مش عايزة اعرف غيرهم ...**

- **اللي هُما؟**

- **إنك أدهم.**

نبض قلبها بعنف عندما سمعت صوت باب الشقة الخارجي إذ ينفتِح.

- **وانى بَحِبّك.**

أغمضت عينيها الممتلئتين بالدموع.

- **في اللحظة دي مش عايز اشوف أو افتكر واحدة غيرك ...**

صوت خطوات ثقيلة واثقة تقترب ...

رجفة لا إرادية انتابَت أصابعها، بينما الدموع الصامتة تنهمر بغزارة أكثر.

- **والله العظيم ...**

لم تشعر بانطفاء ضوء الأباجورة المجاورة لها، وأنوار الإضاءة الذاتية بالبيت كله.

الخطوات تدنو أكثر وأكثر.

الرجفة تنتشر في جسدها كله.

أغمضت عينيها بقوة أكبر.

انخفض صوتها وتهدج وهي تردف:

- إنتَ أدهم!

الخطوات تتوقف.

حدق في وجهها، غاص في عينيها السوداوين.

الباب ينفتح ببطء.

بسمة حانية تسللت إلى شفتيه.

من دون أن تتوقف عن الانتفاض، فتحت عينيها ببطء.

- وانتى أمل.

الضوء الشحيح المتسلل من بين ثنايا الستارة لم يساعدها على تمييز ملامح صاحب الجسد الممشوق الذي يسد فتحة الباب.

تضرّخ وجهها بحمرة خفيفة.

مُجددًا، لمع وميض البرق فوقع على الملامح، ورُغمًا عنها غادرت الشهقة أعماق قلبها ليبددها هزيمُ الرعد الأقرب لزئير الضواري.

- أملي!

وفي اللحظة التالية، شعرت بضغطة قوية أسفل أذنيها، وكأن أصابع خفية تلتف حول مؤخرة عنقها، وتضغط.

ثم أظلم المشهد تمامًا أمام عينيها.

***

-١٥-

(قبل أربعة سنوات) ...

- آلو.
- ازيِّك يا حياة؟
- هاني؟
- كويس اِنك مانسيتيش الصوت.
- ايه النمرة دي؟!
- مادام مِش بترُدي على نمرتي!
- ... ...
- عايز اشوفِك.
- بَس انا ...
- انا خلاص الماسِدج وصلتني، وكل اللي بَطلبه إنى اشوفِك ***one last time.***
- ... ...
- رُبع ساعة مِش أكتر.
- ... ...
- حياة، اللي كان بيننا يستاهل نهاية أشيَك من كدا.
- (بعد لحظات من الصمت): أوكاي. إمتى وفين؟
- كوستا الداون تاون بعد الشغل، يناسبِك؟
- يناسبني.

ذهبت إليه وهي على أتم استعداد، استجمعت شجاعتها خلال الدقائق الذي استغرقها المشوار من مقر الجورنال الإلكتروني إلى الداون تاون، وعززتها برغبتها الجادة في اتخاذ هذه الخطوة التي تأخرت كثيرًا، وظلت تنخسها وتعذبها طيلة الأشهر الثلاثة الماضية، وبالذات خلال الأسابيع الأخيرة التي امتنعت فيها عن الرد على مكالماته الهاتفية، وتجنَّبَت

لقاءاتـه.

في جلستها إلى الأريكة الخلفية لسيارة أوبر التي تقطع شوارع بارادايس هايتس إلى المول الضخم، راجعت كلماتها التي أعدتها واختارت أن تكون قليلة ومُحددة وقاطعة، بحيث لا تفتح أبوابًا للمراجعة أو الابتزاز العاطفي رغم علمها بأن رفيقها ليس من هذا النوع، هذه النقطة تحديدًا كانت مبعث توترها الحقيقي، فلو كان هاني مراهقًا أو لزجًا أو سافلًا لكان هذا قمينًا باستدعاء رصيد القسوة، وتيسير قطع كل ما تبقى من الخيوط بضربة واحدة، تعود بعدها لنفسها ولعالمها حُرة بلا قيدٍ أو ضغط، ولكنها تعرف أنه ليس كذلك، وأنه ناضج نبيل عزيز النفس، بالإضافة لذلك فهو ذكي، ويحبها، وكلها أمور تزيد من صعوبة المواجهة.

ورغم استعداداتها والسيناريوهات التخيلية التي دارت في ذهنها، إلا أن ما أذهلها هو تبخر كل ما أعدته من ذهنها بمجرد رؤيته ينهض لاستقبالها من وراء تلك المنضدة الصغيرة في ركن الكافيه الشهير، تداعت أعمدة وأساسات شجاعتها وهي تصافحه ثم تجلس قبالته.

- مبروك الشغل.

- الله يبارك فيك.

قالتها مُتحاشية التقاء عينيها بعينيه.

- مبسوطة هناك؟

- الحمد لله.

النادل الشاب يصب الكولا في كأس طويلة ممتلئٌ قاعها بمكعبات الثلج.

- (مبتسمًا): انتى أكيد النجمة بتاعتهم دلوقتي.

رفعت عينيها لترمقه، ثم قالت بخفوت:

- كان المفروض تبقى جنبي.

قال بهدوء:

- ريبورتاج آدم المصري كان بتاعِك.

- بتاعنا! انتَ كنت معايا خطوة بخطوة.

ابتسم بزاوية فمه وهز رأسه قائلًا بشيء من المرارة:

- مِش صحيح، وانتى عارفة.

صَمتت وقد مستها مرارته، وحَط بينهما صمتٌ ثقيل لم تخدشه الضجة والثرثرة والضحكات القادمة من الموائد الأخرى.

«أرجوك يا هاني، ياللا!». ترددت في عقلها وقلبها بنبرة متوسلة.

قال أخيرًا وكأنه سمع توسلها:

- هوَ آدم المصري؟

ظلت جامدة مُطرقة الرأس كتلميذة مُذنبة، قبل أن تومئ مجيبة.

التقط نفسًا عميقًا ودار بعينيه في المكان وهو يقول:

- دا أد ابوكى الله يرحمه!

تجمعَت دمعة في ركن عينها وهي تومئ مرةً أخرى، فاستطرَد ببطء:

- ويمكن هوَ دا السبب.

سال خيط لامع على وجنتها المضيئة أكدَ له صحة تحليله، زفرَ بعمق محاولًا السيطرة على انفعاله، ثم قال:

- أنا بَس عايز اعرف حاجة واحدة.

رفعت عينيها لامعتين إليه.

- أنا فعلًا كُنت فاهم اللي بيننا غلط؟! ...

خرجت الكلمات من بين شفتيه مطبوعة بحيرة صادقة، وألم حقيقي ضارب بجذوره تحت الجلد، هذا المزيج الحزين وخزَ قلبها وهدم مقاومتها فانهمرت دموعها غزيرة وهي تقول بحرارة:

- أنا كُنت صادقة.

ناولها منديلًا ورقيًا لتمسح به وجهها، وعاد الصمت ليبسط حكمه بينهما لثوانٍ قبل أن يزيحه هو متسائلًا بهدوء:

- بتحبيه؟

بعد هنيهة، أجابته بصوت متهدِّج:

- مش عارفة.

وصمتت للحظة ثم همست بشرود:

- بس مش قادرة ماشوفوش، مش قادرة ابعِد عنه، بَحِس انى عريانة وبردانة طول ما انا مش معاه.

هوَت حروفها كخناجر لتمزق نياط قلبه، وكاد لجزء من الثانية ينفجر باكيًا، ولكنه سيطر على مشاعره بقبضة من حديد، مَدَّ أصابعه ليربت برفق على كفها الرقيق المستقر على سطح المائدة قائلًا:

- خلي بالِك من نفسِك.

حدقت فيه ثم عادت دموعها لتنهمر من جديد وهي تغمغم:

- أنا آسفة.

أشار للنادل بكفه طلبًا للشيك ثم قال لها:

- مَتتأسفيش يا حياة؛ لأنِّك مغلطتيش، المشاعر حاجة ***out of control***، لا انتي ولا أنا ولا أي حد يعرف يسيطر عليها.

- إنتَ مَلِكش ذنب!

- طالما دخلت المقامرة يبقى لازم اتحمل الخسارة زي ما استمتعت بالمكسب.

- الحب مقامرة!

ابتسم بحزن وهو يستخرج بطاقة حسابه البنكي من حافظته الجلدية قائلًا:

- أكبر مقامرة.

أنهى حسابه وأعاد للنادل التابلت الرقيق الذي يحمل الفاتورة، ثم تبادل معها نظرة طويلة وقال:

- أنا هَغيب فترة عشان استرِد نفسي، معرفش أد إيه، بس لما ارجع هَكون ***available*** كصديق، لو احتاجتيني -بَس- كصديق، هتلاقيني.

قالت بحزنٍ صادق:

- هَتوحَشني.

تصافحا، وراقبته هي بعينيها الغائمتين وهو يبتعد بجسده الممشوق

بـين المـوائـد حتـى ابتلعتـه ضلفتـا البـاب.

تركـت نفسـها تسـقط عـلى مقعدهـا، ودفنـت وجههـا في كفيهـا، القطـرات تنسـال لازالـت، بينـما مـلأ عقلهـا وجـهٌ وحيـد ذو ملامـح جـادة ولحيـة أنيقـة وخطهـا الشـيب، أزاح كل مـا سـواه وبعـث الـدفء في قلبهـا.

وبـلا إرادة منهـا، اسـتخرجت أصابعُهـا هاتفهـا النقـال مـن قلـب حقيبـة يدهـا.

***

-١٦-

لم تتوقف خيوط البرق عن التقاطع والتصارع في قلب السماء المظلمة، التي تحلق فيها طوافة آدم المصري الخاصة تحت وابل لا يتوقف من المطر الغزير، وانعكس وميض هذه الخيوط مرات ومرات على جانب وجه آدم نفسه من خلال الكوَة الزجاجية المستديرة المجاورة لمقعده، ولكنه كان في هذه اللحظات العصيبة أبعَد ما يكون عن الانشغال بمظاهر غضب الطبيعة واهتزازات الطوافة المستمرة.

تركيزه بالكامل كان مُنصَبًّا على المكالمة الطويلة بينه وبين اللواء فؤاد سلطان مدير مخابرات الرئاسة، والتي بدأت مع دوران مراوح الطوافة تمهيدًا لإقلاعها العمودي من مطار الغردقة، وتناوبت خلالها على ملامحه انفعالات عديدة وَشَت بعاصفةٍ أخرى لا تقل شراسة ترعد داخل صدره.

من آنٍ لآخر كانت عيناه تنحرفان عن هولوجرام مُحدِثه إلى الجسد الضئيل المُستلقي على الأريكة الوثيرة المقابلة، وكان تغيرٌ ما يطرأ حينئذٍ على ملامحه قبل أن تنتظم بسرعة وهو يعود إلى مُحدثه، والذي يبدو أنه لاحظ هذا التشتت المتكرر فتساءل:

- فيه مشكلة عندَك في الطوافة يا آدم بيه؟

أجابه آدم على الفور بنبرة طبيعية:

- خالص، معاليك.

وكاد ينتقل إلى النقطة التالية من الحديث لولا أن رجل المخابرات اليقِظ بادره:

- هي معاك دلوقتي؟

- هي مين؟

- أمل، أمل الشافعي.

صمت آدم واجمًا، فاستطرد اللواء فؤاد سلطان:

- أنا مش مُحيي ذو الفقار يا آدم بيه.

استمر آدم جامدًا كصنم للحظات قبل أن يلقي نظرة على أمل المُخدَرَة على الأريكة ثم يومئ برأسه.

- والبطارية بتاعتكو؟

- مكانِتش موجودة.

- مابلغتناش ليه؟

هَز آدم رأسه قائلًا:

- أي قوة عسكرية مهما كانت تجهيزاتها مِش هَتصمُد أمام قدراته النفسية يا سيادة اللوا.

التقى حاجبا اللواء وهو يقول:

- أومال هَنصطاده إزاي؟

قال آدم بثقة:

- مَيقدرش على سوبرمان غير سوبرمان.

كان الطيار الأوتوماتيكي يخاطب أبراج الدفاع الجوي لمحافظة الإسماعيلية التي بدأت أنوارها تشرق عن بُعد في قلب الظلام عندما قال اللواء لـ آدم:

- آدم بيه، مفيش وقت للأفلام!

- أؤمُرني يا فؤاد بيه.

قال اللواء بصرامة:

- عايز كل الداتا اللي عندك عشان اعرف أساعدك.

قال آدم بسرعة:

- البطارية دلوقتي في صالة الوصول رقم (٢) في مطار الغردقة.

- لوحدها؟

- معاه صياد قديم كان عندنا.

- زين العابدين منصور.

- بالظبط.

رمقه اللواء فؤاد للحظة ثم قال:

- هَيبقى لينا كلام تاني بخصوص الإرهابية اللي معاك ...

بمجـرد انتهـاء المكالمـة، تَكَـوَّنَ هولوجـرام جديـد أمـام آدم لوجـه عمـرو عـزام نائبـه ومديـر مكتبـه، قَـصَّ عليـه آدم فحـوى المكالمـة بينـه وبـين رئيـس مخابـرات الرئاسـة، فتجمعـت علامـات الدهشـة والانزعـاج عـلى وجـه الشـاب.

- مستر آدم، إنتَ بلغتهم بموقع البطارية!

أشعل آدم سيجارًا جديدًا وهو يقول:

- خليهم يجربوا.

- هيمسكوا البطارية!

- مِش هَيعرفوا.

ونفثَ الدخان مستطردًا:

- إنـتَ نسـيت فريـق الصياديـن بتوعنـا الـلي حاولـوا يصطـادوه مـن سـنة في مدينـة نـصر؟

تساءل عمرو:

- ممكن توضحلي بتفكر فـ إيه يا مستر آدم؟

- هُـما عايزيـن البطاريـة، أهـي عندهـم! يصطادوهـا لـو يعرفـوا! فـ الآخـر محَـدِش غـير الراجـل بتاعنـا هَيقـدر عليـه.

وتوهَّجَ طرف السيجار بين أسنانه وهو يجيب:

- خليهُـم يحاولـوا قـدر اسـتطاعتهم، ولمـا يفشـلوا، نتدخَّـل احنـا ونـضرب ضربتنـا.

- دا إذا ما هربش قبل ما نوصله.

- هيهرب مننا فين؟

وألقـى نظـرة عـلى هولوجـرام ثـانٍ لــ رفعـت وزيـن تنقلـه كامـيرات المراقبـة بصالـة الوصـول بمطـار الغردقـة، وأردف:

- مَتنساش ان أصدقاءنا في The Eye عايزين يسترجعوا سمعتهم القديمة.

ومـع آخـر حـروف عبارتـه، اهتـزت إضـاءة الطوافـة الداخليـة، وارتفـع أزيـزٌ متقطِّـع امتُقـع لـه وجـه آدم وهـو يرفـع عينيـه لأعـلى.

انقطع الاتصال الهاتفي مع مرءوسه الشاب، فتلاشَت صورته الهولوجرامية بغتة، وسمع آدم صوت كمبيوتر الطوافة يردد:

- هجوم بصواريخ أرض- جو.

ارتفع حاجبَا آدم واكتملت على وجهه علامات الذهول بينما الكمبيوتر يتابع:

- جاري التعامل مع الهجوم وفقًا للبروتوكول الأمني، الرجاء التزام المقاعد وربط أحزمة الأمان.

جرى كل شيء بسرعة لا تُصَدَّق.

حَـدَّدَ الكمبيوتر حجم وطبيعة الهجوم بثلاثة صواريخ -ميزَ نوعيتها واستخرج قدرتها ومزاياها ونقاط ضعفها من ذاكرته في جزء من الثانية- قادمة من ثلاثة زوايا رصدها بدقة، ثم اختار أقصر مسار لأقرب وحدة من وحدات دفاع الإسماعيلية التي صارت وراءهم كتكتيك لدفعها إلى إسقاط الصواريخ المُهاجَمة، في نفس اللحظة التي أطلق فيها استغاثة عاجلة لهذه الوحدات.

- نوعية مُطورة لمطاردة البصمات الحيوية.

قالها الكمبيوتر وهو ينحرف بالطوافة بزاوية حادة نحو المسار الجديد المُختار، ويميل بها مناورًا أول الصواريخ الذي مَرَق كلسانٍ من النار على بعد ثلاثة أمتار فقط من بطنها، ليقطع عشرات الأمتار في لمح البصر، ثم يستدير عائدًا إليها، صانعًا مسارًا من قطع ناقص عملاق.

الصاروخ الثاني التقى قبل بلوغه هدفه المراوِغ بمجموعة من الجسيمات المعدنية أطلقها هذا الهدف، التصقت به فتشوشَت إشاراته وانحرف عن مساره، ثم هوى نحو أمواج المتوسط المظلمة.

وبينما مالت الطوافة مرةً أخرى مُراوِغة الصاروخ الأول الذي عاد يطاردها، لمح آدم عبر زجاج الكوَة المستديرة المجاورة لمقعده، خيطًا من اللهب –الصاروخ الثالث- يرتفع بسرعة هائلة من قلب الظلام متجاوزًا الجسيمات المعدنية الدفاعية ومتجهًا صوبَ مُنتصف الطوافة مباشرةً.

بعدهـا بثانيـة واحـدة، رصـدت رادارات خفـر السـواحل وأجهـزة الدفـاع الجـوي بمـدن القنـاة انفجـارًا هائـلًا عـلى ارتفـاع كيلومـترات فـوق أمـواج المتوسط بالقـرب مـن سـاحل الإسـماعيلية، وميزتـه في الظـلام أعـين السـاهرين مـن أبنـاء المدينـة.

***

هـدأ الضجيـج نسبيًّا بعـد سـويعات مـن منتصـف الليـل في قاعـات الانتظـار والوصـول بمطـار الغردقـة المُكتظـة بالعالقـين بسـبب توقـف الرحـلات الجويـة، حتـى تهـدأ العواصـف الرعديـة بطـول البـلاد وعرضهـا.

اسـتوعبَت فنـادق وقـرى الغردقـة السـياحية مـا اسـتوعبَت، وافـترش مـن تبقـى أرضيـات واسـتراحات المطـار مُستسـلمينَ للنعـاس والراحـة بعـد يـومٍ شـاقٍ مُلـئ بالمفاجـآت والمشـاحنات.

رءوس شـقراء وحمـراء وكسـتنائية وسـوداء وملسـاء مالـت لتتكـئ عـلى الأكتـاف المجـاورة، وتصاعـد الشـخير مـن حلـوق كثـيرة تتحـدث لغـاتً مختلفة، وسَرَت حالـة عامـة مـن الخـدَر عززهـا امتـلاء البطـون بالوجبـات الجاهـزة التـي وزعتهـا إدارة المطـار مجانًـا عـلى الجميـع، والـدفء الـذي كرسـته مكيفـات الهـواء المركزيـة العملاقـة، بالإضافـة لخفـوت الإضـاءة بأمـرٍ مـن السـيد اللـواء مديـر المطـار للاسـتفادة مـن غيـاب الأغلبيـة في النعـاس، وذلـك لتوفـير كل مـا يمكـن توفـيره مـن الطاقـة.

زيـن كان واحـدًا مـن الفئـة القليلـة التـي لم تستسـلم لنـداءات الراحـة، ظـل جالسًـا في مقعـده أمـام الجـدار الزجاجـي العمـلاق، يراقـب الغضبـة الجويـة التـي لم تهـدأ منـذُ سـاعات النهـار، الظـلام هـو السـيد بالخـارج إثـر انطفـاء الكشـافات العملاقـة بالسـاحات، والتـي شـملتها أوامـر الإدارة بتوفـير الطاقـة مادامـت الملاحـة مُعَطلـة، ومـن آنٍ لآخـر يهـزأ الـبرق بسـيادة الظـلام، فينعكـس نـوره عـلى وجـه زيـن الجالـس مفـرود السـاقين، يقـاوم نعاسـه وخَـدَر عضلاتـه بكـوبٍ مـن القهـوة السـوداء، مـن آنٍ لآخـر يلقـي نظـرة روتينيـة عـلى رفعـت المُسـتقِر في المقعـد المجـاور.

لا شـخير يُنبـئ إن كان نائمًـا أم لا بجلسـته التـي لم يبدلهـا مُنـذ عـاد مـن زيارتـه الأخـيرة لـدورة الميـاه قبـل مـا يزيـد عـن السـاعة، لا حركـة لضلوعـه مـن

تحت الثياب الثقيلة توحي بدخول وخروج أنفاس أصلًا، المنظار الداكن يغطي أغلب صفحة وجهه الأسمر الصغير ذي الشعر الأكرت والزغب الخفيف أعلى الشفتين الغليظتين المُنطبقتين، ساقاه متقاطعتان، وإلى جوار حذاءه الكاوتشوكي ترقد حقيبة بلاستيكية تحوي بقايا الوجبة التي التهم منها النزر اليسير.

رفع –زين- عينيه إلى أرقام الساعة الهولوجرامية القريبة، وتنهد.

يمكنني يا أمل أن أصِف لكِ ما يحدث الآن كما لو كنت أراه رأي العين.

هل ترينَ الطوافة الضخمة التي تحمِل على جانبها المطلي بالسواد شعار E. N. بارزًا؟ لقد غادرت مزرعة الوادي الجديد –مقر خدمتي القديم- وها هي تلفظ حمولتها من الصيادين بالقرب من الموقِع الذي حددته صور الأقمار الصناعية التي دسسناها نحن على شبكة بياناتهم.

هؤلاء المُقنعون المتشحون بالسواد هُم زملائي القدامى من الصيادين، ها هُم يحثون الخُطى في هذا القفر المظلم قُرب حدود محافظة أسيوط، أسلحتهم مُشهَرة، وأصابعهم على الأزندة وأعينهم من وراء مناظير الرؤية الليلية تمسح الدائرة المحيطة بهم، هُم متوترين، متحفزين، لم تُهدِّئ من روعهم طمأنة قائدهم لهم أن الصيد هذه المرة حقيقي، ولن يستغرق وقتًا.

أراهم يستجيبونَ لإشارة الكابتن الذي يتقدمهم إثر اقترابهم من موضع احتشاد البطاريات بين أنقاض مدينة صناعية بدائية مهجورة، فيضغطون أزرار أسلحتهم لضبطها على استعمال الخزينة المحشوة بالطلقات المُخَدِرة بدلًا من الرصاص الحي.

وهناك، في الظلام، وراء جدران الورَش المهجورة نِصف المُهَدمة، يربُض رجالنا المُدربين شاكي السلاح يرقبون من بين فتحات المباني وشقوق الأبواب الخشبية وصول صيادي Egy- Nergy إليهم.

تلفتَ يمنةً ويسرة ليتأكد من انصراف مَن حوله إلى ملكوت النعاس، فتاة شابة صاحية تقرأ من تابلت بين كفيها، وتجلس واضعةً ساقًا على

ساقٍ في مقعدها، يفصلها عن موضعه صفان من المقاعد، التقت عيناها بعينيه فابتسمت له وهي تزيح بأصابعها خصلات شعرها المُنسَدِلة على أذنها، لم يتوقف عندها، وضغط أزرار هاتفه النقال بتتابع سريع هامسًا بالكود السري بصوت لم يكَد يغادر شفتيه، وبعد ثوان جَرت خلالها عمليات تأمين بالغة الدقة والحساسية لموجة الاتصال، رأى عبر العدستين الملتصقتين بعينيه هولوجرام للكابتن دونالد تريفور، المارينز القديم وقائد مُعسكر التدريب، وسمع صوته يتردد عبر السماعة الدقيقة المُستقِرة في أذنه بالأمريكية:

- زين، هل جننت؟!

نهض من مقعده وسار ببطء باتجاه الجدار الزجاجي المطِل على الظلام بالخارج، همَسَ بنفس الطبقة غير المسموعة التي يلتقطها جهاز الاتصال الحساس:

- أردت فقط أن أبلغك بأني لازلت عالقًا هنا في مطار الغردقة بسبب العـ ...

- هذا ليس من شأني يا بُنَي، التعليمات هي أن تختفي تمامًا من دون أن يعلم أحد موقعك.

- لماذا؟

- (بإصرار): هذا ليس من شأني.

- (بإصرار): أخبرني يا كابتن.

- أنا نفسي لا أعلم. زين، القرارات قادمة من الأدوار العليا.

- هذا الغموض يثير توتري حقًّا.

- حاول ألا تشغل نفسك بغير المهمة التي كُلِّفتَ بها.

تنهد زين، واستدار يلقي نظرة على رفعت ثم تساءل:

- هل انطلق الرجال؟

صمَتَ تريفور للحظة بدا خلالها وكأنه سيصُد السؤال بإجابة مُفحِمة تغلق باب المناقشة والمكالمة كلها، غير أن علامات القلق الشديد التي

حفـرت الوجـه الهولوجرامـي لمُحدثـه الشـاب جعلتـه يعـدل قائـلًا:

- المجموعات الثلاث أقلعت في موعدها.

حَدثَ كل شيء في ثانية واحدة يا أمل.

كيف؟

ربمـا لأن صيـادي الشركـة قنصـوا ثلاثـة مـن المُشرديـن كانـوا يمرحـون بـين الأنقـاض، فاسـترخَت أعصابهـم واطمأنـوا إلى أن هـذا الموقـع المقبِـض ليـس شَرَكًا منصوبًـا لاصطيادهـم، كـما حـدث مـرارًا لهـم ولزملائهـم طيلـة الشـهور السـابقة.

وربمـا لأن رجالنـا كانـوا مسـتعدين ومنتشريـن باحترافيـة في أرجـاء المـكان، وعندمـا تحركـوا فعلوهـا في لحظـة واحـدة أطلـق خلالهـا كل واحـدٍ منهـم طلقـة وحيـدة مكتومـة أسـقطت واحـدًا مـن صيـادي E. N ... طلقـة واحـدة لـكل رأس.

في ثانيـة واحـدة سـقط مـا يزيـد عـن العشريـن صيـادًا بـرءوس توسـطتها ثقـوب سـوداء تنبثـق منهـا الدمـاء، لم يجـدوا وقتًـا للصدمـة حتـى!

وعندمـا تلقـى الطيـار -وكان يمسح المـكان بطوافتـه بحثًـا عـمَّ يَريـب- إشـارة العـودة مـن قائـد المجموعـة، لم يشُـك في شيء، هبـط بطوافتـه في موضـع خـالٍ مـن الأنقـاض، ضغـط أزراره فانفتحَـت الأبـواب للصياديـن العائديـن بحمولتهم، ليُفاجـأ بتلـك الفوهـة البـاردة تلتصـق بمؤخـرة رأسـه.

- هل بلغوا الأهداف؟

قالهـا زيـن وهـو يتابـع عامـل النظافـة، الـذي وقـف يحـدق بنظـرة طويلـة في هيئـة رفعـت العجيبـة، قبـل أن يواصـل جمـع المُخلفـات المُلقـاة مـن عِلَـب وأطبـاق مـن الفـوم الأبيـض تتـدلى منهـا بقايـا أطعمـة.

أجابـه الكابـتن تريفـور مـن مقـره الخـاص بمعسـكر التدريـب وهـو يرمـق الشاشـات والخرائـط الهولوجراميـة مـن حولـه:

- مجموعتـا الـوادي الجديـد والعلمـين تـكادان أن تصـلا إلى هدفيهـما. مجموعـة أسـوان متأخـرة بمقـدار سـبعة دقائـق عـن الجـدول الزمنـي بسـبب

العاصفـة.

وزفر مستطردًا:

- لقـد أبلغنـا المجموعتـين الأولى والثانيـة بهـذا التأخـير حتـى تؤخِـرا سـاعة الصفـر بنفـس المقـدار؛ كيـلا تسـبقا المجموعـة الثالثـة فتطـير أخبارهـما لمزرعـة أسـوان ونخـسر عامـل المفاجـأة.

انتبـه زيـن لنـبرة صوتـه التـي غشـتها نغمـة مـن التوتـر، فرمـق الهولوجـرام الـذي يسـبح في الفـراغ أمـام عينيـه وتسـاءل:

- فيمَ قلقك تحديدًا، كابتن؟

سألته يا أمل وأنا بالإجابة عليم.

العمليـة ضخمـة وحاسـمة، مـزارع الطاقـة الثـلاث المُسـتهدفة بالعلمـين وأسـوان والـوادي الجديـد هـي المـزارع الأكـبر في مـصر، بـل وفي المنطقـة كلهـا. المـزارع التـي تمِـد الجيـش والمؤسسـات وخدمـات البنيـة الأساسـية بحاجتهـا مـن الطاقـة، وأنـتِ تعلمـين يـا عزيـزتي أنهـا تقريبًـا المـزارع المتبقيـة في الخدمـة في مـصر، بعـد أن شَـلَّت ضرباتنـا عمليـات الصيـد والإنتـاج مـن المـزارع الأخـرى الأصغـر؛ لـذا فالحراسـة عليهـا مُشَـددة، واجتيـاح هـذه المـزارع الثـلاث وتحريـر البطاريـات هـو الضربـة القاصمـة، رصاصـة الخـلاص التـي ستُسـقِط مـا تبقـى للشركـة الأم مـن قـدرة.

العمليـة ضخمـة وحاسـمة، ومـا يـدور في هـذه اللحظـات في مـصر، يجـري مثلـه في كل دول العـالم، التوقيـت هـو اسـم اللعبـة هنـا.

قال الكابتن تريفور:

- لا أعلـم هـل سـتفهمني أم لا يـا بُنَـي. الجـدول الزمنـي لم يتأثـر بشـكل جـاد بالعاصفـة.

- كل شيء على ما يُرام، وهذا في حد ذاته يقلقني.

قـال إنـه اعتـادَ طيلـة أعـوام خدمتـه بمشـاة البحريـة الأمريكيـة عـلى متاعـب حقيقيـة تهـدد العمليـات التـي خاضهـا بالإخفـاق، والإخفـاق يعنـي المـوت أو مـا هـو أسـوأ: الأسر. تعـوَّدَ أن يظـل مشـدودًا مُهـدَّدًا عـلى حافـة الخطـر حتـى

تنتهـي العمليـة.

- أمـا أن تسـير عمليـة بهـذا الحجـم بهـذه السلاسـة فأمـر يُوَتِـرَني بأكـثر مـما يُطمئنـي.

كنت أنصت إليه بأذُن واحدة وبنصف وعي يا أمل ...

النصـف الآخـر كان هنـاك، في الطوافـة التـي تُحلِّـق في الظـلام غربًـا عائـدة صَـوبَ مزرعـة الـوادي الجديـد تحـت وابـل المطـر وقصـف الـبرق والرعـد. ظـلام بالأعـلى وبالأسـفل، يمينًـا ويسـارًا، أمامًـا وخلفًـا، بالخـارج والداخـل، داخـل الصـدور.

رجالنـا الذيـن أسـقطوا صيـادي الشركـة واسـتولوا عـلى ثيابهـم وعتادهـم، واتخـذوا أماكنهـم في الطوافـة هُـم ماكينـات مبرمجـة عـلى القتـال والقتـل بـلا هـوادة، مُرتزقـة مُنتقـون بعنايـة فائقـة مـن بـؤَر الحـروب الأهليـة بسـوريَّة والأناضـول خـلال العقديـن الماضيـين، دُرِّبـوا طويـلًا عـلى هـذه العمليـة وِفـقَ برنامـج شـاركت بنفسـي في إعـداده وتطويـره، وأشرفـت عـلى تنفيـذه باعتبـاري عينًـا قادمـة مـن داخـل الهـدف، وتـم تعميمه عـلى معسـكرات التدريـب في كل دوَل العـالم مـن أجـل الإعـداد لهـذه اللحظـة.

هـؤلاء الشـياطين جاهـزون ومُدرَبـون ليفاجِئـوا الكتيبـة التـي تحمـي مزرعـة الـوادي الجديـد مفاجأتهـا الأخـيرة، عضلاتهـم منتفخـة وعروقهـم نافـرة، العيـون المتحجـرة رأت الكثـير ولم يعـد الخـوف يعـرف طريقًـا لنظراتهـا، لا قيمة -باسـتثناء المـال- يمكـن أن تثيرهـم أو تتحكـم في دوافعهـم، حتـى المـوت فقـد رهبتـه داخـل قلوبهـم الميتـة بعـد مـا واجهـوه وأفلتـوا مـن بـين فكيـه مـرارًا.

كـم عددهـم؟ المئـات يـا عزيـزتي أمـل وربمـا الآلاف، لا تنسَـي أنـه خـلال هـذه اللحظـات تقطـع مئـات الطوافـات سـماوات العـالم باتجـاه مـزارع Egy- Nergy حاملـة أمثـال هـؤلاء.

أضـواء الكشـافات المُوَزعـة عـلى أسـوار مزرعـة الـوادي الجديـد تظهـر عـن بُعـد، الآن يُجـري الطيـار اتصـالًا لاسـلكيًّا يشـتمل عـلى الأكـواد الأمنيـة التـي تفيـد بـأن كل شيء طبيعـي، الأكـواد التقليديـة والأكـواد الجديـدة التـي

استحدثتها القوات المُسلحة التي تسلمَت مهمة حماية مُنشآت E.N. يُدلي الطيار بهذه الأكواد طوعًا وبطريقة طبيعية بعد أن خضع لسيطرة عقلية مؤقتة بفعل الإبرة التي انغرست في وريده وحقنِه بعقارٍ كيميائي ألغى إرادته وجعله عجينة طرية بين أيدي القوة التي قتلت رفاقه واختطفت طوافته.

صمت الكابتن تريفور قليلًا ثم هَز رأسه وابتسم قائلًا:

- أن أعود إلى العالم بعد زَوج من الساعات، هذا الأمر مُربِك بعض الشيء!

المارينز القديم لم يغادر معسكر التدريب المُقام في بقعة نائية جنوب الصحراء الغربية، قرب الحدود المصرية الليبية منذ ما يزيد عن العام. قَدِمَ إليه مُرتزقًا وسيغادره مليونيرًا بهوية جديدة واسم مختلف وحساب بالملايين في بنوك سويسرا.

- التقاعُد حلمٌ عزيزٌ على أمثالي تحقيقه.

لم يسمع زين العبارة الأخيرة.

كان في هذه اللحظة يُحدِّق في الشاب الواقف خلف ماكينة الاسبريسو، والذي تفصله عنه عشرات الأمتار.

الشاب الوديع في زي عُمال كافيتريا القاعة، التقَت عيناهما فوجده زين يحدِّق فيه عن بُعد بإمعان، وما أن تلاقت الأعين حتى زاغ الشاب ببصره، ليدُق جرس الإنذار بقوة في رأس زين وتتدافع الصور إلى مقدمة رأسه.

فتاة شابة صاحية تقرأ من تابلت بين كفيها، وتجلس واضعةً ساقًا على ساق في مقعدها الذي يفصلها عن موضعه صفان من المقاعد، التقت عيناها بعينيه فابتسمت له وهي تزيح بأصابعها خصلات شعرها المُنسَدِلة على أذنها.

عامل النظافة الذي وقف يحدق بنظرة طويلة في هيئة رفعت العجيبة قبل أن يواصل جمع المُخلفات المُلقاة من عِلَب وأطباق من الفوم

الأبيـض تتـدلى منهـا بقايـا أطعمـة.

- زووم ... ٨٠٪.

لم يميـز الكابـتن تريفـور مـا هَمَـسَ بـه زيـن لأول وهلـة، وكاد يسـأله مسـتوضِحًا، قبـل أن يسـتوعب ذهنـه المُـدرَب طبيعـة مـا قيـل فأطبَـقَ شـفتيه منتظـرًا التفسـير.

أمـا زيـن، فضاقـت حدقتـاه وهـو يراقـب التفاصيـل أمامـه تـزداد وضوحًـا، بعـد أن اسـتجابت العدسـتان الذكيتـان الملتصقتـان بعينيـه والمتصلتـان بكمبيوتـر هاتفـه الخلـوي لأمـره الصـوتي وقامتـا بتكبـير النقطـة التـي يتعامـد عليهـا بـصره، وشـيئًا فشـيئًا، مَيَّـزَ السـواد داخـل أذن عامـل الكافيتريـا الشـاب.

- فتى الاسبرسو، توجَد سماعة اتصال في أذنه!

قالهـا همسًـا بتوتـر، وفي اللحظـة التاليـة اختفـى هولوجـرام تريفـور مـن أمـام عَدسـتيه إثـر قطـع الأخـير للاتصـال، كإجـراء أمنـي فـوري عَلِمَـهُ الشـاب، فلـم يسـتغربه ولم ينشـغل بـه للحظـة.

انـصرف ذهنـه وعينـاه إلى المئـات المحيطـين بـه في قاعـة المطار الفسـيحة، من افـترش منهـم الأرض وغـاب في النـوم، ومـن ظـل مسـتيقظًا يتبـادل الأحاديـث مـع جيرانـه أو يتصفـح الإنترنـت.

ضاقت حدقتاه وهو يتنقل بينهم مُتفرسًا ومتفحِصًا.

هـذا الواقـف مُرتكِنًـا إلى الجـدار قُبالـة المصاعِـد يـا أمـل، يمكننـي أن أقسـم لـكِ أنـه لم يتحـرك مـن موقعـه مُنـذ أكـثر مـن سـاعتين!

مُنتفِـخ العضـلات الـذي يرتـدي زي الأمـن، ويَسـد المخـرج المـؤدي للطابـق السُـفلي حامـلًا عصـا مُكهربـة بـين أصابعـه، هـل تريـنَ هـذه النظـرة العدائيـة التـي يرمقنـا بهـا؟!

أغصـان الخـوف تنمـو بسرعـة وتلتَـف حـول روحـه، بينمـا هـو يديـر عينيـه فيـما ومَـن حولـه.

هـل انتشـار هـذا العـدد مـن رجـال أمـن المطـار أمـر طبيعـي؟ هـل هـي تداعيـات الحَشـد الـذي سـبَبتهُ العاصفـة بالخـارج؟ أم أنهـم هنـا خِصيصًـا مـن

أجلنـا؟!

لم يَـدرِ إن كان الانطبـاع الـذي تَشـكَّلَ في ذهنـه وسرى في عروقـه كالسُـم بـأن كل مَـن بالقاعـة يختلسـون النظـر إليـه وإلى رفعـت هـو انطبـاع حقيقـي، أَم وليـد القلـق الـذي أسـفر عـن مغـص انقبضـت لـه أحشـاؤه.

للحظـات تجمـد في مكانـه شـاعرًا بالعجـز عـن التفكـير في أي شيء، قبـل أن يلتقـط نفسًـا عميقًـا يملأ بـه صـدره ويفرغـه ببطء، كـرر هـذه العمليـة لتسريـب مـا احتشـدَ بأعماقـه مـن مشـاعر سـلبية، ثـم عـاد ببطء إلى مقعـده بجـوار رفعـت.

أغمضَ عينيه، وكرر التنفس بعمق.

إهدأ يا زين ... إهدأ.

هـؤلاء الصبيـة لـن يمسـكوا بِـكَ، أنـت تعـرف ذلـك، لـو كانـوا هنـا مـن أجلك، فدورهـم فقـط هـو حِصـارَك حتـى يـأتي الكِبـار بأسـلحتهم ومعداتهـم، رجـال الشرطـة أو الجيـش أو زمـلاء العمـل القدامـى بــ E. N ... الصيـادون والعمـلاء الذيـن سـيصلون بـين لحظـة وأخـرى.

كيف حدث هذا؟! كيف وصلوا إلينا؟!

إهـدأ واندهِـش لاحقًـا يـا فتـى، أمـا الآن ففكِّـر في كيفيـة الإفلات مـن هـذه المصيدة!

تذكر أن أمل تعتمِد عليك.

أمل يا زين!

خفق قلبه.

بالضبط! ماداموا قد وصلوا لكما، فالاحتمال كبير أنهم وصلوا إليها.

أمل بحاجة لك، ولكي تغيثها فعليك أولًا الخروج من هنا.

فَكِّر ... فَكِّر ... فَكِّر ...

سـيكون ضربًـا مـن العبـث أن تنهـض لقتـال كل هـذا العـدد، أنـت تفوقهـم تدريبًـا بالتأكيـد، ولكـن القـوة ليسـت كل شيء، فطلقـة واحـدة مُخـدِرة تنطلـق مـن مُسـدس أحدهـم عـن بُعـد ستحسِـم المعركـة، وهُـم منتـشرون بشـكل

جيد يُصعِّب من مهمة قتالهم.

فَكِّر.

أنت بحاجة لأن تختفي مع رفيقَك من أمام أعينهم، كيف يمكن أن يتحقق هذا؟

القاعة هادئة نوعًا ما بعد أن غَطَّت الغالبية في نومٍ عميق، لو كانوا مُستيقظين لكان الأمر أهوَن.

وقتك ينفد بسرعة يا فتى! فَكِّر أسرع.

أنت بحاجة لأن تختفي؛ لأن تزدحم الصالة مُجددًا ويعلو الضجيج، فتذوب أنت ورفيقك.

كيف توقِظ هؤلاء الحمقى؟

كيف تضِج مضاجعهم؟

حسنًا، أنت تعلم كيف.

كابوس!

وهنا فتح عينيه وأدارهما إلى جاره.

إلى رفعت.

***

-١٨-

استغرق نبأ إسقاط طوافة آدم المصري، رئيس مجلس إدارة Egy- Nergy المصرية ومالك أغلب أسهمها، والمدير الإقليمي للمجموعة الدولية فوق مياه البحر المتوسط قبالة سواحل الإسماعيلية زمنًا ليبلغ وسائل الإعلام، فيتصدر عناوين ومانشيتات جميع الصحف وبرامج البث المرئي والمسموع والمقروء ويحقق تريند على كل مواقع السوشيال ميديا بلا استثناء.

الخبر -وإن لم يأتِ على أن الإسقاط تم بواسطة صاروخ أرض جو انطلق من موضعٍ ما من جنوب شرق البحر المتوسط- كان مفاجئًا وبالذات في تلك الأجواء المشحونة بالقلق والترقب، تَلقته حكومات العالم بقدر هائل من الصدمة، واهتزت له أسواق المال كأشجار في قلب إعصار، غاضت قلوب البلايين الساهرة أمام الشاشات الهولوجرامية، وقد بدا لهم الخبر علامة على قُرب سقوط المنظومة التي بُنِيَت عليها حيواتهم، على عكس المتظاهرين ضد E. N. حول العالم، والذين ألهب الخبر حماستهم فتعالت هتافاتهم المُندِدة بلغاتٍ مختلفة، وهم يجوبون الشوارع باتجاه مقرات الشركة في العديد من الدوَل.

وعلى كل الشاشات والمواقع وعبر الأثير وفي البيوت والشوارع وداخل العقول والقلوب، أصبح التساؤل ضخمًا بارزًا حول مصير شركة E.N خلال الأيام، بل والساعات القليلة القادمة.

بعد الحادث بدقائق غشيت ظلمة هذه البقعة من البحر المتوسط أضواء كشافات طائرات الجيش، وسُفن خفر السواحل، وقوات البحرية المصرية التي بدأت في التوافد على موضع الحادث وفقًا للإحداثيات التي حددتها الرادارات وصور الأقمار الصناعية، رغم الأمواج الهائجة وسيول الأمطار، ظلت النيران المشتعلة في حطام الطوافة المتناثر على مساحة واسعة من دون أن تنكسر شوكتها، وعلى الفور ضُرِبَ سياجٌ حول المكان

لمنع كاميرات الصحافة ووكالات الأنباء من الاقتراب، الأمر الذي أُخطِرَ به إبراهيم جودة من مصادر داخلية مُطلِعة حذرته من أن الجيش لن يتهاون هذه المرة، فألغى الرحلة التي كانت على وشك نقل مراسل محطته التليفزيونية إلى موقع الحادث، نظر بوجه محتقن وعينين جاحظتين لسكرتيرته فهَزَّت رأسها، وعادت تحاول للمرة الألف الاتصال بعمرو عزام على جميع أرقامه.

أما فؤاد سلطان ومحيي الدين ذو الفقار، فقد كانت المكالمة بينهما في دقائقها الأولى أقرب للمقدمات الرسمية، أو لتمارين التسخين التي تسبق المباريات الرياضية المهمة، ورغم دقة وصعوبة الوضع وما فرضه من توتر طبيعي، بدا الاستخباريَّان المُخضرمان، وهما يُناقِشان المعلومات الأولية المُتاحة عن الحادث أشبه ما يكونان بذئبين عجوزين يدوران حول بعضهما البعض؛ كي يقيس كلٌّ منهما قوة وإمكانيات الآخر قبل أن يلتحما.

وفي لحظة معينة، قال ذو الفقار فجأة:

- سيادة اللوا، ما تيجى نكشف ورقنا؟

رغم مفاجأة السؤال إلا أن فؤاد سلطان كان بشكلٍ ما ينتظره أو للدقة ينتظر نقلة معينة على رقعة هذه المكالمة غير المألوفة تكشف هدفها، وعلِمَ أن محاوره الأريب سينتظر حتى تظهر له إشارة كالتي يراها الآن على طرف الهولوجرام، تُطمئنه أن التشويش قد بدأ، وأن المكالمة لم تعُد مُراقبة ولا مسجلة حتى يكشف أوراقه؛ لذا فلم يبدُ أي تأثير يُذكر على ملامحه لهذه الانعطافة المباغتة في الحوار، وقال بهدوء:

- اتفضل يا مُحيي بيه.

تساءل ذو الفقار بلهجة لم تخلُ من حزم:

- هتاخد القرار الصحيح إمتى؟

- إيه القرار الصحيح؟

- القرار المسئول.

- تجاه؟

- تجاه البلد ... الشعب.

وصمت لحظة ثم أضاف:

- تجاه نفسك ... ولادك.

لم يبدُ أي انفعال على صفحة وجه فؤاد سلطان وهو يتلقى ما وراء الكلمات، وقال:

- بعد السنين دي كلها لسه مش عارفني يا مُحيي؟!

ابتسم ذو الفقار قائلًا:

- أنا مش بَهدِدك يا فؤاد.

نظر له سلطان من دون أن يُعَقِّب، فاستطرد:

- التشبت بسفينة بتغرق مش شجاعة ولا مسئولية.

قطب سلطان متسائلًا ببرود:

- وإغراقها هو اللي شجاعة ومسئولية؟

- لولا انها سفينة ضعيفة مكانِتش تغرق.

- الخيانة تُضعِف وتغرَّق أي حاجة.

مَطَّ ذو الفقار شفتيه قائلًا:

- مش ف مجال تراشق بالاتهامات دلوقتي. خلاص، المركب بتغرق يا قبطان أيًّا كان السبب. هَتغرق معاها ولا هَتنُط للسفينة الأقوى؟

تساءل سلطان بازدراء:

- سفينتك؟

هز ذو الفقار رأسه وأجاب:

- سفينة نوح.

- زمن الأنبياء وَلَّى.

- بس الطوفان لسه، والسفينة كمان لسه.

- وانت متصور ان سفينتك هتقاوم الطوفان لما ييجي؟

تشققت شفتا ذي الفقار عن بسمة قاسية وهو يقول:

- الأيام مفيش اسرع منها.

مال سلطان للأمام قليلًا وهو يقول:

- إيه اللي خلاك متخيل انى ممكن اقبل أخون البلد؟!

قال ذو الفقار باستنكار مسرحي اللهجة:

- مين طلب منك تخون البلد؟! دا انا بَقولَّك تنقذها!

- أنقذها بإني أخون سلطتها الشرعية؟!

- السلطة الشرعية هي السلطة المُتمكنة، المسيطرة. «المُتغلِبة» زي ما الدقون كانوا بيقولوا زمان.

- وفتحي منصور مش مسيطِر؟!

أجابه ذو الفقار بهدوء:

- فتحي منصور حاليًا أقرب لريشة في مهب الريح، هو مُتخيِل انه لسه عنده قدرة وهامش مناورة يقدر يلاعبنا من خلاله ويوقف قطرنا، بس الحقيقة اللي انت عارفها انه مش مسيطر غير على أقل من ١٥٪ من مُقدرات السُلطة في البلد.

وحدَّقَ في عيني صاحبه مستطردًا:

- لو كان فعلًا عنده السلطة الحقيقية، ماكُوناش نقدر نكبر ونتغلغل في كل مكان في البلد أودام عينيه من غير ما يشوفنا.

قال سلطان:

- إنتو تحت المنظار من أكتر من سنتين.

أومأ ذو الفقار برأسه وهو يقول:

- أيوا، من ساعة ما انت مسكت منصبك، إنما إحنا أولريدي بدأنا نتحرك من قبلها بكتير، وفعليًّا البلد بقت فـ إيدينا.

- وكل دا عشان ايه؟

عادت الابتسامة إلى شفتي ذو الفقار القاسيتين وهو يقول:

- عيب تسأل السؤال دا يا سيادة رئيس مخابرات الرئاسة!

كرر سلطان بإصرار:

- عشان ايه؟

أجابه ذو الفقار هذه المرة:

- عشان معادلة فتحي منصور- آدم المصري لازم تتغير.

- وَضَّح يا مُحيي.

- منظومة Egy- Nergy مينفعش تكمِّل أكتر من كدا.

- و؟!

- المنظومة دي مش هَتستمِر من غير دعم الأنظمة السياسية، وعلى رأسها نظام فتحي منصور.

- وانت عايز تزيح منظومة Egy- Nergy ليه؟

- لو قولتلك عشان عالم أفضل هَتصدقني؟

- لو قولتلي بيزنس هَتبقى المناقشة جادة أكتر.

هَز ذو الفقار كتفيه قائلًا:

- أي أكشن مِش مَحمي بمظلة البيزنس هو أكشن محكوم عليه بالفشل.

تساءل سلطان:

- بيزنس بعيد عن Egy- Nergy؟!

ران الصمت للحظات قليلة قبل أن يقول ذو الفقار:

- من أكتر من عشر سنين الهيئة الهندسية للقوات المسلحة اشتركت مع قسم الفيزياء النووية بجامعة القاهرة في أبحاث تطوير تقنيات الاندماج النووي في الفضاء الخارجي. فاكره؟

أومأ سلطان برأسه قائلًا:

- المشروع دا وقف من سنين.

- وقف بأوامر عليا صدرت من ديوان رئيس الجمهورية، فاكر مين كان رئيس ديوان رئيس الجمهورية من عشر سنين؟

أطبق سلطان شفتيه، فتابع ذو الفقار:

- فتحي منصور كان ساعتها بيحمي استثمارات صديقه القديم آدم المصري، وبيحمي النسبة الضخمة اللي بتتحول دوريًا لحساباته السرية، انت عارف انه استصدر قرار جمهوري بوقف الأبحاث دي، عشان لو

كانت اكتملت كانت هتبقى بديل مناسب مقبول لطاقة Egy- Nergy.

أكملَ سلطان:

- والأبحاث وقفت علنًا، بس انتو كملتوها فـ السر.

ابتسم محيي وقال:

- مش بس الأبحاث!

صمتَ فؤاد سلطان وبانت أمارات الصدمة على شفتيه المزمومتين وعينيه اللتين حدقتا بغير تصديق في هولوجرام محيي الدين ذو الفقار الذي أكمَل:

- الشغل دا اتعمل على مدى سنين، وتأمين سريته بس كان بيستهلك ملايين شهريًّا ... والنتيجة كانت مبشرة لغاية ما سَلَفَك القديم كشف اللعبة، وأوقفها وطار فيها كام رتبة من التُقال، ساعتها أدركنا ان فتحي منصور هيفضل عقبة أودام المشروع، وان إزالتها شرط الاستكمال.

- تاني: عشان إيه كل دا؟

- لو البيزنس هيرضيك كإجابة.

- وتفتكر البيزنس سبب كافي لإنى اقبل اخون شرعية نظام البلد واعرضها لخطر الفوضى؟

تأمل ذو الفقار ملامح مُحدِثه المُغضنة، الشيب الذي اكتسح رأسه وشاربه، عينيه المنهكتين الصريحتين، والبقعة الداكنة التي تظلل موضع السجود من جبهته.

قال:

- انا اعرفك من زمان يا فؤاد، إنت راجل مستقيم وبتؤدي واجبك بإخلاص، وعشان كدا بَقولَك: حتى لو اللي بنعمله دا بيزنس، فالبلد مستفيدة منه، المصريين اللي بيتقطعوا جوا ماكينات استخلاص الطاقة مستفيدين منه.

وصمت لحظة تلقى فيها دفقة صامتة من الاستخفاف من عيني نظيره، ردَّ عليها:

- إنـت مـش صغـير عشـان تفتكـر ان الخـير في الواقـع زي مـا بيعرضـوه في الأفـلام والروايـات، الخـير في الواقـع هـو أقـل الـشرور، أنفـع الـشرور.

- وهو المقامرة بالبلد وبالشعب مش شرور؟

- الـشر هـو انـك يبقـى فـ إيـدك إنقـاذ البلـد والشـعب مـن المقامـرة دي وتتقاعـس!

- تقصد ايه؟

قال ذو الفقار بحزم:

- اتخلى عن فتحي منصور.

قال سلطان بحزم مماثل:

- مش هَيحصل.

- بيـك ومـن غـيرك الـلي عايزينـه هَيتحقـق يـا فـؤاد. خـلاص، فـات أوان تحجيمنـا.

- أومال عايزني معاك ليه؟

- عشـان الأزمـة تتحَـل بأقـل خسـائر ممكنـة، عشـان توفـر عـلى البلـد دم أكـتر وفـوضى أخطـر ... إحنـا حريصـين اننـا مَندخلـش في صـدام مـع الحـرس الجمهـوري، وانـتَ الـلي تقـدر تمنـع حاجـة زي دي كفيلـة انهـا تحـرق مـصر كلهـا.

وخرج صوته أقرب للفحيح وهو يتابع:

- فتحـي منصـور لـو خـرج مـن الورطـة دي هيصفـي حسـاباته معانـا، مـش هَيسـيب حَـد مننـا، زي مـا قـال في الخطـاب بتاعـه، خـلاص الـدور قَفَـل وبقينـا يـا احنـا يـا هـو.

- هوَ الرئيس الشرعي.

قال ذو الفقار بغضب:

- انـتَ بتراهـن بالبلـد كلهـا عـلى حصـان خـسران يـا فـؤاد بعقليـة الموظـف الحكومـي دي. انـتَ عـارف ايـه الـلي بيحصـل في اللحظـات دي بالتحديـد، واحنـا مـش هَنتحـرك عشـان ننقـذ فتحـي منصـور فيقـوم معلقلِنـا المشـانق

بعدهـا.

لـو الطوفـان غـرَّق مـصر خـلال الـكام سـاعة الجايـين، اعـرَف انـك شريـك في دا بتعنُّتَـك وتمسُّـكَك بالسـفينة الغرقانـة.

- لو جه الطوفان، فكلنا هنغرق.

- إلا اللي هيركب السفينة.

وأردف من بين أسنانه:

- دا أهـم وأخلـص قـرار هتاخـده فـ حياتـك يـا فـؤاد، الوقـت ضيـق، خلينـا ننقـذ الـلي باقـي مـن مـصر.

سـاد صمـت مشـحون بعـد أن ألقـى حروفـه الأخـيرة، تبـادل خلالهـا الرجـلان نظـرة طويلـة التهَـمَ خلالهـا ذو الفقـار بعينيـه المصورتـين هولوجـرام مُحدِثـه الـذي غابـت عينـاه في طوفـان الأفـكار الـذي راح يهـدر داخـل جمجمتـه، حامـلًا أصـداء كل حـرف قيـلَ منـذ بدايـة المحادثـة ...

صمـت اسـتمر لمـا يقـرب مـن الدقيقـة، ثـم لم يلبـث أن رفـع عينيـه إلى هولوجـرام ذي الفقـار متسـائلًا:

- إنتو اللي أسقطتوا طوافة آدم المصري؟

***

-١٩-

- فتى الاسبرسو. توجَد سماعة اتصال في أذنه!

انفجرت العبارة في أذني الكابتن دونالد تريفور وقرقعت أصداؤها بعنف بين جنبات عقله.

وعلى الفور وكإجراء أمني احترازي لاإرادي قطع الاتصال الهاتفي مع زين شاعرًا بنبض في صدغه، وبدقات قلبه تتصاعد لتناهز ضرب الطبول ضجيجًا.

مساعدوه موَزعون أمام الشاشات الهولوجرامية التي تشِع من حوله وسط ظلام قاعة العمليات بمعسكر التدريب، الشاشات تنقل بثًّا مباشرًا للعملية التي تنفذها المجموعات الثلاث التي دربها بنفسه على اقتحام مزارع الطاقة بالعلمين وأسوان والوادي الجديد، وذلك من خلال العدسات الذكية الموزعة على أفراد المجموعات لنقل الحدث على الهواء.

عشرات التفاصيل من داخل طوافات Egy- Nergy الثلاث التي استولى عليها رجاله، وحلقت بهم في الظلام عائدة إلى المزارع إياها تحت وابل من المطر المنهمر، وجوههم القاسية المنحوتة من الصخر في الإضاءة الليلية، همهماتهم القليلة وسط أزيز المحركات والتشويش الاستاتيكي الذي سببته العاصفة.

يرى تريفور ويسمع ولكن بذهن مُنصرِف بالكلية إلى آخر ما سمعه من زين.

سماعة اتصال داخل أذن عامل ماكينة الاسبرسو بإحدى صالات الوصول بمطار الغردقة! هو يعلم جيدًا، وزين يعلم كذلك بأن أنظمة الاتصالات المُعتمدة بين الإدارة والعاملين في الأماكن ذات الأنشطة الخدمية والسياحية منها على وجه الخصوص لا تخلُ من الأوامر الصوتية التي تنتقل عبر سماعات أذن، يُزوَّد بها العاملون طيلة زمن الشيفت الخاص به، فما الذي

أثـار توجـس زيـن مـن أمـرٍ كهـذا؟!

أهـما القلـق والتوتـر انتقلـت عدواهـما منـه هـو في مركـز التدريـب إلى الشـاب القابـع في مطـار الغردقـة عـبر آلاف الكيلومـترات؟ أم أنَّـه رأى أمـرًا آخـر فجَّـرَ ريبتـه؟

ومضـة برقيـة أنـارَت ظـلام الصحـراء متراميـة الأطـراف خـارج زجـاج القاعـة لجـزء مـن الثانيـة.

نهـض يتنـاول علبـة مـن البـيرة المثلجـة مـن المـبرد، عَـب منهـا جرعـة طويلـة، ثـم خفضهـا وعـاد لأفـكاره.

ما الذي يخشاه حقًّا؟

أن يكـون زيـن واقعًـا تحـت نـوع مـن المراقبـة أو الحصـار؟ صعـب، التنسـيق منـذ البدايـة كان عـلى قـدرٍ عـالٍ مـن الدقـة والحرفيـة، بدليـل عـدم سـقوط فـرد واحـد مـن أفـراد المجموعـات التـي تقـوم بالأعـمال العسـكرية ضـد E.N بطـول البـلاد وعرضهـا طيلـة العـام المنـصرم، فـرد واحـد حـول العـالم لم يسـقط! أيَّـة براعـة!

مـا الـذي قـد يطـرأ فينجـم عنـه اخـتراق هـذه المنظومـة شـديدة الكفـاءة والوصـول إلى عنـصر مهـم بهـا كــ زيـن، ومـن ثـم الإيقـاع بـه؟!

أنـت تعلـم، عزيـزي دون –هكـذا فكـر مخاطبًـا نفسـه- أن كل الاحتـمالات مفتوحـة، وهنـاك دومًـا بدايـة لـكل شيء. «كل مـا يمكـن أن يحـدث، سـيحدث»، وأمنيتـك دومًـا كانـت أن تنتهـي مـن كل هـذا الــ shit لتكتمـل ملايينـك في البنـك، ثُـمَّ تـذوب قبـل أن يحـدث كل مـا يمكـن أن يحـدث.

نفـخ محـاولًا طـرد التوتـر مـن صـدره، ارتشـف مـن علبـة البـيرة وعـادَ إلى البَـث الهولوجرامـي المتواصـل مـن داخـل الطوافـات الموشـكة عـلى الهبـوط في مـزارع Egy- Nergy الكبريـات الثـلاث.

تـرددت عـبر سـماعات القاعـة العبـارات المُشـفرة مـن قائـد كل مجموعـة، يُبَلِّغـونَ بـأن طوافاتهـم عـلى وشـك الهبـوط، سـمعها بالتزامـن مـع اجتيـاز الطوافـات الثـلاث لأسـوار المـزارع في نفـس التوقيـت تقريبًـا.

عقد ساعديه وهو يطلب من أحد أفراد مجموعة العلمين أن يغير من زاويته بمقدار ٢٠ درجة غربًا ليسمح لعدستيه بتغطية أوسع للجناح الغربي للمزرعة.

مسح بعينيه ما ينقله بَث العدسات داخل الأسوار من منشآت خرسانية وأعمدة وأبراج ضغط وكشافات ضوئية قوية وحركة منتظمة لمركبات ذات عجل في الممرات بين المنشآت، وإلى الساحة الخالية المُطلة على مهابط الطوافات بالمحطات الثلاث.

زوايا التصوير تنخفض مع الهبوط العمودي الناعم للطوافات.

فرك أصابعه بتوتر.

ها هي اللحظة التي عَمِلَ لأجلها طويلًا تقترب.

بعد شهور من التدريبات المتواصلة التي أشرف عليها بنفسه، يثق تمام الثقة بقدرة رجاله على أداء المهام المطلوبة منهم، عاشرهم طويلًا حتى أدرك نقاط قوتهم فعززها، ونقاط ضعفهم فاستأصلها، تأكد من إتقان كل منهم لدوره المرسوم في الخطة الهجومية المُعَدة وفقًا للمعلومات التي أدلى بها زين عن أنظمة واستعدادات الأمن والحراسة داخل المزارع، والمُخططات الهندسية التي استخرجوها من على الشبكة وسمحت لهم ببناء مُجسمات دقيقة للمزارع، تدرب داخلها المقاتلون لما يقرب من العام، حتى صار بإمكانهم اقتحامها والقتال داخل فراغاتها وشَق طريقهم عَبرَ ممراتها بأعين مُغمضة إلى أجنحة احتجاز البطاريات.

الطوافات تستقر على المهابط الأسفلتية المُجهزة.

التقط نفسًا عميقًا، تراجعت مخاوفه وخواطره وقلقه بشأن زين إلى ركن صغير بمؤخرة وعيه، الذي انصرف بالكامل للمزارع التي تراءت له مع بدء مغادرة جنوده -في ثياب وخوذات الصيادين- للطوافات واصطفافهم إلى جوارها.

الفنيون بالمزارع الثلاث يتقدمون في أزيائهم البرتقالية المغطاة بسترات الووتر بروف ذات أغطية الرأس لتفريغ حمولة الطوافات التي يُفترَض

امتـلاء بطونهـا بالبطاريـات المُخَـدرة والمَوَثقـة.

العدسـات عـلى أعـين المقاتلـين تمسـح الأجـواء بدقـة، أعـداد الفنيـين، تمركـزات رجــال الأمــن، أبــراج الحراســة، الفتحــات المؤديــة إلى داخــل المُنشــآت، كل التفاصيـل سـليمة ومماثلـة لمـا خـبروه مـرارًا في تدريبـات المحـاكاة.

نظـر إلى أرقـام السـاعة، وإلى العَـد التنـازلي المجـاور لهـا، والـذي يعلـم أن ثمـة مثيـلًا لـه، متزامنًـا معـه في كُل غـرف العمليـات التـي تتابـع العمليـات المماثلـة التـي تجـري في هـذه اللحظـات داخـل المئـات مـن مـزارع الطاقـة حـول العـالم.

نفـسٌ آخـر طويـل مـلأ بـه صـدره، ثـم نطـق بكـود الاسـتعداد فسـمعه رجالـه في المجموعـات الثلاثـة شـمال وغـرب وجنـوب مـصر.

تحفـزت عضلاتهـم للعمـل، وركـز كلٌّ منهـم عـلى أهدافـه التـي سيسـقطها بنيرانـه بعـد ثـوان بمجـرد وصـول العَـد التنـازلي لنهايتـه وسـماع كـود الهجـوم.

الفنيون يقتربون منهم، يتقدمهم رئيس الوردية.

العدسـات تلتقـط وتَبُـث، وتريفـور يتحـرك عـلى الشاشـات التـي تتلقـى البـث بعينـي صقـر، يـدرس التفاصيـل ويحللهـا بعقـل أمنـي احـترافي بحثًـا عـن أي متغـير مخالـف لمـا جَـرَت عليـه التدريبـات.

العد التنازلي يقترب من مُنتهاه.

وبينما يتنقل من هولوجرام لهولوجرام، دق جرس الإنذار بغتة في عقله،

لكسر مـن الثانيـة لم يَـدرِ لمَ ... أدرك أن عقلـه الباطـن التقـطَ شـيئًا مـا غـير طبيعـي، لم ينتبـه لـه عقلـه الواعـي بعـد.

عـاد إلى الشاشـات التـي مَـر بهـا خـلال الثـواني الأخـيرة عكسـيًّا، يتفحصهـا بسرعـة ودقـة وتيـار مـن القلـق يَشُـق مجـراه بسرعـة في أعماقـه.

لا شيء، لا شيء، لا شيء، لا شـ ...

- (ينقر زرًّا): B-9.

انتبـه لـه عـلى الفـور المُقاتِـل صاحـب الكـود الـذي ذكـره مـن ضمـن مجموعـة الـوادي الجديـد.

أمره وهـو يرمـق الشاشـة بتغيـير زاويـة بـصره بضـع درجـات شَـمَالًا. أطاعـه

المُقاتـل وأدار رأسـه ببـطء نحـو مجموعـة الفنيـين الذيـن يقتربـون منهـم، حتـى صـاح بـه تريفـور أن يثبـت.

نَقَـرَ عـلى موضِـع مـن الشاشـة الهولوجراميـة التـي تنقـل بَثًّـا مـن عدسـتي المُقاتـل وهـو يقـول:

- زووم ٥٠٪.

فقامـت الشاشـة بتكبـير النقطـة التـي نقرهـا بالنسـبة التـي طلبهـا، وحَـدَّق هـو في وجـه الفنـي الـذي يتوسَـط الـكادر إذ يتقـدم بـين زملائـه.

الوجـه النحيـف الـذي امتـلأ بالسـحجات والكدمـات والانتفاخـات الملونـة بـالأزرق والأحمـر، وثمـة ندبـة واضحـة أعـلى شـفته العليـا.

قفـز بـصره إلى وجـوه زُملائـه مـن الفنيـين عـن يمينـه وشـماله، فـرأى ذات العلامـات.

لثانيـة شُـلَّ عقلـه بالكامـل عـن فهـم مـا يـراه، وفي الثانيـة التاليـة هَبَـط الفهـم عـلى وعيـه كامـلًا.

تذكر ما لَحظَه زين في المطار.

ثم سمعه مساعدوه ومُقاتلوه في المواقع الثلاثة يهمس:

- يا إلهى! ...

***

-٢٠-

خطـوات معـدودة اسـتطاع بَصَلـة قطعهـا داخـل أسـوار مزرعـة الـوادي الجديـد عندمـا قامـت القيامـة.

في الثـواني القليلـة السـابقة عـلى هـذا الـدوي المرعـب الـذي صَـمَّ أذنيـه وزلـزلَ كيانـه، والدمـاء التـي تناثـرت عـلى وجهـه وثيابـه البرتقاليـة التي ألبسـوه إياهـا قبـل سـاعة واحـدة كي يخرجـوه مـن زنزانتـه؛ ليصطـف مـع رفاقـه تحـت المطـر ... في الثـواني السـابقة عـلى كل هـذا، كان ذهنـه مشـغولًا بوجبـة الغـد، كـم بقـي عـلى موعدهـا؟ وهـل سـيكون محظوظًـا بقطعـة أكـبر مـن اللحـم المسـلوق كـما كان بالأمـس؟

الحق أنه كان سعيدًا راضيًا، ولِمَ لا يفعل؟

خـرج مـن جحيـم السـجن الـذي قَـضَى فيـه أيامًـا لا يعلـم عددهـا مُنـذ أُلقِـيَ القبـض عليـه عنـد حـدود محافظـة قِنـا في أعقـاب تلـك العاركـة الكبـيرة -«الغـزوة» كـما يقـول الأخ أبـو أنـس- والتـي خاضهـا ورفاقـه، وخرجـوا منهـا بأشـوِلة دقيـق وصفائـح جـبن وزيـت حاولـوا العـودة بهـا إلى العِـب الصحـراوي الـذي تعيـش فيـه عشـيرتُهم.

أخرجـوه -لا يـدري مـن هُـم الذيـن فعلـوا، ولم يهتـم بالسـؤال- مـن جحيـم السـجن بعـد زمـن بـدا لـه أزليًّـا ثقيـلًا تلقَّـى فيـه صنوفًـا مـن العـذاب والضرب المُـبرح باللكـمات والـركلات والكرابيـج، التعليـق، الصعـق بالكهربـاء، الـكلاب التـي نهشـت مـن لحمـه، الحرمـان مـن الطعـام والنـوم، ومـن الهـواء النقـي الـذي عـاش يتنفسـه في الصحـراء طيلـة الربـع قـرن الأخـير مـن عمـره.

أخرجـوه مـن هـذا الجحيـم وجـاءوا بـه إلى هنـا، فلِمَ لا يكـون سـعيدًا راضيًـا بـل ومُمتنًّا؟!

خطوتـه الأولى عندمـا قامـت القيامـة كانـت أقـرب لوثبـة لاإراديـة للـوراء إثـر انفجـار رأس هـذا «الشَّـحط» الـذي كان يبعـد عنـه ببضعـة أمتـار، المتشـح

بالسـواد، المُدجـج بالسـلاح، والـذي رآه بَصَلـة يهبـط مـع زملائـه مـن الطوافـة قبـل قليـل.

اقـترن هـذا الانفجـار الناجـم عـن طلقـة صائبـة اخترقـت جمجمتـه بدمـاء وشـظايا وأشـلاء تناثـرت بعنـف مـن هـذه الجمجمـة المُنفجـرة في كل الاتجاهات ونـال هـو -بَصَلـة- نصيبًـا منهـا لَطَّـخَ وجهـه وثيابـه، بالتزامـن مـع الـدوي العنيـف الـذي هَـدَر مـن جميـع الجهـات مـن حولـه.

أجفـل وانتفـض قلبـه في قفصِـه الصـدري، ودفـع جسـده للـوراء بحركـة غريزيـة، بينـما الجثـة التـي انفجـرت رأسُـها أمامـه تهـوي أرضًـا.

ولِمَ لا يهنأ وقد طَعِمَ من جوعٍ وأمِنَ من خوف؟!

مُنـذ أخرجـوه مـن الحفـرة المظلمـة -زنزانتـه بالجحيـم- ونقلـوه إلى هـذا المـكان وهـو يعيـش نعيـمًا لم يذقـه طيلـة أعوامـه التـي زادت عـن الثلاثـين بعامـين أو ثلاثـة، عولِجَـت جراحـه، نـامَ بعمـق، أكلَ وذاق الشـبع الـذي لم يعرفـه يومًـا، ولأول مـرة بـدأت طبقـة اللحـم المحيطـة بعظامـه وعضلاتـه تـزداد سـمكًا.

لم يهتـم بالسـؤال عـن هـذا المـكان وعِلـة بقائـه فيـه، اكتفـى بالانقضـاض على وجباتـه بشراهـة الحيوانـات الضاريـة كلـما دفعـوا بهـا لـه داخـل زنزانتـه حتـى يـأتي عليهـا بالكامـل، ثـم يسـتلقي بعدهـا عـلى ظهـره مسـتمتعًا بالأورجـازم المصاحـب لامتـلاء معدتـه، وشـاعرًا بامتنـان شـديد لسـجانيه ذوي الأزيـاء الرماديَّـة المُوَحـدة، يـسرح ذهنـه بعيـدًا، هنـاك في العِـب؛ حيـث العشـيرة؛ حيـث المـرأة والعيـال. تناوشـه الرغبـة؛ إذ يتذكـر سـخونة جسـدها -قليـل اللحـم والشـحم- وحـرارة أنفاسـها في الليـالي البـاردة، يفتقـد الصِّغـار، ويتمنـى لـو كانـوا معـه هاهنـا ينعمـون بالطعـام الـذي حُرِمـوا منـه طيلـة أعمارهـم.

الطلقات الخارقة للدروع تنهمر من جميع الجهات كالمطر حاملة الموت.

لم يرهـا أو يميـز مصدرهـا، ولكنـه لمـحَ وميضهـا ورأى الدمـاء تتفجـر عـلى إثرهـا مـن الأجسـاد المتشـحة بالسـواد، نـيران مـن هنـا ومـن هنـاك، ونـيران مـن أعلى تصبهـا طيـور سـوداء -لم يعلـم أن اسـمها: درونـات- تحـوم في سـماء

الميـدان.

سـادَ الهـرج والمـرج وانفـرط الجمـع، الـكل يحـاول الجـري والهـرب في أي اتجـاه، ولكـن المـوت كان هـو الأسرع بامتيـاز، فـراح يحصـد أرواح الـكل، لا يفـرق بـين أحـد، سـواء مـن أبنـاء العشـيرة ممـن أُخرِجـوا مـن جحيـم أجهـزة الأمـن وجـيء بهـم جميعًـا إلى هنـا؛ حيـث طعمـوا وارتاحـوا، ثـم أُلبِسـوا تلـك الثيـاب البرتقاليـة، وسِـيقُوا ليموتـوا في هـذه المصيـدة، أو مِـن المرتزقـة المُدربـين الذيـن علمتهـم خـبرات الحـروب في الصحـاري والأحـراش أن يسـتهينوا بالمـوت، فنَشِـطَ الأخـير يتخطفهـم بسرعـة وثقـة تليقـان بكونـه حقيقـة أزليـة لا يجـوز الاسـتهانة بهـا.

حـاول بعضهـم ممـن لم تُصفِّيـه الطلقـات الخارقـة للـدروع في الثـواني الأولى أن يرفـع سـلاحه ويطلـق نيرانـه عشـوائيًّا باتجـاه الأسـوار، لكـن المـوت كان حاسـمًا. لا مزيـد مـن الألعـاب أيهـا الصِّبيـة، هـذه المـرة سـترحلون جميعًـا مـع بابـا «مـوت».

وبينـما هـو -بَصَلـة- يحـاول الركـض في أي اتجـاه مدفوعًـا بالرعـب الـذي عَصَـفَ بقلبـه إثـر هـذه المقتلـة المباغتـة، التـي لم يـعِ عقلـه بعـدُ أبعادهـا، كان كل إحسـاس بالأمـان داعبـه إثـر راحـة وشـبع الأيـام القليلـة الماضيـة قـد تبخَّـر تمامًـا.

لجـزء مـن الثانيـة لمح وجـه جِنّـش، صاحبـه مُـذُ سـني الطفولـة، عـلى الأرض المُغطـاة بالأسـفلت، وقـد أطاحـت طلقـة بمـا يقـرب مـن ثلثـه وتركـت الثلثـين مُخضبـين بالدمـاء والأشـلاء، وأجـزاءًا عاريـة مـن الجمجمـة المحطمـة.

لم يَجـد وقتًـا لمزيـد مـن الهلـع أمـام هـذا المشـهد؛ لأن ألمًـا حارقًـا اندلـع بغتـة في سـاقه إثـر اقتـلاع واحـدة مـن تلـك الطلقـات لـكل مـا تحـت ركبتـه مـن جلـد ولحـم وعظـام وأنسـجة.

أطلـق صرخـة عاتيـة غابـت وسـط هديـر المدافـع الأوتوماتيكيـة وهـو يهـوي عـلى البلاطـات الخرسـانية التـي غطتهـا الجثـث وامتزجـت عليهـا بِـرَكُ الدمـاء بـبرَك الأمطـار.

صفيرٌ تصاعد ثم في اللحظة التالية ارتج المكان بانفجار الطوافة التي حاول أحد المرتزقة الإقلاع بها للنجاة بحياته، فتفحم بداخلها بقذيفة مضادة للطوافات، وتطايرت شظاياها الملتهبة لينغرس بعضها في ظهر بَصَلة الذي لم يبرأ بعد من آثار الكرابيج.

في الثواني الخمس المتبقية من حياته وَمَضَتْ فلاشات خاطفة أمام عينيه.

رغم هدير الطلقات والصراخ والآلام الشنيعة في ساقه وظهره الذي اشتعلت في جلده النار، رآهم.

وجوه امرأته وعياله ورفاق العشيرة، رأى الأخ أبا أنس -ابن الوسخة!- وسمعه يرتل: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} ... ثم صورة مُهتزة غائمة لأمه التي نسي ملامحها منذ زمنٍ بعيد، وسمع صوتها وكأنه قادم من حفرة عميقة يردد بلوعة «ولاد الكلب الكفرة خطفوا أبوك وقتلوه يا فوزي».

فوزي! نعم! هو اسمه القديم الذي لم يـ ...

***

رغـم الأوامـر المُشـددة بحظـر بـث القنـوات الإخباريـة في المطـارات المصريـة حرصًـا عـلى السـمعة السـياحية المرموقـة للبـلاد مـن الاهتـزاز تحـت وطـأة أخبـار الإرهـاب والاضطرابـات الشـعبية، إلا أن نبـأ إسـقاط طوافـة مدنيـة فـوق ميـاه البحـر المتوسـط بـدأ يتـسرب بعـد فـترة وجيـزة مـن حدوثـه بـين القلـة المتبقيـة عـلى قيـد اليقظـة في هـذه السـاعة المتأخـرة مـن تلـك الليلـة الظلـماء، إلا مـن وميـض ألسـنة الـبرق المتواليـة.

تناثـرت الهمهـمات بلغـات مُختلفـة وحدقـت أزواج متسـعة مـن الأعـين في المانشـيتات المخيفـة عـلى شاشـات الهواتـف النقالـة وألـواح التابلـت، وقـد خَلَـت متـون أخبارهـا مـن تفاصيـل دقيقـة مُشـبعة، باسـتثناء ترجيـح وجـود عمـل إرهـابي وراء إسـقاط الطوافـة التـي لم تُعـرَف بعـد جنسـيتُها أو وجهتُهـا أو هويـةُ ركابهـا أو عددُهـم.

غـير أن شـيئًا مـن هـذا التوتـر لم يصـل لمسـامع ناديـا بتروفسـكي، السـيدة البولنديـة السـتينية التـي شـاء حظهـا أن تهبـط طائرتهـا القادمـة مـن طوكيـو لسـاعات ترانزيـت في مطـار الغردقـة مـن أجـل اسـتكمال رحلتهـا إلى وارسـو.

أعـادت هاتفهـا النقـال إلى حقيبـة يدهـا بعـد أن طمأنـت ابنتهـا نستاسـيا التـي تركتهـا وراءهـا في طوكيـو؛ حيـث تعيـش مـع زوجهـا الأسـتاذ الجامعـي اليابـاني، ثـم احتضنـت الحقيبـة وأسـندت رأسـها المُكلـل بشـعر أبيـض ناصـع إلى مسـند الـرأس بمقعدهـا، وراحـت تسـترجع تفاصيـل هـذا اليـوم الطويـل العجيـب، الـذي أَبَى أن ينقـضي عليهـا إلا وهـي عالقـة هاهنـا في هـذه المنطقـة مـن الكوكـب، والتـي قـرأت عـلى الإنترنـت أنها صـارت الأكـثر توترًا عـلى الإطلاق بعـد الأحـداث الخطـيرة التـي داهمـت دول العـالم كلهـا خـلال الأسـابيع القليلـة الماضيـة. في أعماقهـا تمنَّـت لـو كانـت في هـذه اللحظـات جالسـة تسـتدفئ بنـيران المدفـأة في شـقتها الصغـيرة الآمنـة التـي شـهدت زهـرة عمرهـا بــ وارسـو

القديمة، المكان الذي عاشت وترجو من الربِّ أن تموت فيه.

شيئًا فشيئًا راحت الأصوات المحيطة بها تخفت، وتثاقل جفناها واستسلمت للنوم بعد أن هدَّها تعب اليوم العصيب.

ساعة؟ ساعتان؟ كيف كان لها أن تعرف؟!

عندما التقط أنفها الأفطس رائحة الدخان، وأزاحت جفنيها لترى ألسنة النار البرتقالية تتراقص على بعد أمتار قليلة فتلفحها حرارتها، فإن آخر ما كان ليخطر ببالها هو أن تفكر فيه هو النظر إلى أرقام ساعتها لحساب الوقت الذي استغرقه نومها.

الصرخة المجلجلة سبقت أي رد فعل، حتى الاستيعاب نفسه، دَوَت من بين شفتيها لتقرع طبول الآذان المحيطة بها بعنف وتنتزع أصحابها من آبار نومهم بقسوة، وقبل أن تنقضي اللحظة كانت صرخة أخرى هائلة تجلجل عن بُعد بالقرب من الكافيتريا.

انفجرَت موجة عنيفة من الهلع، استيقظ النائمون مفزوعين على وقع الصرخات التي راحت تتوالى، وترددت لفظة «نار» بلغات ولهجات عديدة رغم أن كاميرات المراقبة وأجهزة الرصد والإنذار لم تلتقط نُذَر للحريق من دخان أو ارتفاع زائد في درجات الحرارة.

أصبح الصراخ كتلة أوبرالية واحدة هادرة لا يمكن تفكيكها أو تحديد مصادرها من بين آلاف الحلوق التي تصرخ بهلع حيواني صاحبته حركة جماعية عشوائية هيستيرية في جميع الاتجاهات، دوامات عنيفة متداخلة بَدَت للمذهولين خلف الشاشات الهولوجرامية في مكتب الأمن، وكأنَ أصحابها يهربون من خطرٍ غير مرئي مُحدِّق بهم أينما ولوا وجوههم.

سقطت أجساد عديدة على الأرض لتطأها الأقدام والأحذية بغير رحمة أو عمد، فسالت الدماء وتعالت وتيرة الصرخات، انكسر الزجاج في مواضعٍ عدة، وتخوطِفَت أنابيب إطفاء الحريق من داخل صناديقها بهيستريا، وأُطلِقَت سوائلها الرغوية بعشوائية وانعدام خبرة، فامتلأ الهواء نفسه بسحابٍ أبيض كثيف، وهنا فقط خرج المراقبون من ذهولهم، فعَوَت

صافـرات الإنــذار، وانهمـرت المـيــاه مــن رشاشــات الإطفــاء بالســقف لتغــرق الــكُل.

ومــن بــين الســحاب الأبيــض الــذي تســبح فيــه ذرات ســائل الإطفــاء، رأى الحــارس مُنتفِـخ العضـلات الــذي يَسِـد المخـرج المـؤدي للطابـق السُـفلي ظِلـينِ داكنـين يقتربـا منـه، ضيـق عينيـه محـاولًا تمييزهـما، وقـال بالإنجليزيَّـة مُشـددًا قبضتــه عــلى طــرف العصــا المُكهرِبــة:

- إلى أين؟

فوجـئ بأصابـع قويـة تلتـف حـول سـاعده وتلويـه بسرعـة وعنـف، فـصرخ وهــو يفلــت العصــا المُكهرِبــة مــن يــده لتســقط عــلى الأرض صانعــة رنينًــا معدنيًّــا مميــزًا، ابتلعتــه الضجــة المحيطــة، في نفــس اللحظــة التــي جذبتــه خلالهـا أصابـع القبضـة الأخـرى مـن ثيابـه، وارتفعـت ركبـة خصمـه لتـضرب خصيتيــه كمطرقــة مــن فــولاذ.

جحظـت عينـاه وهـو يشـهق بـألم، فأخرسـه زيـن بضربـة عنيفـة مـن مرفقـه رَجَّـت عظـام فكـه، ثـم رفعـه مـن تلابيبـه بحركـة خاطفـة وطـوَّحَ بجسـده الضخــم عــبرَ فتحــة المخــرَج ليهــوي متدحرجًــا عــلى الســلالم المؤديــة للطابــق الســفلي ويهمــد أســفلها فاقــد الوعــي مُهَشَّــم العظــام.

جــرى كل هــذا بسرعــة شــديدة خــلال زمــن جــاوز الثانيتــين بالــكاد، وفي الثالثـة التقـط زيـن العصـا المُكهرِبـة مـن عـلى الأرض، ثـم جـذب رفعـت مـن ذراعــه وهــو يــدور بعينيــه في الهَــرَج مــن حولــه قائــلًا بحــزم:

- ياللا بينا.

هبطَـا درجـات السـلالم المؤديـة للطوابـق السـفلية، وأثنـاء تجاوزهـما الجسـد الضخـم الـذي تمـدد مُهشـمًا، انحنـى زيـن بخفـة لينـزع السـماعة الدقيقـة مـن أذنــه ودســها في أذنــه هــوَ، تنقــلَا بــين الســلالم والممــرات متجنبــين التحــركات التــي نقلتهــا ســماعة الأذن الســلبية، حتــى بلغَــا البوابــة التــي تُفتَــح عــلى ســاحة الجـراج الفسـيحة التـي اصطفـت فيهـا مئـات السـيارات تحـت هيـاكل معدنيـة مسـقوفة.

كانت صفارة الإنذار تعوى لا زالت، وأصوات أحذية تهرع على السلالم صعودًا وهبوطًا والصراخ القادم من القاعة بالأعلى لم ينقطع، عندما توقفَا -زين ورفعت- أمام البوابة المغلقة ذات الزجاج المضاد للصدمات، ومن ورائها بَدَت ساحة الجراج مظلمة غارقة في مياه الأمطار، تحسس زين إطارها بحثًا عن الأزرار التي تفتحها، فلم يجد، هوى على زجاجها المُقوَّى بالعصا المُكهرِبة مرة واثنتين، وقبل أن يهوي للمرة الثالثة أتاه الصوت الحاد المتوتر من وراءه:

- مكانك.

أدار رأسه فوقعت عيناه على أحد رجال أمن المطار في زيِّه الرسمي يقبض على مسدسه بكلتا يديه وقد كسا التوتر ملامحه.

- إيديكو لفوق.

صاح بها الحارس الشاب وهو يومئ إلى العصا المُكهرِبة في قبضة زين، الذي خفضها ببطء وهو يستدير بكامل جسده حتى وضعها أرضًا، ثم عاد يعتدل بنفس البطء ورفع ذراعيه أعلى رأسه من دون أن تفارق عيناه فوهة المسدس المُشهرة تجاههما.

- رفعت.

انتبه الفتى الصموت لهمسة رفيقه فأدار إليه خليتيه البصريتين من وراء منظاره الداكن، بينما الحارس الشاب يطلب دعمًا من خلال جهاز الاتصال المثبت إلى أذنه من دون أن يخفض سلاحه:

- لقيتهُم، الاتنين. باب «٩».

تمتم زين وهو يومئ برأسه:

- البوابة.

نظر له رفعت بإمعان وكأنه يقرأ أفكاره، ثم لم يلبث أن افتر ثغره عن بسمة خافتة.

لَم يَر الحارس الشاب هذه البسمة على الشفتين الممتلئتين، ولم يميز الوميض الذي لمع من وراء المنظار الداكن، وبالطبع لم يَر سحابة

الإكتوبـلازم تندفـع نحـوه، ولكنـه بوغِـتَ بانعـكاس وهـج النـيران عـلى زجـاج البوابـة المغلقـة أمـام عينيـه وشـعر بحرارتهـا تلفـح ظهـره.

التفـت بحركـة حـادة وانخلـع قلبـه رعبًـا لمـا رأى الجحيـم يلتهـم العـالم مـن خلفـه عـلى بعـد خطـوات منـه، فشـهق وتراجـع بخطـوات متشـنجة وهـو يـصرخ بفـزع آمـرًا بفتـح البوابـة.

تلقـى كمبيوتـر الأمـن أمـره الصـوتي وقـارن البصمـة الحيويـة لصاحبـه بالمُسـجلة في ملفاتـه، ثـم في اللحظـة التاليـة انزلـق مصراعَـا البوابـة الزجاجيـة.

هنـا، انتفـض جسـد الشـاب بشـدة عندمـا انغرسـت العصـا المُكهرِبـة بـين ضلوعـه ثـم هـوى أرضًـا مُتشـنِّج العضـلات.

- برافو.

قالهـا زيـن مخاطبًـا رفعـت وهـو يلقـي بالعصـا المُكهرِبـة جانبًـا ويلتقـط المسـدس، ثـم جذبـه وانطلقَـا يركضـان تحـت السـيل المنهمـر بـلا توقـف بـين مئـات السـيارات الرابضـة في الظـلام، حتـى لمحـا أضـواءًا خافتـة مُنبعثـة مـن داخـل ليموزيـن متوقفـة عـلى بُعـد ثلاثـة صفـوف، فتوجهَـا صَوبهـا مباشرةً، وجـذب زيـن بابهـا بـلا تـردد ليطالعـه وجـه سـائقها الـذي أجفـل وصـاح بانزعـاج:

- انتو مين؟

وقبـل أن يُشـهِر زيـن المسـدس في وجهـه، انبعـث الوميـض مجـددًا مـن وراء منظـار رفعـت الداكـن، ثـم لم تلبـث أبـواب الليموزيـن أن انغلقـت عليهـم وانزلقـت عجلاتهـا بسرعـة ورعونـة عـلى الأرض الزلقـة، وكأن سـائقها يَفِـر مـن خطـرٍ داهـم يطـارده، وبينـما كانـت تنهـب الطريـق الأسـفلتي المُظلِمـة أعمدتُـه والمـؤدي إلى قلـب الغردقـة، نظـر زيـن خـلال زجـاج الكابينـة الدافئـة إلى المدرعـات خاكيـة اللـون المُحملـة بالجنـود التـي مرقـت بسرعـة كبـيرة إلى جوارهـم في الاتجـاه المعاكـس المـؤدي للمطـار.

- دول علشانا.

قالهـا بخفـوت، فلـم يَبـدُ عـلى رفعـت أنـه سَـمِع شـيئًا، وكـذا السـائق الـذي

اتسعت عيناه وفغر فاه وهو قابضٌ بأصابع متشنجة على عجلة القيادة هربًا من الخوف الذي استخرجه إكتوبلازم رفعت من سياله الحيوي. قال بصوت مرتعش:

- والله العظيم يا باشا هُما قِسطين تلاتة مش أكتر اللي اتأخروا عشان الظروف المنيلة بنيلة اللي وَقعِت السياحة.

لم يُعلِّق زين الجالس إلى جواره مُثبَتًا بصره على الحركة الدءوب لمساحات السيارة في إزاحتها لقطر السيل المنهمر بلا هوادة على الزجاج الأمامي.

- لولاها كان زماني نايم فـ الدفا وسط عيالي بدل الفحتة اللي أنا مفحوتها دي! إنما مين يقدَّر ومين يرحم؟!

ثيابه التي أغرقتها الأمطار جعلت الرعدة التي تبدو وكأنها تنبعث من أعضائه الداخلية.

- ولاد الكلب دول (مومِئًا تجاه مرآة السيارة الخلفية) لو مسكوني هَترمي فـ السجن، والعربية هتروح مني.

الإدرينالين يتراجع ببطء في دمه، ومعه تتراخى عضلاته، وتتعارك الأسئلة في رأسه، يسترجع ما جرى تفصيلة تفصيلة في محاولة للفهم، للتحليل.

خطر بباله خاطر، فضغط أزرار هاتفه النقال باحثًا عن ...

- كابتن تريفور.

- زين! أأنت بخير؟

داهمته النبرة اليائسة غير المألوفة في صوت المارينز شديد البأس، وعلامات الهلع المحفورة على وجهه الهولوجرامي، اهتزت أوتار خوفه، وهو يتساءل بلسانٍ جاف:

- ماذا هناك، كابتن؟

صاح الأمريكي بهيستريا:

- كان فخًّا، زين. فخ!

- فخ!

- كانوا يعلمون، أبناء الزوانى عرفوا خطتنا وكانوا بانتظارنا، وقتلوا الكل.

ردد زين مبهوتًا:

- الكُل!!

- الكُل ميت يا زين، رجالنا كلهم ماتوا، مجموعات العلمين وأسوان والوادي الجديد فَنَت عن بكرة أبيها، ناكحو أمهاتهم أخرجوا البطاريات وألبسوهم ثياب الفنيين لخداع رجالنا، وانتظروا هبوط الطوافات في المزارع ثم ...

فوجئَ زين به يقطع صراخه ويحدق بعينين متسعتين في الشاشات المقابلة له ثم يتمتم:

- ياليسوع المسيح!

ارتعدت فرائص سائق الليموزين عندما صاح زين:

- ماذا حدث، كابتن؟

- لقد وصلوا، زين! طوافاتهم تقترب على الرادار ... (صوت صفير) زيييين!

اختفى الهولوجرام بغتة إثر انقطاع الاتصال، وكأن هذا كان القشة التي قصمت ظهر البعير.

انفجر زين في وَصلة من الصراخ والشتائم وسَب الدين والدنيا ارتعد لها بَدَن السائق -من دون رفعت الذي لم تهتز له شعرة- وإن لم يجرؤ على الاعتراض على قبضة زين المضمومة التي راحت تضرب التابلوه والزجاج الأمامي مرارًا، ثم لم يلبث –السائق- أن انتفض بعنف عندما التصقت فوهة مسدس باردة بصدغه، ورأى من ورائها عيني زين تقذفان شررًا، سمعه يقول بشراسة:

- تسَجِّل العنوان اللي هقولك عليه وتنزل من العربية حالًا.

***

-٢٢-

تقرير إخباري بنشرة أخبار رأس الساعة بإذاعة راديو مصر:

«في بيان مُقتضب قصير قبل قليل أفادَ المتحدث الإعلامي باسم هيئة عمليات القوات المسلحة المصرية بأن هجومًا واسعًا شَنته ميليشيات إرهابية مسلحة على مزارع استخلاص الطاقة المملوكة لشركة E.N بالعلمين وأسوان والوادي الجديد، وأكَّدَ البيان على أن القوة المُشتركة المكونة من وحدات الجيش المصري التي خُصِّصَت بقرارٍ جمهوري لحماية مُنشآت الشركة وقوات أمن الشركة نفسها قد نجحت في إحباط هذا الهجوم الثلاثي، وقامت بتصفية الكثير من أفراد هذه الميليشيات وأسر من تبقى منها.

فحوى هذا البيان يتفق مع ما نشرته وكالات أنباء عالمية من صور التقطتها الأقمار الصناعية تم تسريبها على شبكة المعلومات الدولية تُظهِر آثار انفجارات ومعارك عنيفة في المواقع الثلاثة التي جاء ذكرها بالبيان الصحفي.

وفي نفس السياق أقام المتحدث الإعلامي الرسمي باسم Egy- Nergy مؤتمرًا صحفيًّا أكَّدَ فيه على دقة ما ورد ببيان هيئة عمليات القوات المسلحة، وذكر أن المزارع التي تعرضت لهجوم الميليشيات لم تُمَس بسوء، ومازالت تعمل بكامل طاقتها.

وكانت بيانات صحفية عديدة أصدرتها جهات حكومية وغير حكومية في عددٍ من الدول قد أفادت بوقوع هجمات إرهابية مماثلة على مزارع شركة Egy- Nergy حول العالم بالتزامن مع هجمات مصر، الأمر الذي يشير إلى هجمة واحدة منظمة تُعَد تصعيدًا كبيرًا في سلسلة العمليات الإرهابية التي استهدفت منشآت وآليات وأفراد الشركة العملاقة العابرة للقارات خلال الأشهر الفائتة، والتي أعلنت الإرهابية المصرية الشهيرة أمل

الشـافعي مسـئوليتها عنهـا كمتحدثـة باسـم مـا عَرفَتـه بــ ثـورة عالميـة عـلى شركـة Egy- Nergy.

وجديـرٍ بالذكـر أن أكـثر مـن سـؤال وُجِّـهَ للمتحـدث الإعلامـي باسـم E.N المصريـة في مؤتمـره الصحفـي حـول مصـير السـيد آدم المـصري رئيـس مجلـس الإدارة، والشـائعات التـي تشـير لمصرعـه في حـادث إسـقاط طوافتـه الخاصـة فـوق ميـاه البحـر المتوسـط قبالـة سـواحل مدينـة الإسـماعيلية، وجـاءت الإجابـة غامضـة مثـيرة للمزيـد مـن الشـكوك؛ إذ أجـاب بأنـه سَـمِعَ هـو أيضًـا هـذه الشـائعات، ولا يملـك تعليقًـا بشـأنها».

***

-٢٣-

مـع طلـوع الفجـر هَـدَأت وتـيرة السـيول التـي ظلـت تنهمـر طيلـة الليـل عـلى كافـة أنحـاء الجمهوريـة المصريـة، ورغـم أنـه لم يـذُق طعـمًا للنـوم خـلال هـذه الليلـة الليـلاء إلا أن عينَـا الرئيـس المـصري فتحـي منصـور لم تفقـدا حيويتهـما وهـما تجريـان عـلى سـطور آخـر التقاريـر التـي وصلتـه بشـأن نتائـج الفحـص الأولي لحطـام طوافـة آدم المـصري التـي تـم العثـور عليهـا مُتناثـرة عـلى مسـاحة واسـعة جنـوب شرق المتوسـط.

ارتسـم الوجـوم عـلى وجهـه؛ إذ انتهـى التقريـر المُذَيَّـل بخِتم البحريـة المصرية مـن دون إشـارة للعثـور عـلى جثـث أو حتـى أشـلاء ركاب الطوافـة، وإن أَكَّـدَ عـلى أن حجـم الدمـار الناتـج يشـير لصعوبـة نجـاة أي منهـم وبخاصـةً مـع ضيـق الحيـز الزمنـي بـين لحظـة اسـتقبال وحـدات الدفـاع الجـوي للاسـتغاثة التـي أطلقهـا كمبيوتـر الطوافـة، ولحظـة رصـد انفجارهـا وسـقوطها بمـا يقلـل مـن فـرص النجـاة.

نَفَـخ بشـدة وتقلصـت ملامحـه فوَشَـت بمـا يحتبـس داخـل صـدره مـن انفعـال لم يكـن ليسـمح لـه بالخـروج في حـضرة أي مـن مرءوسـيه، أزاح صفحـة التقريـر الهولوجراميـة بلمسـة خفيفـة مـن أناملـه فتلاشَـت، وتَفَكـر هـو للحظـات قبـل أن ينظـر إلى أرقـام سـاعته ثـم يرفـع عقيرتـه آمـرًا الهاتـف بالاتصـال باللـواء فـؤاد سـلطان.

مَـرَّت ثـوانٍ أخـرى ثـم بـدأ هولوجـرامٌ يتشـكل أمـام عينيـه، فوجِـئَ بأنـه يخـص اللـواء مُحيـي الديـن ذو الفقـار، مديـر المخابـرات العامـة!

- صباح الخير فخامة الرئيس.

حَدَّقَ فيه الرئيس مأخوذًا وردد بدهشة:

- معقول السَّهَر خلاني اغلط في الاتصال!

ابتسم ذو الفقار قائلًا:

- العفو معاليك.

لم تَرُق الابتسامة للرئيس وبَدَت وكأنها تداري وراءها شيئًا ما ليس على ما يُرام.

- إحنا كُلنا في خدمة الوطن، بالذات في أوقات الشِّدة.

تصاعد جرس الإنذار في أعماق الاستخباراتي القديم الذي صار رئيسًا للجمهورية، ولكنه قال بهدوء دارئ ما يعتمل بداخله:

- إيه آخر التطورات؟

أجابه ذو الفقار:

- التنسيق مستمر مع كل حلفائنا، والهجمات الإرهابية انضربت في أغلب مزارع E. N. في العالم كله، مِش بَس عندنا، الساعات الأخيرة كانت حاسمة، ولولا المعلومات اللي وصلتنا من آدم المصري قبل الحادثة بتاعته كانت هَتبقى الضربة القاصمة للشركة ولينا وللنظام العالمي كله.

هَزَّ الرئيس رأسه إيماءً لعلمه بهذه المُستجدات، وتساءل:

- وبالنسبة للوضع الداخلي؟

- المظاهرات إيقاعها أقل خلال الـ ٢٤ ساعة الأخيرة، لكن الشحن تصاعد على مواقع التواصل الاجتماعي عشان مظاهرات بُكرة، اللي هو النهاردة أقصد، الجماعة في الداخلية والأمن الوطني اتخذوا التدابير بتاعتهم، وفيه حملة اعتقالات ضخمة بدأت امبارح بالليل بموجَب قانون الطوارئ للأسماء اللي استخرجناها من التقرير الاقتصادي الـ ...

قاطعه الرئيس بنفاد صبر:

- محيي، أنا بَسألك على المجموعة إياها.

حدق ذو الفقار في عينيه مباشرةً قبل أن يقول بهدوء:

- فات الأوان، معاليك.

ساد صمتٌ ثقيل مع تلاشي أصداء آخر حروف كلماته القليلة.

شعر الرئيس بتفريغ مفاجئ للهواء من صدره وبدوار خفيف يَلِم برأسه مصحوبًا بذلك الإدراك الذي لمع في ذهنه، غير أن شيئًا من هذا لم يطفُ

على ملامحه، التقط نفسًا عميقًا عبَّأ به رئتيه بالمزيد من الهواء المُكَيَّف، وخاض بعينيه الخضراوين مبارزة بصرية استمرت لثوانٍ مع مُحدثه الذي تحجرت ملامحه، قال بعدها بهدوء:

- يبقى انا كدا ظلمت السهر.

أومأ ذو الفقار ببطء.

تساءل الرئيس:

- فؤاد فين؟

عادت الابتسامة تتراقص على شفتي ذو الفقار وهو يحدجه بنظرة مُتحدِية قبل أن يرفع عقيرته مناديًا:

- سيادة اللوا.

وأمام عيني الرئيس، انبثقت مجموعة من النقاط المضيئة في قلب الفراغ، راحت تحتشد وتتكامل صانعة هولوجرام متوسط لذلك الجسد محني الظهر، صاحب الوجه المُنهَك المُزدان بالتجاعيد والمُكَلل بالشعر الأبيض.

اللواء فؤاد سلطان، مدير مخابرات الرئاسة.

ثبَّتَ الرئيس بصره على قسمات وجهه التي اكتسَت رغم إنهاكها بقناعٍ من الصلابة وكأن صاحبها قد استعد جيدًا لهذه المواجهة، لدرجة أنه لم يهرب بعينيه من عيني الرئيس الثاقبتين اللتين راحتا تنبشان عن الحقيقة في وجهه.

لحظة طويلة بدَت وكأنها الدهر كله، شَحَّ فيها الهواء، وتباطأت حركة الجزيئات، وخَشعت الأصوات كلها عدا صوت دقات قلبه، لحظة قرأ خلالها فتحي منصور مصيره كاملًا في وجه ذراعه الأيمن ومرءوسه المُخلِص، وأيقنَ أن اللعبة قد انتهَت بالنسبة له مادامو قد بلغوا هذه اللحظة.

تنهَّد بعمق فبَدَت تنهيدته أقرب لإعلان استسلام.

تنقل بعينيه بين الهولوجرامَين ... فؤاد سلطان المتجهِّم، ومُحيي الدين ذو الفقار، صاحب البَسمة المخيفة.

- سيادة اللوا.

خرجت من بين شفتيه هذه المرة وبنبرة محايدة خالية من أي انفعال، كأنما يدعوه للإدلاء برأيه في واحدة من اجتماعاتهما الدورية.

قال فؤاد سُلطان:

- فخامة الرئيس.

بَدَت جُملته أقرب لمفارقة تهكمية بالنظر لطبيعة الموقف، وظهر هذا بوضوح في نظرة ذو الفقار الذي لم ينبس ببنت شفة، غير أن سُلطان كان يتكلم بجدية.

قطب الرئيس سائلًا:

- ليه يا فؤاد؟

التقى حاجبَا سُلطان وهو يجيب:

- اتأخرنا كتير، معاليك.

- كانت فيه فرصة.

- كانت هتبقى مقامرة، مصر مش هتستحملها.

- ومصر هتستحمل صِدام بين الجيش والحرس الجمهوري؟!

شدَّ سُلطان قامته قائلًا بحسم:

- مِش هَيحصل الصِّدام دا.

- الفريق محمود عزمي مش هَيسـ ...

تدخل ذو الفقار مُقاطعًا بلهجة ساخرة:

- بلاش تَبخس صداقة وزمالة الكلية حقها يا رَيِس.

رفع الرئيس حاجبيه مندهشًا وهو ينقل بصره بينهما، قبل أن يخفضهما قائلًا بهدوء:

- برافو!

- (بنفس السخرية): إحنا تلامذتك.

وساد الصمت لبُرهة تراجع خلالها في مقعده واضعًا ساقًا على ساق، وأطرق مُفكرًا قبل أن يعود إلى الهولوجرامين متسائلًا:

- منتظرين مني إيه؟

قال ذو الفقار بسرعة:

- معاليك مُحددة إقامتك داخل مكتبك، جميع الاتصالات بأنواعها مقطوعة تمامًا، المطلوب بيان تنحي لظروف صحية ونقل مؤقت للسلطة لرئيس المحكمة الدستورية العليا حتى إجراء انتخابات رئاسية مبكرة.

هَزَّ الرئيس رأسه ببطء ثم قال:

- وأسرتي؟

تساءل ذو الفقار بحذر:

- مالها؟

قال الرئيس بحزم:

- عايز ضمانة مُقنعة لأمانهم من بعدي.

ردد سُلطان:

- بعدك!

رَفَت بسمة مريرة على زاوية فم الرئيس وهو يقول:

- قولتلَك انى طول عمري شغوف بقراءة التاريخ المملوكي يا فؤاد. ألاعيبه ومؤامراته وحكاياته.

ونهاياته.

***

-٢٤-

لم يَغمُض جفنٌ للغالبية العظمى في البيوت خلال هذه الليلة العصيبة أمام التطورات المتلاحقة التي راحت تتوالى على الشاشات الإخبارية ومواقع السوشيال ميديا، إلا أن عددًا قليلًا لم يتجاوز أصابع اليدين من سكان ذلك الكومباوند على تخوم الغردقة، استطاع مقاومة إغراء الكسل والدفء والخروج من تحت الأغطية الثقيلة للشوارع المظلمة، التي تمرح فيها العواصف الثلجية المُشبعة ببقايا المطر لأداء صلاة الفجر حاضرة في المسجد الذي يتوسط الكومباوند، والمفارقة أنهم جميعًا من أرباب المعاشات ممن جاوزوا العقود السابعة والثامنة من أعمارهم باستثناء الإمام الشاب العشريني الخَلوق صاحب الصوت العَذب في التلاوة وفي دعاء القنوط.

انتهت الصلاة، وعاد المصلون لبناياتهم وقد عمر الدفء قلوبهم، وبعدما خلا الشارع من آخرهم بدقائق، اخترقته عجلات ليموزين عريضة نهبت أسفلته المبتل بسرعة عالية لا تتوافق وقوانين المرور داخل الكومباوندات السكنية، وبالفعل التقطها أكثر من ردار وتم تسجيل مخالفاتها على حسابها بالإدارة العامة للمرور، وأُخطِرَ كمبيوتر السيارة بهذه المُخالفات إنترنتيًّا فترجمها لإخطار مسموع تردد داخل كابينتها الدافئة لم يلق له راكبوها بالًا.

كانت تمرق كالرصاصة بين الشجيرات المغسولة التي تزين الأرصفة على جانبي الطريق عندما بدأ الكمبيوتر يخفض من سرعتها أوتوماتيكيًّا بعد وصول إخطارات المخالفات، الأمر الذي ضاعف من حنق زين وجعل أصابعه تتقلص حول عجلة القيادة حتى كاد لينزعها من مكانها، وسمع رفعت ذلك الصوت الشبيه بزمجرة خافتة ينبعث من بين أسنانه، وما أن لاحت البناية عن بُعد حتى صاح به زين:

- حَصَلني.

وفي اللحظـة التاليـة كان يثـب مـن السـيارة التـي هـدأت سرعتهـا، وضـخَّ كل قوتـه في عضـلات سـاقيه اللتـين تحولتـا لماكينتـي ركـض عـلى الأسـفلت، فقطـع الأمتـار الثلاثمئـة التـي تفصلـه عـن البنايـة المنشـودة في ثـوانٍ قليلـة، صعـدَ بعدهـا درجـات السـلم كالصـاروخ حتـى الطابـق الثالـث قبـل أن يتجمـد أمـام بـاب الشـقة.

مَـرَّت لحظـات فـارَت خلالهـا مشـاعر القلـق والفـزع والغضـب بأعماقـه عـلى إيقـاع نبضـات قلبـه المتسـارعة، وهـو يحـدق في الظـلام الـذي يشـع مـن فرجـة بـاب الشـقة المـوارِب.

صـدره يعلـو ويهبـط، وعقلـه يحـاول اسـتجماع شـتات نفسـه التـي طـارت شـعاعًا لمـرأى البـاب المـوارب عـلى غـير الطبيعـي عندمـا سـمع الخطـوات الخفيفـة تقـترب مـن ورائـه، فميـزت أذنـاه المدربتـان وقـع قدمـي رفعـت الدقيقتـين اللتـين تناوبتَـا عـلى درجـات السـلم صعـودًا.

وكأن هـذه الخطـوات كانـت الصدمـة التـي يحتاجهـا لتحريـر عقلـه وعضلاتـه مـن الشـلل المُسـيطِر عليهـما، اسـتل المسـدس الـذي اسـتلبه مـن الحـارس الشـاب بالمطـار، فشَـهَرهُ ضاربًـا البـاب المـوارب بقدمـه واندفـع يقتحـم الشـقة وهـو يهتـف مناديًـا باسـم المـرأة التـي انتفـض قلبـه بـين ضلوعـه خوفًـا عليهـا.

أمل.

كادت أبـواب الغُـرَف أن تنخلـع مـن مفاصلهـا تحـت وطـأة ركلاتـه العنيفـة، بينـما يتنقـل بينهـا كعاصفـة هـادرة بحثًـا عنهـا مـن دون أن يكـف عـن الـصراخ باسـمها، لَحِـقَ بـه رفعـت وهـو يلهـث إثـر الركـض وصعـود السـلالم قفـزًا، الخليتـان البصريتـان في مِحجـري جمجمتـه تتكيفـان بسلاسـة مـع درجـات الظـلام.

أراد أن يندفـع وراءه تجـاه حجـرة أمـل في نهايـة ممـر الحجـرات عندمـا شـعر بتلـك الأصابـع الفولاذيـة البـاردة.

(مَن؟) ...

تلتف حول عنقه، تجذبه ترفع جسده النحيف من على الأرض.

(وكيف لم يشعر به؟) ...

وجـد نفسـه يُحـدِّق في انعـكاس وجهـه عـلى السـطح المُعتِـم لخـوذة رأس داكنـة.

(كيف لم يشم رائحة مخاوفه؟) ...

ثوانٍ مرَت ثـم أدار آدم رأسـه إلى صاحـب الجسـد الفـارغ المُتشِـح بالسـواد الجالـس إلى مقعـدٍ قريـب، ألقـى نظـرة متفحصـة عـلى قامتـه الممشـوقة ومنكبيـه العريضـين وملامـح وجهـه التـي لم يخـفِ جمودُهـا ملاحتهـا ... سـأله بصـوتٍ فضـح نـذرًا مـن توتـره:

- جاهِز؟

مـرَّت لحظـة مـن الصمـت إلا مـن أزيـز خافـت مُنبعِـث مـن المُحـركات، قبـل أن يجيـب صاحـب السـواد بإيمـاءة بسـيطة برأسـه.

- إنتَ الوحيد اللي البطارية متقدرش تنبش في مخاوفه.

وبينـما الأصابـع تضغـط عـلى حنجرتـه وتخنـق أنفاسـه، لم يُضِـع رفعـت مزيدًا مـن الوقـت، انزلـق سريعًـا داخـل إكتوبـلازم خصمـه مُفتِشًـا عـن كوابيسـه؛ ليبعثهـا أوهامًـا ذات لـون وملمـس ورائحـة تُحَـوِّل صاحبهـا لطفـل مذعـور يبـول في ثيابـه.

غير أن شيئًا من هذا القبيل لم يحدث!

لم يَجِـد المشـهد المُعتـاد للكهـف المظلـم وأصـوات الأنـين والبـكاء والأنفـاس الثقيلـة والبـاب الخشـبي المُعتـاد في نهايـة الكهـف؛ حيـث يختفـي الكابـوس الأعظـم الـذي يُداريـه صاحبـه عـن نفسـه، حتـى لا يطـير عقلـه شـعاعًا مـن فـرط الرعـب.

الجـدران مـن حولـه ملسـاء ناعمـة ذات ملمـس معـدني بـارد، لا أصـوات، لا مشـاعر، لا مخـاوف، فقـط ممـر طويـل بـلا أبـواب عـلى جانبيـه.

غمرتـه الدهشـة وهـو يمـر بأصابعـه عـلى الجـدار الأملـس الـذي يشـع بـرودة معدنيـة، سَرَت رعشـة في جسـده، ومَـدَّ بـصره خـلال الممـر ثـم خطـى عـلى

أرضيتـه شـاعرًا بـبرودة قارسـة اصطكـت لهـا أسـنانه، وغـادرت أنفاسُـه صـدرَه في صـورة أبخـرة بيضـاء.

تسـارعت خطواتـه لتصبـح أقـرب إلى الهرولـة وهـو يفـرك كتفيـه في محاولـة لبَـث الـدفء في جسـده، حتـى انتهـى الممـر أمامـه بحائـط مُصمَـت.

ضَـمَّ أصابعـه، طـرق الحائـط بقبضتـه هنـا وهنـاك في أكـثر مـن موضـع، فبـدت لـه المواضـع متباينـة بـين صـماء تُصـدِر صوتًـا مكتومًـا، وجوفـاء تُصـدِر صوتًـا أقـرب للرنـين، ثـم لم يلبـث أن مَيَّـزَ أثـر اللحـام الخافـت، اقتفـاه بأصابعـه للحظـات، ثـم اعتـدلَ مُحدِّقًـا في الحائـط المعـدني، وقـد بـدأت الفكـرة تتشـكل في عقلـه.

هـذا بـاب! (البخـار الأبيـض يغـادر طاقتـي أنفـه) أو كان بابًـا قبـل أن يُلحَـم بإطـار الحائـط المحيـط بـه.

مَـدَّ أصابعـه المرتعشـة ليمسـح عـلى السـطح البـارد الناعـم كـما اعتـاد أن يفعـل داخـل إكتوبـلازم ضحايـاه طيلـة العـام الفائـت مُـذ استكشـف قدرتـه النفسـية المُذهلـة، يمسـح سـطح البـاب الموصَـد برفـق فتـتراءى لـه صـورة مـا يختفـي وراءه مـن خـوف.

مَسَحَ بكفه يمنةً ويسرة، صعودًا وهبوطًا.

وبينـما يرتعـش بـردًا، تـردد مـن بـين أرفـف ذاكرتـه صوتًـا مألوفًـا، صـوت الدكتـور محمـود.

«الخطوة اللي بعدها، إنك تجتاز الباب دا».

- رفعت!

سمع صوت زين يأتي من بعيد وكأنه قادم من أعماقٍ سحيقة.

ثـلاث ثـوان فَصَلَـت بـين اللحظـة التـي اقتحـم فيهـا زيـن حجـرة أمـل في نهايـة الممـر شـاهرًا مسدسـه وماسـحًا أركانهـا الخاليـة ببـصره، واللحظـة التـي سـمع فيهـا صـوت الحشرجـة يـأتي مـن خلفـه.

التفـتَ بحركـةٍ حـادة لـيرى أول مـا يـرى الوميـض المُنبعِـث مـن وراء منظـار رفيقـه الداكـن، ثـم في ضـوء الصُّبح المُتسـلِّل مـن نافـذة قاعـة المعيشـة، مَيَّـزَ

أنَّ جسـده مُعلـق مـن عنقـه في قبضـة شـبح فـارع القـوام مُتَخـوِّذ ومُتشِـح بالسـواد.

سـمع صـوت حشرجتـه ورأى قدميـه المرتفعتـين عـن الأرض تتأرجـان في الهـواء فصاح:

- رفعَت!

رفـع سـلاحه بحركـة خاطفـة وضغـط الزنـاد مرتـين متتاليتـين، فغـادرت رصاصتـان الماسـورة بـدويٍّ مكتـوم، شَـقَّتَا الهـواء في جـزء مـن الثانيـة لترتطِـما في موضعـين بالسـاعد المفتـول الـذي تقبـض أصابعـه ككلابـة مـن الفـولاذ عـلى حنجـرة رفعـت، ثـم ترتَـدَّا عنـه برنـينٍ معـدنيٍ مسـموع.

حَـدَّقَ زيـن مذهـولًا في الموضـع البعيـد في طـرف الممـر الـذي نُـتِرَت فيـه الرصاصتـين، ثـم عـاد ببـصره إلى خصمـه الواقـف أمامـه في زيٍّ أسـوَد وخـوذة داكنـة أدارهـا جهتـه ببـطء.

مَـرَّت ثـوانٍ مـن طنـينٍ غـزا الأجـواء، تبـادل خلالهـا الاثنـان النظـر، أفلـت صاحـب الـزي والخـوذة رفعـت مـن بـين أصابعـه، فتكـوم الأخـير عـلى الأرض وهـو يسـعل ويشـهق بعنـف طلبًـا للهـواء.

تيار بارد سرى من باب الشقة المفتوح.

ومـن دون أن يرفـع عينيـه مـن عـلى خصمـه ألقـى زيـن المسـدس جانبًـا وقـد هضـم المفاجـأة، كَـوَّرَ قبضتـه، ثـم وفي لحظـة واحـدة تقريبًـا اندفـع كلٌّ منهـما نحـو الآخـر.

عـلى الأرض، راح رفعـت يسـعل بشـدة آلمـت صـدره، وكادت أن تقـذف الخليتـين البصريتـين خـارج محجـري جمجمتـه، جاهـد ليُعَبـئ الهـواء داخـل رئتيـه، ورفـع رأسـه إلى الأكشـن الدائـر عـلى مبعـدة أمتـار قليلـة منـه.

في البـدء لم يميـز مـا يجـرى جيـدًا، ثـم مـع انخفـاض حـدة سـعاله بـدأت أذنـاه تميـزان أصـوات الخبـط والتكسـير، ومعهـما بـدأت خليتـاه البصريتـان تعتـادا الإيقـاع فتملكتـه الدهشـة، وحَـدَّق مأخـوذًا.

لما يقـرب مـن الدقيقـة لم تُصِـب ضربـة هدفهـا، اللكـمات والـركلات طاشـت

وصُدَّت كلها تقريبًا، بدا كلٌّ من المتعاركين وكأنه يعرف هدف واتجاه كل ضربة يوجهها له خصمه، ومع قوة وسرعة الضربات التي صدها انتاب زينًا شعورٌ ديجافوي بأنه عاش هذا الموقف من قبل، الأمر الذي شتت انتباهه للحظة كانت كافية لترتطم أصابع خصمه المضمومة بجدار معدته كمطرقة من حديد.

جَزَّ على أسنانه وهو ينثني –وقد تحملت عضلات بطنه الضربة بصلابة- متفاديًا اللكمة التالية، ثم حمل على خصمه حملة شعواء مُستدعيًا عصارة تدريبات الجيجتسو والأيكيدو والكونج فو كي ينال منه ولكن دون جدوى، الأمر الذي استفزه ودفعه للتهور في هجومه، فانفتحت ثغرة جديدة في دفاعاته سمحت بضربة ثانية ارتج لها مخه داخل جمجمته، أعقبتها ركلة عنيفة خبطت ضلوعه وأطاحت به مترين للوراء ليرتطم بمنضدة صغيرة ويسقط معها أرضًا.

رغم الدوار الذي هاجمه إلا أنه لم يكد يلمس الأرض حتى انثنى ثم ارتدَّ واقفًا على ساقيه برشاقة رائعة، بَدَت له الرؤية مُهتزة بعض الشيء، والتقى حاجباه وهو يحدق بمقت في خصمه الذي يتقدم منه بخطواتٍ هادئة لامبالية.

بَصَق الدم من بين شفتيه ومعه واحدة من أسنانه السُفلية، ثم زمجَرَ وانقض عليه.

أما رفعت الذي يراقب العِراك من موضعه، فكان لايزال يسبح داخل السيال الحيوي لذلك الخصم المُتشِح بالسواد، وقف أمام الباب المَلحوم في نهاية الممر ذي الجدران المعدنية مُنصِتًا لصوت الدكتور محمود المُنبعِث من بين أرفف الذاكرة:

«هتحتاج حاجة تكسر بيها الباب ... عشان كده، قبل ما تبدأ عملية اختراق سياله الحيوي لازم تكون ماسك حاجة فـ إيدك».

امتدت أصابعه لتتحسس محتويات جيبه.

«ولتكن مثلًا ميدالية مفاتيحَك».

بالخارج كانت الأمور تجري بوتيرة أسرع، وأعنف.

أورث الغضب زينًا قوة إضافية فكال الضربات لخصمه بقوة وعنف أكثر، غير أن هذا الخصم بدا وكأنه قد حُصِّنَ تمامًا، فحتى اللكمات التي كان قد تلقاها خلال الثواني الأولى من القتال وشعر زين معها وكأنه يلكم جدارًا من الصُلب، حتى هذه اللكمات عجز زين عن تسديدها الآن، وشعر أن غريمه قد ازدادت سرعته على نحوٍ مفاجئ، أو كأنه صار يعلم بالضبط متى وأين سيسدِّد ضربته، فطاشت ضرباته كلها هذه المرة ولم تُصِب إلا الفراغ، على عكس ضربات هذا الغريم التي عجز زين عن ملاحقتها بالصَّد أو التفادي، فانهالت كالمطر على وجهه وجسده وبعنف شديد ليجد نفسه مرة أخرى مطروحًا أرضًا، وقد أنَّت عظامه ولطخت الدماء وجهه.

لمح من بين جفنيه المنتفخين المسدس الذي ألقاه أرضًا قبيل الاشتباك فانتعش الأمل في قلبه وبعث الحيوية في عضلاته المُنهكة، تدحرج بجسده ومَد ذراعه ليختطف المسدس الذي صار على بُعد خطواتٍ قليلة، غير أن الحذاء الثقيل هوى على كفه فأفلتت صرخة مكتومة من حلقه واستنفر قوته كي ينهض لاستكمال القتال، ولكن ركلة سديدة من القدم الفولاذية ردته إلى موضعه، وكَسَت المشهد أمام عينيه بلونٍ أحمر دام.

«الميدالية دي فـ وعيك هتتحول لأداة ممكن تستخدمها فـ كسر الباب».

داخل الممر ذي الجدران المعدنية، نظر رفعت إلى المنشار الكهربائي بين يديه، ثم رفع رأسه إلى مواضع اللحام في الحائط أمامه.

بالخارج، أدار الغريم رأسه داخل الخوذة الداكنة إليه في موضعه الذي لم يفارقه مذُ سقط أرضًا، الوميض وراء المنظار لا يزال.

رآه رفعت يتقدم منه بخطوات واثقة.

تعلق بصره بالأصابع الفولاذية -التي كادت تنتزع حنجرته قبل لحظات- وهي تقترب، ولاإراديًّا بدأ يزحف بظهره للوراء.

«إبدأ اضرب يا رفعت!».

ضغـط زر التشـغيل فـدارت إسـطوانة المنشـار الكهربـاء حـول محورهـا بسرعـة شـديدة.

شـعر بملمـس الأصابـع البـاردة عـلى جلـد عنقـه فـسَرَت القشـعريرة في جسـده.

وفي اللحظـة التاليـة ارتطـم جسـد زيـن بجسـد هـذا الغريـم. رآه رفعـت يطـوِّق خـصره بذراعيـه ويدفعـه بـكل قوتـه نحـو الحائـط، وسـمعه يـصرخ بـه:

- إهرب يا رفعت.

ارتطـما بالحائـط الـذي لم يتحمـل ثقـل جسـديهما وعنـف الصدمـة فتهـاوى تحتهـما مفتتًـا إلى قوالـب مـن الطـوب وملاط وغبـار كثيـف.

اعتـلى زيـن جسـد خصمـه واختطـف واحـدًا مـن قوالـب الطـوب رفعـه لأعـلى صارخًـا:

- اهرررب.

وهـوى بالقالـب الثقيـل عـلى الخـوذة الداكنـة التـي تحيـط بـرأس خصمـه الـذي رفـع ذراعـه بسرعـة الـبرق ليتلقـى القالـب في راحتـه، التقـا حاجبـا زيـن عندمـا رآه يضـم قبضتـه فيسـحق القالـب بـين أصابعـه وكأنـه قالـب مـن البسـكويت.

- اهرب يا رفـ ...

بُـتِرَت صيحتـه إثـر القبضـة المضمومـة عـلى مسـحوق الطـوب، والتـي انقضت عـلى صدغـه فاقتلعـت أحـد ضروسـه، وأطاحـت بجسـده مـن فـوق غريمـه والـذي وثـب برشـاقة ليعتليـه؛ حيـث سـقط بـين قوالـب الطـوب المُفَتتـة وكال لـه الضربـة تلـو الأخـرى مـن دون أيـة مقاومـة منـه، حتـى عندمـا أحـاط عنقـه بأصابعـه الفولاذيـة واعتـصر حنجرتـه.

جحظـت عينـاه واحتقـن وجهـه وهـو يجاهـد لسـحب الهـواء، وراحـت بقـع مُظلمـة تغـشى أطـراف الـكادر أمـام عينيـه.

هنـا، حانـت التفاتـة مُفاجئـة مـن صاحـب الخـوذة إلى الـوراء، وكأنـه تلقـى تحذيـرًا مـا، عَـبَرَ بـصره الفجـوة في الحائـط، والردهـة القصـيرة المؤديـة إلى قاعـة

المعيشـة ليسـقط عـلى الموضـع الخـال الـذي كان يشـغله رفعـت قبـل قليـل.

أدار رأسه بحدة، فرأى باب الشقة مفتوحًا على مصراعيه.

***

-٢٥-

بدا الإجهاد واضحًا على قسمات عمرو عزام خلال محادثته الهولوجرامية مع إيفان إيفانوفيتش، الشريك الروسي ورئيس مجلس إدارة E. N. الإقليمية الروسية، والتي لم يتجاوز زمنها الدقيقتين واقتصر فحواها على استفسار الروسي عن حقيقة الأخبار التي انتشرت في وسائل الإعلام كالنار في الهَشيم حول إسقاط طوافة آدم المصري قبالة السواحل المصرية.

كرر الشاب بكياسة ودبلوماسية ما سبق وقاله للشريكين الهندي والصيني قبل دقائق من أن طوافة مستر مصري قد تعرضت بالفعل لهجوم بالصواريخ فوق مياه البحر المتوسط أدى لإسقاطها، وأن قوات البحرية المصرية تمسح موقع سقوطها بحثًا عن ناجين أو جثث أو بقايا، ولم تَرِد بعد أية معلومات أو بيانات من طرفهم.

قال هذا ثم أضاف بأنه مهما كان ما سيسفر عنه البحث من نتائج، فإن نظام العمل بالشركة لن يتأثر، في إيماءة مُطمئِنة منه إلى أن قواعد الشراكة المُحكمة غير خاضعة لأحكام الطوارئ والنوازل، وأن توريدات العقار المُخدِر للحواس الذي يشترطه القانون الدولي للسماح باستخلاص الطاقة النفسية من أجساد البشر، وتحتكر إنتاجه وتوريده واحدة من شركات مجموعة E. N. المصرية لن تتأخر عن جداولها الزمنية المُلحَقة بالعقود.

شكره إيفانوفيتش وتمنى بكلمات مقتضبة أن يسمع أخبارًا طيبة عن مستر مصري «صديقي الحكيم» على حدِّ قوله، ثم رمق الهالات السوداء حول عيني عمرو واستطرد قائلًا:

- وحاول أن تحصل على قسط من الراحة، سيِّد عزام.

ترجم الهاتف كلماته الروسية أوتوماتيكيًّا إلى عربية مُتقنة في نفس اللحظة، فهَز عمرو رأسه مُبتسمًا بإنهاك، وانتهت المُحادثة بكليشيهات

دبلوماسية مُختصرة، أراح بعدها الشاب جمجمته إلى مسند الرأس بمقعده الوثير خلف مكتبه، وأسبل جفنيه للحظات قبل أن يفتحهما وكأنه كان يشحن بطاريته خلال هذه اللحظات مُردِّدًا:

- Waiting.

وانتظر حتى اكتمل هولوجرام إبراهيم جودة أمامه مُجدَّدًا على مسافة لا تزيد عن المتر ونصف المتر، ثم قال بهدوء:

- اتأخرت عليك يا ابراهيم.

أسرع إبراهيم جودة يقول:

- Never mind يا مستر عمرو.

- السكرتيرة بلغتني انك بتحاول تتصل بقالك ساعات.

- صحيح.

فرك عمرو جفنيه وهو يقول بإرهاق:

- انا ليا يومين صاحي يا ابراهيم وعندي اجتماع مع الشئون المعنوية بعد (يلقي نظرة على أرقام ساعته) ساعة تقريبًا. فممكن باختصار تقولي سبب الاتصال؟

أجابه إبراهيم بهدوء:

- مَحدِّش عارف ينام في الظروف اللي زي دي يا عمرو بيه، وسبب الاتصال هو الاجتماع دا بالتحديد.

التقى حاجبا عمرو وهو يتساءل:

- وانتَ عرفت منين؟!

هز إبراهيم كتفيه قائلًا ببساطة:

- توقعت.

تفرَّسَ عمرو في وجهه بعينين يشع منهما الشَّك، فابتسم مستطردًا:

- Come on يا عمرو بيه! البلد في حالة حرب، والحرب يعني الجيش، والإعلام هو السلاح الأخطر في حروب السنين الأخيرة.

قال عمرو باقتضاب:

- هات اللي عندَك.

قال إبراهيم:

- اللي عندي هو سيناريو إجهاض المظاهرات الشعبية اللي هَتنفجر ضِد Egy- Nergy خلال ساعات، بعد صلاة الجمعة.

ردد عمرو بمزيجٍ من الاستخفاف والازدراء:

- حقيقي!

ابتسم إبراهيم قائلًا:

- مع احترامي لحضرات الظُباط في الشئون المعنوية، أساليبهم في إدارة المعركة خلال الفترة اللي فاتت متخبطة جدًّا ونتايجها واضحة للعَيان، بدليل الوضع المنيِّل اللي وصلناله، دا غير ان عدوكم دارس الأساليب دي كويس، وبيتعامل معاها بتدابير مُضادة.

فيه مكاسب اتحققت على الأرض في الساعات اللي فاتت؟ حصل. إحباط الهجمات الإرهابية على مزارع الشركة، واعتقال عدد من مُموليها من رجال الأعمال، بس كل دا ممكن يضيع عشان اللي البهوات مِش قادرين يستوعبوه ان نُص النجاح –ان مكانش أكتر- هو إدارة اللعبة الإعلامية.

- مُقترحاتك؟

تحولت ابتسامة إبراهيم لضحكة خفيفة وهو يقول:

- أنا مُجرَد مدير لحملة E. N الإعلانية، مِش مُستشارها الإعلامي.

رماه عمرو بنظرة نارية وهو يقول:

- بس احنا عندنا already مستشار إعلامي، الدكتور عدنان الإسلامبولي. ما انتَ عارفه!

أومأ إبراهيم برأسه موافقًا وقال:

- واجهة براقة، إعلامي مُخضرَم وشخصية محترمة، بس مِش دي المواصفات المطلوبة في المرحلة دي.

لم يُعلِّق عمرو، فتابع إبراهيم بجدية:

- عمرو بيه، هَكون صريح معاك.

خـروج آدم المـصري مـن الصـورة في التوقيـت الحَـرِج دا ضربـة مِـش هَينـة، انـتَ أكـتر واحـد مُـدرِك أد إيـه هـوَ كان مسـيطر ونفـوذه وعلاقاتـه مُنتشريـن في قـارات العـالم السِّـتة، وان غيابـه هَيفجَّـر أطـماع وهَيثـير أزمـات، مِـش وقتهـا خالـص، ومـع احترامـي، معاليـك هَتحتـاج وقـت ومجهـود عشـان تقـدر تحتـل مكانـه.

احتفـظ عمـرو بقنـاع الملامـح الهادئـة التـي دارت خلفهـا مـا جـاش بقلبـه مـن انفعـالات أثارتهـا الكلـمات، وحـاول إبراهيـم اسـتبيانها بعينيـه الخبيرتـين، والتقـط بالفعـل نـذرًا يسـيرًا منهـا مَيـزهُ في انقبـاض عضلـة صدغـه الأيمـن.

- لـو اسـتمرِت المظاهـرات الشـعبية المُتوقعـة ضِـد E. N. بنفـس القـوة والزخـم لـ ٤-٧ أيـام متواليـة، ودا وارد يحصـل بسـبب نقـص إمـدادات الطاقـة الـلي بيضغـط عـلى أعصـاب قطاعـات عريضـة مـن الشـعب، النظـام مِـش هيسـتحمل يسـدد فاتـورة Egy- Nergy أكـتر مـن كـدا.

انتَ محتاج مُستشار إعلامي يحققلك هدفين.

الأول: يرسـملك خارطـة الطريـق الـلي هَتكسـب بيهـا الحـرب الإعلاميـة لامتصـاص الضغـط الشـعبي.

التـاني: يمِسـكلَك الحملـة الإعلاميـة الـلي هَتسـوَّق للحكومـات والمؤسسـات -وأولهـم شركاؤك الأعـزاء- الـرأس الجديـدة لـ Egy- Nergy.

أنصت له عمرو بتركيز حتى انتهى، فتساءل ببطء:

- وانتَ شايف نفسك الشخص المناسب للمهمتين دول يا ابراهيم؟

أومأ إبراهيم برأسه مجيبًا وقال:

- أنـا مُخلِّصَـك المُنتظَـر يـا عمـرو بيـه ... فـ قلـب الدوامـة، اسـتثمارك لازم يكـون في غطـاس محـترف.

- استثماري؟

- (ساخرًا): Sure. أنا مش بَشتغل لوجه الله.

- والمُخلِّص المُحترف عايز كام؟

- تقصد عايز إيه؟

- وَضَّح.

- أسهُم.

ران الصمت لفترة وجيزة أطرق خلالها عمرو مُفكِّرًا لثوانٍ قبل أن يهز رأسه قائلًا:

- استعِد، هَستصدِرلَك تصريح عشان تحضر معايا اجتماع الشئون المعنوية بعد شوية.

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتي إبراهيم وهو يقول:

- طب وبالنسبة للـ ... ؟

قاطعه عمرو بحسم:

- بعد ما اشوف شغلك في الـ meeting هَتقعد مع الـ HR وتتفاوض معاه على طلباتك بتزكية مُباشرة مني.

- Fair enough.

لم يسمع إبراهيم السُّبة البذيئة -وإن كان قد حدسها- التي نالت من عرض أمه بمجرد انتهاء المكالمة وانقشاع هولوجرامه، ثم لم يلبث عمرو أن طلب محادثة المهندس إسماعيل عياد، رئيس قسم الـ IT والذي استغرق ثوانٍ قليلة ليتشكل هولوجرامٌ ذو شعرٍ أشيب وعينين لم يغادرهما بعد أثر نُعاسٍ ذبيح وهيكل عملاق مستقر في بذلة مُبعثرة قليلًا خلف مكتبه.

- وصلت لفين يا باشمهندس؟

أجاب المهندس عياد بصوتٍ أجَش:

- إحنا مَكملناش ساعتين لسه يا مستر عمرو!

قال عمرو:

- وانا مش بَطلب المستحيل يا باشمهندس!

- المستحيل إننا نخترق سيستِم بالقوة دي في ساعات.

- إنتَ الـ ITHD!

- سَبَق وشرحت لحضرتك إن نظام (س-١٨) تحديدًا كان خارج نطاق مسئولياتنا، صندوق إسود مُستَغلق علينا، ومستر آدم كان هو الوحيد اللي

(س-١٨) مُبَرمَـج للتعامـل مـع بصمتـه الحيويـة.

قال عمرو من بين أسنانه:

- ومجـرد مـا يغيـب مسـتر آدم، نلبـس احنـا فـ حيطـة! مانعرفـش حتـى ندخـل عـلى ملفـات الشركـة! وفـ الظـروف المنيلـة دي!

قال عياد:

- لاحـظ إن (س-١٨) مُبرمَـج عـلى الاسـتمرار في أداء مهامـه وإدارة عمليـات الإنتـاج والتوزيـع بكفـاءة مـن دون الحاجـة لتدخـل بـشري، دا عـلى الأقـل يضمـن إن الـ ...

- مفيش ضمانات.

قاطعه عمرو بحسم ثم أردف:

- غـير مقبـول تحـت أي ظـرف إن البيزنـس بتاعنـا يُـدار أوتوماتيكيًّـا مـن غـير مـا نقـدر نتدخـل!

قلب عياد كفيه وهو يتنهد قائلًا باستسلام:

- أنا والـ team بتاعي بنبذل قصارى جهدنا يا مستر عمرو.

- عـارف يـا باشـمُهندِس، وبرضـه هَطلـب منـك تبـذل أكـتر، السـكينة عـلى رقبتنـا كُلنـا.

لم يتَلق تعليقًا على عبارته، فرَدَّدَ:

- باشمُهَندِس!

أجابـه صمـتٌ مُطبـق إلا مـن الهَسـيس الخافـت المسـموع بالـكاد لمُكيِـف الهـواء المركـزي، فانتبـه هنـا مُندهِشًـا إلى أن المُكالمـة الهاتفيـة انقطعـت بالفعـل، ثـم لم تلبَـث دهشـته أن تضاعفـت عندمـا تَذبذبَـت الإضـاءة المُنبعثـة مـن جـدران قاعـة مكتبـه.

رفـع عينيـه إلى مواضـع انبعـاث الإضـاءة مـن الجُـدران حولـه عاجـزًا عـن اسـتيعاب مـا يحـدث، وفي اللحظـة التاليـة وقَـفَ شـعر رأسـه وانخلـع قلبـه مـن مكانـه عندمـا طـرق الصـوت المألـوف أذنيـه:

- اسمع كلام صاحبَك يا عمرو.

انتفضـت كل خليـة مـن خلايـاه وهـو يلتفـت إلى بـاب القاعـة الـذي انـزاح ببـطء.

- (س-١٨) صندوق إسوِد.

ومن ورائه، رأى آخر شخص كان ينتظر رؤيته.

- مُفتاحُه معايا أنا بَس.

***

-٢٦-

عـوازل الصـوت مَنعَـت أصـوات الطلقـات والخبـط والتكسـير مـن اجتيـاز حوائـط الشـقة التـي تُبطِّنهـا؛ لـذا فخـلال هبوطـه درجـات السلالم لم يُصـادف رفعـت أحـدًا مـن سـكان شُـقق البنايـة في هـذه السـاعة المُبكِـرة مـن الصبـاح.

هبَـطَ الطوابـق الثلاثـة وثبًـا وقلبـه يخفـق في صـدره بانفعـال يذوقـه لأول مـرة مُنـذَ اسـتيقاظه مـن غيبوبتـه قبـل عـام.

«**أنا عارفة انَك مَبتثِقش فـ حَد غيري**».

بينما صيحة زين «اهررررب» تدوي في رأسه.

انزلـق مِصراعًـا بوابـة البنايـة الزجاجيـة بنعومـة لـدى اقترابـه منهـا، فعـبر مـن بينهـما ركضًا.

«**بس انا عايزاك تثِق في زين**».

اهرب يا رفعت!

أكان عليه –فكَّرَ- أن يبقى؟

«**هياخد باله مِنَك**».

ما كان ليفعل لو بقي؟!

ينقذ رفيقه؟! ينقذ زينًا؟!

«**وعايزاك انت كمان تاخد بالك منه**».

غاض قلبه بين ضلوعه.

كيـف وقـد عجـزَ لأول مـرة عـن الوصـول لمخـاوف أحدهـم مُنـذ تعلـم ممارسـة قدرتـه الخارقـة؟!

اجتاحـهُ الهـواء المُثلَّـج بمجـرد خروجـه مـن بهـو البنايـة الدافـئ المُكَيَّـف، فارتعـد جسـده.

لم يكُـن هنـاك سـبيل لمسـاعدة زيـن بالنسـبه لـه هـو –رفعـت- عـلى الأقـل وقـد أخفقـت قدرتـه النفسـية لأول مـرة.

عَلِمَ جيدًا أن صاحب الخوذة هذا قد جاء هنا خصيصًا للنيل منه، لتصفيته، وكاد لينجح بالفعل لولا تدخل زين واستماتته في الدفاع عنه،

غادرت الأبخرة البيضاء طاقتي أنفه وهو يَجِد الركض قدر المُستطاع على الرصيف المُبتل.

«عايزاك تسمع كلامه فـ أي حاجة يقولهالَك».

اهرب يا رفعت!

أراده زين أن يهرب من هذا القاتل، وخاطر بحياته ببسالة من أجله، أفكان الأصوَب إذن أن يبقى في مكانه ويموت معه فتضيع تضحيته بحياته هباءً؟!

كيف حدث كل هذا؟!!

وأين اختفت أمل؟!!

أمل!!

«فيه خطر بيقرَّب ... خطر شديد».

سمع الصوت قادمًا من عِل، صوت زجاج ينكسر.

وقبل أن يرفع رأسه لأعلى، كان قد هَبَطَ أمامه وانغرست قدماه في أسفلت الطريق.

توقف رفعت بغتة عن الركض الأقرب للهرولة، فكاد أن ينزلق ويسقط على ظهره.

القامة الفارعة المُتشحة بالسواد.

الساقان المزدانتان بالعضلات مشدودتان إلى الأسفلت.

الخوذة الداكنة التي بدأت تنعكس عليها زرقة السماء الشاحبة.

تَقَدَّمَ منه فتراجع رفعت للوراء وقلبه ينبُض بعنف.

تسللت أصابعه إلى جيبه، شعر بالملمس البارد لميدالية بها مُفتاح وحيد.

وكمحاولة يائسة أخيرة، دفع بسياله الحيوي ليلتحم بسيال هذا المتشِح بالسواد.

داخل الممر البارد ذي الجدران المعدنية، قبض على مقبض المنشار

الكهربـائي، ضغـط زنـاده فتصاعـدَ أزيـز دوران إسـطوانته حـول محورهـا، ومـن دون تـردد دس شـفرتها الحـادة في موضـع لحـام البـاب بالحائـط فانبعثـت نافـورة مـن الـشرار.

أمـا بالخـارج، عـلى رصيـف ذلـك الكومباونـد الغردقـي، فكانـت خمسـة أمتـار لا أكـثر مـن الهـواء البـارد المُشـبَع ببخـار المـاء تفصـل بينهـما عندمـا دَوَت تلـك الصرخـة، وهـوى جسـدٌ مـن ارتفـاع ثلاثـة طوابـق ليرتطـم بجسـد المُتشِـح بالسـواد فيسـقط معـه أرضًـا.

جسد زين.

لم يـكُ يقاتـل، لمـح رفعـت وجهـه وقـد طمسـت الدمـاء والكدمـات ملامحـه ورآه وعـدوه يتدحرجـان حتـى وسـط الشـارع.

- اهرب، اهرب.

هـذه المـرة، لم يتزحـزح رفعـت مـن موضعـه قيـد أنملـة، زمَ شـفتيه بتصميـم، وانبعـث الوميـض مُجـددًا مـن وراء عدسـاته الداكنـة.

جَـز عـلى أسـنانه –داخـل الممـر المعـدني- وهـو يدفـع بالمنشـار الكهربـائي أكـثر وأكـثر، وضيـق مـن حدقتيـه لاتقـاء الـشرر الـذي مـلأ المـكان وأفعمـت أنفـه رائحـة شـياط.

أمـا زيـن، فعجـزت أصابعـه عـن مزيـد مـن التشـبث بخصمـه الـذي دفعـه عنـه وانفلـت منـه بيُـسر، ولم يلبـث زيـن أن رأى خوذتـه الداكنـة تطـل عليـه مـن عـل.

رفـع رفعـت سـبابته عـن زنـاد المُنشـار الكهربـائي فتوقفـت إسـطوانته عـن الـدوران، نظـر إلى الشَّـق الطـولي الضئيـل الـذي أحدثـه المُنشـار في موضـع لحـام البـاب مـع الحائـط، الشَّـق ذي الأطـراف المُسـوَدَة والـذي تتصاعـد منـه الأبخـرة.

انحنى، مَدَّ رأسه ليسترق النظر عبره.

الصـورة التـي رآهـا كانـت مشوشـة مُهتَـزة، وكأنهـا بَـث تليفزيـوني في منطقـة عشـوائية تَضعُـف فيهـا إشـارات اسـتقبال الأقـمار الصناعيـة، والأصـوات مُتداخِلـة تَغلُـب عليهـا شـوشرة اسـتاتيكية قويـة، رأى حَيـزًا غـير واضـح المعـالم،

ولَمَحَ في قلبه شابًّا فارعًا أنبأته أنفاسه المُتلاحقة المذعورة بأنه هو نفسه المُتشح بالسواد صاحب السيال الحيوي، كان جاثيًا على ركبتيه، مُنكفِئًا على وجهه، ذراعه الأيسر مَلوي خلف ظهره في قبضة شخص آخر متين البُنيان، لا تكاد تَبين ملامحه في الإضاءة الضعيفة المُتَذبذِبة.

- هتحتاج سايبورج جديد يا وِل.

سمعها تتردد بصوت بدا له –رغم الشوشرة الاستاتيكية- مألوفًا.

صاحب الإكتوبلازم المُنكفئ على وجهه يقاوم بحركة محمومة، ثم لا يلبث أن يصرخ عندما تنكسر عظام ذراعه المَلوي، وسمع رفعت الصوت المألوف يتردد مرة أخرى:

- التالتة تابتة يا وليد.

وهنا لمعت الإضاءة المتذبذبة لجزء من الثانية، فلمح رفعت وجه الشخص الآخر الذي كسر ذراع صاحب الإكتوبلازم، اجتاحته الدهشة، وعرف عندئذٍ لِمَ بدا له صوته مألوفًا.

كان الصوت هو نفس صوت رفيقه المُمَدَّد أرضًا وسط الشارع تحت رحمة خصمه المَوتور.

صوت زين الذي رأى من بين جفنيه المتورمين هذا الخصم الجبار يبتعد عنه مُتجهًا نحو رفعت.

وبينما كان يُنازع عضلاته المُنهكة لاستعادة التحكُم فيها، اخترقَت ضجة مباغتة هذا السياق وبعثرته تمامًا.

أدار المُتشِح بالسواد رأسه المُتخوِّذ بحركة حادة تجاه مصدر النفير العالي الذي شَقَّ صمت الصباح، فرأى سيارة داكنة قادمة من ناصية الشارع بسرعة هائلة، أنبأته البيانات التي بَثها له كمبيوتر خوذته بنوعية السيارة وسرعتها، وبأنها واحدة من أسطول سيارات Egy- Nergy التي يعمل لحسابها، وقبل أن يحرك ساكنًا فوجئ بها تنقض عليه بسرعتها التي تتجاوز المائة وخمسين كيلومتر في الساعة.

وفي الجزء التالي من الثانية كانت قد صدمته بعنفٍ شديد فاقتلعت

جسده من مكانه، وأطاحت به لعشرات الأمتار إلى الوراء ليسقط مُمددًا على أسفلت الطريق.

فرملة بارعة دارت معها السيارة وتوقفت على بُعد عدة أمتار.

رأى رفعت بابها ينفتح ويغادرها رجل متين البُنيان، أشيب الشعر معقوصه في خصلة ذيل حصان مدلاة خلف ظهره، اتجه نحو زين بخطوات سريعة وانحنى على جسده المُمَدَّد.

تحفزت حواسه وتماوجَ سياله الحيوي للذود عن رفيقه، وأرهف السمع، فالتقطت أذناه صوت زين إذ ردد بدهشة واهنة وهو يحدق في الوجه الدخيل المُنحني عليه:

- كابتن خالد!

ألقى الكابتن خالد فضالي نظرة متفحصة على وجه تلميذه القديم الذي امتزجت ألوانه، ثم قال بصوت خالٍ من أية انفعالات:

- عَدَّى زمن يا زين.

سعل زين فتناثرت قطرات من الدماء من بين شفتيه وقال:

- توقيت ممتاز.

- لسه وقت الحساب مجاش.

وأدار عينيه ليرمق رفعت الواقف عن كَثَب وتساءل:

- البطارية؟

أومأ زين برأسه، ثم تساءل بدوره:

- متابعنا من إمتى؟

كانت الضجة قد بلغت أسماع القلة التي استيقظت مبكرًا من سكان العمائر المحيطة، وأطلَّت وجوهٌ مذعورة من النوافذ والشُّرفات، ألقى الكابتن خالد نظرة سريعة عليهم ثم قال بعجالة:

- هَتفهَم فـ السِّكة، قوم معايا.

وأعقب هذا بأن لَفَّ ذراعه حول كتفه ودفع كفه أسفل إبطه ثم جذبه بذراعه الأخرى ليُنهضه على قدميه.

- قول لصاحبَك يركب العربية.

قالهـا خالـد بلهجـة آمـرة وهـو يتجـه بـه نحـو السـيارة، فتسـاءل زيـن بصعوبــة:

- على فين؟

أجابه بصرامة:

- مفيـش وقـت، (مومِئًـا برأسـه نحـو الجسـد المُتشِـح بالسـواد) هَيفـوق بـين لحظـة والتانيـة.

اسـتقر رفعـت عـلى أريكـة السـيارة الخلفيـة، بينـما زيـن يسـأل قائـده القديــم:

- إنتَ تعرفه؟!

انطلق الكابتن خالد بالسيارة مُرددًا بتهكم:

- إنتَ لسه مَعرفتوش؟!

تعلقـت عينـا رفعـت عـبر زجـاج السـيارة الخلفـي بالجسـد المُتشـح بالسـواد والـذي راح يتضـاءل مـع ابتعـاد السـيارة بسرعـة، وخُيِّـل لـه، قُبيـل انحرافهـا، أنـه لمحـه ينهـض مـن رقدتـه.

- وليد، زميلك القديم.

***

- مِش هتقولي حمد الله على السلامة يا عمرو؟!

سمع عمرو عزام الكلمات المغلفة بنبرة ساخرة، وكأنها أصداء قادمة من بعيد عبر زجاج سميك كاتم للصوت، استغرق ثوانٍ لينتزع نفسه من براثن الصدمة الهائلة التي زلزلت أركانه وعَطَّلَت حواسه، ويفتش عن صوته الحبيس وهو ينهض من خلف مكتبه قائلًا بلهجة حاول أن يمزج دهشتها بالفرحة:

- مستر آدم! الحمد لله على السلامة!

استنفر بحق قصارى جهده ليغالب ذهوله والقلق الذي تفجرَ في أعماقه، وليَضخ أكبر قدر ممكن من الحرارة في صوته وحركة جسده، بينما يندفع ليصافح آدم المصري، بل وراودته فكرة أن يقفز فوق أسوار الكُلفة الرسمية بينهما ويعانقه، لولا وقفة آدم الثابتة وذراعه التي مدها نحوه على امتدادها وكأنه يدعوه للاكتفاء بمسافة المصافحة بينهما.

- أنا مِش مصدق نفسي!

تلاعبت بسمة غامضة على شفتي آدم وهو يقول:

- عُمر الشقى بَقِي.

وتجاوزه موغِلًا بقلب القاعة وهو يجيل بصره في أرجائها وكأنه يعاينها للمرة الأولى، ثُمَّ دار حول المكتب والتفَت إلى عمرو قائلًا:

- تسمحلي؟

بالرغم من حياد لهجته إلا أن أذنا عمرو لم تُخطئا تمييز الرنة الساخرة فيها، ففارَ قلقه وإن لم يَطفُ على صوته وهو يردد بحرارة:

- يا خبر يا مستر آدم!

جلس آدم خلف مكتب عمرو، وضع ساقًا على ساق ودَسَّ سيجارًا بين شفتيه، سارعَ الشاب بإشعاله له وجلب له قهوته المُفضلة، ثم جلس

قبالتـه يجـوس بعينـين مأخوذتـين في ملامحـه.

تقاطيعـه المنحوتـة مـن صخـرٍ أصـم، اللحيـة الناعمـة التـي خطهـا البيـاض تؤطِـر وجهـه، ثيابـه التـي ظلـت عـلى حالهـا منـذ غـادر بهـا ليلـة أمـس، وكأنـه يسـتوثِق مـما يـراه.

قال له آدم مبتسمًا:

- بتبُصلي كدا ليه؟

هَز عمرو رأسه بلا معنى، ثم لم يلبث أن غلبه فضوله فتساءل:

- إيه اللي حصل، مستر آدم؟!

نظر له آدم مليًّا وهو ينفث دخان سيجاره ثم قال بهدوء:

- إنتَ مش متابع الإعلام؟

نفذت عيناه مباشرة في عيني عمرو الذي ازدردَ لعابه وقال مرتبكًا:

- متابـع طبعًـا أول بـأول ووصلتنـي تقاريـر القـوات البحريـة، أنـا بَسـأل عــن... إزاي يعنــي؟! أقصــد ان ... ! ...

واختنقـت -ربمـا لأول مـرة في حياتـه- حروفـه وأعجـزه الانفعـال عن اسـتكمال سـؤله مـما أورثـه حُنقًـا مُضاعفًـا عـلى نفسـه وعـلى رئيسـه العائـد، فالتقـط نَفَسًـا طويـلًا وزفـر بعمـق لكبـح جـماح توتـره ثـم قـال:

- أقصد اسأل معاليك، إزاي نجيت من حادث إسقاط الطوافة؟

نَفَثَ آدم المزيد من دخان سيجاره وقال باقتضاب:

- قولتِلَك عُمر الشقي بقي.

حدَّقَ عمرو في وجهه وفتح فمه ليعرب عن حيرته، ولكن آدم بادره:

- سمعت ان فيه أخبار حلوة.

بـدا هـذا الانحـراف في مسـار الحديـث مفاجئًـا غـير مريـح أو مُشـبِع للفضـول الـذي ينهَـش أعـماق عمـرو، خاصـةً أنـه يعلـم جيـدًا أن أنظمـة الطـوارئ بالطوافـة -رغـم تطورهـا- لا تتجـاوز قدرتهـا منـاورة الصواريـخ، ولا تشـمل إنقـاذ الـرُّكاب مـن إصابـة مُباشرة بصـاروخ، غـير أنـه -كعادتـه- جـارى رغبـة رئيسـه فقـال بسرعـة:

- الأخبـار ممتـازة، الشـبكة كلهـا بتتداعـى، الميليشـيات المُسـلحة سَـقطِت في معـارك العلمـين والـوادي الجديـد وأسـوان، وأغلـب أفـراد شـبكة التمويـل الـلي فالقايمـة الـلي وصلتنـا مـن The Eye في قبضـة السُّـلطات، ومسـألة وقـت لغايـة مـا كُلهـم يتمسـكوا، البلـد دلوقتـي مقفولـة (رفـع أصابعـه مضمومـة) كـده.

- وبَرَه؟

- نفس الأخبار تقريبًا في العالم كله.

وابتسم مُضيفًا:

- بالإضافة لنجاتك طبعًا يا مستر آدم، دا خبر هَيهِز العالم كله.

- فعلًا!

مرة أخرى لَم تَرُق الرنة الساخرة في صوته لعمرو الذي رددَ:

- أكيد.

جَثـم صمـتٌ ثقيـل لمـا يقـرب مـن دقيقـة كاملـة، اسـتمر خلالهـا آدم في ارتشـاف القهـوة وإطـلاق سُـحُب الدخـان الأبيـض مـن دون أن يتفـوه بحـرف وهـو يرمـق مرءوسـه الشـاب بنظـرات نافـذة، شـعرَ الأخـير بوطأتهـا عـلى كيانـه المُثقَـل بـالأسرار.

- قلِقت عليا يا عمرو؟

ارتفعَ حاجبَا الشاب وأجاب مُندهِشًا:

- طبعًا!

- ليه؟!

ارتبك عمرو للحظة ثم قال:

- دا سـؤال يـا مسـتر آدم؟! حضرتَـك أسـتاذي ورئيـسي واخويـا الكبـير، واتعلمـت مِنَـك كتـير، بالإضافـ ...

قاطعه آدم:

- أقصد ليه سَمَحت برَصد وتتبُع مكالمتنا الأخيرة؟

هـوى السـؤال كالصاعقـة عـلى عمـرو، فاتسـعت عينـاه وغاضـت الدمـاء مـن وجهـه، وخـرج صوتـه مُختنقًـا أدغـمَ بعـد لحظـة مـن الصمـت المذهـول:

- بتقول ايه يا مستر آدم؟!

- إنتَ سمعت السؤال.

وأطلق دفقة من الدخان في وجهه مُباشرةً واستطرد:

- بمعنى أدَق: ليه سَمَحت للأمريكان بتعقب المكالمة ورَصد مسار طوافتي وإسقاطها بالصواريخ؟

بدا وجه عمرو ذو الملامح الدقيقة والرأس المثلث المُغطى بشعر أسود قصير أقرب لنَحت مُعَبِر موضوعه الصدمة والذهول، تلاحقت أنفاسه وارتعشت شفته السفلى، شعر بدخان السيجار يصعد في أنفه ويحرق شعيراته، فدمعت عيناه وهَمَّ بقول شيء ما على سبيل دفع الاتهام الخطير عن نفسه، غير أن آدم قطع عليه الطريق:

- عمرو، انتَ شاب ذكي، وبقالك سنين بتشتغل معايا، يعني المفروض انك خلاص فاهِم إني مادام بَوجِهلَك اتهام بالحجم دا، يبقى انا عندي فكرة عن اللي بَقولهولَك (نفثَ دُخانًا) فبلاش نضيع الوقت في مُهاترات.

تبخرت الكلمات من على طرف لسان عمرو، ولاذ بالصمت إلا من الأنفاس الثقيلة التي غادرت صدره بصوتٍ مسموع.

- جوليا فرانكلين وعدتَك بإيه؟

خيمَ الصمت للحظاتٍ أخرى تراقصت خلالها سُحُب دخان السيجار بينهما، قبل أن يجيب عمرو بهدوء ظاهري:

- وعدتني انها تدعم رئاستي لـ E. N. المصرية بعد الانفصال.

هَزَّ آدم رأسه قائلًا:

- من ساعة ما قابلتَك وانا مُعجَب بطموحَك.

- أنا آسف يا مستر آدم.

رفع آدم حاجبيه متسائلًا بسخرية:

- بتتأسِّف على خيانتك؟!

- إنت اللي اضطريتني.

- (بصرامة): أنا اللي عملتك.

سحب عمرو مُسدسًا من باطن سترته، سَدده نحو رئيسه قائلًا بتوتر:

- إنتَ السقف اللي مِش هَعرَف اتخطاه.

نظر آدم إلى الفوهة التي تواجهه، وقال بابتسامة هازئة:

- فقررت تهِد السقف دا.

ازدردَ الشاب لعابه وهو يقول:

- دي سُنة الحياة، الجديد (يضغط زناد المُسدَس) بيزيح القديم.

تكة خافتة صاحبت خروج الطلقة عبر الفوهة بسرعة تفوق سرعة الصوت نحو منتصف جبهة آدم الذي يبعد عن الفوهة بما يقل قليلًا عن الأمتار الأربعة، الأمر الذي يعني أن الرصاصة ستخترق جمجمته في نفس لحظة ضغط الزناد تقريبًا.

غير أن هذا لم يحدث.

نظر عمرو غير مُستوعِب لرئيسه الذي رفع فنجان القهوة إلى شفتيه ليرشف آخر قطراتها، ولوهلة تشكك في أنه لم يضغط زناد المسدَس بعد.

- إنت غلطان يا عمرو.

قالها آدم بهدوء.

- سُنة الحياة إن القوي.

هنا، بدأ عمرو يُميِّز الجسم الضئيل الذي يسبح ببطء في الهواء متمردًا على قانون الجاذبية، في منتصف الخط غير المرئي الذي يفصل بين فوهة المسدس وجبهة آدم.

الرصاصة التي أطلقها!

- بيغلب الضعيف.

استغرق عقله وقتًا ليحلل ويستوعب تفاصيل المشهد غير الطبيعي، وعندما فعل، عصف رعبٌ حيواني بكيانه كله، دفعه ليقفز إلى الوراء بحركة متشنجة كادت تسقطه أرضًا.

- نصيحة أخيرة من أستاذك ورئيسك وأخوك الكبير.

ضغط الزناد بهيستريا مرات متتاليات حتى فرغت خزينة المُسدَّس، وفي

كل مـرة كان عـدد الطلقـات السـابحة في الهـواء يـزداد طلقـة إضافيـة، بَـدَت الرصاصـات كـما لـو كانـت قـد انغرسـت كلهـا في جـدار شـفاف يفصـل بـين السـلاح والهـدف.

- لما تفكر تقتل حَد نجا من انفجار طوافة بصاروخ أرض- جو.

جحظـت عينَـا عمـرو وهـو يتراجـع للـوراء مَشـدوهًا، حتـى كادتَـا أن تقفـزَا مـن محجريهـما.

- إسأل نفسَك الأول.

الطلقـات العالقـة في الهـواء فقـدت بغتـة قدرتهـا الميتافيزيقيـة عـلى مقاومـة الجاذبيـة، فسـقطت متناثـرة بصـوت مسـموع عـلى الأرضيـة البورسـيالينية.

- هوَ نجا إزاي؟!

اختنقـت أنفاسـه بغتـة عندمـا اعتـصرت أصابـع قويـة غـير منظـورة حنجرتـه، ورفعـت جسـده كلـه لبضعـة سـنتيمترات عـن الأرض، نظـر بعينـين جاحظتـين تشـعان هلعًـا إلى المسـدس الـذي في يـده، وقـد فقـدت جزيئاتـه تماسـكها فاسـتحال مسـحوقًا تفتـت وانسـلَتَتْ ذراتـه مـن بـين أصابعـه.

رفـع بـصره لآدم فـرآه لا يـزال عـلى جلسـته، خُصلـة مـن شـعره تهدلـت عـلى جبينـه، يُحـدِّق فيـه بعينـين دمويتـين ضاعفتَـا مـن رعبـه.

في هـذه اللحظـة، قفـز إلى مقدمـة رأسـه مشـهدٌ ظـل يناوشـه ويَلِـح عـلى ذاكرتـه الواعيـة طيلـة الأيـام الماضيـة –مـن دون أن يعـرف لِـمَ- مُنـذُ يـوم تفجـير مقـر الشركـة الرسـمي في بارادايـس هايتـس.

أمـا آدم المـصري، فظـل ثابتًـا في مكانـه ... رفـع عمـرو عينيـه إليـه، فـرآه جالسًـا في مقعـده، منتصـب الظهـر، لم تمسسـه شـظية واحـدة مـن الشـظايا المتطايـرة مـن زجـاج النافـذة التـي تبعـد عنـه خطـوات قليلـة ...

الآن يعرف لِمَ!

جاهد ليلتقط أنفاسه بمشقة، وخرج صوته متحشرجًا:

- إنت مين؟!

جاءه صوت آدم عميقًا مخيفًا من وراء سحاب الدخان الأبيض:

- دا سؤال كويس.

آلام مبرحة راحت تزحف على جسده، كل عظمة من عظامه تئِن.

- أنا ليا ٣ أسامي.

كل خلية من خلاياه تصرخ.

- عايز أي إسم فيهم؟

رُغمًا عنه، غادر صدره أنينًا طويلًا مُعَذبًا.

- آدم؟

اشتعلت النيران ببطء في ثيابه.

طوحَ ذراعيه وقدميه بجنون.

- ولا نور؟

الأنين الخارج من صدره يستحيل صراخًا مُدوِيًا.

قال الجالس وراء المكتب بينما وَهَج اللهب ينعكس على وجهه:

- ولا أدهم؟

كان هذا آخر ما سمعه عمرو قبل أن يَصُم صراخُه هو نفسه أذنيه.

***

تشخيص حالة وليد بعد لقائكما الأخير يا عزيزي زين قبل عامٍ فائت في عربة المترو بمدينة نصر كان كسرًا في عظام الفك والجُمجُمة، وارتجاج ونزيف شديد في المُخ، وتهتُّك في الفَص الأيمن، بالإضافة طبعًا للكسور المُضاعفة في ذراعه التي خرجت سليمة من قتالكما الأسبق على مَتن طوافة الشركة.

حالة الفتى كانت حَرِجة بالفعل، النزيف غزير وكان ليترك أثرًا فادحًا على وظائفه الحيوية لو نال الفرصة الضئيلة التي تبقت له في النجاة؛ لذا فعندما طُرِحَت فكرة علاجه بإحدى التِّقنيات الحديثة التي لم تبارح طور التجارب بَعد، لم يستغرق اتخاذ القرار وقتًا، أنتَ تعلم أن وليد بلا أهلية، وقام قسم الـ HR بالتقاطه صغيرًا لم يجاوز الرابعة عشر من إصلاحية رعاية الأحداث، وإلحاقه ببرنامج تنشئة الصيادين، لم يكن له أهلٌ أو أقارب معروفين يشترط القانون طلب موافقتهم على إجراء التجربة العلاجية عليه، دَعَك من أنه كان ينزلق وبسرعة نحو الموت.

أنا متأكِّد من أنك لاحظت في قتالك معه قبل دقائق أن سرعته ومهاراته قد تضاعفت أثناء القتال نفسه. أتدرى لِمَ؟ لأنه دَرَسَ سرعتك وقدراتك خلال لحظات القتال الأولى، ومِن ثَمَّ قام بزيادة سرعته وتطوير أدائه باستخدام تكنيكات مُضادة لتكنيكاتَك.

شعر أن غريمه قد ازدادت سرعته على نحوٍ مفاجئ أو كأنه صار يعلم بالضبط متى وأين سيسدِّد ضربته، فطاشت ضرباته كلها هذه المرة ولم تُصِب إلا الفراغ، على عكس ضربات هذا الغريم التي عجز زين عن ملاحقتها بالصَّد أو التفادي، فانهالت كالمطر على وجهه وجسده وبعنف شديد ...

لا، ليس وليد بالضبط هو من فعل، ولكنها تلك الشريحة التي تم

تثبيتهـا في مخـه، وتتصـل بضفائـره ونهاياتـه العصبيـة وتتحكـم في نِسَـب الصوديـوم والبوتاسـيوم ومسـارات الشُّحنات الكهربائيـة وبالتـالي تُسـيطِر عـلى أفعالـه وردود أفعالـه، وليـد هـو النمـوذَج الأكـثر اكتـمالًا لنجـاح تجربـة مُقاتِـل سـايبورج حقيقـي ترتفـع نسـبة المُكـوِن الآلي في آليـة اتخـاذ القـرار لديـه لأكـثر مـن ٨٠٪ في المواجهـات المُسـلحة والأعـمال القتاليـة والعسـكرية.

الشريحـة المزروعـة في رأس وليـد، والمحميـة بجمجمـة صناعيـة مـن التيتانيـوم بـدلًا مـن تلـك التـي شـققتها ركلتـك أيهـا الفتـوة (!)، هـذه الشريحـة مُتصلـة مبـاشرةً بـ (س-١٨). تُـزوده بـ ...

- (س-١٨)؟!

تسـاءل زيـن وهـو يديـر عينيـه إلى الكابـتن خالـد الجالـس إلى مِقـود السـيارة المُنطلقـة عـلى أسـفلت طريـق الغردقـة/ القاهـرة تحـت شـمس الصُّبـح الوليـد.

- (س-١٨) الكمبيوتـر المركـزي الـلي بيتحكـم في كافـة عمليـات الإنتـاج والتوزيـع والأمـن لشركـة Egy- Nergy، قاعـدة بيانـات عملاقـة تتلقـى المُدخـلات المعلوماتيـة مـن حـول العـالم ثانيـة بثانيـة، أعـلى درجـات الـذكاء الاصطناعـي المُتاحـة في العـالم، تخطيـط اسـتراتيجي ومركـزي متكامـل.

كل الـلي بتسـتقبله أجهـزة وحـواس وليـد مـن بيانـات ومُعطيـات بتتنقِـل مـن خـلال الشريحـة لـ (س-١٨)، بيحللهـا ويدرسـها وبيتخـذ القـرارات ويبعتهـا للشريحـة في جـزء مـن الثانيـة، والشريحـة المُتصلـة بأعصـاب وحـواس وليـد بتنفِّـذ القـرارات دي. فاهمنـي؟ يعنـي انـت فعليًّـا كُنـت بتتعـارك مـع (س-١٨) مِـش وليـد!

قال زين وهو يمسح الدماء من على وجهه بالمناديل:

- اللي اعرفه انك سايب الشركة من سنة!

ألقـى خالـد نظـرة سريعـة عـبر مـرآة السـيارة عـلى رفعـت الجالـس كتمثـال إلى الأريكـة الخلفيـة ثـم أجـاب:

- سِبت الشركة قبل دخول وليد العمليات بأيام.

كـوَّرَ زيـن المناديـل التـي اصطبغـت بالأحمـر وتركهـا تسـقط في سـلة

المُهملات، ثم استدار بصعوبة نصف استدارة إلى قائده القديم وتساءل:
- إيه اللي بيحصل بالظبط يا كابتن خالد؟

سَحَبَ خالد سيجارًا من علبة في تابلوه السيارة، دسه بين أسنانه، أشعله، ثم نفث سحابة من الدخان.

أنا هنا من أجلِك يا بُنَي، ومن أجل رفيقك صاحب القدرات الخارقة.

أعرف أنَك مُندهِش، وأن عقلك سيذهب إلى أن هدفي هو الإيقاع بك بعدما كان بيننا في الماضي وتسبب في خسارتي لوظيفتي بالشركة، وإلقائي إلى الشارع. حسنًا، يبدو شهور التدريبات في مُعسكرات الصحراء أنسَتكَ دماغ أستاذك العجوز!

لربما كنت أحتقر ما فعلته أنتَ، لربما لا أبتلع لوثة الجنون التي أصابتك قبل عام وجعلتك تفسِد كل شيء من أجل بطارية موشِكة على الموت، لربما كان انقلاب حياتي رأسًا على عقب من وراء فعلتك الطائشة هذه، ولكنني -رغم كل شيء- لستُ ناقمًا عليك!

لِمَ؟

الأمر مُعقَّد بعض الشيء؛ لأنك في النهاية مدفوع بشيء أكبر منك، شيء يَكمُن في ذكرياتك البعيدة، في علاقتك بأمك، بأبيك، شيء مُعَقَّد يضغط على أعصابك، لمحته في غضبك الزائد وعُنفك غير المُبرَر في عملنا، ثم استوعبته كاملًا عندما زُرتُ بيتك -كي ألقي القبض عليك- ولمَست تعلقك بذكرى أمك. هذا الاضطراب مع طيش الشباب بالإضافة لعاطفة لم أزَل أحملها لتلميذي ومرءوسي، كل هذا سَهَّل عَلَيَّ توجيه شُحنة الغضب والنقمة نحو الجلاد الحقيقي: الشركة.

هل أحكي لكَ أيها السهم المكسور عن جلسات التحقيق المُطَوَلة التي مَضغ فيها مُحققو Egy- Nergy لحمي بين ضروسهم وشربوا من دمي حتى ارتووا؟!

أأصِف لك تقلبي كسمكة على مقلاتهم بينما أجيب الأسئلة المُكررة صاغرًا مُنكَّس الرأس؟ سنوات عُمري التي أفنيتها في خدمة الشركة توشِك

على التلاشي من ورائي، وسنواتي القادمة معتمة لا يظهر منها شيء ... الماضي والمستقبل مُعلقان بخيط واحد رفيع، سرعان ما انقطع بنصل الحُكم القاطع الذي غادر لجنة آلهة التحقيق. في لحظة واحدة هَويتُ، بلا مُدخرات أمَّنها الماضي، ولا أمل في عمل يصلح لعسكري سابق قطع شطرًا لا بأس به من النصف الثاني من عمره.

صَدَرَ الحُكم ولا استئناف له، إلى الشارع يا كابتن خالد، ولا مستحقات مالية أو مكافآت نهاية خدمة لك في ذمتنا (وهُنا بيت القصيد يا زين، السبب الحقيقي لسرعة التخلص مني ومن أعباء مستحقاتي المتراكمة لديهم). هذا هو عقاب الخاسرين في شريعتنا، لا يشفع لك أنك من الرعيل الأول من صيادي الشركة، لا تشفع لك أرقامك التي حققتها طيلة العقدين الماضيين، لا شأن لنا بأسرتك وأبنائك الموزعين على مراحل التعليم المختلفة، كان أولى بِك أنت أن تفكر فيهم عندما تخاذلت في أداء عملك وتسببت في حالة سهم مكسور.

من فضلك، لا تعقيب على قرار لجنة التحقيق. وداعًا، نشكرك على الرحيل بهدوء.

لذا، عزيزي زين، لم أتردد كثيرًا في الموافقة على العرض الذي تلقيته هاتفيًّا في منتصف ليلة ربيعية بعد ثلاثة أشهر من خروجي مهيضًا مُفلسًا من داخل أسوار مملكة Egy- Nergy.

- عَرض إيه؟!

تساءل زين باهتمام، فأجابه الكابتن خالد وهو يرسل بصره عبر زجاج السيارة المُنطلقة أوتوماتيكيًّا:

- الثورة.

مُحدِثي –لغته الانجليزية، وقَدَم لي نفسه باسم نظيم الدين- كان مُختصرًا ووافيًا.

أخبرني عَبر اتصال هاتفي مُؤمَّن أنه مُنسِق لدى عددٍ من الجهات التي يهمها إسقاط استثمارات Egy- Nergy. قال لي: إنهم عَلِموا بشأن فَصلي

من الشركة، وما أتعرض له من أزمات مالية حادة، وعَرَض عليَّ الانضمام إليهم بمقابل مادي مُغر كفيل بتأمين مستقبل أبنائي، بالإضافة لفرصة لا تُعَوَّض للثأر مِمَّن أذلوني وسرقوا مالي.

لم أستغرق -كما لك أن تتخيل- وقتًا لحسم أمر موافقتي.

- (بذهول): إنتَ يا كابتن خالد معانا!!!

نفَثَ خالد حلقة من دخان السيجار في وجهه الممتلئ بالكدمات وقال:

- إنتَ اللي معانا يا زين.

دعنا نقفز فوق التفاصيل غير المهمة يا بُنَي، فالوقت يُداهِمنا.

دخولى المُعترك يعني أمرين اثنين، الأول -ولابُدَ أنكَ أدركته بنفسك- هو أن الخطة قد فشلت؛ الهجوم العسكري على مزارع Egy- Nergy حول العالم أُحبِطَ، ورجالنا تمت تصفيتهم بالكامل، حتى مُعسكرات التدريب تم اجتياحها بطائرات وصواريخ، ثم مُدرعات الجيش وقوات مكافحة الإرهاب، وأغلب شبكات التمويل سقطت في قبضة الأمن.

ثمة من سَرَّب خطة المراحل النهائية من العملية كاملةً إلى E. N. في لحظة مفصلية.

- وأمل؟؟؟

- فـ إيدهُم.

هوى قلب زين بين قدميه، تقلصت ملامحه المتورِّمة ونَدَّ أنينٌ أشبه بالنحيب من بين أسنانه، رمقه الكابتن خالد بنظرة حَمِلَت الاستنكار وشيء من الازدراء.

لا تَخش عليها يا فتى، هي في أمان طالما هذا المخلوق العجيب الجالس إلى الأريكة الخلفية بعيدٌ عن أيديهم. الخطر الحقيقي يتهددنا نحن. للدقة، يتهددك أنت ما دُمت مُرافقًا له -للمخلوق العجيب- ولي أنا ما دُمت قَبلتُ مهمة نجدتكما.

لقد خرج الكل لاصطيادكما يا زين، في هذه اللحظات وبينما نتحدث، تمتلئ الشوارع برجال وأفراد ومُرشدي الشرطة وعملاء استخبارات الشركة،

ينبشـون كل شـبر منهـا كالذئـاب المسـعورة بحثًـا عنكـما، صورتاكـما مُذاعتـان علـى جميـع المحطـات ومواقـع الإنترنـت، لا مـكان بوسـعكما الاختفـاء فيـه؛ لأن البيـوت والفنـادق والمتاجـر والمـولات والمطـارات ومحطـات القطـارات والباصـات تحـت الرقابـة الدائمـة لأنظمـة The Eye التـي عَـثُرَت عليكـما قبـلًا في مطـار الغردقـة بعـد أن زُوِدَت ببصمتيكـما الحيويتـين، وتتحـين ظهوركـما مـرة أخـرى.

باختصـار، المـكان الوحيـد الآمـن بالنسـبة لكـما -وبشـكل مؤقـت- هـو صالـون هـذه السـيارة.

- والحاجة التانية؟

لفـظ زيـن السـؤال بعـد بُرهـة مـن الصمـت، فالتقـى حاجبَـا خالـد الأشـيبين وهـو يـردد:

- التانية!

- قولتـلي ان ظهـورك معنـاه حاجتـين، الأولى ان خطـة الثـورة فشـلت. التانيـة إ يه ؟

قال الكابتن باقتضاب:

- إن plane B بدأت.

- Plane B!

لا مزيـد مـن التفاصيـل يـا بُنَـي، دورنـا الآن هـو البحـث عـن مـلاذٍ آمـن لإخفـاء حمولتنـا الثمينـة، صديقـك العجيـب هـذا، خـلال السـاعات القادمـة، حتـى تصلنـا التعليـمات الجديـدة، مـكان بعيـد عـن عيون الأمـن والاسـتخبارات، والأخطـر: أنظمـة The Eye.

طـال الصمـت بينهـما هـذه المـرة، فرفـع الكابـتن خالـد عينيـه ليرمـق خيـوط الشـمس التـي تقاتـل للنفـاذ مـن خـلال طبقـات الغيـوم الرماديـة فـوق الطريق المُمتَـد لمئـات الكيلومـترات حتـى حـدود العاصمـة، أمـا زيـن فأطـرق برأسـه مُفكـرًا وشـاعرًا بـآلام جسـده ورأسـه تنبُـض بعنـف، ألقـى نظـرة عـلى المـرآة الجانبيـة التـي عكـسَ زجاجهـا صـورة رفعـت الغـارق في صمتـه.

قال بصوتٍ ضعيف:

- كابتن خالد.

أدار الكابتن رأسه إليه وهو يطلق حلقة أخرى من الدخان.

- أنا اعرف مكان نقدر نختفى فيه.

***

-٢٩-

(قبل ما يزيد عن الخمس وعشرين عامًا):

حينما استيقظت ذلك الصباح، لم تفهم شيئًا.

رأسـها كان ثقيـلًا مُصمتًـا كجلمـود صخـر، لدرجـة أنهـا عجـزت حتـى عـن اسـتدعاء السـؤال الكليشـيهي الشـهير «أنـا فـين؟» وإن كان -للحـق- السـؤال الأقـرب لدماغهـا والأكـثر إلحاحًـا لمـا بـدأ الجليـد يـذوب مـن حـول مراكـز التفكـير في مخهـا هـو «أنـا مـين؟».

ظمأ شديد يصحو في حلقها.

مُمَـددة في فـراش صغـير، مُغطـاة بأغطيـة بيضـاء، الخراطيـم تخـرج مـن جسـدها مُتصِلـة بأجهـزة ذات أزرار وشاشـات ينبعـث منهـا أزيـز رتيـب خافـت.

الغرفـة الصغـيرة مـن حولهـا هادئـة، نظيفـة، مُضـاءة بالنيـون، وثمـة نافـذة زجاجيـة عريضـة تلتهـم نصـف الحائـط المواجـه لهـا.

حاولـت أن ترفـع أصابعهـا بوهَـن لتُخلِّـص نفسـها مـن الخرطـوم الـذي يخـترق حلقهـا عـبر فتحـة أنفهـا، فعَجَـزَت إلا عـن إصـدار همهمـة غـير مفهومـة، في نفـس اللحظـة التـي انفتـح فيهـا بـاب الحجـرة واندفعـت داخلـه فتـاة شـابة في زي وردي اللـون تعتمـر قبعـة بيضـاء.

سـمعتها تتكلـم بحـروف سريعـة متداخلـة عجـزت عـن تمييزهـا، زاغـت عيناهـا وبذلـت مجهـودًا لترفـع جفنيهـا عنهـما.

امتـلأت الحجـرة بآخريـن لم تقـدر عـلى إحصائهـم، ليـس لكثرتهـم، فعددهـم لم يَـزِد عـن الطبيـب النوبتجـي الشـاب ومُمَـرِّض ممشـوق القـوام بالإضافـة للممرضـة الشـابة أول مـن وصلَـت، سـمعتهم يتحدثـون فيـما بينهـم، يوجهـون إليهـا الـكلام بابتسـامات عريضـة مُرحِبـة وبلغـة اسـتغرقت وقتًـا لتُميـز أنهـا الفرنسـية، يداعبونهـا ويهنئونهـا عـلى سـلامتها ويخاطبونهـا بــ مودمازيـل

شـادية.

شادية!

وخـز الاسـم ذاكرتهـا الصـماء، ليـس لأنـه بـدا لهـا مألوفًـا، بـل العكـس، والأصح أنـه لفـرط غربتـه عنهـا، كان أقـرب لصدمـة كهربائيـة انتفضـت لهـا تلافيـف ذاكرتهـا الميتـة، فعـادت تنبُـض ببـطء مُسـتعيدة أول مـا اسـتعادت اسـمها الأصـلي.

أمل!

اسمها هو أمل. أمل الشافعي.

إحساسـها التائـه بالزمـن، وتأرجحهـا بـين الوعـي واللاوعـي لم يسـعفاها في الإمسـاك بطـرف الخيـط واسـترداد تاريخهـا ببسـاطة، فاسـتغرقت أيامًـا لَـم تُحصِهـا؛ لترتـب قِطـع البـازل ترتيبًـا صحيحًـا بالتزامـن مـع اسـتعادتها لصحتهـا.

أخبرهـا أطباؤهـا أنهـا أتَـت إلى هـذه المستشـفى الباريسـية عـلى مَـتن طائـرة خاصـة قادمـة مـن القاهـرة، بعـد أن أُصِيبَـت في أحـداث الفـوضى الأخـيرة التـي صاحبـت الصدامـات المسـلحة بـين أجهـزة الأمـن المصريـة والجماعـات الإرهابيـة الإسـلامية.

في البَدء لم تفهم عَمَّ يتحدثون.

آخـر مـا اسـتطاعت تذكـره هـو هـذه الأيـام العصيبـة التاليـة لاختفـاء أدهم، الأيـام التـي عـادت لتنطبـع عـلى ذاكرتهـا ببـطء عذبهـا وكأنهـا قطـرات مـن الحمـض تنسـكب ببـطء في حلقهـا.

الميـدان الـذي ضَـجَّ بمعتصميه، رجال ونسـاء، أُسَر وأطفال وشـيوخ، أنشـطتهُم مُوَزعـة بـين التظاهـر والهتـاف والعبـادة والابتهـال إلى اللـه بعاجـل نـصره عـلى القـوم الكافريـن (!)، المنصـة لا تَكُـف عـن سَـكب المزيـد والمزيـد مـن الآيـات والأحاديـث فـوق جـذوة حماسـتهم؛ سـواء بصـوت الشـيخ فتحـي الجهـورى، أو بإسـلوب خالـد عبـاس -أبـا نضـال- الأخـاذ الـذي يكتسـب يومًـا بعـد يـوم سَـمَت الزعيـم. واحـدٌ منهـم، يتحـدث لغتهـم ويديـن بدينهـم ويشـاركهم حلمهـم الأعظـم: الخلافـة. يسـمعونه إذ يخاطـب قلوبهـم ويشـحذ هممهـم

مـن عـلى المنصـة، ثـم لا يلبثـوا أن يُشـاهدونه -بإجـلال- يُـدلي بالبيانـات والتصريحـات لوسـائل الإعـلام المحليـة والأجنبيـة أو مُتنقِـلًا هنـا وهنـاك في أرجـاء الميـدان، يطمـئن عـلى تحصينـات مداخلـه وعـلى أمـان وراحـة «شـعبه» ... يطـوف بـين الخيـام حامـلًا وليـده الرضيـع نِضـال بـين ذراعيـه، يُداعِـب هـذا ويَشُـد مـن أزر أولئـك، يَمِـد جـذور زعامتـه في قلوبهـم التـي أودعـت مخاوفهـا وقلقهـا في خزائـن مغلقـة سَـلَّمته مفاتيحهـا حبًّـا وطواعيـة.

هديـر لا ينقطـع مـن أصـوات غزيـرة تزعـق في المايـكات، أو تجلجـل مـن حناجـر المتظاهريـن، أو تُلقـي بابتهالاتهـا بـين الأكُـف المرفوعـة إلى السـماء توسـلًا للنـصر، أو تتـداول تحليـلات وأخبـار لا يعـدو أغلبهـا شـائعات يتناقلونها بلهفـة وطمـع في قـرب انكشـاف الغُمـة، وتداخـل كل هـذا الزخـم مـع نـداءات باعـة الأعـلام والبطاطـا والكـشري والكبـدة والسـجق.

أما هي، فكانت في أسوأ حال.

جالسـة في إحـدى الخيـام التـي تتوسـط الميـدان، تحـرق سـجائرها، تسـمع كل مـا يَفِـح مـن حولهـا بنِصـف وعـي، بينـما النصـف الآخـر يسـبح في ملكـوتٍ آخـر.

«في اللحظة دي مش عايز اشوف أو افتكر واحدة غيرك».

تسترجِع صوته المُتهدِّج، عينيه الصادقتين ...

«والله العظيم».

أكانتا حقًّا صادقتين؟!

فأين ذهبَ إذن؟ ولماذا؟

تمـزق صدرهـا الحائـر بـين قلـقٍ ممـض وغضـب أسـوَد واشـتياق وحـشي، راحـوا يتصارعـون حَـولَ قلبهـا الـذي رقـد مُنهـكًا عاجـزًا عـن الفهـم، الدمـوع متحجـرة في عينيهـا الزائغتـين فيـما حولهـا، تفتشـان عنـه بـين الوجـوه والأجسـاد، وكأنمـا تتحينـا ظهـوره مـن وَسـط الجمـع المحيـط.

تراجـع وعيهـا بالحَـدَث الضخـم الـذي يـدور حولهـا، حِلمهـا الـذي ناضلـت لأجلـه طيلـة عامـين كاملـين، معركـة الثـورة عـلى ***Egy- Nergy*** واسـترداد حيـاة

مـصر والمصريـين، انداحـت الأصـوات وانزلقـت الكلـمات عـلى شـمع أذنيهـا لتهـوي وتتبعـثر عـلى الأرض، يستشـعر جلدهـا روح القلـق المتزايـدة في الوجـوه والكلـمات، فـلا يصـل إلا النـزر اليسـير لروحهـا المُسـتقرة داخـل قضبـان أزمتهـا الشـخصية.

لماذا ذهبت؟؟

أين ذهبت؟؟؟

يـصرخ قلبهـا بغضـب سرعـان مـا يسـتحيل ليـأس واسـتجداء، فتظـل الصرخـات تـتردد أصداؤهـا في شرايينهـا.

في البـدء كان القلـق عليـه يلتهـم روحهـا، ثـم لم تلبـث أن راحـت خاطـرة أخـرى تنخسـها كإبـرة، مـن يَقـدِر عـلى إيذائـه؟! مـن يسـتطيع أن يَمَـس «أدهم صـبري» بسـوء؟!! أنـتِ تخادعـين نفسـك يـا فتـاة، الحقيقـة التـي تخشـين مواجهتهـا هـي أنـه أعـرَضَ بعـد أن ذاق، تتناسـين أنـه يصغـرك بأعـوام وبحاجة لفتـاة لم تنَـل منهـا السـنون بَعـد.

في البـدء لم تَلـقِ لهـا بـالًا، ولكـن خاطـرة السـوء سرعـان مـا راحـت تتضخـم وتتوحـش، حتـى خنقـت أنفاسـها وبعثـت بهـا رغبـة عارمـة في تمزيقـه إربًـا بأسـنانها ومخالبهـا العاريـة، ثـم تتحسـس الدبلـة حـول إصبعهـا، فتبهَـت الرغبـة وتتبـدد؛ إذ يسـحقها الحنـين للأمـان داخـل حضنـه الدافـئ الرحيـب.

تعلقـت عيناهـا ببشـير الهـلالي، صديقهـا ورفيـق كفاحهـا، وهـو يدلـف إلى الخيمـة بوجـهٍ مُتجهِّـم لا يحتـاج لسـؤال، ورغـم ذلـك سـألته متعلقـة بأهـداب الأمـل:

- عرِفت حاجة؟؟

ليهـوي قلبهـا متخبطًـا في هَـوةِ اليـأس والعَـدَم مـع هـزة رأسـه النافيـة وقنـاع الأسـف والخيبـة عـلى وجهـه.

- اسمعيني كويس.

رفعت عينيها المرقرقتين إلى عينيه الجادتين، النبيلتين، قال بصوت مُنهَك:

- كل شيء انتهى.

رددت بخواء:

- انتهى!

أنشب أصابعه في كتفيها صائحًا بغضب:

- فوقي بقى يا أمل! بقولِك خلاص، كل شيء انتهى.

قالت بوهَن:

- انتهى ازاى؟

تذكرت تلك اللحظات، وهي تتابع المشاهد التوثيقية لأحداث فَض الاعتصام بعينين تفيضان بالدموع، على الشاشة المُسطحة العريضة في حجرتها بالمستشفى الباريسي، عَرِفَت أن الأمر قد انتهى قبل عشرة أيام، بينما كانت هي تسبح في ظلمات الغيبوبة، وأن مجزرة حقيقية قد جَرَت على مرأى ومسمع العالم كله بحق المعتصمين العُزَّل بقلب الميدان.

تقلبت من محطة لمحطة بين مشاهد الدم والرصاص والنيران والجثث المتفحمة، والجماجم المثقوبة بطلقات الرصاص، والمسحوقة تحت جنازير الدبابات، وسماء الميدان المُلبَّدة بغيوم الدخان الأسوَد.

بكت عيناها دموعًا، وذرف قلبها دمًا، وهي تشاهد الصور المُهتزة المُلتَقطة بكاميرات الهواتف النقالة لرجال ونساء وأطفال يحاولون الهرب من أمام المُجنزرات، طفل يصرخ ويبكي بهيستريا بين عشرات الجُثث المتناثرة على الأسفلت المُلتهِب، مُنتقبة ضئيلة الجسد تتلقى طلقة في صدرها تقتلعها من مكانها، الجرافات تزيح الجثث كما لو كانت أكوامًا من القمامة، وشاب مُلتحٍ مُلطخةٌ ثيابه بالدماء يرفع رأسه للسماء ويتقافز بذراعين مفتوحين صارخًا بهياج «إنت فين؟؟».

التقارير الإخبارية تتحدث عن أرقام مُفزِعة للذين سقطوا إبان اجتياح قوات الأمن المصرية لميدان التحرير المُكتَظ بآلاف المعتصمين الثائرين على شركة *Egy- Nergy* المُتخصصة في إنتاج الطاقة، مئات القتلى وآلاف الأسرى اقتيدوا لمزارع *E.N*.، وحرب شوارع تدور في أكثر من محافظة بين متظاهرين وقوات الأمن، العشرات من ضباط وعساكر الأمن سقطوا خلال

هـذه المُصادمـات، بالإضافـة لنُـذر وعيـد راحـت تتصاعـد مـن جهـة الـشرق، مـن الجماعـات الجهاديـة التـي اسـتوطنت الجبـال شـمال شـبه جزيـرة سـيناء.

وقـتٌ عصيـب قضتـه وهـي تتجـرع غصـص ومـرارة النازلـة، حتـى أمـر طبيبهـا المُعالِـج بإخـراج الشاشـة التلفزيونيـة مـن حجرتهـا، خَلَـت الحجـرة وإن ظلـت الأصـوات والمشـاهِد تقـرع رأسـها بـلا انقطـاع، ووسـط كل هـذا العـذاب كانـت صورتـه تفـرض نفسـها، تسـترجع المُحادثـة القصـيرة التـي دارت بينهـما ليلـة زواجهـما وعشـية اختفائـه:

«- النظام والشركة مِش هيقعدوا ساكتين ...

كوَّرَ أصابع قبضته وهو يقول بحزم:

- الراجل فيهم يجرب» ... .

فتهمس من بين عبراتها:

- إنتَ فين؟!

في خيمتها بالميدان، تنهد بشير قائلًا:

- مَحدِّش عارف أدهم هَيرجع تاني إمتى.

رددت بلوعة:

- مُستحيل يتخلى عننا!

حدثهـا عقلهـا أن بشـيرًا تحركـه غيرتـه مـن أدهـم الـذي ظفـر بقلبهـا، حدَّقَـت في التجاعيـد التـي شَـقَّت طريقهـا حـول عينيـه الضيقتـين، والشـعيرات البيـض التـي غَـزَت ذقنـه المُهمَلَـة، وشـعرت بالكراهيـة تتحـرك في صدرهـا، كادت تهتـف بـه بأنـه لا يعـرف أدهـم كـما تعرفـه هـي، ولكـن الكلـمات ذابـت عـلى شـفتيها أمـام منطقـه:

- مَعندنـاش دلوقتـي تـرف الاحتـكام للثقـة الشـخصية يـا أمـل، ياريـت نلاقـي أدهـم داخـل علينـا دلوقتـي، ياريـت! بـس لغايـة مـا دا يحصـل مفيـش أودامنـا غـير اننـا نحسِـب حسـبِتنا مـن غـيره، الـلي وصلنـي مـن مصـادر مؤكـدة ان المفاوضـات بـين الشركـة والحكومـات وصلـت لنتايـج إيجابيـة، وان العقبـة الوحيـدة أودامهُـم هـي الاعتراضـات الشـعبية وأكبرهـا الاعتصامـات في

الشـوارع المصريـة.

ينادونها في المستشفى مُذُ أفاقت من غيبوبتها بـ «مودمازيل شادية».

من أين جاءوا بهذا الاسم؟!

الممـرض الشـاب الوسـيم صاحـب القـوام الممشـوق -عرفـت أن اسـمه دومينيـك- والـذي لم تنفـك عينـاه الزرقـاوان ترمقانهـا بنظـرات يمتـزج فيهـا الإشـفاق بأطيـافٍ أخـرى (!) أخبرهـا أن أوراقهـا التـي جـاءت معهـا تحمـل اسـم شـادية نـور الديـن، وأن جهـةً مـا سَـددَت نفقـات علاجهـا وإقامتهـا بالمستشـفى كاملـة.

الآن بدأت تَذكُر.

تلك الليلة الرهيبة، لما شُحِنَ الميدان بالغضب وفاض بالكراهية.

عـلى الشاشـات المنصوبـة عـلى المنصـات، شـاهد المعتصمـون البَـث الحـي لحلقـة التـوك شـو التلفزيونيـة التـي ظهـر فيهـا أحمـد بشـير الهـلالي، المحامـي والحقوقـي، المُناضِـل اليسـاري المعـروف، رفيـق الثـورة، حـادي المظاهـرات والمواجهـات، سـمعوه بآذانهـم يقـر بوضـوح بـأن حسـاباته كانـت خاطئـة، وأن مـا يجـري في ميادين وشـوارع مـصر ليـس ثـورة عـلى كيـان ***Egy- Nergy***، بـل هـي مؤامـرة دوليـة لـضرب اقتصـاد واسـتقرار مـصر ووقـف عجلـة تنميتهـا، ويؤكِّـد عـلى أن الإخـوان المسـلمين هُـم رأس حربـة هـذه المؤامـرة القـذرة، وأنصارهـا هُـم مـن يعتصمـون بميـدان التحريـر مـن أجـل الدفـع بالبـلاد نحـو هاويـة الفـوضى.

الخائـن، عميـل الشركـة، الكلـب العلـماني، المُرتَـد الكافـر، اليسـاري الديـوث(!) ... أوصـاف ونعـوت هـدرَت بغضـب هائـل مـن آلاف الحلـوق والأفـواه مـع قنبلـة بشـير التلفزيونيـة، ثـم لم تلبـث أن اسـتدارت الأعـين إليهـا؛ حيـث وقفـت بينهـم تسـمع كـما يسـمعون، هـي، رفيقتـه وشريكتـه مُـذ بـدأت الثـورة، رأت الاتهـام يتطايـر شررًا مـن عيونهـم الغاضبـة، فيـكاد ليحرقهـا حرقًـا، هـذا الاتهـام الـذي تحـول مـن نظـرات لهمهـمات، ثـم لجُمَـل صريحـة تدعـو مـن كان يؤمـن باللـه واليـوم الآخـر لتطهـير الميـدان مـن رِجـس

الخونـة، العلمانيـين، شركاء الكلـب الكافـر الـذي خانهـم.

تراجعـت شـاعرة بالحلقـة تضيـق مـن حولهـا، وبالغضـب يوشِـك عـلى اجتثاثهـا مـن الدُنيـا، لـولا أن صـوت خالـد عبـاس انطلـق مُجـددًا مـن المايـك داعيًـا إياهـم للتريـث والتثبُّـت، ومُذكِّـرًا بـألا تـزرُ وازرةٌ وِزرَ أخـرى، كلماتـه العاقلـة نافـذة المفعـول شـقت الصفـوف أمامهـا، فعـادت إلى خيمتهـا بقلـبٍ واجـفٍ مرتعـش بالخـوف.

وهنـاك، في ظـلام الخيمـة انتابهـا ذلـك الشـعور العجيـب بأنهـا ليسـت وحدهـا، تحـرك أمـلٌ مـا في روحهـا فتَلفَّتَـت حولهـا هامسـة باسـمه -أدهـم!- ليـدور رأسـها فجـأة في دوامـة مُباغِتـة وشـعرت بسـاقيها تلينـان، فهَـوَت في حفـرة عميقـة مظلمـة انتهَـت بهـا مُمَـددة عـلى سريـرٍ صغـير بذلـك المستشـفى الباريـسي.

في حجرتهـا بالمستشـفى، تلقَّـت زيـارة مـن السـيد عـادل عـسران، السـكرتير الثـاني بالقنصليـة المصريـة في باريـس، هنأهـا عـلى سـلامتها، ثـم شرح لهـا بوضـوح أن وطنهـا العزيـز يخـوض معـارك ضاريـة ضِـد ميليشـيات إرهابيـة مسـلحة بطـول البـلاد وعرضهـا، وأن هـذا الإرهـاب اسـتطاع بالفعـل التخفـي وراء اسـمها كوجـه إعلامـي «شـهير» لتحقيـق أغراضـه مـن إسـقاط للدولـة المصريـة.

- للأسف، اسم أمل الشافعي دلوقتي أصبح مُقترِنًا بالإرهاب والفوضى.

باختصـار، صـارت شـخصًا غـير مرغـوب فيـه، ووجودهـا عـلى الأراضي المصريـة يتهددهـا بخطـر المثـول أمـام القضـاء العسـكري، الـذي سـيحاكمها بتهمـة الإرهـاب والسـعي لقلـب نظـام الحكـم، أو -الأخطـر- تركهـا عُرضـة للغضـب الشـعبي الـذي أججـه الإعـلام المـصري ضدهـا.

لـذا، فالصفقـة التـي تقدمهـا لهـا الحكومـة المصريـة -أخبرهـا- هـي أن تحيـا خـارج مـصر، في أي دولـة تختارهـا، باسـم وهويـة جديديـن، واختفـاء اسـم أمـل الشـافعي مـن السـجلات ... إلى متـى؟ حتـى تسـتقر الأوضـاع.

- صدقينـي يـا مـدام شـادية (يضـع سـاقًا عـلى سـاق) دا أفضـل عـرض ممكن

تحصلي عليه في ظروفك الصعبة دي، اخدمي نفسِك واقبليه بَدَل البهدلة، مصر خلاص أبوابها مقفولة فـ وشِّك، و«الشعب» مش هَيسمَح بشوكة فـ ضهر بلده وهي بتخوض حرب وجود ضِد الإرهاب.

السؤال الذي ظل يفرض نفسه عليها طيلة السنوات التالية هو لماذا؟ لماذا هذا العرض السخي؟! ما الذي منعهم من التخلص منها ومما تشكله من تهديد؟! لِمَ كل هذه الترتيبات وتجشم النفقات، وكانت محاكمة عسكرية خاطفة كالمحاكمات التي أودَت بحياة المئات لتوفِّر عليهم كل هذا؟!

السؤال الذي ستعرف إجابته بعد مرور ربع قرن بالتمام والكمال.

***

-٣٠-

- آدم المصري حي!!

ردد إيفان إيفانوفيتش الشريك الروسي مذهولًا، فأومأت ناتاشا بروخورف، مديرة مكتبه ومساعدته الأولى، بخصلاتها الشقراء الناعمة.

- ويطلب محادثتك في فيديو كونفرانس مُغلَق خلال عشرين دقيقة.

بان للحظات في عينيه الزرقاوين وهو يُحملِق فيها مُمَسِّدًا بأصابعه على خصلات لحيته الشقراء التي غطاها الشيب، والمؤطِّرة لوجهه أحمر الجِلد، ثم لم يلبث أن هَزَّ رأسه، وقد شَقَت ابتسامة إعجاب طريقها إلى شفتيه.

- اكتُبي له باستعدادي لمحادثته في الموعد الذي طلبه.

ومن دون أن ينظر حرك سبابته بشرود على شاشة لوحة التحكم المُثبتة إلى ذراع مقعده المتحرِك الذي يجلس إليه، فتحركت عجلاته آليًّا بانسيابية وفقًا للمسار الذي رسمته سبابته على التاتش سكرين ليتوقف أمام صفحة الزجاج التي تغطي ضلعًا عظيمًا من أضلاع قاعة مكتبه المُطِّلة من ارتفاع مئات الأمتار على أنوار موسكو المُتلألئة والمُمتدة على مرمى البصر.

رشف من كأس طويل بين أصابعه تسبح به مكعبات الثلج في بُحيرة من الفودكا، وهو يرمق نتف الثلج التي راحت تساقط ببطء مثير في السماء المُثلَّج هواؤها لتغطي الشوارع، وأسطح البيوت والسيارات، ورأى أعمدة الدخان تتصاعد المواضع التي نشبت فيها الاشتباكات اليوم بين المتظاهرين والأمن -كما عَرِفَ من تقارير غرفة العمليات، ثم التغطيات الإخبارية- بالقرب من مقرَّات E. N الروسية، وواحدة من محطات تزويد السيارات بعبوات الطاقة.

مرت الدقائق، وشعر بأنامل مساعدته تلمس كفه المُستقِرة على مسند المقعد بجوار لوحة التحكم، وسمع صوتها قريبًا من أذنه:

- بقيت دقيقتين على موعد المحادثة، سيدي.

تساءل من دون أن ينظر لها أو ينزع عن نفسه شروده:

- هل أعددتِ كل شيء؟

- بالتأكيد.

تحركت سبابته مُجددًا على الشاشة، فاستدارت العجلات وانزلقت بنعومة عائدة بحِملها إلى المكتب الأبنوسي الفخيم الذي يتصدر القاعة. مَرَّت الثواني قبل أن يتصاعد الرنين الأوبرالي، فأومأ إيفانوفيتش لمساعدته، وفي اللحظة التالية بدأ احتشاد النقاط المضيئة ليتشكَّل هولوجرام آدم المصري على مسافة متر ونِصف المتر من مَجلِس الروسي الذي بادر شريكه المصري بابتسامة هادئة:

- يبدو أنكَ بالفعل قِط فرعوني أصيل يا صديقي.

ابتسم آدم بدوره قائلًا:

- ما تمنحه التكنولوجيا يتجاوز بكثير سبعة أرواح.

اتسعت ابتسامة إيفانوفيتش وهو يرفع كأس الفودكا:

- نَخب نجاتك، سيد مصري.

- أنت صديق مخلص، سيد إيفانوفيتش.

بَدَت لهجة آدم عجيبة، أو على الأقل غير مألوفة للروسي الذي رشف من كأسه ثم تساءل:

- لماذا لم يَبلُغَ الخبر الإعلام إذن؟!

قال آدم بهدوء:

- ثمة حسابات تستلزم تصفيتها بعض السرية.

التقى حاجبَا إيفانوفيتش وهو يقول:

- هل حَددت هوية المسئولين؟

أومأ آدم، فعاد الروسي يسائله بفضول:

- مَن؟

أجابه آدم باقتضاب:

- الأمر- يكان.

- تأكَّدت؟

أومأ آدم برأسه مرةً أخرى.

- وماذا تنوي أن تفعل؟

- بِمَ تنصحني؟

صَمَت إيفانوفيتش للحظة ثم أجاب:

- كما أخبرتك سابقًا، النظام هو الأولى بالحماية.

هَزَّ آدم رأسه وقال:

- نحن مُتفقون إذن.

قطب إيفانوفيتش قائلًا:

- علام؟

- على حماية النظام.

قال الروسي بلهجة جافة:

- لا أفهمك، سيد مصري!

- دعنى أُرِيكَ شيئًا.

حدَّقَ إيفانوفيتش في الهولوجرام الجديد الذي تشكَّل لوجه امرأة أربعينية حسناء كستنائية الشعر، بينما آدم يقول:

- د. فيبي رزق الله، رئيس القسم الاقتصادي بشركتي، أو كانت كذلك قبل أن تسقط في عملية اغتيال خارج أسوار فيلتها قبل يومين ماضيين، تعرفها؟

قال الروسي بجمود:

- لم يسبق لي أن رأيتها من قبل.

- كان اغتيال د. رزق الله ليَمُر في سياق استهداف مُوَظفي Egy- Nergy المستمِر مُذُ شهور، لولا أنها كانت تحادثني هاتفيًّا قبيل لحظات من موتها، كانت تُبلغني باكتشاف خطير وقعت عليه، وبأنها أرسلت لي ملفًا بهذا الاكتشاف على بريدي الإلكتروني الشخصي.

بدا وجه إيفانوفيتش مُصمَتًا لا يعكس أية انفعالات، بينما آدم يتابع:

- الاغتيـال حَـدَث بواسـطة M16 متطـور يتـم توجيهـه أوتوماتيكيًّـا عـن طريـق الأقـمار الصناعيـة، واسـتطاع ضابـط بالجيـش المـصري تحديـد مصـدر إشـارة التوجيـه قبـل أن يلقـى مصرعـه في انفجـار المدفـع.

أتـدري شـيئًا عزيـزي إيفانوفيتـش؟ مصـدر الإشـارة كان قمـرًا روسـيًّا قديمًـا يخـص مؤسسـة ساشـا الإعلاميـة، التابعـة لمجموعتَـك.

أطبق الروسي شفتيه الغليظتين من دون أن يُعقِّب بكلمة واحدة ...

- عِندمـا عُـدتُ للملـف الرقمـي الـذي وصلنـي مـن مرءوسـتي الراحلـة قُبيـل اغتيالهـا، وجـدت مُفاجـأة مـن العيـار الثقيـل (مـال للأمـام قليـلًا) مفاجـأة تَخُـص شريـكي العزيـز.

رفـع إيفانوفيتـش الـكأس إلى شـفتيه وجـرع مـا بقـي بـه مـن الفـودكا مـرة واحـدة احتقـن لهـا وجهـه.

- كل التفاصيـل والمُعامـلات الماليـة التـي تخـص الشركـة الجديـدة التـي تأسسـت في شرق أوروبـا، ودخلـت في تحالفـات مـع عـددٍ مـن شركات إنتـاج الطاقـة المُتجـددة المتوقفـة عـن العمـل مُـذُ سـنوات، الشركـة الجديـدة التـي تحمـل أوراقهـا أسـماء عـددٍ مـن الـشركاء مـن بينهـم ديمـترى بتروفسـكي، زوج ابنتـك أولجـا.

يعنـي، وباختصـار، شريـكي الأمـين وحليفـي المُخلـص قـرر بينـه وبـين نفسـه أن السـفينة تغـرق، واختـار أن يقفـز منهـا لبيزنـس جديـد، ولم يـتردد في قتـل واحـدة مـن أخلـص وأكفـأ مُسـتَخدمي بعـد أن بَلَغَـهُ أنهـا كشـفت أمـره.

ران صمـتٌ ثقيـل بعـد أن فـرغ مـن كلماتـه، ثـم قطعـه إيفانوفيتـش قائـلًا بصـوتٍ أجَـش:

- أنـتَ رجـل أعـمال، سـيِد مـصري. ولا أعتقـد أنـك تلومَنـي عـلى سـعيي لإنقـاذ أعـمالي.

هَز آدم رأسه نافيًا وهو يقول:

- كلا، سـيد إيفانوفيتـش. لَسـت ألومَـك عـلى سَـعيَك لإنقـاذ أعمالـك، وأنتظـر منـك بالمِثـل ألا تلومنـي.

تشقق لأول مرة قناع الجمود من على وجه الروسي وهو يردد بتوتر:

- ماذا تعني؟!

فوجِئَ بعجلات مقعده المُتحرك تدور من تلقاء نفسها، وتتحرك مُبتعدة عن المكتب إلى طرف القاعة، خفض رأسه وحَملقَ غير فاهِم في شاشة لوحة التحكم المُثبَتة إلى مَسند الذراع بمقعده فرأى البقعة الحمراء التي اعتاد أن يضغطها بسبابته ويوجِّه حركة المقعد بواسطتها، وجدها تتحرك من تلقاء نفسها.

- أعني أنك تُخطئ خطأً جسيمًا لو ظننت أن آلاف الأميال التي تفصل بيننا قد تحميك من اللعنة.

استولى الجزع على قلبه وهو يحاول عبثًا التحكم فيها من دون جدوى، رفع عينيه إلى هولوجرام آدم الذي تحرك بمحاذاته، ورأى شفتيه تتحركان من دون أن تبتسمَا:

- هل سَمِعت من قبل عن لعنة الفراعنة أيها الدُّب الروسي؟

صاح:

- ما الذي يحدُث؟!

حرك آدم طرف سبابته صانعًا نصف دائرة على شاشة لوحة التحكم على مكتبه بمقر شركته في بارادايس هايتس، فدارت عجلات كُرسي إيفانوفيتش المُتحرِّك -بمكتبه في قلب موسكو على بُعد مئات الآلاف من الكيلومترات- نصف دورة، ليَجِد الروسي نفسه مرةً أخرى في مواجهة السماء المُظلمة التي تسبح فيها نتف الثلج الأبيض، يفصله عنها عَرض القاعة الفسيح وجدار من الزجاج. هتف:

- كيف تفعل ... ؟!

مرت الدقائق، وشعر بأنامل مساعدته تلمس كفه المُستقِّرة على مسند المقعد بجوار لوحة التحكم، وسمع صوتها قريبًا من أذنه:

- بقيت دقيقتين على موعد المحادثة، سيدي.

أدار رأسه بحركة حادة إلى ناتاشا بروخورف، مديرة مكتبه الشقراء، فرآها

واقفة بثبات عن كَثَب، وقد غابت ملامحها في الظلال، تمتم مصعوقًا:

- أنتِ يا نات!!

لم يُقَدَّر لدهشته أن تطول؛ إذ حل محلها الرعب عندما دارت العجلات مُجددًا إثر حركة سبابة آدم على شاشة التحكم، ليندفع الكرسي قاطعًا عشرات الأمتار التي تفصله عن الجدار الزجاجي بسرعة متزايدة، صرخ برعب وهو يحاول أن يلقي بجسده الضخم من على الكرسي، ولكن ساقاه المشلولتان لم تعيناه، وكانت كلمات آدم المصري «وداعًا، شريكي العزيز» هي آخر ما سمعه قبل أن يصدم الزجاج عظام جمجمته بعنف، ويجتاح الهواء المُثلَّج ثيابه وجسده، بينما يغوص وسط نتف الثلج في سماء موسكو المُظلمة.

***

(قبل سنتين) ...

انزاحت ضلفتَا صالة المدخل بمطار باراديس هايتس الدولي بنعومة، وعَبَر من بينهما هاني حاملًا حقيبته على ظهره بخطوات واسعة تناسب طول ساقيه.

وداخل سيارتها المستقرة وسط آلاف السيارات في مَوقف المطار، استغرقت ندى وهلة من الزمن لتتعرف على هيئته، التي غَيرتها لحيته المُستحدثة والمنظار الداكن والكاب الذي يغطي رأسه. لوَحَت بذراعها لتلفِت ناظريه وهي تقول له عبر مايك هاتفها النقال:

- أنا شايفاك، الفيات السماوي، على يمينَك.

رآها، اتجه نحوها، غادرت السيارة لتصافحه، ثم أودَعَ هو حقيبته إلى الأريكة الخلفية قبل أن يستقر على المقعد المجاور لمقعد القيادة، ويزيح الكاب من على رأسه، تأملت هي الشعيرات البيضاء التي انتشرت وسط سواد رأسه ولحيته رغم سنوات عمره التي لم تكسر حاجز الثلاثين بعد، وبدا لها بالفعل شخصًا مغايرًا لزميل الدراسة الذي خبرته قبل بضعة أعوام، وتحرك الحزن في قلبها.

غمغمت بصوت حاولت أن يخرج طبيعيًّا على شيء من المرح:

- اتغيَرت، لولا اننا كُنَّا على التليفون ماكُنتِش هَعرفَك.

نظر إلى وجهها البيضاوي المشوب بحمرة، والمؤطَر بحجاب أنيق نفرت منه خُصلات من شعر كستنائي ناعم انسدلَت على جبهتها، وقال بهدوء:

- وانتي بقيتي أجمَل من أيام الكلية.

دغدغها قوله رغم أنه لم يُشفعه بابتسامة حتى، فابتسمت هي وأدارت مُحرِّك سيارتها متسائلة:

- أخبار الماجستير إيه؟

- ماكمِلتِش.

حدقت فيه بعينين متسعتين وهي تردد بدهشة:

- ماكمِلتِش!

- غيَرَت الكارير كله.

- ليه؟!

قال باقتضاب:

- الإعلام مبقاش يستهويني.

- (مصدومة): معقولة يا هاني!

لم يُعلِّق، فغمغمَت بخفوت:

- إنت صحفي واعِد بشهادة الكُل!

- الإعلام فن خِداع الناس، وانا قررت إني مش هَخدَع حَد.

- إنت ممكن تخلق نموذَج مِهَني سليم!

هَزَّ رأسه قائلًا بنبرة حاسمة:

- مِهَنية الكِذب *still* كِذب.

صمتت لبُرهَة، غاصت بعينيها في تفاصيله قبل أن تتساءل:

- وهَتعمِل ايه؟

- لسه مِش عارف.

أطبقت شفتيها الممتلئتين، وقد شَبِعَت من ردوده المقتضبة التي وَشَت بحاجته للصمت، فقادت سيارتها بين ممرات الجراج حتى غادرت المطار، ثم عادت تسأله:

- تحب تستريَّح الأوِّل؟

- لأ.

للحظات أطلق بصره من وراء زجاج السيارة إلى صفوف الأشجار المُتراصة والمتوالية على جانب الرصيف، قبل أن يقول من دون أن يلتفِت:

- ندى.

أدارت رأسها إليه مُستفسِرة، فالتف لها بدوره هامسًا:

- إحكيلي تاني اللي حصَل من فضلِك.

حدقت فيه لثوان، ثم نقرَت على شاشة التابلوه، وحَددَت العنوان صوتيًّا لكمبيوتر السيارة قبل أن ترفع أصابعها عن عجلة القيادة تاركة المُهمة للسائق الأوتوماتيكي، واستدارت بجسدها لتواجهه.

حَكَت له عن ذلك اليوم، عندما كانت غارقة حتى النخاع في عملية تحديث الأخبار الواردة من قمة المُناخ الأخيرة بشرم الشيخ أولًا بأول، ورفعها بالصور والفيديوهات إلى قسم شئون البيئة، وفوجِئت برقمٍ غريب يظهر على شاشة هاتفها النقال.

- عرفتها أوِل ما سِمعت صوتها.

تبادلَت معها عبارات الترحيب شاعرة بسعادة غامرة لسماع صوتها من جديد، صوت حياة، صديقة الدراسة والعمل التي غيبها الزواج -وأي زواج!- عنها لشهور.

- فوجِئت بيها بتقولي انها مستنياني دلوقتي (!) فـ عربيتها تحت مبنى الجورنال.

«إطلعي طيب يا بنتي!» لكنها رفضت بإصرار وقالت إنها لن تأخذ من وقتها الكثير.

- فهمت انها جاية عايزة حاجة مُحددة.

حَكَت له عندما هَبَطت إليها، فوجدتها تنتظرها بالفعل داخل لامبرجيني حديثة موديل هذا العام، رحبت بها وتبادلتَا القبلات. تراجعَت لتتفرَّس بوجه صديقتها الحميمة فهالها ما رأت.

- شتان بين منظرها في الحفلة اللي عملناهلها في الجورنال قبل جوازها وبين منظرها المرادي!

الهالات السوداء كثيفة حول عينيها، أكثر كثافة من طبقة الكُحل الثقيلة التي اكتحَلَت بها، ازدادَت نحافة على نحو ملحوظ حتى برزت عظام وجنتيها، وزاد الطين بلة أنها قَصَّت شعرها، فصارت بالفعل أقرب ما تكون شكليًّا لغلام مراهِق! السيجارة لا تفارق شفتيها المصبوغتين

بسـوادٍ ينافـس سـواد ثيابهـا.

- عينيها يا هاني!

ليسـت فقـط المقلتـين الحمراويـن أو النظـرات الزائغـة أو الحيويـة القديمـة الزائلـة، هنـاك الخـوف! الفـزع المُسـتتِر الذي يشـع مـن وراء الحدقتين، التوسـل للحمايـة مـن خطـرٍ مـا غـير مـرئي أو مسـموع.

في أحـد الكافيهـات؛ حيـثُ جلسـتَا، سـألتها بقلـق -تحـكي نـدى- إن كانـت عـلى مـا يُـرام، فأجابتهـا حيـاة مـن وراء دخـان سـيجارتها أنهـا لا تَنـال كفايتهـا مـن النـوم، مُـذ أن تزوجـت ونومهـا ليـس عـلى مـا يُـرام.

تساءل هاني كابحًا جماح انفعاله:

- ليه؟

- مَفهِمتِـش منهـا بتشـتكي مـن إيـه بالتحديـد، كانـت مُضطربـة ومتوتـرة بصـورة أول مـرة أشـوفها عليهـا! اتكلِمـت عـن كوابيـس بتحلـم بيهـا وأصـوات بتسـمعها طـول الوقـت ...

- أصوات إيه؟!

- أنين!

أخبرتهـا حيـاة أنهـا لم تَعُـد تحتمـل، وبعـد شـهور قليلـة مـن قرانهـا، لم تَعُـد تبيـت تحـت سـقفٍ واحـد مـع زوجهـا الـذي سـمح لهـا -بعـد خروجهـا مـن المُستشـفى- بالانتقـال لفيـلا صغـيرة عـلى أطـراف بارادايـس هايتـس.

- مستشفى!

أومأت ندى مُجيبة بملامح صبغها الحزن:

- حيـاة دخلـت مركـز أبـو زيـد لعـلاج الأزمـات النفسـية، وقَضِّـتْ فيـه شـهور يـا هـاني.

واسـتطردَت أن حيـاة لم تتحـدث كثـيراً عـن هـذه الفـترة، كانـت بشـكل عـام عـلى قـدر كبـير مـن الاضطـراب بَـانَ بوضـوح في حروفهـا السريعـة وسـجائرها العصبيـة، تقلصـات ملامحهـا مـن حـينٍ لآخـر، ونظـرات الخـوف المتطايـرة هنـا وهنـاك، ثُـمَّ لم تلبـث أن ...

- سألتني عنَك.

ردد هاني هامسًا بانفعال:

- عنِّي!

- سألتني إن كُنت أعرف إنتَ اختفيت فين، أو هَترجع إمتى، واذا كان فيه أي طريقة للاتصال بيك، تقريبًا كانت بتترجاني!

ورغم أن المنظار الداكن أخفى عينيه، إلا أن الغريزة الأنثوية سهلَت لندى التقاط دلائل التأثر في رعشة شفته السفلى وحركة تفاحة عنقه.

- طبعًا مكانش عندي أي داتا ممكن اديهالها؛ لأن انتَ اختفيت من غير ما تسيب وراك طرف خيط يوصَّل ليك.

خدَنا أرقام بَعض ووعدتها إني لو عرفت خبر عنك هَبلغها على طول.

وتركت تنهيدة تغادر صدرها ثم استطردَت:

- مَعرفتِش طبعًا أخبار عنك، لكن أخبارها هي كانت بتوصلني في الجورنال أول بأوّل. الرحلات والحفلات الصاخبة، العيال اللي ماشية معاهم وبتبدِّل فيهم زي ما بتبدِّل جِزمها، السهرات والفضايح، كل يوم فضيحة جديدة فمكان جديد، ولولا اسم ونفوذ آدم المصري كانت الفضايح دي اتشَيِّرت على كل المواقع. عندنا مثلًا مُدير التحرير بلغنا تعليمات مُشَددة من رئيس مجلس الإدارة بخصوص نشر أي أخبار عن مدام آدم المصري.

وترقرقت دمعة في عينيها وهي تتابع:

- لغاية ما حَصل اللي حَصل.

كانت السيارة في هذه اللحظات تخترق طريقًا مُسفلتًا تتراص على جانبيه مبان من الطوب الأحمر مُحاطة بأحواش مُسَوَّرة، مزروعة ومُبَلَّطة بالرخام، ويلُفها صمتٌ مهيب، سرعان ما توقفت أمام بوابة إلكترونية تتوسط السور المُحيط بحوش أحد المباني.

قالت ندى بخفوت:

- جوزها بناه مخصوص ليها وحدها، للأسف مِش هَنعرف نُدخل.

لم يَبدُ على هاني أنه سَمع شيئًا، غادر السيارة ومشى بخطًى ثقيلة

باتجاه البوابة الإلكترونية، حتى توقف أمام اللوح الرخامي المُثبَت إلى السور بجوارها، اللوح المحفور عليه ثلاثة أسطر مكتوبة بخط كوفي أنيق، السطر العلوي محفورٌ عليه الآية القرآنية: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}، والأوسط عليه اسم «حياة» مُنفردًا، ثُمَّ تاريخان محفوران على السطر السُفلي يفصل بينهما ثلاثة وعشرون عامًا.

غادرت ندى السيارة بدورها، تَمتمَت بآيات الفاتحة بصوت خفيض. انسالت الدموع على وجنتيها وهي تتابعه من وراء منظارها الشمسي، يمسح بكفه برفق على الاسم المحفور على اللوح الرخامي، ثم يستدير إلى البوابة، فيلف أصابعه على قضبانها مُرسِلًا بصره فيما ورائها، إلى المبنى المُوصَد بابه والمكسوة جدرانه بأفخر أنواع الرخام الإيطالي.

مَرَت الدقائق ملفوفة بصمتٍ خاشع، ثم لم يلبَث صوت النحيب الخافت أن بدأ يعلو من بين شفتيه على استحياء، دَنَت ندى من رفيقها ورَبَتَت على كتفه مواسية، فشعرت بجسده تحت أصابعها يرتعد.

وكأنما كان بحاجة لهذه اللمسة الحانية لتتداعى سدوده، فانهمرت دموعه بغزارة، انثنَت ساقاه وانحنَت قامته وهو يشهق بالبكاء بين ذراعيها.

***

- الجوان يا ابو علي.

قالها سعيد حَبسَجي، الميكانيكي، وهو يرفع وجهه المُلَطَّخ بالشحم والوسَخ إلى حسن الذي قرفصَ إلى جواره أمام مُقدمة التوكتوك الخاص به.

- جاب وِش سلندر.

سُبة فاحشة خرجت من بين أسنان حسن المُصفرة، أتبعها ببَصَقة على الأرض الترابية التي حولتها أمطار الأمس لمستنقع من الأوحال.

«وفي بيانٍ صَدَرَ قبل دقائق، أعلن الدكتور هاني الناظر، المُتحدِّث الرسمي باسم وزارة الصِّحة أن عدد ضحايا الاشتباكات والأعمال التخريبية التي انفجرت اليوم قَد بلغَ أربعة قتلى، اثنان منهم في محافظة السويس، وواحدٌ في حَي المطرية بالقاهرة الكبرى، وواحدٌ بمحافظة الإسكندرية؛ ليُصبِح إجمالي عدد القتلى مُنذُ بدء موجة أعمال التظاهر والتخريب سبعة قتلى بالإضافة إلى ما يزيد عن المئتي جريح».

الشوشرة الإستاتيكية التهمت الكثير من مَتن الخبر المُذاع على محطة البرنامج العام.

التي ضُبِطَ عليها مؤشر الترانزستور العتيق المُعَلَّق إلى مسمار صدئ يبرُز رأسه من بين ألواح جدران الورشة، ورغم ذلك فإن مضمون الخبر لم يَبدُ غامضًا.

مسح حَبسَجي جبينه بظهر كفه ونظر لحسن قائلًا:

- فَتَحِت بوءها.

لم يُعلِّق حسن، استخرج سيجارة محلية رخيصة من علبته دسها بين شفتيه الغليظتين، وأشعلها بعود ثِقاب، ثم نفث الدخان وهو يحدق فيما أمامه بعينين شاردتين.

- هَتعمِل ايه؟

الغيـوم أضعفـت كثـيرًا مـن ضـوء شـمس العصـاري، فتلـون الهـواء نفسـه بلـون رمـادي مُثقـل بالرطوبـة.

«بلـغ عَـدد المقبـوض عليهـم خـلال أعـمال العنـف والتخريـب اليـوم الجمعـة ٨٤ شـخصًا منهـم ٣٣ في القاهـرة وحدهـا، وكانـت وزارة الداخليـة قـد أكَّـدَت في بيانهـا الرسـمي أمـس الأول عـلى لسـان اللـواء عبـد اللطيـف السَـحَرتي، المتحـدث الرسـمي باسـمها، أنهـا سـتُطَّبق القانـون بأقـصى قـدر مـن الحـزم عـلى أي محاولـة للخـروج عـلى القانـون وتكديـر السـلم العـام».

تساءل حسن مُومِئًا برأسه تجاه الترانزستور:

- إيه اللي حاصل فـ البلد؟

- أنا عارف؟! قلق ومُظاهرات باين.

- بتاع ايه؟

- عالم فاضية، لا شُغلة ولا مَشغلة!

قالهـا حَبسَـجي ونهـض مـن جلسـته، فهـرولَ مُبتعـدًا جـروٌ أجـرَب كان يلهـو عـن قُـرب، وقـد أفزعتـه الحركـة المفاجئـة.

مـلأ بـرادًا حائـل اللـون بالمـاء مـن حنفيـة قريبـة، وضعـه عـلى كانـون مُشـتعلة نـارُه، صـبَّ الشـاي السـاخن في كوبـين زجاجيـين، نـاول أحدهـما لصاحبـه، ورشـف مـن الآخـر مـع أنفـاس مـن سـيجارة ملفوفـة بخَـرَق، تأمـلِ التـوك تـوك الرابـض عـن كَثَـب ثـم قـال بعـد بُرهـة مـن الصمـت:

- ما تخلص منه؟

دفـع حسـن مزيـدًا مـن الدخـان خـارج فتحتـي منخـاره وتسـاءل مُحدِّقًـا في الفـراغ:

- هَيجيب حاجة؟

قال حَبسَجي وهو يرشف من السائل الأسود الساخن:

- أهو احسن ما انتَ صارف فلوسَك كلها عليه.

قطيـعٌ مـن الأغنـام يعـبر الأوحـال عـن قُـرب، يتبعـه غـلامٌ مراهـق كالـح

البـشرة يمسِـك بعصـا مـن جـذوع الشـجر، لـوَّحَ لهـما بـذراعٍ معروقـة.

«ومعنـا عـلى الهـواء مُبـاشرةً اللـواء أنـور حجـاج، الخبـير الأمنـي، ليُعَلِّـق عـلى الأحـداث الجارية».

- بيعه واشتريلَك غنمتين أبرك.

- (مُومِئًا باتجاه قطيع الأغنام): غنمات مين دول؟

- أبو حَطَب.

اكفهَر وجه حسن لدى سماعه الاسم، والتوَت شفتاه في مُقت.

«المظاهـرات الـلي خرجـت النهـاردة مـن المسـاجد بعـد صـلاة الجُمعـة، في عـدد مـن المُحافظـات، اسـتجابة للدعـوات الـلي انتـشرِت في بعـض مواقـع التواصُـل الاجتماعـي والمحطـات المشـبوهة عـلى الإنترنِـت، كانـت مُجـرد سـتار لأعـمال الفـوضى والتخريـب، جـزء مـن المؤامـرة الـلي بتسـتهدِف أمـن واسـتقرار مـصر والعـالم، وللأسَـف انسـاق وراهـا (بعـض) شـبابنا المُتحمِـس».

لم يَغِـب امتعاضـه عـن ملاحظـة صاحبـه الـذي اسـتطردَ بشـبه ابتسـامة خبيثـة:

- راجعين المزرعة بتاعته، مِشغَّل فيها نُص شباب العِزبَة.

بَصَق حسن بلغمًا وتساءل:

- ومسرَّح الغنمات بره مزرعته ليه؟

تحولت ابتسامة حَبسَجي لضحكة خفيفة، سَعِلَ على إثرها ثم أجاب:

- المزرعـة ماعَدِتـش سـايعة، لسـه سـامع انـه شَرَى الخرابـة الـلي جارهـا م البلديـة وهَيضُمهـا عليهـا.

رشف حسن الشاي من دون أن يُعَلِّق، فتابع حَبسَجي:

- الانتخابـات قربِّـت، ومـش هَيسيب الدايـرة تـروح لحَـد تـاني زي مـا حصَـل مـن كام سـنة.

غمغمَ حسن بصوت كالحشرجة:

- هوَ اللي لَطِّني، ابن الوسخة.

لم يُميِز حَبسَجي حشرجته، فتساءل وهو يهرش فروة رأسه من تحت غابات الشعر الأشعَث:

- بتقول إيه؟

«بَس خليني أقول ملاحظة مهمة جدًّا، من واقع المُشاهدات والإحصاءات الأولية، درجة التجاوب الشعبي مع الدعوات المُغرِضة للتخريب تحت ستار التظاهرات أقل بكتير من المُتوقع بعد الشَحن الرهيب اللي حصل على مواقع التواصل الاجتماعي، والمحطات المأجورة خلال اليومين اللي فاتوا، التظاهرات والاشتباكات في مناطق محدودة بالمقارنة باللي حَصَل الأربَع اللي فات، وتفسيري إن الشعب أدرَك الخدعة، وقرر ينحاز لقيادته ويحافِظ على وطنه».

- متعرفش حَد يشيل؟

سأل حسن مُشيرًا بطرف السيجارة إلى التوكتوك، فامتصَّ حَبسَجي نفسًا طويلًا من سيجارته، وكأنه يُدفئ صدره بالدخان الذي سرعان ما غادر في صورة سحابة إلى الهواء البارد، ثم أجاب:

- الصيني سوقه مِش رايجة دلوقتي، المصري أعطاله أقَل وسعره مش بعيد.

ورشف من كوب الشاي مُردِفًا:

- خليني أشوف واكلمك.

كاد حسن ليسحَب له صوتًا من سقف حلقه، تعقيبًا على الحيلة المكشوفة التي يلجأ إليها دومًا؛ لخسف الأرض بسعر المَكَن التي يُسَمسِّر عليه، لكنه لم يَجِد في نفسه طاقة للمُناكفة والمساومة، فأطبق شفتيه تاركًا المجال لصاحبه.

- الحال واقِف، أدينا قاعدين أهو بقالنا ساعتين، شوفت حَد هَوِّب ناحية الورشة؟ أهو دا الحال أديله تلات تُشهُر.

«البيان اللي ألقاه المُتحدِّث الرسمي باسم رئاسة أركان القوات المُسلحة من ساعة واحدة، وكشف عن تفاصيل عملية الإيقاع بالميليشيات المُسلحة،

الـلي شَـنِّت هجـمات إرهابيـة عـلى عـدد مـن منشـآت إنتـاج الطاقـة قبـل ساعات مـن انطـلاق المظاهـرات التخريبيـة، وأعضـاء الشـبكات الـلي بتنقـل الأمـوال مـن الخـارج للميليشـيات بالداخـل، البيـان الخطـير دا ألقـى الضـوء عـلى حَجـم المؤامـرة الرهيبـة عـلى مُقـدرات ومُسـتقبل شـعبنا العظيم، الشـعب الـلي أثبَـت انـه أذكى وأحكَـم مـن الانجـرار وراء إرهـاب هدفـه إسـقاط دولتـه».

- سمِعت ان فيه طيارات بترمي معونات.

التفت له حسن مُتسائلًا:

- معونات ايه؟!

أجاب حَبسَجي:

- لحمة وفراخ ودقيق وزيت ودُخان وبتاع.

التمعَت عينَا حسن وسأل صديقه مُجددًا:

- فين دا؟

أدار حَبسَـجي رأسـه إلى الأسـوار الشـائكة البعيـدة، التـي تبـدو مـن ورائهـا الخرائـب وتـلال الزبالـة التـي تفصـل العِزبـة عـن الصحـراء، قـال:

- هنـاك، عنـد العشـاير الـلي فــ الصحـرا. الـواد فتيحـة، فتيحـة مبيَّـض المحارة، قعَـد سـنة مـن غـير شـغل، وفــ ليلـة كِـده كنـا موَنونِـين، فقـالي انـه خـلاص، نـوَى يعَـدي السـور ويـروح يعيـش وسـطيهُم فـ الصحـرا.

- يسيب هنا ويروح يعيش فـ الصحرا!

ارتفعَ حاجبَا حَبسَجي الكثان وهو يقول مُتهكِّمًا:

- هنا!! ما أي خرارة فـ الدنيا احسن من هِنا!

- وبعدين؟!

- (ينفث الدخان): اختفى. فَص ملح وداب.

ولمعت عيناه بالحلم وهو يردد:

- تخيَّـل! قاعديـن بياكلـوا وبيشربـوا وينطـوا عـلى بعـض، لا شُـغلة ولا مَشـغلة والـرزق بيتحـدِف عليهُم م السـما!

- وانت مصدَّق؟

- وماصدَّقش ليه؟

وضع حسن جانبًا الكوب الفارغ إلا من بقايا الشاي في قاعه ونهض قائلًا:

- عشان مَحدِّش ف الزمن دا بيعمل الخير ويرميه ف الصحرا يا روح امك!

كاد حَبسَجي أن يستشهِد بالحاج محمد أبو حَطَب الذي أغرقت أفضاله العِزبة كلها، غير أن الرَّد البديهي قفز إلى ذهنه في ذات اللحظة مشفوعًا بذكرى الشاحنات التي تنقل أهل العزبة كل أربع سنوات إلى مقار اللجان الانتخابية، فألجَمَ لسانه في الجزء الأخير من الثانية وحَمِدَ الله على أنه فعل؛ لأن صديقه حَسَن بالذات آخر من يحتاج للتَذكِرة بالثمن الذي تجشمه مقابل أيادي الحاج أبو حطب البيضاء عليه، والمتمثِّلة في التوكتوك الخربان الرابض في الجوار.

- هَتعرف تعمل حاجة؟

نهض حَبسَجي بدوره قائلًا:

- هَلصملَك الدنيا عشان تعرف تقضي النهاردة، بَس شوف انتَ ناوي على إيه، عشان لو هَتدخل ف حوار التصليح تبتدى تدبر الفلوس.

كان رذاذ الغيث قد بدأ يساقط من السماء الرمادية بينما التوكتوك يهتز براكبيه فوق الأرض الخشنة غير المُمَهدة، حسَن في المقعد الأمامي، وتلك المُنتقِبة صاحبة قفص الدجاج، والتي التقطها أو التقطته هي بالقرب من السكة الزراعية لدى عودتها من سوق البلدة القريبة.

استغرقت الرحلة ما يقرب من ثلث الساعة، ظلت خلالها كلمات صاحبه تناوِش رأسه، وللحظات تخيل نفسه هائمًا فوق الصحراء بين جموع مُشعثة ترتدي الأسمال بينما السماء تُمطِر عليهم طعامًا وشرابًا.

«بانتهاء اليوم العصيب دا، ورغم الخسائر في الأرواح والمُمتلكات، إلا إننا نقدر بشكل كبير نطمِن جموع الشعب المصري العظيم ان الأزمة تقترب من نهايتها بفضل الله أولًا، ثمَّ حكمة وحنكة القيادة السياسية، وبطولة وتفاني جنودنا البواسل من أبطال الجيش والشرطة، بالإضافة طبعًا لوعي

وتكاتـف شـعبنا العظيـم، الـلي سـاهم بـدور كبـير في إحبـاط المؤامـرة».

كان المغيـب قـد شـارف عـلى الاكتـمال في سـاعة مُبكِـرة، وبخاصـةً مـع سـقف الغيـوم الـذي حَجَـبَ أشـعة الشـمس طيلـة النهـار، عندمـا بلـغ حسـن مَوقـف التكاتِـك، والـذي لا يعـدو كونـه سـقفًا مـن الخـوص ترفعـه أربعـة قوائـم مـن جـذوع الشـجر، الموقـف خـالٍ إلا مـن اثنـين مـن التـكاكِك التجـأ صاحباهـا للسـقيفة هربًـا مـن وابـل المطـر، بالإضافـة للفتـى صاحـب نَصبـة الشـاي، والـذي قـال رَدًّا عـلى سـؤال حسـن بــ:

- جَبَرِت خلاص النهاردة يا ابو علي.

لم يسـتغرق حسـن وقتًـا ليقـرر أن يديـر مقـود التوكتـوك بعـد أن نَقَـدَ الغـلام حسـاب اليـوم مـن أكـواب الشـاي، وخـاضَ الأوحـال تحـت وابـل المطـر الـذي راحـت وتيرتـه تشـتَد شـيئًا فشـيئًا، حتـى لاحَـت أنـوار العزبـة الشـحيحة عـن قُـرب.

لمـح الجسـد الصغـير المُقرفَـص قُـرب مدخـل العِشـة والتـي لاحـظَ أنهـا -بِخـلاف المألـوف- موصَـدة البـاب، مُطفـأة الأنـوار، أوقـف التوكتـوك وغـادره ليسـتقبل صاحبـة الجسـد الصغـير التـي هَبَّـت مـن قرفصتهـا وهرعـت نحـوه مُبتلـة الثيـاب.

- فيه ايه يا بِت يا أسماء؟!

أجابته الطفلة ذات الأعوام العشرة، شقيقة زوجته:

- ريهـام عندنـا فـ البيـت، وابويـا بيكلِمَـك عـلى المحمـول عشـان يقولَـك تعـدى علينـا، بَـس تليفونَـك مَبيجَمَّعـش.

سألها بقلق:

- حصل حاجة؟!

- حدانا ضيوف.

اسـتغرقَا مـا يقـل عـن الدقائـق الخمسـة لبلـوغ عشـة الحـاج محمـد عِتـمان، عمـه وعَـم زوجتـه ريهـام –يتيمـة الأب- في نفـس الوَقـت، اسـتقبله الكهـل في جلبـابٍ أبيـض عنـد مدخـل العِشـة، وقـد افـترش التوتـر صفحـة وجهـه المُغضَن،

فجذبـه مـن ذراعـه إلى الداخـل وهـو يهتـف بـه:

- انتَ فين يا حسن يا ابني؟!

دخل حسن معه هو يتساءل بقلق:

- خير يا عمي، ريهام كويسة؟؟

- الحمد لله، هي بَس اتخضِت قوم راحت مسخسخة.

هـوى قلـب حسـن بـين قدميـه، في لحظـة واحـدة تبخـر غضبـه وتبـددت أحزانـه.

ريهـام، ابنـة عمـه، ومحبوبـة طفولتـه، سـمرتها الرائقـة وملامحهـا المنمنمـة المُحـلاة بابتسـامة عذبـة، امتـلأت رأسـه بصورتهـا القديمـة البهيجـة قبـل «الحادثـة» وملامحهـا الحاليـة المُغطـاة بقنـاع مـن الأسى والخـوف وطابـع عـام مـن الذهـول المشـوب بالرعـب. ردد بقلـبٍ واجـف:

- مسخسخة!

هَمـسَ الحـاج عِتـمان بينـما يقتـاده إلى حجـرة جانبيـة يتوسـط بابهـا الخشـبي المُشـقَّق حائطهـا المَبنـي مـن الطـين اللَبِن:

- لما شافته.

- هوَ مين؟!

أزاح العجـوز البـاب الخشـبي، فـرأى حسـن مـن ورائـه ثلاثـة رجـال، أحدهـم أشـيب الشـعر بالكامـل، متـين البنيـان، وثانيهـم شـاب امتـلأ وجهـه بالجـروح والكدمـات رغـم قـوة بنيتـه الواضحـة، وثالثهـم -أغربهـم!- ضئيـل الجسـد كغـلام مُراهـق، يغطـي وجهـه منظـارٌ داكـن.

تجمـد حسـن مُحدِّقًـا في ثلاثتهـم، وقـد تناثـروا في إنهـاكٍ واضـح عـلى الحصيرة التـي تغطـي الأرضيـة، وسـمع عمـه الحـاج يقـول بصـوت مـلأه التأثـر:

- الجدع اللي ردِّلنا روحنا.

التفـت حسـن إليـه مسـتفسرًا، فوجـده يشـير بكفـه المفتـوح تجـاه أوسـط الرجـال الثلاثـة -ذي الجـروح والكدمـات- مسـتطردًا:

- دا اللي رجع لنا بنتنا من سنة بعد ما كُنا مفكرينها راحت مننا.

واختنق صوته بالانفعال وهو يُردِف:

- اللي رجع ريهام يا حسن، مراتك.

***

-٣٣-

- مانشيتات الصُّحُف والمواقع في العالم كله تقريبًا بتتكلم عن موضوع واحد بس!

خرجت الكلمات الحماسية من بين أسنان إبراهيم جودة الهولوجرامية الداكنة بفعل سنوات التدخين.

- الإنسانية توحدَت وانتصرِت في حربها على الإرهاب.

كادَت ضحكة خافتة أن تنفلت من آدم المصري، ولكنها سرعان ما تبدَّدَت ولم تتجاوز ابتسامته الساخرة، بينما إبراهيم يتابع:

- الأخبار بتتوالى عن تدخل الحكومات، وسقوط أركان الشبكة الضخمة المُنتشرة في كل دول العالم، التفاصيل مُذهِلة.

التظاهرات في الشارع بتتراجع، وانتهِت في أغلب العواصم والمُدُن.

عندنا في مصر، الشارع هادي تمامًا وتحت سيطرة الأمن بالكامل من بعد صدامات إمبارح، أغلب التحليلات واستطلاعات الرأي المبدئية أكدِت إن بيان رئاسة الأركان كان له دور كبير في طمأنة الرأي العام، وما ترتَّب عليها من انخفاض نِسَب المشاركة المتوقعة في التظاهرات، البيان اللي أنا وعمرو بيه شاركنا في كتابته وصياغته في اجتماع الشئون المعنوية.

بالمناسبة، هو عمرو بيه مُختفي فين بقاله يومين؟!

قال آدم باقتضاب:

- مسافِر.

أومأ إبراهيم برأسه وتابع بحماس:

- وفيه أخبار انا مُتأكِد انها وصلِتَك عن اجتياح مُعسكر تدريب تاني قُرب حلايب، والجيش صفَّىَ كل أفراد الميليشيا اللي كانت مُتحصِنة داخله.

اسمَحلي اقولَك حاجة يا مستر آدم: إنتَ امَّك داعيالَك!

قال آدم بنبرة ساخرة:

- أنا مُتأكِّد.

ضحك إبراهيم قائلًا:

- مِش بَس كدا، إنت فيك شيء لله!

بشيء من الاستبصار، اقدر اقول انك خرجت من الأزمة دي أقوى مما دخلتها، أعداءك سقطوا، الحكومات تكاتفت معاك، أعَدت ترتيب البيت من الداخل (يغمز بعينه اليُمنى) انا وصلتني طراطيش كلام كدا عن قلق جامد حاصل في E. N أمريكا وفرنسا وروسيا.

غادرت حلقة من دخان السيجار شفتي آدم اللتين عادتَا لتنطبقا من دون تعليق، فهَز إبراهيم رأسه مُتفهِّمًا، وقال من دون أن يخسر ابتسامته:

- رَجعتني للأيام الخوالي يا أدهم.

ساد صمتٌ ثقيل بعد أن تلاشَت آخر حروف كلماته، استمر لما يقرُب من العشرين ثانية قبل أن يقول آدم بتؤدَة:

- عارف يا ابراهيم انا ليه ماقتلتَكش لغاية دلوقتي؟

أجاب إبراهيم على الفَور:

- عشان محتاج لواحد زيي جَنبَك، وانا اللي زيي انقرضوا.

Old is gold يا مستر آدم.

حَكَّ آدم خصلات لحيته بأطراف أنامله وهو يقول:

- الكفاءة وحدها مِش كفاية.

- الإخلاص.

رفع آدم حاجبين مُتهَكمَين وهو يقول:

- أنا مِش ساذج عشان اطلب مِنَك حاجة ما تَملَكهاش، ولو تَملُكها تبقى عبيط، وانا مَبشتغَلش مع عُبط.

قال إبراهيم بعد لحظة من التفكير:

- خلينا نقول الولاء؟

أومأ آدم قائلًا:

- اختيار الولاء.

ودفع المزيد من الدخان ثم أردف:

- أنا عارف من زمان انك –ماتزعلش مني- كلب فلوس، بس انت برضه مِش عبيط عشان ولاءك للقرش يعميك عن الباور بوينتس الحقيقية.

مال إبراهيم للأمام باتجاه هولوجرام آدم وقال باهتمام:

- ما توضح أكتر يا مستر آدم!

- إوعى تفتكرني تايه عن الأكروبات بتاعتَك، والرسايل اللي كنت بتبعتها من بين السطور على تغطيات المحطة بتاعتَك للناس اللي فوق! ازعَل مِنَك.

سال عرقٌ بارد على وجه إبراهيم الخالي من التعابير.

- اللعب على كذا حَبل مَلوش غير نتيجة واحدة هي إنك تقع وتتكسر رقبتك.

قالها آدم، ونظر له بحِدة مُتابعًا:

- إنت حُر فـ شُغلَك طول ما انت بعيد عن شركتي، إنما انت دلوقتي خلاص، محسوب عليا، ولما تحب تصيع وترمي كروتَك للجناحين اللي فـ السُّلطة اللي بيحاربوا بعض في الأدوار العُليا، فانت كدا بتلعَب بالنار جوا بيتي يا ابراهيم.

امتقع وجه إبراهيم بينما يقول:

- اسمحلي اشرحلَك يا مستر آدم.

قال آدم بغلظة وهو يلقي نظرة على أرقام ساعته:

- وَفَر هَريَك يا ابراهيم، انا عندي meeting هَيبدأ بعد خمَس دقايق بالظبط.

وسلطَ عينين مُشتعلتين نارًا على إبراهيم، مُستطرِدًا:

- ولاءك بقى ليا انا بَس طالما اشتغلت معايا، أنا بَس. دا إنذار أوَل وأخير، لو حاولت تلِف وتبعت رسايل أو تعقد صفقات من ورا ضهري، مش هتبقى فيه إنذارات. فاهمني؟

غاضت الدماء من وجه وهو يحدِّق في هولوجرام وجه آدم، شاعرًا

بكيانـه يـكاد يحـترق تحـت وطـأة الـشرر الـذي يتطايـر مـن العينـين الغاضبتـين.
أومأ برأسه مغمغمًا بحروف مُتداخلة أن:

- Sure مستر آدم.

- وحاجة تانية.

ازدرد إبراهيـم لُعابـه بصعوبـة وأنصـت للصـوت الـذي اشـتدَت قسـوة نبراتـه حتـى كادت تخـدش طبلتـي أذنيـه:

- دي آخر مرة أسمع فيها اسم «أدهم» على لسانك.

لم يَـدر كيـف ولا متـى انتهَـت المُحادثـة، ألقـى بثقـل جسـده عـلى مَسـند مقعـد مكتبـه، وأسـبل جفنيـه بينـما صـدره يعلـو ويهبـط لازال.

أمـا آدم فظـل عـلى جلسـته الثابتـة إلى مكتبـه لدقائـق، اكتفـى خلالهـا بتدخـين سـيجاره، حتـى تعالـت أنغـام الهاتـف مصحوبـة برقـم الجهـة المُتصلـة عـلى لسـان الوحـدة الصوتيـة المُـزوَد بهـا (س-١٨) كمبيوتـر E. N. المركـزي.

أطلـق حلقـة جديـدة مـن الدخـان، ثـم أومـأ برأسـه إيمـاءة اسـتقبلتها مجسـات وكامـيرات (س-١٨) فحللتهـا، وفي اللحظـة التاليـة بـدأَت الصـور الهولوجراميـة تتشـكل في نصـف دائـرة أمامـه.

أدار عينيه في وجوه شركائه، القدامى المألوفين منهم والوجوه الجديدة.

- سَيِد وونج لي.

هَز الصيني رأسه فاغرًا فاه عن ابتسامة مُهذبة.

- سَيِد جوسنال.

أضاءت أسنان الهندي الكبيرة بشرته السمراء.

- سَيِد ويتيكر.

ابتسـامة قصـيرة ارتسـمت عـلى شـفتي هانـس ويتيكر الألمـاني، صاحـب العـود النحيـل والذقـن المُدَببـة والعينـين الزرقاويـن، مُمَثِّـل اتحـاد الـشركاء الأوروبيـين بديـلًا عـن الفرنـسي جـان بيـير تـيرار.

- سَيِد جيلسبي.

أومـأ جـون جيلسـبي الشريـك الأمريـكي، صاحـب القامـة الرياضيـة والشـعر

واللحيـة الأشـهَبين والوجـه المـليء بالنَّمَـش -بديـل الشريكـة الأمريكيـة السـابقة جوليـا فرانكلـين- برأسـه مُحيِّيًـا.

- سيدة بروخورف.

هَـزَت ناتاشـا بروخـورف، الشريكـة الروسـية -خليفـة إيفـان إيفانوفيتـش- خصلاتهـا الذهبيـة مُحَيِّيـة، وقـد جلسـت في مقعدهـا مُنتصبـة الظهـر، وأجابتـه بابتسـامة واثقـة:

- سيد مصري.

مَـرَت لحظـة مـن الصَّمـت قبـل أن يقـول آدم بعربيـة تُرجِمَـت أوتوماتيكيًّـا في نفـس اللحظـة للصينيـة والأورديـة والألمانيـة والأمريكيـة والروسـية:

- مرحبًا بِكم.

***

-٣٤-

انتظمت أنفاس زين، فأدرك رفعت المُستلقي إلى جواره على نفس الحصيرة أن النُّعاس قد تمكن منه.

الحجرة من حوله مُظلمة، لا يخدش هواءها الأسود إلا خيوط من ضوء تتسلل من بين خِصاص شيش قديم موصَد من كلوب ضعيف بالخارج؛ حيث جلس كلٌّ من الكابتن خالد والحاج محمد عِتمان صاحب البيت، يُدخنان ويتجاذبان أطراف الحديث.

حدقَ -وقد خاصم النوم جفنيه- في الخطوط الباهتة التي بانت في الضوء الشحيح من عروق السقف الخشبية.

لدى وصولهم كانت البنت -عَرفَ لاحقًا أنها تُدعى ريهام- تتحرك بين العِشة، عِشة عمها ووَلِي أمرها الحاج محمد عِتمان، وبين خُن الدجاج حاملة كيسًا مُنتفِخًا بطعام الفراخ من بقايا الأكل والعيش الناشف وقشور الفاكهة، عندما رأتهم مُقبلينَ في ضوء الغروب وقد توسطهم زين مُتكئًا على كتفي رفيقيه.

وقعت عيناها على زين.

لم تذكره، بالأحرى عقلها الواعي لم يكُ يحتفظ بنسخة من ملامحه، غير أن عقلها الباطن كان له رأيٌ آخر، بدليل أن عيناها ارتكزتا عليه وحده من دون رفيقيه، رغم غرابة مظهر ذلك الضئيل ذي الشفتين الغليظتين والمنظار الداكن.

اتسعَت عيناها وهما تستعيدان ملامحه حادة التقاطيع -رغم ما طمسها الآن من كدمات وسجحات وألوان- ورأسه الخالي إلا من شعر خفيف، وقوامه الممشوق الأميَل للنحافة.

سَرَت قشعريرة باردة في جسدها الذي انتشر فيه تنميل عجيب.

ومن بين ظلمات السندرة المُغلقة في عُمق ذاكرتها، انبعثت ملامحه

مُجـددًا؛ إذ تُطِـل عليهـا مـن أعـلى مُشَوَّشـة، وقـد خَلَـت مـن الكدمـات والسـجحات وامتـلأت بمزيـجٍ مـن قلـق وإشـفاق.

فتـح البـاب المغلـق، ودلـف إلى الغرفـة ليتوقـف أمـام الفـراش الـذي يتوسـطها، وتأمـل (في ضـوء الأباجـورة الموضوعـة عـلى الكومودينـو) الجسـد المسـجى عليـه، والملفـوف بكاملـه تقريبًـا بالأربطـة والضـمادات.

أطلَّـت لمحـة مـن الإشـفاق مـن عينيـه، مـر بسـبابته عـلى الكـف الدقيـق الملفـوف بالشـاش.

هوى كيس «أكل الفراخ» من بين أصابعها لتتناثر محتوياته على الأرض.

رفعـت كان قـد انتبـه مـن اللحظـة الأولى -رغـم شِـدة إرهاقـه- لطاقـة الخـوف الهائلـة التـي راحـت تنبعـث بكثافـة مـن كل خليـة مـن خلاياهـا، فرفـع رأسـه إليهـا، وقـد تشـمم رائحـة الهَلَـع ورآهـا مُتصلِبـة الجسـد قُـرب خُـن الدجـاج، تُحـدِّق فيهـم بعينـين جاحظتـين وأنفـاسٍ مُتلاحِقـة.

وكأنمـا كانـت ملامـح زيـن هـي المُفتـاح الصدئ الـذي دار في القفـل العتيـق الـذي يُغلـق ضلفتـي سـندرة ذاكرتهـا، فانفتحتـا لتتحـرر الصـور والأصـوات كالسَّـيلِ العَـرِم، ومعهـا انسـال خيـطٌ مـن البـول عـلى باطـن سـاقها.

وبينـما كان رفعـت يـسري إكتوبلازميًّـا داخـل كهفهـا المُظلِـم الـذي تمـرح فيـه مخاوفهـا، ويَجِـد السـير لنهايتـه باتجـاه البـاب الخشـبي العتيـق الـذي تختفـي وراءه أعتـى وأبشـع كوابيسـها، اعـترف لنفسـه أن هـذا الكهـف هـو الأكـثر امتـلاءً بالرعـب مـن بـين مئـات الكهـوف التـي اخترقهـا طيلـة السـنة الفائتـة مُـذُ اسـتوعب قدرتـه الفائقـة.

مـن وراء الجـدارن الصخريـة، ومـن داخـل كل شَـق بهـا، ومـن تحـت كل حصـاة مـن الحـصى المفـروش عـلى الأرض، سـمع الأنفـاس الثقيلـة والصرخـات المكتومـة، مـلأت أنفـه رائحـة هَلـع حيـواني لم يعـرف لـه مثيـلًا مـن قبـل.

كـم كان عددهـم؟ لا تعـرف طبعًـا، ولم يخطـر ببالهـا أن تسـأل نفسـها. مشـاعرها كانـت موزعـة بالتسـاوي بـين الصدمـة والرعـب الحيـواني والألم العنيـف.

اشـتدَت وتـيرة الـصراخ مـع اقترابـه مـن البـاب في نهايـة الممـر الصخـري، وعندمـا بلغـه قفـزت دهشـته لذروتهـا؛ إذ وجـده –لأول مـرة- مفتوحًـا عـلى مصراعيـه!

دنـا مـن فتحتـه شـاعرًا برهبـة، وأرسـل بـصره إلى داخلهـا، إلى الرعـب الـذي يقـض مضجـع هـذه السـمراء المسـكينة، والـذي حبسـته وراء البـاب الخشـبي حتـى حررتـه رؤيتهـا لزيـن.

كانـوا ينهشـونها بالمعنـى الحـرفي للكلمـة ... الأصابـع والأظافـر والأسـنان والقضبـان تنتهـك كل ملليمـتر مـن جسـدها.

تشعر باختناق وضغط شديد يحطم ضلوعها، تعجز عن التنفس.

الأظافـر تنهـش ظهرهـا وسـاعديها وبطنهـا، الأصابـع تمـزق خصـلات شـعرها، تشـدها مـن ثدييهـا، ويندلـع فيهـما ألم حـارق، جعلهـا تـصرخ مـن أعماقهـا عندمـا عضهـا أحدهـم فقضـم حلمتهـا.

في الضـوء الشـحيح القـادم مـن خـارج الغرفـة، لمـح جسـدًا ضئيـلًا -خمَّـنَ أنـه فـأر- يَنسَـل مـن بـين عـروق السـقف الخشـبية، قطعـة مـن الظـلام عـبرت سريعًـا عائـدة لملكـوت الظـلام.

زيـن النائـم إلى جـواره أخـيرًا بعـد سـويعات مـن الكـمادات؛ لتبريـد حـرارة جسـده المرتفعـة يرتعـش مـن الـبرد، يتمتـم بكلـمات غـير مفهومـة، أدار رفعـت ذراعـه وأحكـم لَـف الغطـاء الصـوفي حـول جسـده، مَـس جبهتـه فوجدهـا دافئـة، مَـد أصابعـه إلى الفوطـة المغمـورة في طبـقٍ ملـئ بالمـاء البـارد إلى جـواره، فرفعهـا واعتصرهـا بكفـه الدقيـق ثـم نفضهـا لتتنـاثـر منهـا قطـرات المـاء وكبسـها عـلى مُقدمـة رأس زيـن.

سـمع صـوت خطـوات تقـترب بسرعـة وحَـدَسَ أنهـا عنـد مدخـل العِشـة، ثـم أعقبهـا صـوتٌ عـال غليـظ جـاء مـن الحـوش مُلقِيًـا السـلام.

سمع الكابتن خالد يهمس متسائلًا:

- مين دا؟

أجاب الحاج محمد عِتمان:

- الشيخ طُلبة، فراش الجامع، الفَجر قرَب.
- بيتهيألي انه لمحني قبل ما اتدارى جوا العِشة. هو إيه نظامه؟
- راجل سَو ابن كلب! بس رَبَك كبير.
- مِش عايزك تقلق يا حاج محمد، قبل ما يطلع الصُّبح هَنكون اتحركنا.
قال الحاج عِتمان بحرارة:
- انتو فوق راسي من فوق!
وتهدَّج صوته بينما يردف:
- إنـت ماتعرفـش! صاحبـك رجعلنـا بنتنـا بعـد مـا كُنـا خـلاص اسـتعوضنا ربنـا.
تنهد رفعت بعمق.
لازالـت صرخاتهـا تـتردد في رأسـه رغـم انفصالـه عـن سـيالها الحيـوي، كل صرخـة تُمـزِّق قلبـه، تزلـزل كيانـه حرفيًّـا، يشـم روائحهـم وأنفاسـهم، تمـزق جلـده أظافرهـم وأسـنانهم، يستشـعر نوعًـا جديـدًا لم يعرفـه مـن الانتهـاك.
استغرب هذا الشعور بحق!
قلبـه الـذي لم يعـرف مُنـذُ اسـتفاق عـلى الدُّنيـا قبـل سـنة، سـوى كراهيـة سـوداء كقطـع الليـل المُظلـم تجـاه كل مـن ارتضـوا هـذه الهُـول التـي مـورِسَ ويُمـارَس عـلى ملايـين الغلابـة أمثالـه، تجـاه مـن ارتضـوا أن تُفقَـأ عينيـه داخـل ماكينـات التعذيـب كي يهنـأوا برَغَـد العَيـش، هـذا القلـب الـذي يَنفِـث حِقـدًا وغضبًـا ودفعَـهُ دفعًـا للقتـل مـرة واثنتـين وثـلاث، القلـب الـذي تحجَّـرَ مـع كل خـوف يُجسِـده وهـمًا ذي لـون وملمـس ورائحـة، هـذا القلـب يخفـق الآن لألم ومُعانـاة هـذه الفتـاة المُنتهكـة.
لماذا هي بالذات؟
سَـمِعَ صـوت خروشـة الفـأر؛ إذ يزحـف عـلى مقرُبـةً منـه، وبطـرف نظـره لمح ذيلـه يتلـوى ثـم يغيـب في الظـلام، مَـد أناملـه ليتحسـس الحائـط إلى جـواره، الملمَـس الخشـن للبيـاض الـردئ الـذي تسربـت منـه بـرودة الخـارج للداخـل، مـلأت أنفـه رائحـة مُركَّبـة مـن روائـح الرطوبـة والغطـاء الصـوفي «المُكمكَـم»

والوسـادة القديمـة المُفعَمـة بالنفتالـين، وحِـزَم البصـل والثـوم المُعَلقـة عـلى حائـط الطُّرقـة، وزِبـل الفـراخ الـذي تفـوح رائحتـه مـن الخُـن القريـب، روائـح مُتشـابكة بَـدَت لـه مألوفـة وكأنهـا قادمـة مـن عالمـه الأصـلي الـذي تـاه في دهاليـز ذاكرتـه، شـعورٌ بالراحـة والألفـة رسـخته ملامـح الحـاج محمـد عِتـمان المُنهَكـة، التـي عكسَـت عُمـرًا مـن الشـقاء، والتـي شـعر أنـه قابـل مثلهـا مـرارًا في حياتـه السـابقة قبـل قيامتـه وبعثـه داخـل ماكينـات Egy- Nergy.

وبينـما آذان الفجـر يرتفـع مـن المسـجد يحملـه صـوتُ غليـظٌ مُشـوَّه –صوت الشـيخ طُلبـة- كان قـد اتخـذ قـراره.

دَسَّ كفـه في جيبـه ليقبـض عـلى ميداليتـه، وفي ظـلام الحجـرة، ومضـت خليتاه البصريتـين مـن وراء منظـاره الداكـن الـذي لم ينزعـه بعـد حتـى في نومتـه تلك.

تمـاوجَ سـياله الحيـوي وامتـد لسـانٌ منـه كسـحابة مـن الدخـان زحفـت؛ لتغـادر الحجـرة مـن تحـت عقـب بابهـا الخشـبي، سَـبَحَت في الفـراغ بـين الجـدران الطينيـة المطليـة بالجـير الرخيـص لتُفَتِّـش الحجـيرات حتـى عـثرت أخـيرًا عـلى ضالتهـا.

كانـت مُمَـددة في فرشـتها، جسـدها منطـوٍ على نفسـه في وضـعٍ جنينـي، تائهة لازالـت في غيبوبتهـا التـي تهـاوَت فيهـا لـدى مقدمهـم قبـل سـاعات، وعـلى الأرض بجـوار الفـراش نـام زوجهـا الشـاب الأسـمر النحيـف صاحـب الشـعر المفلفـل –الـذي قدمـه لهـم الحـاج عِتـمان باسـم حسـن- جالسًـا، وقـد عانـق أصابعهـا بأصابعـه الطويلـة ذات الأظافـر القـذرة.

دار لسـان الإكتوبـلازم حولهـا، ثـم لم يلبـث أن غـاص وامتـزج بسـيالها الحيـوي، ليجـد رفعـت نفسـه يسـير مُجـددًا في كهفهـا الصخـري المُظلِـم بـين الصـور والذكريـات والأصـوات المُخيفـة التـي تحـررت.

كانـت تتصايـح وتندفـع مـن حولـه كالوطاويـط، ضحـكات وصرخـات ولهـاث وأنفـاس عَفِنـة، ووجـوه قبيحـة نظراتهـا أشـبه مـا تكـون بنظـرات الضـواري، وهنـا أقـدم عـلى فعلـة يرتكبهـا للمـرة الأولى.

بـدأ يلتقـط هـذه الذكريـات، يختطفهـا، يقبـض عليهـا بأصابعـه بينـما تتطايـر

من حوله، ويركض في إثرها؛ إذ تحاول الفرار منه، بصبر ودأب ظل يجمعها الواحدة تلو الأخرى، كم استغرق منه ذلك؟ لم يَحسِب وكان قد أدركَ بالتجربة أن الزمن لا مقياس له «بالداخل».

أنهى مهمته وسار حاملًا غنيمته بحرص بين الجدران الصخرية، هوى بقدمه ليهرس ذكرى صغيرة وحيدة حاولت أن تتلوى مُبتعدة، انحنى يلتقطها ويضمها لمجموعته ثم يستكمل طريقه.

عبرَ الباب الخشبي المفتوح إلى مَخزن الكوابيس، بأصابعه قام بعجن الصور والذكريات والأصوات، صنع منها كرة بحجم كرة القدم، لف ذراعه حولها، وانحنى ليحفر في التراب بأصابع ذراعه الأخرى.

ظل يحفر ويحفر حتى صنع حُفرة اطمأن لحجمها وعُمقها، فألقى كرة الذكريات المُخيفة في قلبها وأهال عليها التراب، راحت الأصوات والصرخات والأنات تخفُت وتضعُف حتى انطمرت تمامًا مع انتهائه من الردم وتسوية الأرض.

نهض وهو يلهث من المجهود، غادر الحُجيرة وأغلق الباب الخشبي خلفه، ثم مَد أصابعه إلى جيبه ليسحَب منه الميدالية، وقَد تحولت لقفل نحاسي ضخم براق.

ثبتَ القفل إلى الباب وهَزَّه بقوة ليتأكد من ثباته، ثم استدار مُغادرًا الكهف الذي بدا له هذه المرة أقل ظلامًا وأكثر هدوءًا، وعلى شفتيه الغليظتين ارتسم شبح ابتسامة ارتياح.

وبينما سياله الحيوي ينفصل عنها، ويسبح في الهواء عائدًا لجسده المُمَدَّد على حصيرته بالحُجرة قرب مدخل العشة، لم يَر بطبيعة الحال الفتاة الغارقة في غيبوبتها، وقد ارتخَت عضلات وجهها وانفرجَت أساريرها، وتخلص جسدها من وضعه الجنيني، وتمددت أطرافه على اتساعها.

ومع خيوط الصُبح الأولى، أسبلَ رفعت جفنيه وترك نفسه ينزلق في نومٍ مُستحَق لم يَغِب فيه سوى لدقائق قليلة، صحا بعدها على هزات من كَف الكابتن خالد، وسمع صوته يفِح: - ياللا بينا.

-٣٥-

فتح زين عينيه.

بَـدَت لـه الرؤيـة مُهتـزة بعـض الـشيء، ولكنهـا سرعـان مـا تماسـكت لتُمَيِّـز عينـاه وجـه الكابـتن خالـد الـذي رسـمته التجاعيـد، ونفـرت عـلى جبينـه خصـلات طويلـة مـن الشـعر الأبيـض.

- حاسس انَك أحسن؟

ضم زين أصابعه وفردها ببطء وقال بشيء من الدهشة:

- أحسن كتير!

نهض خالد قائلًا:

- جِسـمَك ارتـاح، خَـد كفايتـه مـن النـوم، والإصابـات تكفلَّـت بيهـا العقاقـير المُجـدِدَة للخلايـا.

انتبـه زيـن إلى أنـه مُمَـدَّد عـلى أريكـة وثـيرة، أدار عينيـه في المـكان حولـه والـذي بـدا لـه مألوفًـا.

تساءل وهو ينهض بدوره:

- إحنا هنا؟

قال خالد وهو يتجه نحو بار في ركنٍ قريب:

- المنزل الآمن رقم صفر.

هنـا أدرك زيـن ماهيَّـة المـكان، فيـلا السـاحل الشـمالي التـي نُقِـلَ إليهـا قبـل عـامٍ كامـل فاقـدًا لوعيـه بعـد صدامـه الأول مـع رفعـت قبيـل بوابـات طريـق مـصر- إسـكندرية الصحـراوي.

شـعر برأسـه يـدور إثـر محاولتـه النهـوض، فـترك جسـده يعـود للأريكـة، ثـم لم يلبـث أن وجـد كوبًـا ممـدودًا أمـام عينيـه بـين أصابـع الكابـتن خالـد، وسـمعه يقول:

- إشرب دا.

- إيه دا؟

- مُنشِّط. هيساعدك.

تناول زين الكوب ورشف من السائل البارد الأقرب لمذاق النعناع، وشعر به يصعد إلى رأسه مباشرةً، فتجرع مُحتوياته على رشفات مُتتاليات. ألقى نظرة على زجاج الفراندة القريبة، فغاص بصره في الظلام الأصَم إلا من نجوم بعيدة واهنة الضوء، وانتبه لصوت الأمواج، تساءل:

- إحنا بنعمِل ايه هنا؟

لم يَرُد الكابتن خالد، انطلق صفير خافت انزاح على إثره باب فُرن المايكروويف، فتناول منه صينية يتصاعد من محتوياتها البُخار الساخن، وضعها على منضدة صغيرة بجوار أريكة زين، وقال له:

- كُل الأول عشان تسترجع نشاطك وهنتكلم بعدها.

وضع زين الكوب شاعرًا بذهنه يصفو شيئًا فشيئًا، وبشهية تنمو في أحشائه دفعته ليقبل على الطعام، وبينما يمضغ تذكر بغتة:

- رفعت!

نظر مُستفهِمًا للكابتن خالد فرآه ينظر لنقطة أبعد، أدار رأسه يسارًا لتقع عيناه على رفعت الجالس إلى مقعد وثير في ركنٍ قَصي، تبادلَا نظرة طويلة مُحمَّلة قبل أن يَهز زين رأسه، فيجيبه رفعت بإيماءة خفيفة لا تكاد تُرى عاد بعدها لسكونه.

فرغ زين من طعامه سريعًا وأزاح الصينية جانبًا، وهو ينظر لقائده السابق متسائلًا:

- وبعدين؟

نفث الكابتن خالد، الجالس واضعًا ساقًا على ساق، دخان سيجاره وقال:

- مُنتظرين الاتصال.

- اتصال بمين؟

أجاب الكابتن خالد باقتضاب:

- القيادة.

ابتلع زين فضوله وقلقه وقد أدرك أن خالدًا لن يثرثر بالمزيد، وأن عليه أن ينتظر، تشاغل بالتحديق في الفراغ الأسوَد خارجًا، ومرت الدقائق حتى انبعثَ رنين خافت، ثم تشكلَ هولوجرام لرجل متوسط القامة، في أواسط الأربعينات، أصلع تمامًا، ملامح وديعة ظهرت عليها دلائل التوتر، وبذة تهدلت ربطة عنقها.

اعتدل الكابتن خالد في جلسته، وتحفز زين وهو يرمق الوجه الذي اتضحَت خطوطه.

- مرحبًا.

قالها صاحب الهولوجرام بإنجليزية تُرجِمَت أوتوماتيكيًّا لعربية سليمة:

- يؤسفني أن يأتي لقائي الأول بِكُم في مِثل هذا الظرف العَصيب.

دعونا لا نُضيع الوقت.

سأله زين مُباشرةً:

- إنتَ مين؟

استدارت العينان الهولوجراميتان إليه، وأجاب صاحبهما:

- اسمي نظيم الدين كمال، عزيزي زين.

ضاقت حدقتا زين وهو يردد:

- إنتَ!

- الديك الرومي، كما أخبرتك صديقتنا المُشتركة أمل الشافعي.

خفق قلب زين لسيرتها، تساءل:

- هي فين دلوقتي؟

***

-٣٦-

عندما غادرت أمل غيبوبتها هذه المرة لم تستغرِق زمنًا طويلًا لتستردِ وعيها وإدراكها، كما حدث قديمًا عندما غابَت عن وعيها في ميدان التحرير، ثم صَحَت لتجد نفسها في حجرة بمستشفى باريسي.

لم تشعر بالتأكيد بوخز الإبرة التي انغرسَت في عروقها قبيل دقائق من صحوتها، ودفعَت بالسائل المُنشِّط في دمائها، ولكنها بالتأكيد استشعرت التأثير مع وعيها الذي تكامل بسرعة.

ظلت مُغمضة العينين رغم اليقظة، حتى ملأت قبضتها بذكرياتها.

رُغمًا عنها، أبطأ شريط الذكريات عند تلك الأيام الصعبة التي قضتها في باريس –قبل رُبع قرن- عقب فَض الاعتصام وخسارتها هي لكل شيء بضربة واحدة، قضيتها وعائلتها وبلدها وحتى اسمها، بالإضافة لخسارتها الأفدح، والتي ظلت مرارتها في حلقها حتى هذه اللحظة: الرجل الذي أحبَت.

لما غادرت المستشفى الباريسي الذي صَحَت من غيبوبتها بإحدى حجراته، كانت تحمل جوازَ سفرٍ عليه اسمٌ غريبٌ هو «شادية نور الدين»، مواطنة مصرية فرنسية، لم تكُن تملك -وقد أُحيطَ بها وحيل بينها وبين عالمها القديم- إلا قَبول العرض الذي جاءها من الحكومة المصرية من خلال سكرتير القنصلية المصرية في باريس.

بعد عدة محاولات لتلمُّس إمكانية التسلل خِلسةً إلى مصر من أجل الانخراط في جولة جديدة ضِد الشركة، تأكدت أن الأمر هذه المرة جَدٌّ لا هزل فيه، وأن أبواب وطنها صارت مُوصَدة بالفعل في وجهها، صار عليها أن تُعِد نفسها لقضاء ما تبقى من سني عمرها بعيدة عن أهلها وبلدها وذكرياتها، وحيدة تلعق جراحها وتجتر خسارتها.

ملأت أنفها رائحة عَطرة.

فتحت عينيها ببطء.

الإضاءة الخافتة المُريحة سهلت على عينيها استيعاب التفاصيل من حولها، القاعة الفسيحة ذات الجدران الفاتحة الخالية من أية فتحات، والأرضية المُبلَّطة بالبورسيلين، والنور الخافت المُنبَعِث من الجدران ذاتية الإضاءة.

استنفرت قواها الواهنة لتتكئ على عظام مرفقيها، وتنهض بصعوبة من رقدتها على الفراش الذي يتوسط أحد أضلاع القاعة.

رأسها يدور.

زمان، في تلك الشقة الصغيرة بـ نيس، والتي سلمها سكرتير القُنصلية مفاتيحها في نهاية لقائهما الثاني والأخير، قضت أيامًا وليالِيَ طويلة، هي الأصعب في حياتها الملأى بالليالي الطويلة الباردة، تنازعتها الأفكار والخواطر السوداء، وهي جالسة بالساعات أمام الإنترنِت تنبش في تداعيات فَض الاعتصامات بالميادين والشوارع المصرية، وما تلاها من مواجهات بين الجيش المصري وميليشيات مُسلحة نشطت في شمال سيناء، التغطيات والفيديوهات والمقالات والحملات، ترقب الضجة وهي تخبو رويدًا رويدًا، ولم تَغِب عن ملاحظتها تلك الممحاة البطيئة الراسخة التي راحت تقتفي أثر كل توثيق لما جرى على الإنترنِت، فتزيله من الوجود بقسوة وثقة.

وسط كل هذا، كان جزءٌ محمومٌ منها، من وعيها، يفتش عنه في كل خبر، كل صورة، كل فيديو، كل لينك، تتوق لرؤيته ولو لمرة أو لحظة واحدة يرتد فيها الأمان والأمل لقلبها، تحرق السجائر وتسكب القهوة مُرة المذاق في حلقومها بينما سبابتها تنتقل بها من صفحة لصفحة ومن موقع لموقع.

وشيئًا فشيئًا ماتت البذرة في قلبها، ونما شعورٌ آخر هو الغضب الممزوج بتساؤل عن كيفية حدوث ما حدث.

لماذا خسروا معركتهم ودفعوا الثمن باهظًا، فقُتِلَ من قُتِل وسُجِنَ من

سُجِن وشُرِّدَ مـن شُرِّد، واشـتركوا جميعًـا في حَمـل مـيراث العـذاب؟ لمـاذا تحالف العـالم كلـه ضدهـم؟ لمـاذا يخسر الخـير دومًـا؟ وأيـن اللـه مـن كل هـذا؟!

أين؟!!

عندئذٍ، رفعت عينين غاضبتين لأعلى.

استوَت جالسـة إلى حافـة الفـراش، وبَقيَـت كذلـك لدقائـق دفنـت خلالهـا وجههـا في كفيهـا، وتخللـت أصابعهـا خصـلات شـعرها الفـضي القصـير.

دقائـق كافحـت خلالهـا لانتشـال رأسـها مـن براثـن الـدوار، وظلـت تمـلأ قبضتهـا بالمزيـد مـن الذكريـات.

قال دستويفسكي يومًا:

«عندما لا يكون الله موجودًا، فإن كُل القِيَم تسقط من تلقاء نفسها».

«فكل شيء مُباح».

ودومينيك كان موجودًا.

المُمـرِّض الشـاب الـذي صَحَـت مـن غيبوبتهـا عـلى نظـرات عينيـه المُشـفقة، هـذا الإشـفاق الـذي تحـول مـع الوقـت لعاطفـة صريحـة، أطلـت بوضـوح مـن نظراتـه وحنانـه وعنايتـه الزائـدة بهـا، ثـم حـرارة أحضانـه عندمـا جمعهـما الفِراش بعـد أسـابيع مـن خروجهـا مـن المستشـفى، وحدتهـا وغربتهـا وتقـوُض بنايتهـا الروحـي والقِيَمـي بفعـل النـوازل الأخـيرة، بالإضافـة لإعصـار عواطفـه دفعهـا دفعًـا بـين ذراعيـه.

لماذا هي؟!

سـؤال ظلـت تسـأله لنفسـها عَقِـب كل مـرة ينفَـض التحامهـما، الفتـى العشرينـي الوسـيم فـارع الجسـد، حـار العواطـف يصغرهـا بمـا يزيـد عـن الخمسـة عـشر عامًـا، وهـو ولا شَـك واجـد في الحسـناوات الفرنسـيات مـن هُـنَّ مؤهـلات لإشـباع شـبابه وعنفوانـه أكـثر منهـا هـي، الأربعينيـة عُمـرًا وجسـدًا والتسـعينية روحًـا.

- منذ رأيتُكِ شعرت باحتياج جارف إليكِ.

قالها همسًا بينما أصابعها تغوص في كتفه العاري.

رَفَعَت رأسها تتأمل القاعة من حولها مرةً أخرى، انتبهت إلى أن الإضاءة تزداد سطوعًا برفق محسوب يتناسب مع درجة استعادتها لوعيها، ثمة ثياب بيضاء نظيفة منضوضة بعناية على طرف الفراش، ولاحظت وجود مِنضدة تتوسط مقعدين وثيرين بأحَد الأركان، فاستنفرت قواها ونهضَت مُتجهة إليها بخطواتٍ واهنة، على سطحها استقرت صفحة وجبة ساخنة وغلاية فاحت منه رائحة القهوة، غاصت في أحد المقعدين الوثيرين، تجاهلت الطعام وصَبَّت لنفسها كوبًا من القهوة، وسرعان ما امتلأ أنفها ببخارها زكي الرائحة.

أنعشتها القهوة المُتقنة فطفقت تتأمل المكان مُجددًا، ثم لم تلبث أن نهضت وقد سَرَت الحيوية في أطرافها، فتجولت في أرجاء القاعة العارية إلا من أثاثها القليل.

رحل دومينيك بعد عام وبِضعة أشهر.

أعلمها بأنه سيضطر للتغيب من أجل التحضير للدبلومة، ولكنها كانت تعلم أنها مُجرَد حجة، وأن عواطفه كانت قد انطفأت كما انطفأت عواطفها هي، غادر حياتها، فلم تشعر بألم فراق أو أي شيء من هذا القبيل، بل لعل شعورها كان أقرب للارتياح بعد أن ضرب السأم علاقتهما في الشهور الأخيرة.

ألقت بنفسها وسط ضجيج شلة الأصدقاء التي اجتمعوا لها تدريجيًّا لدى إقامتها بـ نيس، تقف نهارًا في حانوت الأنتيكات الذي افتتحته بنقود القنصلية المصرية، ثم تنطلق ليلًا لتسهر وتشرب وتلهو حتى يهدها التعب.

كانت بالفعل قد صارت أمل أخرى لا تَمُت بشيء لـ أمل الشافعي التي كانتها قبل أقل من عامين.

بعد رحيل دومينيك بشهرٍ واحد اضطربَت دورتها الشهرية، فظنَت أنها قد بلغت السن الحرجة، غير أن الطبيب زَفَّ إليها الخبر الصاعق: ثمة جنين ينمو في أحشائها.

انتبهت إلى باب جانبي قريب فتحته لتجد وراءه حمامًا فاخرًا مُجهزًا، ما أن ولجته حتى أضيئَت جدرانه ذاتية الإنارة، ودَبَّت الحركة في السطح الهادئ لمياه البانيو، والذي صعدت الفقاقيع عطرة الرائحة إليه فيما بَدا وكأنه دعوة مُغرية من وحدة الكمبيوتر التي تتحكم في خدمات هذا المكان العجيب للاغتسال.

من دون كثير تفكير، خلعت ثيابها -انتبهت إلى أنها لازالت داخل ثيابها المنزلية التي كانت عليها في منزِل الغردقة- وغمرت جسدها داخل المياه الدافئة.

تيارات شتى ظلت تعصف بكيانها طيلة الفترة التي سبقت عملية الإجهاض، مشاعر متلاطمة لم يكُن من بينها الخوف بعد أن أغلقت الباب على ما كان بوصلتها الرئيسية: إيمانها.

كانت غَضْبَى، ساخطة على الدنيا ومن يُديرها لو كان هُنالِكَ واحدٌ، وغضبها يدفعها للتحدي، شاعرة بأنها بعد كل ما نزلَ بها لم يَعُد لديها ما تخسره، وإذا كانت هُنالِك آخرة وحساب، فلديها بالفعل الكثير لتُحاسِب هي لا أن تُحاسَب! ورغم الاشتياق الذي انفجر عارمًا في أعماقها لشعور الأمومة القديم الذي نسيَت مذاقه منذ عقد كامل من الزمان، إلا أن قرارها كان حاسمًا: لا مزيد من المُعاناة في هذا العالم، وهديتها الكبرى لجنينها هي أن ترحمه من الخروج لهذا الجحيم.

أسبلت جفنيها وأسلمت جسدها للمياه ذات الرغوة عطرة الرائحة.

خرجت من العملية حُطَامًا، إنهاكها الروحي كان أعمق بكثير من إنهاكها الجسدي، ورغم أن الإجهاض تم في مرحلة مُبكرة بالفعل إلا أن أصوات دقات قلب قادمة من سماعات سونار وهمي ظلت لسنوات تطرق أذنيها فتجيبها دموعٌ ساخنة تبلل الوسادة كل ليلة.

يالها من أيامٍ تكاثفت فيها الأحزان والآلام حتى هانت عليها حياتها، وفكرت جديًّا في إنهائها لولا فُضلة من جُبن لعلها الآن مَدينة لها، فلولاها لما عاد حالها لينقلب مائة وثمانين درجة بعد أكثر من عقد كامل من

الزمان إثر لقاء غير مُتوقَّع.

خرجت من البانيو والماء يقطر منها.

التحفَت ببرنس أبيض، نظرت إلى انعكاس وجهها الذي استرد انتعاشه على مرآة عريضة ذات إطار دقيق، مُثبتة في فجوة بالحائط، مرَت بأصابعها على التجاعيد حول العينين والشفتين، أدارت رأسها إلى منضدة رخامية قريبة افترشتها مجموعة كاملة من أدوات الزينة، التقطت فرشاة وبحركة آلية بدأت تُمَشِّط خصلات شعرها الفضية المُبتلة.

كان صباحًا مُشرقًا، وكانت جالسة إلى إحدى الأرائك الخشبية بذلك المُنتزه الذي اعتادت التردد عليه صباح كل يوم في طريق ذهابها إلى حانوتها.

لمحته مُقبِلًا بين الأشجار زاهية الألوان، لم تكترث له إذ جلس إلى طرف أريكتها، فقط ردَّت تحيته الصباحية بفرنسية طليقة، وانشغلت بإلقاء الحَبِّ إلى طيور المُنتزَه، ومراقبتها وهي تلتقطه من على الأرض بمناقيرها الدقيقة.

مرَت الدقائق حاملة سلامًا روحيًّا بين زقزقات العصافير ونسمات الهواء المُحمَّلة بشذى الأزهار، ووجوه العابرين الطِلقة في هذه الساعة البهيجة من الصباح، حتى سمعته يقول:

- ياله من جمال!

عكارة خفيفة بدأت تلوح لمزاجها في الأفق.

- لكأني أرى الله أمامي هاهنا.

كانت راغبة في احتواء أكبر قدر ممكن من هذا السلام داخل روحها خلال الدقائق القليلة التي تستغرقها جلستها بين الشجر والورود والطيور، زاهدة تمامًا -بالذات في هذه اللحظات- عن أي نوع من التواصل؛ لذا لم تُعَقِّب على هذا التطفُّل على خصوصيتها.

- هل أنتِ مؤمِنة؟

لا فائدة، زفرَت بعمق.

- لا.

قالتهـا باقتضـاب وبـدأت تجمـع حاجياتهـا اسـتعدادًا للنهـوض، موعِـد حانوتهـا يقـترب عـلى أيـة حـال.

- لِمَ؟

فاجأهـا سـؤاله، وهـي التـي لم تَعتَـد التطفُّـل ولا المُتطفلـين منـذُ اسـتقرَّت في فرنسـا قبـل سـنين، وبالـذات عـلى الخصوصيـة العقائديـة، التفتَـت ترمقـه مـن وراء منظارهـا الداكـن، أربعينـي يصغرهـا بمـا لا يقـل عـن عـشر سـنوات، بسـيط الثيـاب، متوسـط القامـة، زحـف الشـعر مُبتعـدًا عـن مُقدمـة رأسـه، وكان ينظـر لهـا مُسـتطلِعًا إجابتهـا.

- ماذا؟

كرر بهدوء:

- أسألُكِ عن السبب وراء عدم إيمانِك؟

- وفيمَ يهمك معرفة السبب وراء عدم إيماني؟!

ابتسم مجيبًا:

- لنقل إنني أتساءل لدعم إيماني.

- دعم إيمانَك!

أومأ قائلًا:

- لـدي قناعـة بـأن الجهـد المبـذول لتبريـر عـدم الإيمـان أكـبر بكثـير مـن الجهـد المبـذول للإيمـان.

والتقـط حِفنـة مـن الحَـبِّ مـن الكيـس المُسـتقِر عـلى الأريكـة بينهـما، نثرهـا في الهـواء، واسـتطرد ببسـاطة وهـو يَرقُـبُ الطـير إذ يلتقطـه بسـلام مـن عـلى الأرض:

- الإيمان الذي يكفي فقط تأمُل هذا القدر من الجمال للوصول إليه.

حدقت في وجهه المُكتنز قليلًا للحظة، ثم أشاحت برأسها قائلة:

- لو كان الله موجودًا لكان العالم كله بهذا الجمال.

ابتسم مرة أخرى وهو يقول:

- لولا القُبح ما صار الجمال جمالًا.

قالت بابتسامة هازئة:

- الكلام سهل تحت ظلال الأشجار وعلى وَقع زقزقة العصافير.

اتسعَت ابتسامته وهو يقول:

- لَستُ أعيش هنا.

كانت عازفة -فوق نفورها الراهن من التواصل- عن الخَوض في هذا النوع من المُناقشات.

- ولَستُ فرنسيًّا من الأساس.

هَزَّت رأسها وهي تَهِم بالنهوض عندما أردف:

- مِثلِك تمامًا، عزيزتي أمل.

غادرت الحمَّام مُصففة الشَّعر، وقد اكتسَت وجنتاها بطبقة خفيفة وردية من المسحوق، حملتها قدماها المدسوستان في خُفَّين بسيطين إلى الفراش في خط مُستقيم، لَم تحيدَا عنه قيد أنمُلة، ومع كل خطوة كانت دقات قلبها تتصاعَد.

وقفت أمام الفراش، مَدَّت يديها لتلتقط فستان السهرة الأسوَد الذي يحمل سلوجان أحد بيوت الأزياء العالمية الشهيرة، وثمة رائحة عَطِرة هادئة تفوح منه، صدرها يعلو ويهبِط.

ببطء نزعت البُرنُس عن جسدها.

- مَن أنت؟

سألته بعد أن تفرسَت في وجهه بنظرة طويلة.

نزع عينيه من مشهد الطيور التي تلتقط الحَبَّ، وأدارهما إلى وجهها. قال من دون أن تفارق ابتسامته شفتيه:

- اسمي نظيم الدين.

تساءلت بإصرار طالبة المزيد:

- من أنت؟

قال بهدوء:

- أنا من سَيرُد إليكِ إيمانَك.

بينـما كانـت ترفـع حمالـة الفسـتان إلى كتفهـا، انتبهَـت إلى أن أصابعهـا ترتعـش.

مـن البدايـة، مُـذ لحظـة اسـتعادتها لوعيهـا وإدراكهـا وهـي مُستشـعِرة لحضـوره الثقيـل الراسـخ.

صورته الأخيرة كانت أول ما انداح عنه الضباب حول ذاكرتها.

الباب ينفتح ببطء ...

من دون أن تتوقف عن الانتفاض، فتحت عينيها ببطء ...

الضـوء الشـحيح المتسـلل مـن بـين ثنايـا السـتارة لم يسـاعدها عـلى تمييـز ملامـح صاحـب الجسـد الممشـوق الـذي يسِـد فتحـة البـاب ...

مُجـددًا، لمـع وميـض الـبرق فوقـع عـلى الملامـح، ورُغـمًا عنهـا غـادرت الشـهقة أعـماق قلبهـا؛ ليبددهـا هزيـمُ الرعـد الأقـرب لزئـير الضـواري ...

ورغـم ذلـك، سَرَت رعـدة هائلـة في جسـدها عندمـا سَـمِعَت صوتـه قادمًـا مـن ورائهـا.

- لو عايزة رأيي ...

الدوار يطرق جمجمتها مُجددًا بالتزامن مع الخفقات المفاجئة لقلبها،

تَشبَثت بحافة السرير حتى لا تخذلها ساقاها.

- مشهد واحدة بتدخُل جوا هدومها مُثير أكتر بكتير ...

أغمضت عينيها كي تسيطر على انفعالها، وتطرد الدوار خارج رأسها.

- من واحدة بتخرج منها.

ببطء، استدارت بكامل جسدها المُرتعِد لتواجهه.

***

-٣٧-

«كل شيء كان يسير على ما يُرام.

الخُطـة تمـضي قُدمًـا وفـق الجـدول الزمنـي المُحَـدَّد، وكل الاسـتطلاعات وبرامـج الرصـد، والمُتابعـة، والتقاريـر الاسـتخباراتية كانـت تؤكِّـد ارتفـاع نِسَـب نجـاح العمليـات، التـي تـم تنفيذهـا لمـا يفـوق السَّـقف المُتوقَـع في الكثـير مـن الأحيـان، الحَـق أن قُـدرة رفعـت النفسـية العجيبـة لعبَـت دورًا خطـيرًا في تعديـل موازيـن القـوى للدرجـة التـي دفعَـت لتغيـير الخطـة والجـدول الزمنـي -وهـذا أمـرٌ لـو تعلمـون عظيـم- مـن أجـل اعتصـار أقـصى اسـتفادة منهـا، كُل هـذا كان لـه أكـبر الأثـر في قطـع مسـافات شاسـعة في زمـنٍ قيـاسي، وصـار انتصارنـا عـلى مرمـى البـصر بالفعـل، لـولا ...

ديف» ...

تساءل زين:

- مين ديف؟!

«ديـف هـو الكمبيوتـر المركـزي لأنظمـة The Eye المُتخصصـة في إنتـاج وتوريـد وتركيـب وحـدات الكمبيوتـر الذكيـة المُنتـشرة داخـل البيـوت والشركات والمـولات والقطـارات ومحطـات المـترو إلـخ، والتـي تعمـل بالأوامـر الصوتيـة لعملائهـا مـن أصحـاب هذه الفراغـات والمُسـجلة بصماتهـم الحيويـة في ذاكرتها.

أنظمـة The Eye لا تكتفـي بالأعـمال الخدميـة المنصـوص عليهـا في آلاف العقـود التـي تُـبرَم يوميًّـا بينهـا وبـين عُملائهـا، ولكنهـا تسـتغل خاصيـة قـراءة البصـمات الحيويـة المُـزودة بهـا وحداتهـا الكمبيوتريـة الموجـودة في كل بيـت ومكتـب ومتجـر وشركـة في ممارسـة نشـاطها الحقيقـي: التجسـس.

الوحـدات الكمبيوتريـة الخدميـة تقـوم بالتقـاط وتسـجيل ونقـل كل كلمـة وكل حركـة وكل نفـس يخـرج في الفـراغ الـذي تُسـيطِر عليـه عـلى مـدار الأربـع وعشريـن سـاعة، وكل هـذه البيانـات تنتقـل أولًا بـأوَل إلى ذاكـرة ديـف؛ حيـث

يتـم تصنيفهـا وتحليلهـا وتخزينهـا، ثـم بيعهـا لمـن يدفـع مُقابلهـا مـن أجهـزة مخابـرات ووكالات أمنيـة حكوميـة وشركات خاصـة.

باختصـار: ديـف هـو أكـبر وأخطـر جاسـوس عرفتـه البشريـة مُنـذ فجـر تاريخهـا!

وجـود ديـف كان أخطـر عقبـة تُعيـق انطـلاق مُخططنـا لإسـقاط E.N والتـي هـي بالمناسـبة أحـد أكـبر عمـلاء أنظمـة The Eye.

ديـف -بفضـل أجهـزة رصـد البصـمات الحيويـة لـكل إنسـان يتحـرك داخـل النطـاق الحـضَري- قـادر عـلى رصـد وتعقـب كل تحـركات رجالنـا بـل والتنصُّـت عليهـم؛ لـذا كانـت الخطـوة التحضيريـة الأولى للثـورة هـي إخراجـه مـن المُعادلـة، كيـف؟ ...

HAM: Humans Against Macheins

الدعـوة التـي ظهـرت عـلى السـطح قبـل بضعـة أعـوام حامِلـة شـعار الحَـد مـن توغـل الآلـة في الحيـاة الإنسـانية.

نحـنُ كُنـا وراء هـذه المجموعـات التـي انتـشرت عـلى الإنترنِـت، ثـم لم تلبـث أن خرجـت مـن الافـتراضي إلى الواقعـي في صـورة مظاهـرات واعتصامـات ووقفـات احتجاجيـة، قبـل أن ننتقـل إلى تصعيـد أكـبر بالفعـل الراديـكالي: الهجـمات الإلكترونيـة عـلى أنظمـة الحمايـة وشركات الخدمـات الكمبيوتريـة.

ومـع ظهـور رفعـت وبـدء العَـد التنـازلي لتحـول الثـورة ضـد E.N. لفعـل عسـكري حقيقـي عـلى الأرض- ضربنـا الضربـة الكـبرى.

قبل عامٍ كامل من الآن، هاجمَ Anarchy البرنامج الرئيسي لـ ديف.

Anarchy هـو خُلاصـة مـا توصـل لـه مُهندسـونا، برنامـج كمبيوتـر عبقـري مُكـوَّن مـن معادلـة واحـدة مُتغـيرة الرمـوز، اسـتطاع اخـتراق دفاعـات ديـف ومهاجمـة وحـدات الــ A. I. التـي تُنظِّـم الشِّـق الاسـتخباراتي مـن عمـل ديـف، والنتيجـة هـي ضعـف مُطـرد في كفاءتـه وقدرتـه عـلى تلبيـة الطلـب المعلومـاتي، هـذا الضَّعـف الـذي تفاقـم مـع التلـف المتزايـد في وحـدات الـذكاء الاصطناعـي أخـرجَ ديـف بالفعـل مـن السـاحة التـي خَلَـت لرجالنـا، يتحركـون ويـؤدون

مهامهـم بحريـة تحـت سـمع وبـصر ديـف العاجـز الضريـر.

ومجموعـة The Eye بدورهـا لم تقـف مكتوفـة الأيـدي بالطبـع أمـام انهيـار اسـتثماراتها، بالتأكيـد بلغتكـم أخبـار المعركـة الدبلوماسـية المحمومـة في أروقـة الأمـم المُتحـدة، مـن أجـل اسـتصدار قانـون يرفـع الحـد الأقـصى المسـموح بـه لوحـدات الـذكاء الاصطناعـي مـن المسـتوى الرابـع إلى المسـتوى السـادس، تِلـكَ المعركـة التـي تكللـت بنجـاحٍ أسرع مـما توقعتـه حسـاباتنا، ربمـا لأنهـا كانـت بالنسـبة لــ The Eye معركـة حيـاة أو مـوت، فحَشَـدَت لهـا حسـابات مفتوحـة، وجـل مـا تملـك مـن شـبكات نفـوذ وعلاقـات دوليـة، المُهِـم أن الدرجتـين الزائدتـين مـن الـذكاء الاصطناعـي اللتـين حازهـما ديـف وِفقًـا للقانـون الجديـد لعبتَـا دورًا كبـيرًا في تطويـر برنامـج مُضـاد للفيروسـات اسـتطاع اصطيـاد Anar-chy والقضـاء عليـه.

ما تلا ذلك لا يصعُب عليكم تخيله.

صِرنـا مكشـوفين تمامًـا لعيـون وآذان ديـف الـذي اسـتعاد كامـل قدراتـه، قامـت وحداتـه بتحليـل مـا امتـلأت بـه ذاكرتـه مـن بيانـات وصـور وأصـوات، ذكاءه الاصطناعـي المدعـوم مَكَّنَـهُ مـن رسـم عـددٍ مـن السـيناريوهات لمـا يحـدث، ثـم سَـهَّلَ لـه اختيـار الأقـرب للحقيقـة مـن بينهـا، وجـاء اختيـاره مُطابقًـا للواقـع بنسـبة ٩٧٪، الأمـر الـذي يُفسِّر هـذه الدقـة المُذهلـة في توقـع أماكـن وتوقيتـات ضرباتنـا، بالإضافـة طبعًـا لأفـراد وخطـوط اتصـال شـبكاتنا حـول العـالم».

تساءل زين بحلقٍ جفَّ لعابه:

- هو اللي اصطاد أمل؟

نظر له نظيم الدين سريعًا ثم هز رأسه نافيًا.

- موقـع أمـل الشـافعي انكشـف مـن قبـل أن تتلقـى Egy- Nergy بيانـات ديـف. انكشـف مـن الداخـل.

قطب الكابتن خالد مُتسائلًا في حين ردد زين بدهشة:

- خيانة!

تحركت الرأس الهولوجرامية يُمنة ويسرة مرةً أخرى.

- أحد أفراد فريقنا، وهو أحد القلائل في العالم الذين كانوا يعرفون موقع المنزل الآمن الذي كانت تختفي فيه أمل مع عزيزنا رفعت، تلقى زيارة من صديق قديم وخِصم حالي.

لم يَبدُ أي تغير على وجه رفعت المُغطى أغلبه بمنظارٍ داكن، بعكس زين الذي اتسعت عيناه وهو يقول:

- دكتور محمود!

أومأ نظيم قائلًا:

- المسكين لم يتحمل كثيرًا.

كور زين قبضته وهو يقول بغضب:

- ومين الصديق القديم والخصم الحالي دا؟

بدا صوت نظيم مُخيفًا وهو يُجيب ببطء:

- شبحٌ بُعِثَ من الزمن القديم.

«طفرة خارقة مثلك يا رفعت، كان خصمًا شرسًا للشركة أيام الثورة القديمة، ثم وفي ظروفُ غامضة غاب عن الصورة قبل أن يعود مُجددًا في لحظة فارقة؛ ليقلب الأمور رأسًا على عقب، ومع عودته عرفنا أنه كان قيد أعيننا طيلة الوقت من دون أن نعلم.

نعم يا زين، آدم المصري، رئيس مجلس إدارة Egy- Nergy هو نفسه أدهم صبري، البطل القديم صاحب القدرات النفسية الخارقة».

- مستحيل!!

«خسرنا محمودًا، أمل» ...

«ليس هذا كل شيء» ...

«ما سأخبرك به الآن» ...

«أعلم أنه سيؤلمك» ...

«ولكنني مُضطر» ...

«وبسقوط محمود، عرفنا أن الدور القادم هو دور رفعت.

رفعت، أخطر الأسلحة التي وُجِّهَت إلى Egy- Nergy.

رفعت، هدف أدهم صبري الحقيقي.

أمـل أيضًـا أدركـت هـذا، ورغـم أن صدمتهـا كانـت الأعظـم؛ نظـرًا لعلاقتهـا القديمـة بـ أدهـم، إلا أن إيمانهـا بثورتهـا كان أقـوى مـن الصدمـة، فسرعـان مـا ابتلعتهـا وقـررت أن الأولويـة لإنقـاذ الثـورة، وإنقـاذ الثـورة يكـون بحمايـة سـلاحها الرئيـسي: رفعـت» ...

صاح زين:

- لحظة! إنت فعلًا سِبت أمل تقع عن عَمد فـ إيد الشركة؟!

قال نظيم بهدوء:

- كان هذا ضروريًّا لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

- وإنقاذها هي مكانش ضروري!

- الأولوية كانت مَنع سقوط رفعت في قبضة الشركة.

- وأمل!

- وجودها معكم كان سيعيق حركتكم.

هَدَرَ زين:

- فالحل اننا نتخلى عنها!

التقى حاجبَا نظيم وهو يقول بحزم:

- أمـل صديقتـي منـذ عـشر سـنوات يـا فتـى، عـشر سـنوات قضيناهـا نُخطِّـط معًـا للثـورة عـلى الشركـة، بينـما كُنـت تخـدم «أنـت» في صفوفهـا، فـلا تـأتِ الآن لتزايـد عـلى علاقتـي بهـا!

- وأنا صديقها من سنة واحدة، ومستحيل كنت أسلمها بإيدي لأعدائها.

- ما حدث حدث بموافقتها، ولأجل إنقاذكما.

- والخطة نجحت الحمد الله!

- الانحـراف الـذي حـدث سـببه خرقـك للتعليـمات وعودتـك برفعـت إلى شـقة الغردقـة!

كان أجـدر بـك أن تشـكرني عـلى تـدارك تهـورك، فلـولا أننـي أرسـلت الكابـتن خالـد لنجدتـك لكُنـت الآن جثـة هامـدة، وكان رفعـت الآن في قبضـة الشركـة، وتضيـع تضحيـة أمـل هبـاءً.

هنا، تدخلَ الكابتن خالد زاجرًا بخشونة:

- كفاية يا زين!

التفت زين إليه بوجهٍ محتقن وعينين تقدحان الشرر، فتابع:

- إنـتَ كـدا بتسـتهلِك وقـت المكالمـة «المحـدود» في كلام فـارغ مِـش هَيفيـد صاحبِتَـك فـ حاجـة! خلينـا نُدخـل في صلـب الموضـوع.

انقبضـت عضـلات وجـه زيـن، وبـدا وكأنـه عـلى وشـك الانفجـار في وجـه قائـده السـابق، ثـم لم تلبـث أن انبسـطَت، ونظـر إلى رفعـت الـذي لم يُحـرِّك سـاكنًا بعـد، ثـم أدار عينيـه إلى نظيـم الـذي قـال بصـوتٍ اسـترد هـدوءه:

- هذا حسَن.

«حـان الوقـت لأجيـب سـؤالك الـذي ألقيتـه في بـادئ المكالمـة يـا زيـن: أيـن أمـل الآن؟

هـي في هـذه اللحظـات مُحتجـزة بالمقـر الرئيـسي لــ Egy- Nergy، لا أقصـد بالطبـع المقـر الـذي نسـفناه قبـل أسـابيع في بارادايـس هايتـس، ولكـن أتحـدث عـن مبنًـى آخـر لا يبعـد عنـه كثـيرًا، بالواقـع المقـر الفعـلي للشركـة هـو قـصر آدم المـصري في قلـب بارادايـس هايتـس».

تكونَـت صـورة هولوجراميـة مُلتقطـة بالقمـر الصناعـي لمسـقط أفقـي، يشـوبها بعـض التشـوش.

«مبنـى أقـرب لمُنشـأة مُحاطـة بالأسـوار، حديقـة شاسـعة، ثـم كُتلـة مُصمتـة لا يمكـن لأي وحـدات تجسـس أو أقـمار صناعيـة النفـاذ إلى داخلهـا، كُتلـة نجهـل كل شيء عـما تحويـه أو يـدور بداخلهـا.

مهمـة الحمايـة الحقيقيـة عـلى عاتـق (س-١٨)، الكمبيوتـر المركـزي لــ E.N، وهـو حاسـوب مُـزوَّد بأعـلى وحـدات الـذكاء الاصطناعـي، ولا أخفـي عليكـم

أنـه لا يقـل خطـورة عـن ديـف إن لم يَـزِد، يقـوم بأعـمال المراقبـة والتشـويش والحمايـة، ومؤهَّـل تمامًـا لصَـد هجـوم عسـكري جـوي وبـري وبحـري في نفـس الوقـت».

تبادل زين وخالد نظرة سريعة صامتة، وعادا يتابعان.

«الإشـارات التـي تصلنـا مـن جهـاز الاتصـال المـزروع بـين جمجمـة أمـل وفـروة رأسـها انقطعـت بمجـرد وصولهـا إلى قـصر المـصري قبـل مـا يقـرب مـن ٤٨ سـاعة، ولكنهـا سـاعدتنا عـلى الأقـل في تحديـد موقعهـا، بعـد ذلـك نحـن عميـان تمامًـا، وخطتنـا البديلـة سـتعتمد في شـطرٍ منهـا عـلى الارتجـال وفقًـا لمقتضيـات الموقـف».

أشعل الكابتن خالد سيجارًا جديدًا، بينما ردد زين:

- خطتنا!

أومأ نظيم برأسه قائلًا:

- بالتأكيد.

«Egy- Nergy المصريـة هـي حجـر الأسـاس لــ Egy- Nergy في العـالم كلـه، مــن هنــا (مُشــيرًا بســبابته نحــو المســقط الأفقــي الهولوجرامــي لقــصر آدم المـصري) يتـم التحكـم في عمليـات الإنتـاج والتوزيـع وتصنيـع وتوريـد العقـار المُخـدِّر للحـواس وصيانـة الماكينـات، هـذا المـكان فعليًّـا يحكـم العـالم، في ضـوء المعلومــات المحــدودة التــي توفــرت لنــا، أمكــن تحديــد ثــلاث نقــاط قــوة رئيسـية، هـي بالنسـبة لنـا ثلاثـة عوائـق تعـترض طريقنـا نحـو هدفنـا، هـذه النقـاط الثـلاث (بـدأ يعـد عـلى أصابعـه) هـي:

(س-١٨).

الحــارس الشــخصي لآدم المــصري، الســايبورج، وليــد (ينظــر لزيــن) زميلــك القديـم الـذي التقيتـه مؤخـرًا في منـزل الغردقـة.

آدم المصري نفسه، أدهم صبري.

اجتيـاز هـذه العوائـق الثلاثـة سـيفتح المجـال لاجتيـاح قلـب Egy- Nergy النابـض».

قال زين بحذر:

- بتقول اجتياح؟

- بالضبط.

- (مُديرًا ذراعيه فيما حوله): إحنا التلاتة ... اجتياح؟!

- ليس بالضبط يا سيد زين.

لديكُم شركاءٌ آخرون. شريكَان اثنان للدقة.

ودارت العينان الهولوجراميتان في وجوه ثلاثتهم، قبل أن يقول صاحبهما:

- اسمحوا لى أن أُقدِّم لكم شريكَكُم الرابع.

ومع كلماته تشكلَ هولوجرام جديد لرجلُ خمسيني متين البُنيان، حاد القسمات، كَث اللحية، أشيبها، تغطي رأسه عمامة سوداء.

- الشيخ أبو نِضال.

***

-٣٨-

للوهلة الأولى، مع الطنين الذي غزا أذنيها مصحوبًا بشيء من التشوُّش في الرؤية، عَجزَت عن تمييز ملامحه بوضوح.

خَطَرَ لها أن حواسها ذاتها تخشى الحقيقة -تخشاها بقوة- لذا استغرقت عيناها ثوانٍ لتُميزا ملامح الواقف أمامها.

الدهشة كانت شعورًا مؤجلًا، مُجمدًا، مشاعرها كُلها -كُلها- كانت مُجمَّدة في هذه اللحظة التي عاشت تنتظرها بل، وتتوق لها بكل جوارحها لما يزيد عن رُبع القرن.

لذلك استقبل عقلها حقيقة أن ملامحه لاتزال على حالها، لم تتبدل قيد أنمُلة عن صورته القديمة التي احتفظَت بها في قلبها مُنذُ ليلتهما التي ذابا فيها معًا ... استقبل عقلها هذه الحقيقة العجيبة استقبالًا مُحايدًا وكأنه فيلمٌ شُوهِدَ من قبل.

هُناك طبعًا اللحية والشارب الوافِدان، هناك تلك الخُصلات البيضاء القليلة في مُقدمة رأسه، فيما عدا ذلك فكُل شيء «على حَطة يدها».

- وحشتيني.

تلك النظرة في عينيه.

«وحشتيني»!

العينان تنوِّمانها مغناطيسيًّا، تبتلعاها وكل ما حولها.

هل قال «وحشتيني»؟!

حقًّا قال!

نَدَت منها تنهيدة عميقة حركت الهواء المحبوس في صدرها مع تثاقل أنفاسها.

العينان! الحدقتان، دائرتان من السواد اللامع مُكتملتَا الاستدارة.

- ماتغيرتيش كتير.

هو صوته بالفعل!
وكأنه كان ينتظر الإشارة، بدأ قلبها ينبض.
يا الله! أحقًّا هذا الـ ... ؟!
بعد كل هذه السنين؟!
- **في اللحظة دي مش عايز اشوف أو افتكر حد غيرك ...**
هناك، على أحد المقعدين الوثيرين حول المِنضدة.
تراه الآن بوضوح، تراه كأوضح ما يكون.
يضع ساقًا على ساق، سيجار مُتوهِّج يتصاعد خَيطُ الدخان من طرفه المتوهِّج بين أصابعه.
أصابعه التي يتوسطها خاتم ذو فصٍّ من الألماس.
وسيم، أنيق، واثق من نفسه.
- **والله العظيم ...**
ارتعش قلبها في قفصها الصدري وهي تُحدِّق في وجهه، تلتهم ملامحه بعينيها.
العينان، الأنف المُدبَّب، الشفتان الدقيقتان.
هو! هو ولا رَيب!
ياللدوار!
سمعت صوته مرةً أخرى -نفس الصوت الذي لم يَغِب عن أذنيها- يقول بهدوء:
- اقعدي يا أمل.
أطاعته كالمُنوَّمة.
تُحدِّق لا تزال في وجهه، الدائرتان السوداوان في محجريه تتسعان وتتسعان.
غُددها تحتقن بالدموع.
أهو أنت؟! أحقًّا أنت؟!!
ياللطنين!

بسمة حانية تسللت إلى شفتيه وهو يقول:

- وإنتي أمل! ...

مــن بعيــد تســمع أصــوات مُظاهــرات الإخــوان في الميــدان ممتزجــة بالفرقعــات وزخــات الرصــاص.

- أملي! ...

- أمل.

رفعت عينيها إليه.

- مِش هَتقولي حاجة؟!

يا لدفء صوته!

ما بال لسانها معقودًا؟!

استنفرت كل طاقتهـا، كل قـدر مـن الحيويـة بَثـهُ العقـار المُنشِّـط والقهـوة والحـمَّام السـاخن في كيانهـا، لتحـرك ذلـك العضـو الثقيـل المُسـتقر بـين فكيهـا.

وفي النهاية:

- محمود.

رغـم أن صوتهـا خـرج مُحشرجًـا، والكلمـة الوحيـدة التـي اسـتطاعت لفظهـا جـاءت خاليـة مـن أيـة إشـارات لنوعهـا إن كانـت خبريـة أو اسـتفهامية أو تعجبيـة، إلا أنـه التقـط طـرف السـؤال مـن وراء هـذه الكلمـة، فأجـاب بهـدوء:

- محمود مات.

اخترقها صوته، زلزل قلبها.

هزمتها دموعها أخيرًا.

اختنق صوتها وهي تهمس بذهول:

- انتَ اللي ... ؟!

أومأ برأسه، توهَّجَ طرف السيجار بين أسنانه، ثم سَمعَته يقول:

- الموت كان رحمة بالنسباله.

وتراقص خيطٌ من الدخان صاعدًا من بين شفتيه الدقيقتين.

- مكانش هَيقدر يعيش دقيقة واحدة زيادة بعد اللي شافه.

غامت الرؤية أمامها، تمتمَت بلسانٍ ثقيل:

- مراته وبنته؟!

هَـز رأسـه فانفلتـت خُصلـة مـن الخُصـلات البيضـاء القليلـة مـن موضعهـا بمقدمـة رأسـه لتتأرجـح عـلى جبينـه.

أغمضَـت، الـدوار يُكبِّـل رأسـها مـن جديـد، كادت تستسـلم لـه وتسـقط في هاويـة عميقـة مُظلمـة عندمـا نَبَـضَ صدغاهـا فجـأة وكأن إصبعـين خفيـين ضغطاهـما ودفعـا بالدمـاء إلى رأسـها.

فتحـت عينيهـا تنظـر إليـه لتجـد أمامهـا قدحًـا مـن القهـوة يتراقـص البخـار عـلى سـطحه، ومـلأت رائحـة الـبُن الطـازج أنفهـا مُجـددًا.

- اشربي يا أمل.

أطاعتـه هـذه المـرة؛ لأنهـا كانـت بحاجـة حقيقيـة للخـروج مـن هـذه الدوامـة.

رشفت رشفات سريعة، تلاطمت أمواج السائل مُر المذاق مع لعابها.

خفضـت القـدح، وضعتـه عـلى المنضـدة، ومسـحت دموعهـا، ثـم رفعـت عينيهـا إلى مُحدِّثهـا.

تأملت وجهه من جديد ولكن بنظرات ثابتة هذه المرة.

خرج صوتها مُتماسِكًا:

- عذبتهم؟

أجاب بهدوء:

- كُنت مُضطَر.

التقطَت نفسًا عميقًا فأفعم دخان السيجار أغشية أنفها، وتساءلت:

- كُنت مُضطر تعذِّب الطفلة الصُّغيرة؟

قال بتؤدَة من وراء الدخان:

- محمود كان لازم يتكلِّم.

لم تكُـن بحاجـة لسـؤاله، كانـت مُسـتوعِبة لِـما حـدث وسـيحدث مـن اللحظـة الأولى، منـذُ فجَّـرَ نظيـم الديـن خـبره القنبلـة في وجههـا أثنـاء مُكالمتهـما الأخـيرة

بشـقة الغردقة.

«خسرنا محمودًا، أمل» ...

«ليس هذا كل شيء» ...

«ما سأخبرك به الآن» ...

«أعلم أنه سيؤلمك» ...

«ولكنني مُضطر» ...

في هـذه اللحظـة، انتصبـت صـورة محمـود أمـام عينيهـا، بهيكلـه الضخـم وقامتـه المحنيَّـة، وشـعره الأشـيب الـذي انـداح عـن مُقدمـة رأسـه، عينيـه المُثقلتـين بحـزنٍ دفـين، امتـلأت أذُناهـا بصوتـه.

اعتصرت قبضة قاسية قلبها، وشعرت برغبة عارمة في أن تجهش بالبكاء.

- انتو اللي بدأتوا الحرب يا أمل.

مـاج صدرهـا بالغضـب، لـو كانـت الكراهيـة نـارًا لأحالَـهُ لهيبهـا تمثـالًا مـن الرمـاد يضـع سـاقًا عـلى سـاق.

رمقته بمقت.

كان الفضـول ينهشـها، غـير أنهـا أطبقـت شـفتيها عـلى أسـئلتها، ورغـم ذلـك اسـتطاع بسـهولة أن يميِّـز علامـات الاسـتفهام تتطايـر بـين الـشرر المُندلِـع مـن عينيهـا.

***

(قبل ما يزيد عن خمسٍ وعشرين عامًا):

الهواء كان مُثلجًا على قمة المُقطَّم في تِلك الساعة من فجر ذلك اليوم من أيام يناير.

الريح الصَّرصَر تتخطف أطراف قميصه الخفيف، لو كان إنسانًا آخر غيره لاقتلعته بسهولة من وقفته هذه وقذفت به من حالق، ليستقر مُحطَّم الجسد فوق الصخور المُنتظرة بشغف عند سفح الجبل.

اسمه أدهم.

هذا الاسم الذي لا يعرف غيره، والذي التصق به مُنذُ أسابيع قلائل، قبلها ذاكرته عبارة عن ثقب أسود ابتلع اسمه وهويته وكينونته وحياته وذكرياته وأحباءه.

فُقدان الذاكرة أحيانًا ما يكون مهربًا قدريًّا من الهموم والمسئوليات والديون المادية والمعنوية، مهرب يتمناه كثيرون بالذات هذه الأيام، ولكن ليس هو.

- إنت هو انت ... *mix* اللحم والدم والخلايا والعضلات والعقل والمشاعر اللي أودامي وأودامنا كلنا! إنت البطل، صاحب القوة الخارقة اللي ربنا بعتك عشان تنقذنا وتقف جنبنا، ومن غيرك كان كل شيء انتهى إمبارح! ... إنت ... !

وانخفض صوتها وتهدَّج وهي تردف:

- إنتَ أدهم!

«أدهَم» ...

يسترجع نُطقها لحروف اسمه، انفراجة شفتيها مع خروج الهَمزة من حلقها، ثُمَّ ضغطة لسانها الدقيق على باطن فكها العلوي من أجل الدال، النفَس العَطِر المصاحِب لخروج الهاء من صدرها، ثم أخيرًا ضمة

الشـفتين حـولَ الميـم.

مَـسَّ صـدى صوتهـا قلبـه، فانبعـث طيفهـا أمامـه في الظـلام، حـدَّقَ في تفاصيلهـا، ملامحهـا، عينيهـا، اختنقـت أنفاسـه باشـتياقٍ جـارف.

- إنتَ فيه ستات في حياتك.

- (تضحك بطلاقة): مستحيل دي تكون أول مرة.

وغابـت في أثـير مـن الأفـكار للحظـات توقفـت خلالهـا عـن المضـغ قبـل أن تقـول بـشرود:

- وجايز تكون في اللحظة دي مستنياك ترجع.

أيُهما يريد حقًّا: الماضي أم المستقبل؟

ماذا لو تقاطعا؟ أيهما سيختار؟

- في اللحظة دي مش عايز أشوف أو أفتكر واحدة غيرك.

ارتفع حاجباها وانفرجت شفتاها.

- والله العظيم.

زفر بعُمق فتشكلت سحابة بيضاء أمام وجهه.

أيًّـا كان مـا يختفـي وراء جـدار ذاكرتـه الصـمَّاء، فـما يعلمـه أنـه لا يطيـق فراقهـا، لم يعـد يحتمـل العيـش بعيـدًا عنهـا، هـذه هـي الحقيقـة التي تأكدت واشـتد عودهـا خـلال الفـترة الماضيـة، ولـو لم تسـبقه هـي بالاعـتراف بمكنـون قلبهـا لركـع هـو عـلى ركبتيـه وصارحهـا بأنـه يعشـقها مـن صميـم صميـم قلبـه.

أمل.

أيًّا كان ما سأعرفه بعد قليل، أيًّا كان ... فسأعود إليكِ.

«مِش عايز تعرف اسمَك الحقيقي؟».

السـؤالُ شـحيح الكلـمات الـذي خـرج مـن بـين شـفتي إبراهيـم جـودة في ظـلام طُرقـة السـلم منـذ مـا يَقـرُب مـن السـاعة، كان بمثابـة الطُّعـم المُعلَّـق إلى طـرف خيـط السِّـنارة، والـذي انتزعـه مـن مرقـده بـين أحضـان أمـل.

«إنـتَ تقـدر تقطـع جِسـمي حِتـة حِتـة يـا أدهـم، تقـدر تكـسَّر جُمجمتـي

وتفسَّخ فصوص مُخي، بَس مِش هتلاقي اللي بتسأل عليه؛ لأني ببساطة مَعنديش حاجة أقولهالك.

مَعرفش اسمك الحقيقي ولا عنوانك ولا أي حاجة.

زي ما قولتلَك انا مُجرَد بوسطجي، نقلتلِك رسالة مُحَددة وبُناءً على طلبك بانقِلَك انت شخصيًّا لصاحبها».

ودفع به إلى جواره -جودة- في سيارته التي نهبت أسفلت العاصمة الخالية في هذه الساعة وصعدَت به لقمة المُقطَم.

«لو صبرت نُص ساعة بالظبط، هَتلاقي إجابات على كُل أسئلتَك، ضمانات؟ أدهم صبري مِحتاج ضمانات؟! لو لقيت انها لعبة، تقدر بمنتهى البساطة تهِد المُقطَّم على دماغي ودماغ أي حَد يفكر يلعب بيك!».

راقبَ الأنوار الخلفية لسيارة إبراهيم جودة وهي تزحف كحشرة ليليَّة مُضيئة على طريق النزول من المُقطَّم، ثم رفع عينيه إلى الأفق المُترامي أمامه، وإلى القاهرة المُنهكة المُمَددة تحت قُبة السماء المُظلمة، بينما أصوات الإقامة تتسابق من مايكروفونات المساجد القريبة.

لم تَمُر دقائق كثيرة قبل أن تلوح عن بُعد أنوار سيارة أخرى.

استدار بهدوء ليتابعها وهي تقترب بسرعة على طريق الكورنيش الخالي حتى توقفت على بُعد أمتار قليلة منه مُثيرة سحابة من الغبار.

مرَّت لحظات صامتة إلا من صرير الرياح الباردة والصوت المكتوم لمُحرِّك السيارة.

ضيَّقَ أدهم حدقتيه في مواجهة الأنوار الساطعة المُنبعثة من مصابيح السيارة الأمامية، والتي لم يلبث سائقها أن أطفأ مُحرِّكها، ثم ترجلَ مغادرًا في بذلة أنيقة، ووقف أمامه مُتسائلًا بصوت حاول أن يعلو على صوت الرياح:

- أدهَم بيه؟

أومأ أدهم ببطء، فتراجع السائق الشاب خطوتين ليفتح أحد بابي السيارة الخلفيين، وينظر له قائلًا:

- الفيلا مِش بعيدة.

تحرك أدهم باتجاه الباب المفتوح، وبلا تردد دلف إلى الداخل مُكيِّف الهواء، فانطلق السائق بالسيارة من دون كلمة واحدة أخرى عبر شوارع المُقطم لدقائق، قبل أن يتوقف أمام بوابة تتوسط سورًا مكسوًّا بالحجارة، سرعان ما انزلق مصراعاها.

الفيلا من الداخل شبه مُظلمة إلا من أباليك قليلة مُتباعِدة، الأثاث عتيق نسبيًّا يعود لثمانينيات القرن الماضي، وأغلبه مُغطى بملاءات كساها التراب، أما الأرضية فمن ألواح باركيه زال لمعانها، والجدران مُغطاة بورق حائط مُصفَّر لونه ومُزيَّن بالزخارف.

وبخلاف الهواء المُثلج بالخارج، كان الجو بالداخل دافئًا بفضل مُكيِّف الهواء المركزي.

بمجرد عبوره ضلفتي باب حجرة المكتب بإيعاز من الخادم الذي استقبله عِندَ مدخل الفيلا، استقر بصر أدهم على الشيخ الطاعن في السن الجالس إلى مقعدٍ جلدي وثير خلف المكتبِ الأبنوسي العريض بصَدر الحجرة، مُتدثرًا بمعطف منزلي من الصوف الإنجليزي، وقد شمر أحد كُمَّيه عن ذراع تهدل جلده الشاحب على عظامه، وسلَّمَه لممرضة شابة تثبت الخراطيم المُتصلة بمحاليل مُعلقة إلى أوردته، التجاعيد مع شُعيرات اللحية البيضاء المُنتشرة بلا نظام جعلت وجهه أقرب لألعاب المتاهة التي لا تخلو منها مجلات الأطفال المطبوعة.

رفع رأسه الأصلع الذي تناثرَت عليه بُقع بُنية داكنة، رمقه بعينين باهتتين من وراء عدستي المنظار الطبي الدقيق ذي الإطار المُذهَّب، قبل أن يخرج صوته واهنًا مبحوحًا:

- اتفضل يا أدهَم.

ونظر إلى قميصه الخفيف الذي ارتداه على اللحم رغم البرودة القارسة، ثم انفرجت شفتاه عن طاقم من الأسنان الصناعية الناصعة وهو يبتسم مُردفًا:

- انا هبدأ اصدق الحكايات العجيبة اللي سمعتها عنَّك!

صوته رغم الوهَن هادئ ذو نبرة ودودة آسرة.

- ألف مبروك الجواز بالمُناسبة.

لم يُعلِّق أدهم.

راوده شعورٌ ما خفق له قلبه بأنه يعرف صاحب هذا الوجه المُغضَن أو على الأقل رآهُ قبلًا، ولكن هذا لم يَحُل بينه وبين التقدُّم ببطء داخل الحجرة، فيما تمسح عيناه المكتبة العملاقة التي احتلت جدارًا كاملًا، وامتلأت أرففها بكعوب الكُتُب والمُجلدات، الحوائط مَكسُوَّة بخشب عتيق زالت طبقة الورنيش عن الكثير من مواضعه، والنوافذ ذات الضُّلَف الزجاجية والشيش الخشبي، الصور الفوتوغرافية العملاقة داخل براويز قديمة مُذهبة فقدت بريقها، وشاشة تلفزيونية عريضة مُسطحة مُثبتة إلى الحائط المُقابل للمكتب.

- هَتفضَل واقف؟

عاد أدهم ببصره إلى صفحة الوجه المُغضنة، ثم لم يلبث أن جلس إلى أقرب المقاعد إليه، طرق الخادم الباب ثم دلف حاملًا صينية، ووضع أمام أدهم فنجانًا تتصاعد منه الأبخرة، ثم انصرف وأغلق الباب وراءه.

- دي أعشاب بالعسل، مُفيدة جدًّا فـ الجو دا.

- أنا مِش جاي اشرب.

قالها أدهم بنبرة حاسمة جعلت العجوز يهز رأسه ويعاود الابتسام قائلًا:

- اسمَحلي اشرب انا الأعشاب بتاعتي.

ورشف ببطء من الفنجان بين يدي ممرضته الشابة، ثم رفع عينيه إلى أدهم قائلًا:

- لمَّا سألت الدكتور بتاعي حاول يتهرب من الإجابة، بَس على مين؟!

ونَدَت منه ضحكة خفيفة أسلمته لنوبة عنيفة من السعال، ارتج لها صدره ودمعت عيناه، فانتظر حتى انتظمت أنفاسه ورشف الماء شاكرًا

الممرضة، ثم تابع بصوتٍ لم يَخلُ من الحشرجة:

- الأفكار على حافة العُمر، قبل العبور للضفة التانية، بتنفصل عن الموجودات، بتبقى كلها عبارة عن تأمُلات في الماضي، كشف مُحسابة للذات، استعداد للحساب الأكبر عنده فوق.

قالها وهو يومئ برأسه لأعلى.

لم يُعقِّب أدهم واستمر في الإنصات.

- إيه الصَّح وإيه الغلط؟ إيه المعيار الحقيقي اللي ممكن نقيس عليه أعمالنا واحنا مِطمنين اننا ساعة الحساب هَنبقى فـ السايف سايد؟ اننا هتبقى عندنا حاجة ندافع بيها عن نفسنا؟

لم يكُ أدهم القادم من أجل غرضٍ مُحدَّد، بمستعِد أو راغب في دخول مُناقشات من أي نوع تحيد به عن إرواء ظمئه لمعرفة أصله وفصله، ورغم هذا لم يستطِع مقاطعة مُحدثه العجوز لسببين؛ الأول أنه يعلم أن لا شيء مجاني، وأن هُناك مقابل عليه أن يدفعه لقاء مُبتغاه، وعليه أن يكون شاريًا لا بائعًا كي يعرف.

- قولي انتَ يا أدهَم: إيه معاييرك للصَّح والغلط؟

السبب الثاني هو إنه بينما كان ينصت لمُحدثه، عثر في أعماقه على شيء ما -لدهشته- أقرب لعاطفة، لعلها جزء من ذاكرته المظلمة، تجاه الوجوه المُغضنة ذات التجاعيد المحفورة والعيون الذابلة، والأجساد التي ضَمُرَت بعد عهد من الفتوة، مزيجٌ من الشفقة على القوة البائدة والتقدير للحكمة التي قايضها الزمن بالفتوة والشباب.

هذه العاطفة المزدوجة التي اكتشفها في نفسه دفعته دفعًا ليطوي قلبه على فضوله، ويجيب باقتضاب:

- الضمير.

رشف العجوز من خليط الأعشاب المغليَّة ثم قال:

- الضمير جهة مُحاسبة.

- جهة رقابة.

- ولو! أنا بَتكلِّم على معايير تعريفَك للصَّح والغلط، للخير والشر، اللي على أساسها ضميرك بيقيس ويراقب ويحاسب.

كَتَمَ أدهم نفاد صبره وقال:

- معاييري هي اللي أقرِتها الفطرة السوية، وأكدت عليها الأديان والأعراف، الحُب خير، الكراهية شر. العدل خير، الظلم شَر. العِلم خير، الجهل شَر.

قال العجوز بينما الممرضة الشابة تغرس إبرة محقن في وريد يمر بذراعه النحيل:

- العالم أعقد من كدا شوية يا ابني.

ورفع سبابة مرتعشة إلى واحد من البورتريهات المُعلقة إلى الحائط في برواز مُذهَّب واستطرد:

- دا والدي.

الصورة عتيقة بالأبيض والأسوَد لواحد من باشاوات الأربعينات، وقور النظرات، مُمتلئ الوجه، مفتول الشارب، يعلو رأسه طربوش فخيم، تأملها أدهم ثم عاد بعينيه إلى مُحدثه الشيخ الذي تابع بصوتٍ هادئ:

- عضو مجلس النواب عن الأحرار الدستوريين، وناظر الحقانية في حكومة إسماعيل صدقي الثانية، خصومه اتهموه بأشنع التُّهَم وأولها طبعًا العمالة والخيانة اللي كان الوفديين بيوزعوها مجانًا على أي حَد بره الوَفد.

كابنه، شهادتي مجروحة طبعًا، ولا يؤخَذ بها أمام المحاكم، بس احنا مش فـ محكمة، وانا في المرحلة دي (يومئ بكفه إلى صدره) في حِل من اني أكذب أو اشهد زور.

منير باشا فودة كان بيحِب بلده من كل قلبه، والحُب دا كان الدافع الأساسي ورا كل مواقفه السياسية والوطنية، كانت له آراء في القضايا الكبيرة، زي الاستقلال والديمقراطية بعيدة عن الشعارات اللي الوفد كان بيتاجر بيها، رأيه كان اننا بلد ضعيفة، مُحتلة، ورهاننا على القوة

والحشد الشعبي عشان نحصل على استقلالنا مِش هيفيد؛ لأن الناس لها سقف مُعين يمكن الارتكان إليه، بعدها هَتنفَض من حولك وتنصرف لأكل عيشها.

مُنير باشا فودة!

انفجر الاسم في أذني آدهم وعقله.

- الضعيف عشان ياخد حقه لازم يعترف بضعفه نمرة واحد، ونمرة اتنين إنه يبدأ في معالجة ضعفه، في اكتساب قوته، تسليح نفسه، وبعد ما دا يحصل يبدأ في نمرة تلاتة: المطالبة بحقوقه.

لهذا إذن -فكر أدهَم- شعر أنه رآه قبلًا. يذكر الآن صوره التي عرضها الإعلام، فقط كان يبدو أصغر سنًّا بكثير مما هو عليه الآن.

- دي كانت فلسفة والدي الله يرحمه، وعلى أساسها بنى مواقفه السياسية تجاه قضية الاستقلال، وتجاه تغوُّل السراي، وتجاه جعجعة الوفديين. كان بيحلم بمصر قوية قادرة على المناورة واستغلال الظروف العالمية في كسب الدعم والانتقال من مقعد التابع لمقعد الحليف، ودي رؤية صعب على القطعان إنها تستوعبها، وبالذات في ظل حنجوري وطني مفهومه عن السياسة إنها عاركة فـ خمارة، والمفارقة إن الوفد لما اتعرض للاختبار الحقيقي في ٤٢ عمل نفس اللي فضل طول عمره يزايد بيه على خصومه.

دا يرجعني تاني للسؤال: إيه هو معيار الخير والشَّر؟

إجابتى يا أدهم هي: المصلحة.

ردد أدهم مُنفعِلًا:

- والدك مُنير فودة!!

تابع العجوز وكأنه لم يسمع:

- أقصد طبعًا المصلحة العامة، مصلحة العدد الأكبر من الناس، المـ ...

قاطعه أدهم بعضلات وجه لا تنفَك تختلج:

- إنتَ حسن فودة؟!

لم يبدُ على مُحدثه غضبٌ لهذه المقاطعة. انتظر حتى انتهت مُمرضته من سحب إبرة المحقن المُمتلئ بالدم الأحمر القاني من ذراعه، ووضعت قطعة من اللاصق الطبي على موضع الحَقن، ثم أومأ قائلًا:

- بالظبط.

حسن مُنير فودة.

ملياردير مصري من مواليد ١٩٢٨، سَكندري النشأة، هاجر إلى الولايات المُتحدة الأمريكية بصحبة والده منير باشا فودة، البرلماني والوزير الأسبق في أعقاب يوليو ١٩٥٢، وعاد إلى مصر في أواخر السبعينيات ليؤسس إمبراطورية اقتصادية قائمة على التجارة والاستيراد والتصدير. اعتزل الأضواء منذ عدة سنوات لظروفه الصحية، وتُشير تقارير إعلامية عديدة إلى أنه المؤسِس الحقيقي لـ *Egy-Nergy* المصرية والتي يرأس مجلس إدارتها حاليًا ابنه كمال فودة.

- الفيلا دي (مُشيرًا فيما حوله) بَنيتها أول ما رجعت من أميركا، القصر بتاعنا اللي فـ المَنيل كان تحت إيد فلاح لِبس الميري وبقى واحد من الحرامية اللي سرقوا مصر فـ ٥٢. رجعت من بره لقيته مليونير وعنده شركات، بَس ما سكِتّش غير لما استرجعت قصر أبويا منه. ورغم كدا...

فِضلِت الفيلا دي ليها مكانتها فـ قلبي، وعشان كدا اخترتها أموت فيها.

حَدَّق فيه أدهم بإمعان، بينما الصدمة لاتزل تتردد أصداؤها في أعماقه.

أنتَ إذن حسن منير فودة!

الخصم العتيد الذي أسقط الضحايا والشهداء خلال الحرب بيننا وبينَك! المُجرم والمسئول الأول عن تعذيب الآلاف حتى الموت داخل ماكيناته ومزارعه!

عربد الغضب في أعماقه وطفح على صدغه المُختلِج ونظراته النارية.

احتشدَت الصُّوَر والأصوات في رأسه، الآلام التي استعاد وعيه داخل المزرعة على وَقعها، مشاهد المعارك والدماء والنيران المُشتعلة وأصوات الصراخ والهِتافات ودَوي الطلقات وفرقعة القنابل.

أنتَ من فعل الأفاعيل بجسدي وبذاكرتي!

لا إراديًّا ارتفعت أصابعه تتحسس ندبة باقية من جرحٍ قطعي يشق جانب رأسه على بُعد ملليمترات من أذنه اليُمنى.

قال حسن فودة بهدوء:

- مَتنساش إن الجروح دي هي اللي عملِت مِنَّك سوبرمان.

رفع أدهم حاجبيه وهو يقول:

- أنا على كِدا مفروض أشكُرَك!

وراودته رغبة عارمة في أن يَعصِف به، يُمزقه أشلاءً مُتناثرة، خطر له أن الفُرصة قد حانت لتصفية الحساب، غير أن فودة بادره وكأنما سَمِعَ أفكاره أو قرأ نظراته:

- على فكرة، أنا مِش خايف مِنَّك.

نظر له أدهم وقد مازج غضبه قدرٌ من الحيرة.

- وإلا ماكونتِش استدعيتَك بنفسي لغاية هنا، أنا خلاص، اللي باقيلي مِش كتير يا أدهم، وأي أذى هَتفكَّر تِئذيهوني هَيرحمني من عذاب السرطان. هَيُعجِّل بالراحة، وزَي ما قولتِلَك في الأيام الأخيرة أنا مشغول بحساب نفسي، وأعمالي بَحاسِبها بالمصلحة اللي ابتغيتها من وراها.

التقى حاجبا أدهم وهو يتساءل:

- دا ندَم مُتأخِّر؟!

رشف فودة من فنجان الأعشاب المُحلاة وقال:

- لا مِش ندَم.

والتفت إلى الممرضة فشكرها، ثم أمرها بالانتظار قليلًا بالخارج، انتظر حتى أغلقت الباب ثم عاد بعينيه إلى أدهم قائلًا:

- أنا واثق في ذكائك، وانَك مُدرِك كويس ان قتلى أو إيذائي مِش هَيغيَّر موزاين القوى على الأرض، أنا كـ حسن فودة بالنسبة لـ ***Egy- Nergy*** حاليًا أقرب لملكة انجلترا، تَملُك ولا تَحكُم.

إنما الأطراف المُتصارعة كتيرة ومُتشابكة.

قال أدهم بغلظة:

- هُمَّا طرفين اتنين بَس، الشعب طرف وانتو وحلفاءكم طرف.

بانـت الأسـنان الصناعيـة البورسـياليـنيَّة مـن بـين شـفتي فـودة المُنفرجتـين عـن ابتسـامة مُتهَكِّمـة وهـو يقـول:

- أنا لِسه قايلَّك انى واثق فِي ذكائك، مَتخلينيش ارجع فـ كلامي.

وإثـر ضغطـة مـن سبابته عـلى أحـد أزرار الريمـوت كونـترول المُـستقر عـلى سـطح المكتـب، أضـاءَت الشاشـة التلفزيونيـة المُـسطحة المُثبَّتـة إلى الحائـط المُقابـل.

سَـمِعَ أدهـم الصـوت قادمًـا مـن ورائـه فـأدار رأسـه إلى بَـث قنـاة الجزيـرة مُبـاشِر مـن ميـدان التحريـر.

- هُوَ دا الشعب اللي تقصده يا أدهَم؟!

قالها فودة وهو يومئ باتجاه الشاشة.

تأمـل أدهـم المشـاهِد التـي خبرهـا جيـدًا طيلـة الفـترة الماضيـة، اللحَـى ذات الأطـوال والأشـكال المُختلفـة، النسـوة المُختبئـات تحـت الأقمشـة السـوداء الثقيلـة، الرايـات السـوداء والخـضراء، شـعارات الثـورة وقَـد اسـتحالَت عـلى اللافتـات، وفِي الهتافـات المُتصاعِـدة مـن آلاف الحناجـر الصادقـة والمُتحمِّسـة إلى التكبـير والوعيـد وبشـارات باقـتراب نـصر اللـه واسـترداد بيـت المقـدس مـن أيـدي أحفـاد القِـردةَ والخنازيـر.

تأملَ ثُمَّ أجاب باقتضاب:

- دول مصريين.

خرجَت «تؤ» خافتة من بين شفتي فودة، هَزَّ رأسه بعدها مُردِفًا:

- لو سألت أي واحد منهُم هَيقولَّك انا مُسلِم قبل ما اكون مصري.

- ودي فيها ايه؟!

- فيهـا انهُـم مـش نازلـين الميـدان كمواطنـين مصريـين زي الـلي نزلـوا معاكُـم الـكام يـوم اللي فــ الأول.

إنـتَ بنفسَـك شـايفهُم وسـامعهُم طـول الفـترة الـلي فاتـت، وعـارف انـه

لـولا حَشـد الإخـوان وخطـاب التعبئـة بتـاع الجهـاد وتحريـر الأقـصى والخِلافـة، مكانـش حَـد م «المصريـين» دول سـاب بيتـه وحالـه ومحتالـه ونـزل ينـام فـ الشـارع، ويتصـدى للرصـاص والنـار بصَـدر عـاري! وكُل المولِـد الـلي انـتَ شـايفه دا هَينفَـض لمـا محمـد عبـاس يقـرر انـه ينفَـض.

إنتَ بتضحك عليا ولا على نفسك يا ابني!

زَمجرَ أدهم:

- على الأقل مُتفقين معانا على هدف مرحلي مُحدَّد: إسقاطكم.

قال فودة بابتسامة ساخرة:

- مُتأكِّد؟!

ثُمَّ رفع الريموت كونترول وضغط أحد أزراره قائلًا:

- اتفرَج على الفيديو دا من فضلك.

أدار أدهم رأسه إلى الشاشة المُسطحة.

- دا ملـف وصلنـي مـن كام يـوم مـن عـين مـن عيـوني جـوا E.N الشركـة الأم في أمـيركا، فيديـو كونفرانـس انعقـد عـلى قنـاة اتصـال سريـة، تاريخـه بيرجـع لإسـبوعين فاتـوا، أكيـد طبعًـا عرفـت مـين الـلي بيتكلِّـم مـن القاهـرة دا.

اتسعت عينا أدهم وهو يحدق بذهول فيما يدور على الشاشة.

- الدكتـور محمـد عبـاس، رجـل الأعـمال المعـروف، الملياردير والقطـب الإخـواني الشـهير، الـرأس المُدبِّـر والمُمَـوِّل والمُحـرِّك الحقيقـي للاعتصامـات في ميادين مـصر، ووالـد خالـد عبـاس، بطـل الميـدان ... عـلى رأس وَفـد الجماعـة الـلي بيفـاوِض الشركـة الأم عـلى انتقـال *E. N* المصريَّـة مـن إدارتهـا الحاليـة إليهُـم، مُقابِـل إنـه يسـحب أتباعـه مـن الشـوارع والميادين.

وضغط على حروفه مُردِفًا بقسوة:

- هوَ دا بقى الهدف المرحلي المؤقَت اللي اتفقتوا عليه يا سي أدهم؟!

التفت إليه أدهم بعينين حمراوين كالدَّم وقال بحدة:

- الفيديو دا متفبرك.

تقلصت ملامح فودة وهو يقول بازدراء:

- مِش محتاج الألعاب الرخيصة دي! الفيديو عندك، اتأكِّد بنفسَك.

لَم يُعقِّب أدهم، وإن تطاير الشرر من عينيه المُشتعلتين بمزيجٍ من الغضب والصدمة.

- أعتقد اننا بعد اللي شوفته دا مِش بالظبط فريقين!

إحنا (يضع كفه المفرود على صدره) فريق ... رءوس الإخوان فريق... القطعان اللي نازلة الميدان تحرر فلسطين (مُشيرًا بكفه تجاه الشاشة) فريق ... والفريق الأكبر هو اللي قاعدين فـ البيوت مستنيين القرف دا كله يِخلَص عشان حياتهم ترجعلهم.

وتلاعبت الابتسامة الساخرة مرة أخرى على شفتيه وهو يُضيف:

- آه، نسيت. وانتَ وأمل الشافعي فريق! دا غير لجنة التحكيم ...

نظر له أدهم بجمود لم يَخفِ تساؤله الصامت الذي أجابه فودة:

- الأمريكان.

ساد الصمت لوهلة بعد هذا الرَّد المُقتضَب، لم يرفع خلالها فودة عينيه عن أدهم الذي لم يلبَث قال ببطء:

- نسيت فريق سادس.

تساءل فودة وعلى وجهه تعبير أقرب للتهكُّم:

- مين؟

- البطاريات. الغلابة اللي بيتعذِّبوا ويموتوا فـ مزارعكُم.

تأمله فودة بإمعان وهو ينهضَ من مقعده مُستطردًا بتصميم:

- ودا الفريق اللي انا واحد منه واخترت أحارب عشانه، هحاربكم وهحارب الإخوان من بعدكم، وهحارب أي حَد يقرر يعيش على حساب أنينهُم.

وضاقت حدقتاه:

- أنا مِش عارف انتَ عايز مني إيه، ومِش عايز اعرف، أيًّا كان غرضك فهو مِش عندي.

واستدار مُتجهًا نحو باب حجرة المكتب حتى استوقفه صوت فودة

مـن وراء ظهـره:

- لتاني مرة بتختار فريقك عن جهل يا نور.

اختلج قلب أدهم.

تجمد في مكانه أمام الباب من دون أن يستدير.

- هَتمشي من غير ما تعرف اللي انت جيت عشان تعرفه؟!

أدار أدهم رأسه إليه من وراء كتفه وردَّدَ:

- نور!

- دا اسمَك.

لم يَبـدُ عـلى أدهـم رَد فعـل مُحـدَّد باسـتثناء أنفـاس ثقيلـة مسـموعة، فضحـت ملمحًـا مـن الـصراعٍ العنيـف الـذي تـدور رحـاه في أعماقـه مـن دون أن تطفـو أي منهـا عـلى وقفتـه الجامـدة وملامحـه المُتصلبـة.

ومـن حيـث جلـس وراء مكتبـه مُسـتنِدًا إلى عصًـا أبانوسـيَّة سـوداء، أطـل شـبح ابتسـامة مـن عينـي فـودة وهـو يرمقـه مـن ظهـره، شـاعرًا بالقـوة القاهـرة التـي منحتـه إياهـا ورقـة الضغـط التـي يقبـض عليهـا، والتـي ليـس بوِسـع رجـل كـ أدهـم مقاومتهـا رغـم قـواه الخارقـة.

طالـت وقفتـه، ولم يقاطعهـا فـودة. انتظـره حتـى نَضَـجَ تمامًـا وأنهكـه الـصراع واسـتدار ببُـطء إليـه.

- اقعُد.

جـاءت نَبرتـه هـذه المـرة حازمـة آمـرة مُتناقضـة بشـكل عجيـب مـع وَهَـن صـوت أحبالـه المتآكلـة، وكأنـه يؤكِّـد عـلى انتصـاره في معركـة الإرادات، بادلـه أدهـم نظـرة طويلـة صامتـة امتزجـت فيهـا الحيرة بالغضـب بالـتردد، قبـل أن يجلـس إلى أقـرب المقاعـد إليـه.

انتقـل شـبح الابتسـامة مـن عينـي فـودة إلى طـرف شـفتيه كترسـيخ أخـير لفـوزه، ثـم ضغـط زرًّا بريمـوت كونـترول ثـانٍ أبيـض اللـون، فانسـدلت السـتائر عـلى النوافـذ لتحجُـب ضـوء الصُّـبح الشـاحب الوليـد.

وإثـرَ ضغطـة أخـرى عـلى أحـد أزرار ريمـوت التليفزيـون، وجـد أدهـم نفسـه

يُحـدِّق في صورتـه عـلى الشاشـة المُسـطحة العريضة.

حبسَ أنفاسه وهو يُراجِع تفاصيل الوجه المُطِل عليه من السطح المُستطيل.

العينين، الأنف، الشفتين، الصوت.

الملامح واحدة باستثناء أن الجسد أكثر امتلاءً والرأس مُغطًى بشعر أسود ناعم، والوجه خالٍ من الندوب التي اكتسبها داخل ماكينات الشركة، هذه ملامحه ولا شك.

قفزت عيناه إلى تاريخ رَفع الفيديو على يوتيوب.

«بسم الله الرحمن الرحيم».

فإذا به يعود إلى ما يَقرُب من عامين مضيا.

«وما تدري نفسٌ ماذا تكسِبُ غدًا وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت».

ازدردَ ما بقي من لعابه الجاف.

«اسمي نور».

خفقَ قلبه.

«نور العباسي».

نور العباسي.

ترددت أصداء الاسم في قاعات وممرات عقله، راحت تتدافع لتضرب الحائط الأصم الذي تختفي ذاكرته وراءه.

«ظابط في مباحث أمن الدولة».

اتسعت عيناه، أدار رأسه يحدق بذهول في وجه فودة الذي استقبل دهشته بابتسامة تفوح بثقة لم تَخلُ من لمسة تهكم.

«إذا كُنتُم بتشوفوا الفيديو دا، فـ دا معناه إني بين إيدين ربنا».

صَدمة أخرى وإيماءة أخرى، ما معنى هذا؟

«أنا عارف انى لو حصلي حاجة في المظاهرات، كتير هَيحاولوا يستغلوا دا».

قَطع مونتاجي ردئ على لينكات لمانشيتات صحف إلكترونيَّة ومقاطع مُتلفَزة من برامج توك شو يومية تتكلم عن ضابط الشُّرطة الشهيد، الذي لقي مصرعه إثر طعنة نافذة أثناء أداء واجبه في فَض واحدة من مُظاهرات الجماعة المحظورة بميدان التحرير.

«عشان كدا قررت انشر شهادتي».

ومانشيتات ومقاطع مُتلفزة أخرى تتحدث عن الضابط الذي رفض الظلم والقمع وتظاهر ضد ممارسات الداخلية فكان جزاؤه القتل، بالإضافة لدعوات من شخصيات سياسيَّة مُعارضة حزبيَّة وإسلاميَّة للشباب المصري الحُر؛ لنزول الشارع، وتنظيم وقفات احتجاجيَّة وسلاسل بشرية من أجل المطالبة بالقصاص وإسقاط النظام القاتل.

«عشان اقطع الطريق على أي متاجرة أو استغلال».

رأسه بدأ -ولأول مرة مُنذُ زمن- يدور.

«أنا مِش إخوان، ومِش سِتة إبريل، ومِش تابع لأي جماعة أو حركة أو حزب».

الجدار الأصَم الذي يُداري ذكرياته يرتَج، يَتشقَّق.

«ومِش نازل اوقع النظام الحاكم، أنا نزلت الأدي واجبي كظابط شرطة».

ومن بين شقوقه، رأى أول ما رأى وجهًا قبيحًا شرسًا.

«مُهمِتي أحمي الناس، أحمي البلد».

بأصابعه تحسس الندبة الكبيرة التي تَشُق بطنه طوليًّا، و قفزت إلى ذهنه محادثته مع أمل في شقة العَتَبَة التي شَهدت ليلة دُخلتهما قبل ساعات.

مدت أصابعها تمسح برقة على بطنه العاري الذي تناثرت عليه مجموعة من الندوب متفاوتة الحجم والطول والعمق، أبشعهم ندبة عميقة تشق البطن طوليًّا حتى أعلاه ثم تنحرف يمينًا لتنتهي بـ *E. N*. غائرة محفورة على الكتف الأيمن.

حدقت فيها ثم رفعت عينيها إلى وجهه هامسة:

- دي ... ؟!

سرح بعينيه في ظلام الحجرة الذي أوهنه ضوء القمر، ثم هَزَّ رأسه قائلًا:

- مش فاكر.

لكنه الآن «فاكر».

يذكر بوضوح صاحب هذا الوجه القبيح الشرس وهو يولِج المطواة في بطنه، ثُم يشقها طوليًّا، مَن يكون؟ ولِمَ طعنه؟

وكأنما سمع فودة التساؤلات التي يصدح بها رأسه، فتدخل قائلًا:

- اللي قتلك في المُظاهرة مُسجَل خطر م اللي الداخلية بتستعين بيهُم في فَض المَظاهرات، واضح انه كان فيه بينه وبينَك حساب قديم، ولما شافَك وسط المُظاهرة قرر يصفيه.

صحيح.

الصور والأصوات تتسرب كالبخار من الثقب الصغير الذي تكوَّنَ في جدار الذاكرة، يرى صاحب الوجه القبيح الشرس مضروبًا مُكبلًا في قبو ضعيف الإنارة، يسمعه يصرخ باسمه «نور باشا» مُستعطِفًا إياه بينما العساكر والأمناء يمزقون ثياب امرأة خمَّن -أو تذكر- بسهولة إنها زوجته.

- فاكرني؟ عدنان أبو سطر يا باشا.

رباه!

هَمَسَ بلا إرادة:

- أنا؟!

أتاه صَوت فودة:

- إنتَ نور الدين محمد العباسي. ظابط أمن دولة كُفء وواعد، أو كُنت كدا قبل ما لوثة تصيبك وتخليك تنزل الشارع تتظاهر مع المجانين دول.

أطراف كتيرة نَعوك بعد «استشهادك» في المُظاهرة، الداخليَّة تكتمِت على بقائك على قَيد الحياة عشان الدَّوشة، قسم الموارد عندنا في E.N

استلمَك بين الحياة والموت، علاجَك استغرق شهور وبعدها دخَلت التشغيل.

خفق قلبه وهو يُحدِّق في صورة سيلفي تجمعه بامرأة شابة جميلة وطفل وطفلة رائعين.

تابع فودة:

- زوج وأب.

تهدجَت أنفاسه وترقرقَت دمعة في عينه.

نعم. يَذكر هذه الوجوه، وَقع رؤيتها على قلبه لا يُوصَف.

أخيرًا!

الثُقب في الجدار يتسع، والصور والأصوات والروائح والألوان تتحرر.

الصُّوَر تتوالى على الشاشة المُسطحة، وصوت فودة لا ينفَك يُلاحقها بالتعليق والتعريف:

- أُسرَتُك. ياسمين مراتك. ولادك، شَهد ومحمد.أمَّك. أُختَك وجوزها وولادها، حماك وحماتَك. بيتَك.

الذكريات تتدفق لتروي أرضه القاحلة.

- إنتَ كُنت عايش حياة سعيدة يا نور، كتير ممكن يحسدوك عليها.

أدار أدهم/نور إليه عينين حائرتين.

- وفجأة ضربت بمستقبلك ومستقبل ولادك عرض الحائط وقررت تعيش دور البطل، وعشان إيه؟!

«أنا نزلت أأدي واجبي كظابط شرطة، مُهمِّتي أحمي الناس. احمي البلد».

- تحمي الناس ولا تحمي البلد؟

أجابه أدهم بصوت مُتحشرِج:

- الاتنين واحد.

هَزَّ فودة رأسه قائلًا:

- الاتنين عُمرهم ما يكونوا واحد، وبالذات في بلد زي بلدنا، الجهل

والتخلف هُما العدو رقم واحد، وكان أولى بيك كرجل أمن انك تحمي البلد من الجهلة والمتخلفين بدل ما تنحاز ليهم.

- وهو مين المسئول عن جهلهم وتخلفهم؟

- الجهل والتخلف ميراث قديم، ومن الظلم انك تحمِّل مسئوليته لحاكم واحد.

- ومين يتحملها؟

- الشعوب هي المسئولة عن تخلفها، وهي بالمُناسبة اللي بتفرِز الأنظمة الحاكمة اللي تناسبها، وبتفرز مثقفينها ومُعارضيها، الإجابة دايمًا يا نور هي: الشعوب.

وأشار إليه بسبابته مُستطردًا:

- وهَنروح بعيد ليه؟! مش انتَ كُنت نازل عشان تتظاهر ضِد قمع الداخلية وظُلم الناس؟ مين اللي شَق بطنك وكان عايز يموِّتَك؟! السُّلطة اللي نزلت تتظاهر ضدها ولا الناس اللي انحَزت لهم؟!

قال أدهم بحزم:

- بلاش تخلِط الورق! انت بنفسك قايل ان اللي قتلني كان بلطجي من بتوع الداخليَّة، وكان بيصفي حساب قديم بينه وبيني! يعني انا اللي مسئول عن اللي حصلِّي.

قال فودة ببرود:

- واللي حصَل لعيلتَك؟

التقى حاجبا أدهم وهو يسأله:

- إيه اللي حَصَل لعيلتي؟

لم يَرُد فودة.

ضغط أزرار الريموت مرةً أخرى، فعاد أدهم بعينيه إلى شاشة التليفزيون.

مرّت الثواني وهو يُحدِّق في صُوَر الجُثث المُلطخة بالدماء بملامح جامدة لم تلبث أن فقدَت تماسكها، فانقبضت عضلات وجهه وزُمَّت شفتيه وانضغط فكَيَّه بشدة.

ثُم بدأت محتويات الحجرة في الاهتزاز.

أدارَ فودة رأسه مُندهشًا فيما حوله؛ المقاعد، الأرائك، المناضد، المزهريات، المكتب بما على سطحه، أرفف المكتبة بما عليها من كُتب ومُجلدات، اللوحات على الجُدران، ضُلَف النوافذ، كلها راحت ترتعش بشدة وكأن زلزالًا ضرب أرض الحجرة.

سمع صُراخ المُمرضة آتيًا من الخارج، ومذهولًا مَيَّزَ الشَّق الذي فَسَّخَ أخشاب باركيه الأرضية، ثم راح يتسلق الجدران بسرعة حتى وصل للسقف، وبدأت الأتربة تتساقط من أعلى.

عاد بعينيه المذهولتين إلى أدهم الذي لم يتزحزح من مكانه أمام الصور البشعة المُتوالية على الشاشة، سمع الأنين يخرج بصعوبة من بين شفتيه المزمومتين.

عَدَّلَ من وضع المنظار على قصبة أنفه وهو يُغمغِم باهتمام:

- مُدهِش!

وفي اللحظة التالية استحال الأنين لصرخة خارجة من أعماق القلب.

وعلى إثرها، انخلعَت الضُّلَف من مفصلاتها، فاندفع الهواء البارد ليكتسِح الداخل الدافئ، تهشم الزجاج وتفسخ الخشب، تشَقَّقَ ورق الحائط وتفتَّتَ البياض الأسمنتي من ورائه، انفجرت مصابيح الإضاءة وتمزقت الكُتب، وامتلأ فراغ الحجرة بالملايين من ذرَّات الأسمنت وشظايا الزجاج ونشارة الخشب وقُصاصات الورق.

***

تقبَّل تعازي في مصابك الفادح يا بُنَي.

ما حدث لم يكن منه بُد، وأُسرتُك لم تكن الوحيدة التي راحَت في الأحداث.

أنت تعرف. إبان المُظاهرات الأخيرة، سادت حالة من الفوضى والانفلات الأمني في طول البلاد وعرضها، انكسار الداخلية أمام ملايين المُتظاهرين (وتحديدًا بعد موقعة الميدان الأخيرة التي حسمتها قدراتك الخارقة) كان إيذانًا بانكسار هَيبة الدولة.

هذه الهَيبة التي لم تُدرَك قيمتها إلا وآلاف المباني المُخالفة ترتفع في غضون أيامٍ قلائل، إلا والمولات والمتاجر والمُجمعات الاستهلاكية تُنهَب عن آخرها، إلا واللِّجان الشعبية تنتشر في كُل شوارع مصر لحماية البيوت والأرواح والمُمتلكات.

السير على الدائري ليلًا أصبح ينطوي على خطرٍ شديد مع الأنباء المروِّعة التي تتحدث عن حوادث التثبيت والاختطاف والسرقة بالإكراه، بالتأكيد كانت زوجتك تعلم هذا، وبالتأكيد لم تصطحِب أطفالكما الثلاثة في سيارتها من مدينة نصر لـ أكتوبَر بعد مُنتصَف الليل إلا اضطرارًا.

(نعم. أنت لم تُخطئ السمع. أطفالكما الثلاثة. آسر الصغير كان جنينًا في شهوره الأولى برحِم أمِّهُ يومَ جاءها نبأ «استشهادَك» بميدان التحرير قبل سنتين).

في ظِل الفوضى وغياب الأمن، استغرق البحث عنهم أسابيع، وفي النهاية عُثِرَ على الجُثَث من دون السيارة في واحدة من البنايات الحديثة تحت التشطيب بالمعادي الجديدة.

إبك، أطلِق لدموعَك العنان يا بُنَي.

أُسرتُك لم تكن الوحيدة، ولن تكون الوحيدة.

شَـهد لم تُعـذِّب أحـدًا حتـى يُطفِئـوا السـجائر في جسـدها الضئيـل، مُحمَّـد لم يقتـل أحـدًا حتـى يضعـوا رصاصـة في رأسـه، زوجتـك لم تخـدش حيـاء أحـد يومًـا حتـى تُنتهـك مـرات ومـرات قبـل مقتلهـا، أمـا آسر الصغـير، فلَـم يُعـثَر عـلى أثـرٍ لـه قَـط.

ربنـا سـبحانه وتعـالى قـال: «ولا تَـزرُ وازرةٌ وِزرَ أخـرى». وأطفالـك لم يُذنبـوا حتـى تُعذبهـم وتنتهكهـم ثُـمَّ تقتلهـم عُصبـة مـن المجرمـين، بمعنـى أدق: لم يكونـوا مِثلَـك «مسـئولين عـن الـلي حَصَـل لهـم».

سـقوط «الهَيبـة» (لا القانـون) كان المُسـوِّغ للهَمَـج كي يسرقـوا وينهبـوا ويُعذِّبـوا ويقتلـوا وينتهكـوا الأعـراض، الهَمَـج، الملايـين منهـم، المُنتَـج النهـائي لقـرون الجهـل والظـلام، الـوَرَم الـذي لا عـلاج لـه ولا سـبيل للشـفاء منـه مـن دون اسـتئصاله.

لا أسمعَك بسبب البُكاء!

تقول بَشر ولهم حقوق؟!

كـذا «كان» أطفالـك يـا نـور، كانـت لهـم حقـوق ليـس منهـا بالتأكيـد أن يُقتَلـوا ويُعَذبـوا وتُنتهَـك أعراضهـم، وكان أولى بِـك أن تفكـر فيهـم بـدلًا مـن تسـليمهم لُقمـة سـائغة لِمَـن نهشـوهم!

هَل تُدرِك الآن مقدار جرمك في حقهم يا فتى؟!

أنتَ، بقدرتك الخارقة، كسرت الهَيبة.

كـسرت حاجـز الخـوف الـذي كان يحميهـم مـن جحافـل الهَمَـج الذيـن لا يفهمـون سـوى لغـة الخـوف، وتركتهـم عُـراة نهبًـا لهـم، تركـت مـصر كلهـا رَهنًـا للفـوضى، فعلتهـا ظنًّـا مِنـكَ -يـا أحمـق- أنَّـكَ تدافـع عـن بـشر لهـم حقـوق آدميـة، فلـما تحـرر هـؤلاء «الآدميـون» قتلـوا أول مـن قتلـوا أقـرب النـاس إليـك، والأنـكى أنَّـكَ حتـى بهـذا الهـدف النبيـل «الرنَّـان» لم تَـكُ أكـثر مـن أداة مسـاومة في يَـد مُحمَّـد عبـاس وجماعتـه!

أنـا لَسـتُ وَحشًـا يـا بُنَـي، لسـتُ عـلى الشـاكلة التـي اعتـادت أفـلام السـينما وكُتـب المثقفـين قولبـة رجـال الأعـمال فيهـا، أنـا أب وجـد والحساسـيَّة صفـة

مُلازمـة لي منـذ نعومـة أظافـري، فقـط لا أهـوى الغـرق في التفاصيـل وأحـب النظـر عَـبرَ الخطـوط العريضـة، علمنـى البيزنـس أن المَكسَـب فقـط هـو المعيـار الوحيـد الصحيـح للحُكـم عـلى الأشـياء، سـواء أكان مكسبًا شـخصيًّا أو «مصلحـة عامـة».

مشـاكل مِـصر قديمـة، غَـرس قـرون، وأغصانـه هـي التـي ذبحـت أطفالـك، وبقـاء هـذه الغصـون سـيذبح المزيـد والمزيـد حتـى تتحـول البلـد لبركـة مـن الـدَّم.

مـصر تمـوت ببطـء يـا نـور بأيـدي أبنائهـا، شـعبها حَجـر عـثرة في طريـق أي ثـورة أو إصـلاح، ومـا تحتاجـه حاليًـا هـي الرؤيـة التـي تبـدأ بالمُصارحـة بهـذه الحقيقة.

مـن قتلـوا أطفالـك ليسـوا فقـط الهجامـين واللصـوص عـلى الطريـق الدائري، ولكنهـم الملايـين الذيـن ينتظـرون غيـاب الكُربـاج حتـى يعيشـوا فسـادًا في الأرض، ابتـداءً بِمَـن ينتهـزوا الفرصـة للسـير عكـس الاتجـاه في الشـارع، ومـن يتجـاوزوا أدوارهـم في طوابـير العيـش وشـبابيك التذاكـر، المتُحرشـين بالرائحـة والغاديـة في الطرقـات والأوتوبيسـات، ومـرورًا بالوحـوش الذيـن قتلـوا وعذبـوا أسرتـك، ووصـولًا للصـوص الكِبـار الذيـن ينهبـون ثـروات البلـد، هـؤلاء هُـم أعـداء مـصر الحقيقيـون، لا ضمـير لهـم ولا خـلاق، جهـل وانحـراف دينـي وهـوَس جنـسي. نفايـات البـشر. السـوس الـذي يَنخُـر في الأسـاس، فيفعـل مـا لا تسـتطيع إسرائيـل ولا أمريـكا فعلـه، والحـرب الحقيقيـة هـي حـرب اجتثاثهـم مـن العـالم.

لن تخرج مصر من الحُفرة إلا بالتحرر من هذه الأثقال.

والحل في مزارعي وماكيناتي يا نور.

العِلم. التكنولوجيا. إعادة تدوير النفايات. استخلاص الطاقة.

ما أعرضه عليك هو ضرب عصفورين بحجر:

تنتقم من قَتلة أطفالك، وتؤدي واجبك في إنقاذ الوطن.

انتقم لآسر ومحمد وشهد وخَلِّص مصر من هذه الأدران يا نور.

الملايـين التـي تتضاعـف كل يـوم لتعيـث فسـادًا، حـان الوقـت لاسـتفادة حقيقيـة منهـم.

هـذا هـو حلمـي الأخير، المـشروع الـذي سينقذ مـصر وينتقـل بهـا لمصـاف الـدول الكبرى، العمـل الـذي سـأقابل بـه خالقـي عـمٌّ قريـب مرتـاح الضمـير،

هذه فُرصة تاريخيَّة قد تكون الأخيرة يا نور.

أريـدَك معـي يـا بُنَـي. أريـدك مـكاني. مـصر كلهـا تنتظـرك. تنتظـر فرعـون شـجاع قـوي قـادر عـلى تحمـل المسـئوليَّة واتخـاذ القـرارات الكبـيرة، وتحمـل مسـئوليتها.

لا. كـمال ابنـي، ولكنـه ليـس الرجـل المناسـب، الفتـى طائـش ويفتقـر للكثـير مـن المقومـات، وإلا مـا كانـت الأمـور قـد تدهـورت تحـت قيادتـه لهـذه الدرجـة. أمـا أنـت ...

أنت الابن الذي تمنيته طيلة عمري يا نور.

فَكِّر جيِّدًا.

لقد بُعِثتَ حرفيًّا من المَوت، لابُد أن لهذا مغزى.

لابُدَّ أنَّ دورًا عظيمًا ينتظرك.

أنتَ لا تذكر تاريخك بَعد، ولا تاريخ أسرتك، أليس كذلك؟

حَسَـن، لقـد وصلنـي هـذا التاريـخ كامـلًا، ودَعنـي أخـبرك بأنـه مـليء بقصـص تقـترب مـن الأسـاطير عـن أبطـال ضَحـوا بحيواتِهـم وهُـم يحاربـون في سـبيل هـذا البلـد.

أجدادك يا نور.

لا يجـوز -وأنـت سـليل هـؤلاء العظـماء- أن تتقاعـس عـن حَمـل لوائهـم وأداء دورك في حمايـة الوطـن مـن أعدائـه، أعدائـه الحقيقيـين.

هل ترى؟! الصُّبح طِلع. هذا فألٌ حَسَن.

فَكِّر جيِّدًا.

أنت الآن على مُفترق طرق.

بعـد دقيقـة واحـدة سـتغادر الفيـلا، إمـا كـ أدهـم صبري، السـوبرمان الـذي

سـيعود للميـدان ليُسـخِّر قدراتـه الخارقـة في خدمـة الجماعـة التـي اسـتغلته كورقـة للمسـاومة، وإمـا كـ آدم.

المـصري الجديـد الأول مـن نوعـه، القائـد الحقيقـي المسـئول والقـادر عـلى انتشـال مـصر مـن محنتهـا.

والقرار لك يا عزيزى نور.

أدهم أو آدم.

***

- واِختَرت.

قالتها أمل بصوت هادئ ولهجة تقريريَّة مُحايدة، فهزَّ أدهم رأسه وقال:

- مكانش فيه اختيار يا أمل.

قالت بإصرار:

- كان فيه، وانت اخترت.

- الاختيار بين الحياة والموت مِش اختيار.

- إنت اخترت الموت.

- موت الجرثومة هو حياة المريض.

- إنتَ مِش دكتور!

قال ببساطة:

- اسأل مجرب ولا تسألش طبيب.

وضغط على حروفه مُردِفًا:

- والى حصلّي كان بمثابة تجربة كافية جدًّا عشان ابقى مؤهَل للتشخيص والعلاج.

خرج صوتها أقرب للفحيح:

- إنت سَوَّغت لنفسك انَك تعاقب ملايين الأبرياء على جريمة ارتكبها أفراد!

- العالم مفيهوش أبرياء.

- الفَضل ليك.

رفع حاجبيه مُرددًا بدهشة مُصطنعة:

- ليا انا!

- إنتَ مِش بَس قتلت ملايين، إنتَ خليت اللي عايشين شُركاء في جرايمك،

خليتهُم يقبلوا يعيشوا على أنين وعذاب اللي بيموتوا جوا آلاتك.

مَسَّدَ بأصابعه على خُصلات لحيته الناعمة، وبدا على وجهه تعبير أقرب للاستمتاع بمناقشة طريفة مع طفلة صغيرة بينما هي تقول بمُقت:

- إنتَ فعليًّا خليت العالم بلا أبرياء، كُله بقى مُلوَّث، مُلطَّخ بالعار.

قال بهدوء:

- أمل، إنتي فعلًا مِش واخدة بالِك ان دي الصورة الطبيعية للعالم من أول ما المجتمعات الإنسانية بدأت تتكون؟! طبقات بتتغذى على طبقات؟!

قالت بازدراء:

- عالم الحيوان.

مَطَّ شفتيه قائلًا:

- القاعدة واحدة.

وأطلق دفقة من دخان السيجار من بين شفتيه مُتابعًا:

- وصَدقي أو لا تُصدقي، الفرق بيني وبين غيري إني صاحب رسالة.

قالت ساخرة:

- رسالة سماوية؟!

ابتسم بزاوية فمه وهو يقول:

- مش هَتفرق. المُهِم ان فيه رؤية وإرادة ... ونتيجة بتتحقق.

- ومليارات بتتكدِّس في البنوك.

هَزَّ كتفيه قائلًا:

- البيزنِس بيخِدِم الرسالة، مِش العكس.

مَطَّت شفتها السُفلى احتقارًا لما تسمع وقالت:

- كُل الطغاة المجانين أصحاب رسالات.

لَم يَبدُ على ملامحه تأثرٌ لهجومها المُباشر عليه، دَفَعَ الدخان قائلًا بهدوء:

- بُصي حواليكي يا أمل. هي دي مصر اللي سِبتيها من خمسة وعشرين سنة؟! مصر اللي بتحكم العالم؟ تقدري تنكري ان العالم دلوقتي أفضل؟

- على حساب عذاب الملايين!

- كُل شيء وله تمن. اعتبريها حرب، وكُل حرب وليها ضحاياها.

وأشار إليها بطرف سيجاره المُشتعِل وهو يُردِف:

- وإلا تقـدري تـبرري بإيـه اسـتهدافكم لـ «أبريـاء» في عملياتكـم الإرهابيَّـة ضدنـا؟

التقى حاجباها وهي تقول:

- الموظفين في شركتكم المُجرمة شُركاء في إجرامها.

- ورُكاب قطـر شرم الشيخ؟! كانـوا موظفين برضه في شركتنـا المُجرمة؟! والأهالي الـلي طَلقتـوا عليهُـم الهَمَـج في المُـدُن الحدوديَّـة؟! والملايـين الـلي انقطـاع الطاقة دمَّـر حياتهـم، الأطفـال الرُضَّـع الـلي ماتـوا في حضانـات المُستشـفيات، المـرضى، المُسـنين، الخدمـات الـلي انهـارِت، المصانـع الـلي وقفـت، البيـوت الـلي خربِـت.

وابتسم بقسوة مُتابعًا:

- ماتضحكيـش عـلى نفسِـك يـا أمـل، انتـى لسـه حـالًا قايلـة ان النـاس كلهـا بقـت ملوثـة ومُلطخـة بالعـار، إنتـي أصـلًا مِـش شـايفاهُم أبريـاء.

حاولت أن تعترض على كلامه ولكنه لم يمنحها الفُرصة:

- مـن غـير نـار الفُـرن مفيـش تورتـة، إنتـى نَفسِـك عشـان تحققـي تصـوُّرِك لعـالم أفضـل شـاركتي في قتـل أبريـاء وتخريـب حيـاة الملايـين. مِـش بَـس كـدا ...

رُغمًا عنها تلاحقت أنفاسها وهي تسمعه ...

- حتـى عـلى المسـتوى الشـخصي، قبلتـى انِـك تتاجـري بلحمِـك ودمِـك، بنـت أختـك، أقـرب النـاس ليـكي، عشـان تقربِـك مـن أهدافِـك.

اخترقـت كلماتـه قلبهـا كأسـياخ مـن نـار، صارعـت لتمنـع دموعهـا المُحتشـدة مـن الانسـياب بينـما كلماتـه تهْـوَى عليهـا كالسـياط:

- أنـا مِـش ضِـد أي حاجـة مـن دا عـلى فكـرة، في الحـرب كُل شيء مُبـاح لتحقيـق النـصر.

وضغط على حروفه:

- بـس حَبيـت أوضحلِـك انِـك عملتـي كُل الـلي بتتهمينـي بيـه وأكـتر عشـان

تحققـي هدفِـك.

قالت بصوت مُحشرَج:

- أنا ماخُنتِش!

نظر لعينيها مليًّا ثم قال بهدوء:

- ولا انا خُنت.

خرجت الكلمة من بين أسنانها أقرب لزمجرة شَرِسة:

- خُنت.

- خُنت مين؟

- خُنـت البلـد. خُنـت الشـعب. خُنـت الثُّـوَار. خُنـت الإنسـانية والخـير والحَق والعَـدل والحُب.

واختنق صوتها وهي تهمس بمرارة:

- خُنتني.

***

-٤٣-

ما هي الخيانة يا أمل؟!

مـا مدلـول تِلـكَ الكلمـة التـي تقذفونهـا دومًـا بمُنتهـى السـهولة في وجـوه خصومَكـم؟!

الكهربـاء غـير مرئيَّـة ولكـن مصابيـح الإضـاءة دليـل وجودهـا، قطـرات العَـرَق دليـل الحـرارة، الفعـل دليـل وجـود الفاعـل، المخلـوق دليـل وجـود الخالـق، فـما هـو دليـل فعـل الخيانـة؟

ما دليل خيانتي لكِ؟

هَجرتك، تَخليت عَنك.

أليس كذلك؟

***

(قبل ما يزيد عن خمسة وعشرين عامًا):

- أدهَم انتَ عارف انتَ بتطلُب مني إيه؟!
- دا شَرطي.
- القيادة هَترفُض. أمل الشافعي على رأس المطلوبين!
- اتصرف.
- الوقت ضيِّق.
- من غير الشَرط دا، مفيش اتفاق.
- أنا مُمكِن اتعهدلَك ان محدِش هيتـ...
- فتحي! مفيش فَض للاعتصام قبل ما أمل تخرج بَرا مصر.

***

لم يَحدث يا أمل.

لَم أخُنك. لم أتخَل عَنك.

بنفسي أخرجتِك من الميدان وكُنتُ برفقتكِ على مَتن الطائرة الخاصة التي نَقلِتِك إلى فرنسا، وقبل هبوطنا في شارل ديجول كان فَض الاعتصامات قد بدأ.

ظللت بجَانبِك حتى استعدتِ وَعيك، كُل شيء كان مُرَتبًا مع السفارة، الهَويَّة الجديدة، الشقة، البوتيك، المصاريف الشهرية، الحماية. التحذير الذي نقله فتحي منصور لرؤسائه كان مُحَدَّدًا: أي شعرة من أمل الشافعي تُمَس بسوء، أيَّة محاولات انتقاميَّة ... سينهدِم المَعبَد على رءوس الجميع، تهديد صريح اضطروا أن يقبلوه.

- لأكتر من خمستاشر سنة كُنتي تحت عيني يا أمل.

عيوني كانت حولِك في كُل مكان تنقل لي كُل شيء. كُل إحباطاتِك، نزواتِك، أحلامِك، محاولاتِك الخرقاء للعودة للساحة، وأكَم من ليال استبَد بي الشوق إليكِ حتى كاد يزهق روحي، فما أدرِ بنفسي إلا وأنا أترك الأعمال والأعباء وأطير إلى نيس لأختلس دقائق أقضيها في الظلال، أراكِ رأي العَين لدى ذهابك أو إيابِك.

لا تُصدقين؟ لا بأس، ولكنني صادق بالفعل.

لِمَ تركتُك إذَن؟

مُضطرًا فعلت. مذبوحًا فعلت؛ لأنكِ لم تكوني لتتفهمي أو تقبلي اختياري.

- اختيار انك تخون.

- الانحياز للبلد مِش خيانة.

- البلد اللي قتلت وعذِبت شعبها.

- البلد اللي اتنقلِت من قاع العالم التالت لقمة العالم الأول.

أنتِ قرأتِ لـ يوسف إدريس بالطبع، أليس كذلك؟ نعم، أسألِك تحديدًا عن واحدة من قصصه اسمها «سنوبز». أتذكرينها؟ لا؟

القصة تحكي عن حادثة تحرُّش في أحد الأوتوبيسات العامة المُكتظة بالرُّكاب، أوتوبيس رقم ٩٩٩ كما جاء بالقصة، لَم أَنس، أحد الأوغاد استغل تلاصُق الأجساد الناجم عن امتلاء الأوتوبيس عن آخره، وعلى مرأى ومَسمَع ممن حوله مَارسَ تحرشًا جنسيًّا صريحًا اقترب كثيرًا من حَافة الاغتصاب بالمسكينة التي أوقعها الزحام، وحظها العاثر في مرمى جسده، وعندما حاولت الاستغاثة بجيرانها من الركاب انهالوا عليها هي(!) لومًا وتقريعًا وضربًا ثم ألقوها مُهانة مُمزقة الثياب من الأوتوبيس.

لِنَكُن صُرحاء يا أمل، تعلمين أنها ليس قصة خيالية جدًّا، وأنَّها «كانت» تحدُث كل يوم وكل ساعة، بل وتذكرين أن حادثة شبيهة أو حادثتين جرتا في الميدان إبَّان الثورة القديمة، الفكرة ليست في مُجرَد فعل التحرش أو الاغتصاب، وإنما في الناس، الناس التي شاركت برضاها واستمتاعها في هذا الفعل المُشين، وعندما انتفضوا فعلوها ضِد الضحية لا الذئب!

مُتخيِّلة حجم التشوُّه والانحراف الذي أصاب فطرتهم فتحولوا لمخلوقات أدنى من الحيوانات، بل رُبما كان المُتحرِش نفسه هو أشرفهم؟! من فَضلِك لا تقولي لي مُبررات من نوعية الفقر والاستبداد الذي مورِسَ عليهم لقرون حتى أفسد فطرتهم وعلَّمهم الجُبن والنفاق والأنانية وأخلاق الزحام إلى آخر أسطوانة «ماذا حدث للمصريين؟» القديمة هذه، الوقت ليس وقت أسئلة ولا أجوبة. الوقت وقت حلول.

- والحَل إنك تموتهُم؟!

- «إعادة التدوير» تعبير أدَق.

أوتوبيس ٩٩٩ مُمتلئ عن آخره بالنفايات البشرية، يعيشون على ظهر الأرض ويستهلكون مواردها مُقابل كل ما هو أناني ودنئ.

بصراحة، هل هُناك أمل في إصلاح نفوسهم بعد أن هبطوا إلى هذا القاع؟

بأمانة، ماذا يخسر العالم لو فَنَوا عن بكرة أبيهم؟

ألن يكون عندئذٍ بحق عالمٌ أفضل؟

طيِّب، هَل هو حقًّا مُجرَد أوتوبيس أم وطن بأكمله؟ هل ركابه هُم

مُجـرَّد عـشرات أم ملايـين؟ ملايـين فقـدَت صلاحيتهـا كبـشر وتحولـوا لطُفيليَّـات تعيــش عــلى امتصــاص حقــوق غيرهــا مــن البــشر الحقيقيــين الأحَــق بمــا يســتنزفونه مــن مــوارد، ابتــداءً بِمَــن يلقــي زبالتــه في الشــارع أو يكــسر إشــارة المـرور، وصـولًا للمُتحـرِّش بطـل قصـة يوسـف إدريـس وشركائـه مـن ركاب الأوتوبيــس.

ملايــين أصبحــوا عِبئًــا حقيقيًّــا عــلى الكوكَــب وعــلى شركائهــم فيــه مِمَــن يحملــون الصفــة الآدميــة الحقيقيَّــة.

إعادة التدوير يا أمل.

إعـادة التدويـر هـي الحَـل العـادل والناجـز لــ ٩٩٩ والـذي هـو وطـن بحالـه، وليــس مُجــرَّد أوتوبيــس نقــل عــام، أيًــا كانــت الأســباب والعوامــل، فهــذه النفايـات لم تعـد صالحـة للاسـتمرار، اسـتمرارها هـو الخيانـة الحقيقيَّـة للشـعب وللبلـد وللإنسـانيَّة التـي تسـتحق مـا هـو أفضـل.

- مَصر مِش كُلها أوتوبيس ٩٩٩ .

- صحيح، فيه ناس هَتتظِلم، دا شيء لا يمكن تَجنبُه.

- الناس تستحق فرصة تانية.

- فات أوان الفُرَص يا أمل، مفيش وَقت.

- إنتَ مِش إله عشان تحدد مين يستحق يعيش ومين يستحق يموت!

- (يَهز كتفيه): وليه ماتقوليش انى أداة من أدوات الإله؟

- الظُّلم والقتل والتعذيب مِش من أدوات الإله.

- (ببرود): أومال أدوات مين؟

- (باحتقار): أدوات الشيطان.

- (ينهَض من مَجلسه ويدور حولها) ... .

الشيطان نفسه أداة من أدوات الإله.

مـا السـبيل لدخـول جنـة اللـه أو نـاره إلا بالاختبـار؟ أخبرينـي وأنـتِ المُتديِّنة، كيـف للمـرء مـن دون وِسـواس الشـيطان -الأداة- أن يُذنِـب ويُخطـئ فيسـتغفر فيُغفَــر له؟

من دون الشيطان تختل المنظومة يا أمل، لا نعود بَشرًا نُخطئ ونُصيب، من دون الشر، لا يُصبِحُ الخيرُ خيرًا.

هكـذا خَلَـقَ اللـه الدُّنيـا، الـشر يَحكـم ويُديـر، والخـير يُعـارض ويُقاتـل فقـط ليبقى .

أوَتدرينَ لِمَ؟

- (من دون أن تُدير وجهها إليه): عشان انت عايز كدا.

- تـؤ. السِّسـتِم كـدا مـن سـاعة مـا الدُّنيـا اتخلقِـت، انتـي قاريـة تاريـخ وعارفـة.

- التاريخ بيكتبه المُنتصرين.

- الـلي هُـما الأشرار (يميـل عـلى أذنهـا) شَر بيزيـح شَر، طاغيـة بيقتـل طاغيـة، سـفاح بيقتـل سـفاح، أُمَـم بتركَـب أمَـم، مـن فراعنـة لإغريـق لرومـان لعـرب لأتـراك للغـرب، حـروب ودمـار ودَم ونـار، الـشَر بيديـر اللعبـة مـن فجـر التاريـخ، والمثاليـين مكانهُـم عـلى الهامِـش.

(يعتدل واقفا).

ما هو الخير وما هو الشر؟

الخـير والـشر مـا هـما إلا أسـاليب لتصريـف وإدارة الحيـاة، أسـاليب تكتسـب مشروعيتهـا ولامشروعيتهـا بمقـدار نجاحهـا في أداء مهامهـا. النجـاح والفشـل هُـما -وحدهـما- مـن يقـرران إن كانـت الأداة المُسـتعملة خـيرًا أم شرًّا، ثـم بعـد ذلـك -وليـس قبـل- يتـم اسـتخراج الغطـاء الأخلاقـي والشرعـي لـبروزة المشروعيَّـة واللامشروعيَّـة المُكتسـبتَين.

لـو قُلنـا مثـلًا إنَّ الاسـتعمار شرٌّ ... فهـل يظـل كذلـك لـو قامـت عـلى أساسـه منظومـة كاملـة مـن العلاقـات والمصالـح المُتشـابكة اسـتوعبَت شـعوبًا ومجتمعـات كاملـة؟!

هـل يظـل الخـير خـيرًا لـو سـعى لهَـدم هـذا الأسـاس الـذي قامـت عليـه هـذه المنظومـة، بمـا سـيترتب عـلى هـذا الهـدم مـن اختـلال للمنظومـة، وتهديـد لحيـوات ومصالـح الملايـين الذيـن يعيشـون في كنفهـا، وبالـذات لـو كان هـذا

الهَدم غير مشفوع ببديل حقيقي وعملي؟!

هنا يا أمل تفقد مصطلحات الخير والشر دلالاتها التقليديَّة، فالسياق الذي تنتظم فيه حيوات ومصالح وأمان الملايين هو -أيًّا كان- «الخير»، بينما السياق الذي يتهدد هذه الحيوات والمصالح والأمان -مهما انبنَى على قِيَم نبيلة- هو «الشر».

طاقة Egy- Nergy أصبحت أساسًا بُني عليه عالمٌ كامل مُتكامِل، عالمٌ أفضل، تهنأ شعوبه بحقوقها الإنسانيَّة المُستحقة بعد استبعاد الملايين ممن شاركوهم فيها طويلًا بغير حق، طاقة Egy- Nergy أيًّا كان مصدرها هي «الخير»، بينما ثورتُك النبيلة التي تستهدفها ... تستهدِف الطاقة والخير والتنمية والرخاء والرفاهية وحقوق الإنسان ... ثورتُك العظيمة هذه هي الخطر والإرهاب والفوضى، هي «الشر».

- دي كدا غابة مِش عالم أفضل.

- (ينفث دخان السيجار): طول عُمرها غابة.

- وانت كدا تبقى عَمَلت إيه؟

- لعِبت بقواعد الغابة عشان أخلق منها عالم أفضل.

- (تَهز رأسها): إنتَ خليتها عالم أبشع، خليت الوحشيَّة والهمجيَّة هي النظام، عالم من دون دين أو أخلاق أو قِيَم هو عالم أوسَخ. أحَط.

القِيَم المعنوية، الدين والأخلاق والوطنيَّة والأيديولوجيَّات، سريعة البَخر كالكحول يا أمل، مهما عَظُمَ تأثيرها، وبافتراض صِدقها فهو في النهاية محدود كَمًّا وكَيفًا بطبيعته، صعود سريع يعقبه سقوط أسرع أمام القِيَم الماديَّة الملموسة، هل أنت بحاجة لتذكيرِك بأن صحابة النبي مُحمَّد اقتتلوا على الحُكم بعد سنوات قليلة من وفاته؟

تَموت الحُرة ولا تأكل بثدييها، وستعيش من بعدها أجيال وأجيال قررت ألا تَموت جوعًا.

المصلحة الماديَّة هي القيمة الكُبرى التي تبني الحضارات وتصنع التغيير وتَقود للمُستقبَل، بل ويَحرص أصحابها على تأكيد القِيَم المعنوية باعتبارها

واجهـة أخلاقيـة، وأنبوبًـا للعـادم يُسـاعِد عـلى التخلـص مـن الدُّخـان الناجـم عـن احـتراق الشـعوب مـن أجـل مصالـح الكِبـار.

أنـتِ نفسـك كي تصنعـي ثـورة ضـد Egy- Nergy انتصـارًا لقيَمِـك المعنويَّـة الإنسـانيَّة والدينيَّـة والأخلاقيَّـة، تحالفـتِ مرتـين مـع أصحـاب مصالـح ماديَّـة خالصـة: الإخـوان في المـرة الأولى قبـل رُبـع قـرن، وشركات الطاقـة التقليديَّـة في المـرة الثانيـة، مـن دون هـذه المصالـح الماديَّـة، أنـتِ بقِيَمِـك البراقـة الرنانـة لا شيء، ريشـة في مَهَـب الريـح.

***

-٤٤-

- مُمكِن اعرَف انت جايبني هنا ليه؟

رفعَ حاجبيه مُرددًا:

- دا سؤال بجَد؟!

- ليه ما سلمتنيش للسُلطات؟

نظر لها للحظة ثم سألها:

- إنتي عارفة هَيعملوا فيكي إيه لو استلموكي؟

كررت بإصرار:

- ليه؟

- (بصرامة): البطارية بتاعتي فين؟

هَزَت رأسها قائلة:

- أنا قولت كدا برضه.

- هَتضيّعي وقتي ووقتِك يا أمل؟

قالت بنبرة ساخرة:

- أنا ماوراييش حاجة.

- بس انا ورايا.

قالت بحزم:

- يبقى ماتضيعش وقتك، إجابة سؤالك مِش عندي.

- المعركة خِلصِت يا أمل.

ابتسمت بغموض فتابع:

- اللي انا عايز اعرفه هَعرفه.

- هَتعرفه «عُنوة»؟

قال بهدوء:

- لو اضطريتيني.

نظرت له بتحَد قائلة:
- بَس انا مش خايفة مِنَّك.
- (يَهِز رأسه): عشان مُتأكِدة انى مِش هَقدر أذيكي.
حدقت في وجهه بجمود. استطرد:
- أنا كُنت عارف انِك مِش هَتسلمي، عشان كده استعديت.
- يعني إيه استعديت؟!
- يعنـي عنـدي الطُّـرق المضمونـة الـلي تخلينـي اطلَّـع الـلي انـا عايـزه مِـن هنـا.
قالها وهو ينقر بسبابته ووسطاه على جبهتها، فأزاحت أصابعه بعُنف.
رفع عقيرته مُخاطبًا (س-١٨):
- عايز الدكتور أنَس الزهيري في معمل السايكولوجي خلال ساعة.
وَخزَ القلق قلبها وهي تتساءل:
- مين أنَس الزهيري؟
نظر لها بعينين تلمعان وأجاب:
- أستاذ الطب النفسي بجامعة التالت من يوليو.
ومـع كلماتـه، احمـرَّت حدقتـاه، فشـعرت هـي بالـدم ينسـحِب مـن رأسـها وبالرؤيـة أمامهـا تهتـز، وسـمعت صوتـه وكأنـه قـادمٌ مـن أعـماق سـحيقة.
- والمُستشار السايكولوجي بقسم التحقيقات في Egy- Nergy.

***

-٤٥-

مـع الهبـوط السريـع لليـل الشـتاء البـارد، زحفـت سُـحُب الضبـاب بسرعـة في شـوارع بارادايـس هايتـس وبـين قصورهـا وأنديتهـا الخاويـة عـلى عروشـها بعـد أن هجرهـا سـاكنوها إثـر تفجـير المقـر الرئيـسي لــ Egy- Nergy قبـل أسـابيع، الأمـر الـذي يَـسَّر للرجلـين المُتشـحين بالسـواد في مسـارهما المـدروس تَجنُـب أكمِنـة الجيـش المُنتـشرة هنـا وهنـاك، حتـى وصـلا لموضِـع بـين الأشـجار عـلى بُعـد بضعـة أمتـار مـن الطريـق الأسـفلتي الـذي يربـط منطقـة الخدمـات بالمنطقـة الإداريـة.

نظـر أحدهـما إلى النقطـة المُضيئـة باللون الأحمر عـلى الخريطـة الهولوجرامية المُرتسـمة أمـام عدسـتيه الذكيتـين، وقـال لزميله مُشـيرًا إلى بُقعـة قريبة:

- هنا.

توجـه الآخـر بـلا تـردد إلى موضِـع الإشـارة، فـأزاح عنـه أغصـان الشُـجيرات والحشـائش، ولحـق بـه صاحبـه ليقفـا أمـام اللـوح المصنـوع مـن الفـولاذ، والـذي يُغطـي مدخـل الحُجـيرة الخرسـانية المدفونـة في الأرض.

تبـادلا نظـرة سريعـة ثـم نـزع الثـاني الحقيبـة المُعلقـة إلى ظهـره، وأخـرج مـن قلبهـا حاسـوبًا محمـولًا بحجـم راحـة اليـد، ألصقـه بالرتـاج الإلكـتروني الـذي يتوسَّـط أحـد أضـلاع الغطـاء الفـولاذي وضغـط أزراره بتتابـع مـدروس لتُضـئ شاشـته وتنهمـر عليهـا الأرقـام بسرعـة هائلـة.

دقائـق مـرَّت بـين رؤيـة مُضببـة تتغشـاها أنـوار أعمـدة الإنـارة عـن بُعـد كحـشرات ليليَّـة غامضـة، والصمـت المُشـوب بصريـر الريـاح المُثلجـة، حتـى تصاعـد أزيـز خافـت مـن الكمبيوتـر المحمـول أعقبتـه تكـة معدنيـة غليظـة مـن الرتـاج الإلكـتروني، أدار عـلى إثرهـا الرجـلان رأسـيهما فيـما حولهـما ليتأكـدا مـن خلـو المشـهد مـن أعـين المراقبـين، قبـل أن ينحنيـا ويسـتنفرا عضلاتهـما في إزاحـة الغطـاء الفـولاذي الثقيـل.

وبينـما يلتقطـان الأنفـاس، ألقـى صاحـب العدسـات الذكيَّـة نظـرة عـلى شـبكة خيـوط الليـزر المُتقاطعـة عـلى فتحـة مدخـل الحُجـيرة الخرسـانيَّة، ثـم أومـأ لزميلـه الـذي أخـرجَ مـن حقيبتـه مجموعـة مـن المُعِـدات، وَزَّعَ أربعـة منهـا عـلى أركان المدخَـل، ثُـمَّ أربعـة مرايـا عاكسـة لا يتجـاوز مُسـطَّح الواحـدة منهـا العشريـن سـنتيمترًا مُربعًـا، وزَّعهـا عـلى امتـدادات الأركان الأربعـة، ثُـمَ عـاد يضغـط أزرار الحاسـوب المحمـول، ثـوانٍ ثُـمَّ تلاشَـت خيـوط الليـزر مـن أمـام عينـي صاحـب العدسـات الذكيَّـة والـذي قـال لصاحبـه بلكنـة شـاميَّة واضحـة:

- تمام، معنا خَمس دقائق.

اسـتجاب لـه بـأن وثـبَ برشـاقة داخـل الحُجـيرة المُربعـة، المِنظـار المُرتكِـز عـلى قصبـة أنفـه أتـاح لـه الرؤيـة رغـم إظلام وحـدات الإضـاءة، أدار عينيـه في حِـزَم الكابـلات المصنوعـة مـن الفيـبر، والتـي تُشـكِّل العصـب الرئيـسي لشـبكة خطـوط الاتصـالات الأرضيَّـة الخاصـة بالقـوات المُسـلحة، اتجـه لنُقطـة مُعينـة بأحـد الكابـلات قادتـه إليهـا البيانـات المُنهَمِـرة عـلى عدسـة مِنظـاره.

اسـتخرج جهـازًا صغـيرًا ذا لمبـة دقيقـة مُضيئـة باللـون الأخـضر، وشرع في العمـل.

بالأعـلى، تعلقـت عينـا صاحـب العدسـات الذكية بأرقـام السـاعة الهولوجراميَّة التـي راحـت تتـوالى أمامـه بسرعـة مُقتربـة مـن نَصـل الصفـر، وقبـل بلوغهـا إيـاه بمـا لا يزيـد عـن الثـوان السـبع كان زميلـه يثِـب مـن قلـب الحُجَـيرة؛ لتسـتقر قدمـاه عـلى الأرض المُعشوشـبة.

انتظـرا حتـى انبعـث صفـير خافـت بعـد مـرور الثـواني السـبعة، عـادت عـلى إثـره خيـوط الليـزر غـير المرئيـة تتقاطـع عـلى مدخـل الحُجـيرة.

تعاونَـا عـلى إعـادة الغطـاء الثقيـل إلى موضعـه، ثـم تسـاءل حامـل الحقيبـة وهـو يلهـث مـن فـرط المجهـود:

- دي رقم (٠٥١).

- هي.

- فاضل أديش؟

- واحدة أخرى.

- هلا بَعيدة؟

نظـر صاحـب العدسـتين الذكيتـين إلى البيانـات الهولوجراميـة المُرتسِـمة في الفـراغ أمامـه، ثُـمَّ أشـار بسـبابته المُحاطـة بقُفـاز جلـدي جهـة الـشرق، وانبعـث البُخـار الأبيـض مـن بـين شـفتيه وهـو يجيـب:

- حوالي كيلومترين.

- الوَقت عم بيجري.

***

- سمعاني يا أمَل؟

سَـمِعَت الصـوت قادمًـا عـن بُعـد، مـن بـين نغـمات الصُّفَّـارة الخافتـة التـي تسـبح بنعومـة حولهـا في الأثـير، وتنزلـق داخـل صـواني أذنيها حتـى تبلُـغ عقلها، فتتخلـل ثنايـاه وتبعـث فيـه خـدرًا عجيبًـا، بالتزامـن مـع أشـكال هولوجراميَّـة مـن دوائـر وشرائـط وخيـوط متماوجـة، تتشـابك وتتباعـد بسلاسـة فائقـة.

- اسمِك أمل؟

نعم. هذا هو اسمي.

«أمـل محمـود إمـام الشـافعي»، ناجحـة وبتفـوق، مدرسـة عـلي بـن أبي طالـب، رائحـة والدهـا تفعـم أنفهـا؛ إذ تغـوص في حضنـه وتسـمعه يبـارك لهـا بصـوتٍ ملأتـه الفرحـة «مـبروك يـا أمُّـول». ولى كابـوس الثانويـة العامـة وأقبـل كابـوسُ جديـد، ترفـع عينيهـا إلى وجهـه، فترتَـد برأسـها للـوراء مصعوقـة، أنـتَ لسـتَ بابـا!

أنت أدهم!

الخَـدَر يـسري مـن رأسـها إلى أطرافهـا التـي ترتخـي وتتثاقـل إلى الشـيزلونج العجيـب الـذي يضـم جسـدها كـما لـو كان قـد صُنِـعَ خصيصًـا لاحتوائـه.

- أمل الشافعي؟

«زوجتُكَ مُوكلَتي، الآنسة أمل محمود عبد المُعِز الشافعي».

جالسـة إلى جـواره في فسـتانها الأبيـض، سـعيدة، هانئـة ... الـورود والبلالـين والشـموع والوجـوه الباسـمة تمـلأ القاعـة. «البِكـر الرشـيد» أبوهـا يـردد وراء المـأذون بابتسـامة وعـينٍ دامعـة. «عـلى سـنة اللـه ورسـوله». تُديـر عينيهـا إلى عريسـها. «وعـلى مذهـب الإمـام أبي حنيفـة النُعـمان» تُحِـدق غـير مُصدِقـة. «وعـلى الصـداق المُسـمى بيننـا» ... الوجـه. الملامـح. الابتسـامة الواثقـة! «عاجلـه وآجلـه» هـذا خطـأ! يبتسـم قائـلًا: «قبلـتُ زواجهـا» انتفضَـت واقفـة. «عـلى

كتاب الله وسنة رسوله» ليس أنت! ليس في هذا الزمن البعيد!.

الصوت يُكرِّر من بعيد:

- أمل؟

ترغب في تجاهله، تحديه، رفض سؤاله، ولكن إرادتها تذوب، لا تدري أمِنَ الفانتازيا البصريَّة البديعة الدائرة أمام عينيها المأخوذتين، أم من النغمة الهادئة التي خَدَّرَت كيانها، أم مِنَ المادة المجهولة التي حُقِنَت بها قُبيل لحظات؟!

أم هي أرجوحة الذكريات التي يدور فيها رأسها بسرعة جنونية؟!

- رُدي على سؤالي.

جسدها يغوص في رمالٍ مُتحركة، حاولَت التشبُّث بأي شيء، لكن الخدَر طال أصابعها، رفعت عينيها، رأت سيلويت جسده منتصبًا بثبات عن بُعد، ومن حوله الميدان يحترق والمتظاهرين تحولوا لأكوام من الجثث المتفحمة والمثقوبة.

ترنح رأسها يُمنةً ويسرة، ثُمَّ هوى على صدرها.

- سمعاني؟

مرَّت لحظة، ثُمَّ أومأت ببطء.

ومن وراء الحاجز الزجاجي، نظر لها أدهم حيث تمدَّدَت على ذلك المقعد الذي يتوسط القاعة مُعتِمة الإضاءة، وقَد استلب التنويم المغناطيسي وعيها.

أدار عينيه إلى الدكتور أنس الزُهيري الجالس وسط الأجهزة والشاشات الهولوجراميَّة التي تنقل إشاراتها الحيوية والكهربية، وكل خلجة تنقلها الأقطاب المُثبتة إلى رأسها وجسدها، ابتسم له الدكتور أنس بثقة وهو يومئ برأسه، ثم عاد إلى أجهزته، قال بهدوء:

- أمل، إنتي عارفة إنتي فين دلوقتي؟

هَوَّمَ رأسها ذات اليمين وذات الشمال.

- إنتي في شقة الغردقة، شايفاها أودامِك؟

ببطء بدأت تنكشف الرؤية من وراء جفنيها المُسبَلَين عن جدران الشقة البيضاء. الريسبشَن، الجدار الزجاجي المُطِل على الشُّرفة، الرُّدهة المؤدِية إلى غُرَف النوم.

- شايفاها؟

غمغمَت:

- شايفاها.

- عظيم، فيه حَد واقف أودامِك، شايفاه؟

مع آخر حروفه، رأت الظل يقف بثبات مواجهًا إياها عن كَثَب.

أومأت برأسها، فتابع الدكتور أنس:

- البطاريَّة اللي هِربت من مزرعة أبو رواش، وانتى خطفتيها من المُستشفى من أكتر من سنة.

الظل يكتسب بُعدًا ثالثًا وتنسحب الظُّلمة عن جسده الدقيق ووجهه المُغطى بالمنظار الداكن.

- هو كان اسمه إيه؟

أجابت بخفوت:

- رفعت.

تبادل الدكتور أنس النظر مع أدهم الذي ظل وجهه مُصمتًا، ثم عاد إلى أمل متسائلًا:

- دا اسمه الحقيقي؟

هزَّت رأسها نافية.

ضَيَّق أدهم حدقتيه مُفكرًا قبل أن يَفتُر ثغره عن بسمة فَهم خافتة وهو يُغمغِم:

- رفعت إسماعيل.

التفت له الدكتور أنس بعينين مُتسائلتين، فأومأ له أدهم ليتابع.

- رفعت في خطر يا أمل.

قَطبَت.

- Egy- Nergy وصلِت لمخبأكم دا، وفي خلال دقايق هَيكونوا عندكُم.

ظهرت علامات توترُ عنيف على ملامحها المُرتخية.

- عايـزِك حـالًا دلوقتـي تقـولي لرفعـت عـلى تفاصيـل plan B عشـان يتحـرك قبـل وصـول عُمـلاء الشركـة.

تقلصَت عضلات وجهها في مُعاناة واضحة.

- ***Plan B* يا أمل.**

التقلص يسري بسرعة لكامل جسدها، مع تردد صدى الصوت في عقلها.

«*Plan B* يا أمل».

تنتفض، تكز على أسنانها، تنفر عروق رقبتها.

بـدأ القلـق يطفـو عـلى ملامـح أدهـم الصخريـة وهـو يرمـق انتفاضاتهـا المتتاليـة.

تسـاءل عَـمَّ يحـدُث فأجابـه الدكتـور أنـس بصـوتٍ خفيـض وهـو يرمـق التغـيرات الصاخبـة في مؤشراتهـا الحيويـة عـلى الشاشـات الهولوجراميَّـة:

- آليات دفاعية مغروسة في عقلها لمنعها من إفشاء الأسرار.

ورفع عقيرته قائلًا:

- سـامعة الصـوت دا يـا أمـل؟ دا هَديـر مـراوح الطوَّافـات، الطوَّافـات الـلي جايـة تاخُدكـم لمـزارع Egy-Nergy. عارفـة ليـه؟

وجهها المُحتقِن يكاد ينفجر بالدم.

- عشان يستخرجوا طاقتكم الحيويَّة، هَتموتوا يا أمل جوا الماكينات.

تَلوَّت بعنف أكبر، القيود تنغرس في معصميها وساقيها.

- مفيش وَقت يا أمل، لازم تبدأوا Plan B حالًا.

«*Plan B*».

الصدى يـتردد، يشـق طريقـه بـين تلافيـف مُخهـا، يقـترب مـن بُقعـة حصينـة مُظلمـة، فيجاوبـه مـن داخلهـا صـدًى مماثـل بصـوتٍ آخـر.

«*Plan B*

هَدَأ التشنج وبدأت عضلاتها المَشدودة في الارتخاء.

«كلمة السِّر هي *plan B*»

نقـل الدكتـور أنـس عينيـه بحـيرة بينهـا وقـد توقفـت عـن التشـنُّج، وبـين الشاشـات التـي تنقـل مؤشراتهـا الحيويـة الآخـذة في الانتظـام، سـأله أدهـم:

- إيه اللي بيحصل؟

لم يُجِبه الدكتور أنس الذي مال نحو مُكبِّر الصوت مُناديًا برفق:

- أمل.

انفرجَت شفتاها.

- سَمعاني؟

- أربعة.

غـادرت الكلمـة حلقهـا بصـوتٍ خفيـض لا يـكاد يُسـمَع لـولا نظـام الصـوت الـذكي الـذي التقـط الكلمـة ونقلهـا بصـوتٍ أعـلى للجالسَـينِ وراء الحاجـز الزجاجـي، ورغـم ذلـك قـال الدكتـور أنَـس:

- بتقولي إيه يا أمل؟

- تِسعة.

- تِسعة؟!!

- زيرو.

تبـادل الرجـلان النظـرات مـرةً أخـرى، قبـل أن يهِـز الدكتـور أنـس رأسـه إيمـاءً لحيرته.

- اتنين، خمسة، واحد، ... ...

قال الدكتور أنس:

- إيه الأرقام دي يا أمل؟

- زيرو، واحد، زيرو، سبعة، تلاتة، واحد، ... ...

الأرقام تنزلق من بين شفتيها بسرعة مُتزايدة.

- أربعة، تمانية، زيرو، تلاتة، تسعة، اتنين، زيرو، واحد، سبعة، اتنين، ......

أطبقَ الدكتور أنس شفتيه هذه المرة، فسأله أدهم مُجددًا عَمَّ هُنالِك.

- خمسـة، خمسـة، زيـرو، تلاتـة، تسـعة، اتنـين، سـتة، واحـد، خمسـة،

أربعــة،... ...

أجاب الدكتور أنس ببطء:

- التنويـم المغناطيـسي اسـتطاع جزئيًّـا انـه يخـترق الدفاعـات العقليَّـة، وقِـدِر يقنـع عقلهـا (مُشـيرًا بكفـه تجـاه جسـد أمـل) انـه يفـرِج عـن المعلومـات المطلوبـة.

- والأرقام دي ...

- غالبًا هي الداتا اللي احنا بندوَّر عليها، بس مُشفرة رقميًّا.

كانـت الأرقـام الآن تتـوالى بسرعـة كبـيرة وبحـروف آخـذة في التداخـل تعـذرَ معهـما تمييزهـا، فقـال أنـس:

- السيشَـن كلهـا مِتسـجِلة صـوت وصـورة، فهَنِحتـاج برنامـج مُتخصِّـص يحلـل ويفُـك الشـفرة الرقميَّـة.

قال أدهم بهدوء:

- اعتبر عملية التحليل والتفكيك بدأت already.

اسـتقبلت وحـدات (س-١٨) الكلـمات، وفي نفـس الجـزء مـن الثانيـة تقريبًـا مررتهـا إلى وحـدة الـذكاء الاصطناعـي التي قامـت بتحليلهـا وتفنيدهـا ومُقارنتها بمـا قبلهـا ومـا بعدهـا، واسـتخرجَت الأمـر الـذي حملتـه ضِمنيًّـا بإجـراء سلسـلة مـن العمليـات التتابعيـة عـلى الأرقـام التـي تنسـاب مـن بـين شـفتي صاحبـة البصمـة الحيويَّـة المُسـجلة باسـم أمـل الشـافعي.

اسـتغرقت عمليـة تحليـل واسـتخراج الأمـر ثلاثـة أجـزاء أخـرى مـن الثانيـة، بـدأ بعدهـا إجـراء ملايـين التباديـل والتوافيـق بالتـوازي بـين الأرقـام التـي تـم تخزينهـا والأرقـام الجديـدة التـي تتدفـق بسرعـة كل ثانيـة.

***

-٤٧-

سِـت سـاعات هُــم زمــن ورديَّــة مُجنَّــد حَـرَس الســواحل الشــاب محمــد هــلال السـيوي ذي الثلاثــة وعشريــن عامًــا، يقضيهــا في مقصــورة بُــرج المُراقبــة بإحـدى النقـاط المُوَزعـة عـلى السـاحل الشـمالي لبارادايـس هايتـس، بـين المسـح البـصري للمُتـاح أمامـه مـن صفحـة البحـر المتوسـط، ومُراجعـة صُـوَر الأقـمار الصناعيــة، هاتــين العمليتــيَّن المُملتــين اللتــين تــصر القيــادة عــلى إســنادهما للعنـصر البـشري، رغـم أن الحواسـيب والأقـمار الصناعيـة قـادرة عـلى أدائهـا بكفـاءة مُنقطعـة النظـير بزعـم أنَّ «الآلات يمكـن التشـويش عليهـا وخداعهـا، لكـن العنـصر البـشري مـش ممكـن التشـويش عليـه».

أصــلًا لا يــكاد يوجــد خطــر حقيقــي يســتدعي القلــق في ظــل ســنوات الاسـتقرار التـي تفتـح وعيـه عليهـا، لكـن الواجـب هـو الواجـب، والتقصـير –لـو انكشــف- حســابه عســير.

مهمتــان ســخيفتان يســتعين الشــاب عــلى ثِقَــل ســاعاتهما السِّــتة بالتدخـين وبتأمُـل الأزرق العظيـم نهـارًا أو تشـكيلات النجـوم التـي تُرصِّـع السـماء المُظلِمة ليـلًا، مـرة أو مرتـين جلـب معـه مجـلات ورقيـة مُنقرضـة حصـلَ عليهـا مـن سـندرة جـده، وقـضى أوقاتًـا لا بـأس بهـا في تصفحهـا، غـير أن تصاعُـد الأعـمال الإرهابيَّـة بطـول البـلاد وعرضهـا في الشـهور الأخـيرة دفـع بالقيـادات لإعـلان الطــوارئ، ورفــع درجــة التأهُــب للحالــة (ج)، وانعكــس هــذا عــلى واجباتــه التــي أُضيِـفَ إليهـا سِـتة تقاريـر دوريَّـة يقدمهـا في الورديَّـة الواحـدة بمُعـدَّل تقريـر كل سـاعة –بـدلًا مـن تقريـر واحـد في نهايـة الورديَّـة- يشـمل نتائـج رادارات الأقـمار الصناعيَّـة ومُقارنتهـا بالمَسـح البـصري المُبـاشر، الأمـر الـذي لم يَـدع لـه فرصـة لالتقـاط الأنفـاس خـلال زمـن الورديَّـة فضلًـا عـن الترويـح عـن النفــس بهــذه الطريقــة أو بتِلــك.

في تلــك الليلــة البــاردة حجبــت الغيــوم الغليظــة أشــعة القمــر والنجــوم،

فأظلم المشهَد بالكامل خارج مقصورة بُرج المراقبة إلا من الإشارات الضوئية المُنبعثة عن بُعد من على خَط الحدود البَحريَّة.

انتهى المُجنَد الشاب من مُراجعة الصور التي تبثها رادارات الأقمار الصناعية بثًّا مُباشرًا، والتي لم يَر بها ما يُثير الريبة، ثم ارتدى سترته الواقية من المطر، رفعَ سوستتها وأحكم غطاءها حول رأسه، وَضَعَ مِنظار الرؤية الليليَّة على عينيه قبل أن يغادر المقصورة إلى الأفريز الخارجي الذي لا يتجاوز عرضه الخمسين سنتيمترًا.

رغم الثياب الثقيلة صفعته الرياح الباردة ورذاذ المطر الذي بدأ يتساقط على استحياء، مَس بسبابته المُحاطة بقفاز جلدي زرًّا دقيقًا بجانب المِنظار، فبدأت شريحته في تسجيل المسح البصري.

بدأ وِفقًا للبروتوكول من الشرق، عليه أن يدور برأسه ببطء لمئة وثمانين درجة صانعًا نصف دائرة حتى يصل لأقصى الغرب، تستغرق العملية دقائق قليلة يعود بعدها إلى المقصورة الدافئة، فينزع شريحة المنظار ويقوم بتوصيلها بالكمبيوتر، وإنزال تسجيل المسح البصري توطئةً لإرفاقه بالتقرير الدوري مع صور الأقمار الصناعيَّة.

قبل الوصول للزاوية الخامسة والأربعين توقف رأسه عن الدوران، وللحظة تجمد جسده كله، حتى أنفاسه التي تغادر أنفه في صورة أبخرة بيضاء، استخدَمَ الزووم في تقريب المشهد، فرأى بوضوح ذلك الزورق الذي يَشُق الأمواج على بُعد ما يقرب من ميلين في خَطٍّ مُستقيم من الشمال للجنوب باتجاه بارادايس هايتس، مزيدُ من الزووم فتبيَّن له المدفعين المُثبتين على سطح الزورق.

سرَت رعدة في جسده، تضاعفت عندما استكمل مسحه فتبيَّن له أنه ليس زورقًا واحدًا، بل عشرات الزوارق!

قفز السؤال مُباشرةً إلى ذهنه المصدوم: كيف لم تظهر هذه الزوارق في صُوَر الأقمار الصناعيَّة؟!

هَرعَ محمومًا إلى شاشة الكمبيوتر لدرجة نسى إغلاق باب المقصورة

وراءه، فاجتـاح قلبهـا الدافـئ رذاذ المطـر والهـواء البـارد، جَـرَت أصابعـه عـلى المفاتيـح، وحـدَّق غـير فاهـم في الصُّـوَر المُرتسـمة عـلى الشاشـة الهولوجراميَّـة، والتـي لم يَبـدُ عليهـا أي مـن عـشرات الـزوارق التـي رصدهـا بعينـه رصـدًا مُبـاشرًا.

«الآلات يمكن التشويش عليها وخداعها بوسائل تكنولوجية كتيرة».

دَسَّ شريحـة المنظـار في موضعهـا المُخصـص بلوحـة الكمبيوتـر وأرسـل الفيديو الـذي التقطتـه في بريـد رسـمي لأكـثر مـن مسـتوى مـن مسـتويات القيـادة، ثُـمَّ وَثبَـت أصابعـه إلى جهـاز الاتصـال وضغطـت الأزرار في محاولـة للاتصـال بقيـادة الكتيبـة فجاوبتـه شـوشرة اسـتاتيكيَّة قويَّة.

عـاد إلى شاشـة الكمبيوتـر، فهـوى قلبـه بـين قدميـه عندمـا وجـد رسـالة تُنبئـه بتعـذر إرسـال رسـالته الألكترونيَّـة في الوقـت الراهـن.

أعـاد منظـار الرؤيـة الليليَّـة إلى عينيـه وعـاود النظـر إلى الـزوارق التـي تقـترب حثيثًـا، أيـن الـرادارات؟! أيـن الأقـمار؟! أيـن أدوات الرَّصـد؟! كيـف أمكَـن خداعهـا؟!

«لكن العنصر البشري مش ممكن التشويش عليه».

قفز إلى الهاتف الأرضي، ضغط بهيستيريا على أزراره، وحبس أنفاسه ترقُبًا.

الهاتـف الأرضي هـو الخيـار الاحـترازي التـالي في منظومـة الاتصـال المُطبقـة بالجيـش حـال حـدوث شـوشرة تمنـع الاتصـالات اللاسـلكيَّة، أو عُطـل بشـبكة الإنترنِـت الخاصـة بالقـوات المُسلحة، سـواء أكانـت الشـوشرة أو الأعطـال فنيَّـة أو نتيجـة لأعـمال عدائيَّـة، تمتَـد كابـلات الفيـبر التـي تربـط شـبكة الاتصـالات الأرضيـة في أنابيـب مُخصصـة مدفونـة عـلى عُمـق مُناسـب، وتتقاطـع وتتغـير مسـاراتها داخـل حُجـيرات خرسـانيَّة تحـت أرضيَّـة مُوَزعـة وفقًـا لخرائـط الشـبكة، ومُؤَمَّنـة بالليـزر وبالأقفـال الإلكترونيَّـة.

ومـع آخـر رقـم ضغطتـهُ سـبابة المُجنَـد الشـاب محمـد هـلال السـيوي عـلى أزرار الهاتـف الأرضي، اشـتعلَت عـلى بُعـد مئـات الأمتـار شاشـة الجهـاز الصغـير المُثبَـت بإحـدى نقـاط تقاطـع كابـلات الفيـبر بالحُجيرة رقـم (٠٥١) وأضـاءت

اللمبـة الحمـراء الدقيقـة عـلى قمتـه.

دَقَّ قلـب الشـاب بـشيء مـن الارتيـاح لمـا سَـمِعَ صـوت الرنـين المُمَيـز المُعلِـن عـن نجـاح إجـراء الاتصـال مـع الطـرف الآخـر، ثُـم لم يلبـث أن صـاح بمُحدثـه بمجـرد أن اسـتجاب:

- محمود، شايف الزوارق؟

ارتسـم خـط مُتكسِّر ذو انحنـاءات عـلى شاشـة الجهـاز المُثبَـت بالكابـلات الفيـبر بالحُجـيرة (٠٥١)، وراحـت هـذه الانحنـاءات تتذبـذَب، ومـع ذبذبتهـا، سَـمِعَ محمـد هـلال السـيوي الواقـف بمقصـورة نقطـة المُراقبـة صـوت زميلـه في نقطـة المُراقبـة التاليـة لـه يقـول بهـدوء:

- شايفها آه.

غمرتـه الدهشـة، لا لمجـرد وجـود رنَّـة عجيبـة غـير مألوفـة في صـوت زميلـه، ولكـن لـرد الفعـل الهـادئ أمـام اشـتباه في عمـل عسـكري مُعـاد، فتـح فمـه ليتكلـم قبـل أن يُعاجلـه الزميـل:

- دي المُناورة البحريَّة (نسر ٧). التعليمات ماوصلتَكش؟!

غالب المُجنَّد الشاب دهشته قائلًا بتوتُر:

- كل الاتصالات عندي مقطوعة.

تراقصـت الانحنـاءات عـلى شاشـة الجهـاز المُثبَّـت بالكابـلات الفيـبر بالحُجـيرة (٠٥١)، وسَرَت منـه سلسـلة مـن النبضـات عـبر الكابـلات بَلَغَـت –في جـزء مـن الثانيـة- سـماعة التليفـون الأرضي المُسـتقرة في راحـة المُجنَّـد الشـاب، فسَـمِعَ صـوت زميلـه مُشـوبًا بتلـك الرنَّـة المعدنيَّـة العجيبـة:

- قطـع الاتصـالات دا جـزء مـن المنـاورة، التعليـمات وصلـت لـكل النقـاط والوحـدات عـلى الإيميـل النهـاردة الصُّبـح، إنـت كُنـت نايـم ولـلا إيـه؟!

هـوى السـؤال كصفعـة عـلى وجهـه، ورغـم ثقتـه في يقظتـه –خـلال الأيـام الأخـيرة عـلى الأقـل- إلا أن احتـمال وقوعـه ضحيـة خطـأ مـا انتصـب قائمًـا أمامـه في لحظـة، وتخايلـت لـه سلسـلة الإجـراءات العقابيـة التـي تنتظـره لمجـرد الاشـتباه في إهمالـه، ردد بفـمٍ جَـفَّ لعابـه:

- لا خالص والله، بس الـ ...

قاطعه صوت زميله:

- ما بَسِش! إنت حاولت تتصل بقيادة الكتيبة؟

- (بارتبـاك): لاسـلكي وشـبكة ومانفِعـش، فقولـت اكلِمَـك قبـل مـا اجـرب الأرضي.

- أحسـن حاجـة عملتهـا عشـان التعليـمات بتحظـر اسـتعمال الأرضي، باعتبـار ان جـزء مـن المنـاورة هـو قطـع كابـلات الفيـبر، ولـو كُنـت حاولـت تتصـل بالقيـادة كنـت هَتكشـف نفسـك انـك معندَكـش علـم بالتعليـمات.

- أنا فعلًا ماوصلتنيش أي إيميلات!

- هـلال! انـتَ عـارف القيـادة بتتعامـل إزاي! هَتتعاقـب الأول وبعديـن إبقـى اثبِـت ان الغلـط الـلي حصـل مـش مسـئوليتَك.

صمـت الشـاب للحظـات أدار خلالهـا رأسـه ليرمـق الـزوارق الدانيـة مـن السـاحل وغمغـم:

- يعني انا أعمل إيه؟!

حَمِلَت كابلات الفيبر القادمة من الحُجيرة (٠٥١) إجابة الصوت المعدني:

- ولا حاجة. صَمت سلكي ولاسلكي تام، مِش مطلوب مِنَّك غير كدا.

***

- أمل ...

اخـترق صوتـه الهـادئ الحـازم أذنيهـا ووعيهـا، رَفَعَـت رأسـها وأدارتهـا في القاعـة الخاويـة مـن حولهـا إلا مـن مِقعَـد خـال مقابـل لمقعدهـا، وشاشـة هولوجراميَّـة مُضيئـة.

- إنتي المفروض كدا سَمعاني كويِس.

حرّكَـت أطرافهـا فاسـتجابت لهـا، اعتدلَـت في جلسـتها إلى ذلـك المِقعَـد الوثـير في وَسَـط القاعـة شـاعرة بالحيويَّـة تـسري في جسـدها.

- إيه الأرقام دي؟

تـردد سـؤاله عـبر سـمَّاعات النظـام الصـوتي، نظـرَت بِحـيرة إلى الشاشـة الهولوجراميَّـة التـي انتظمَـت عليهـا مصفوفـة مكونـة مـن آلاف/ ملايـين الأرقام.

لحظات ثُمَّ هزت رأسها قائلة باقتضاب:

- ماعرفش.

قال:

- الأرقام دي كانت مُختزنة في عقلِك، وخرجِت خلال التنويم المغناطيسي.

ضيَّقَـت حدقتيهـا وهـي تحـاول تمييـز مـا تـراه عـلى الشاشـة المُكتظـة بالأرقـام، بينـما الصـوت يُتابـع:

- إيـه معلوماتِـك عـن الأرقـام دي؟ مـين زرعهـا في عقلِـك؟ وترجمِتهـا إيـه؟ وليـه خرجِـت دلوقتـي؟

ظلَّـت صامتـة لبُرهـة وكأنمـا تُديـر أسـئلته في عقلهـا، وبَـدَت عـلى ملامحهـا حـيرة حقيقيَّـة قبـل أن تهـز رأسـها وتُكـرر:

- ماعرفش.

وداخـل الحُجـرة المجـاورة التـي يفصلهـا عـن القاعـة حاجـزٌ زجاجـيٌّ مُعتِـم، أدار الدكتـور أنـس الزهـيري رأسـه إلى أدهـم/ آدم المـصري قائـلًا:

- نيجاتيف يا مستر آدم.

قالهـا بينـما أصابعـه تُشـير إلى المـؤشرات الحيويـة عـلى الشاشـات الهولوجراميَّـة، والتـي تنقلهـا مجسـات وأقطـاب كشـف الكـذب المغروسـة في عـدة مواضـع مـن جمجمـة أمـل.

- هي فعلًا مِش عارفة حاجة.

قطَبَ أدهم مُفكرًا للحظات قبل أن ينظر له قائلًا بهدوء:

- شكرًا يا دكتور أنس.

وغـادر بخطـوات واسـعة إلى القاعـة المجـاورة ليقـف مُنتصِـب القامـة عاقـدًا كفيـه خلـف ظهـره أمـام أمـل التـي بادلتـه النظـر بثبـات، ثـم أومـأ برأسـه إيمـاءة خفيفـة تجـاه الشاشـة الهولوجراميَّـة قائـلًا بهـدوء:

- (س-١٨) بيحِلل الأرقام.

جاهدَت لتدفع بابتسامة ساخرة إلى شفتيها وهي تقول:

- بالتوفيق.

لَم يُبال بسخريتها وتابع:

- وإن كُنت أزعُم انى عندي فكرة عن مضمونها.

- برافو!

حَـل كفيَّـه وجلـس إلى المقعـد المقابـل، وضـعَ سـاقًا عـلى سـاق وأشـعل سـيجارًا جديـدًا وهـو يقـول:

- إنتي مُتخيلة انى مش متوقِّع وصولهُم بين لحظة والتانية؟

تجمدت ابتسامتها على شفتيها وتساءلت بصِدق:

- تقصد مين؟

نَفَثَ الدخان ببطء من بين شفتيه وقال:

- أصدقائك.

وعبرت ابتسامة سريعة عينيه وهو يستطرِد:

- أومال انا جايبِك هنا ليه؟!

صمتت مُفكرة للحظات قبل أن تنقبض ملامحها وهي تردد:

- طُعم؟!

أومأ أدهم موافقًا من دون أن تفلت عيناه ما تَوَالى على وجهها من ردود الأفعال على كلماته، مرَّت دقيقة من صمتٍ ثقيل مشحون، قطعته هي قائلة:

- مفكرتِش فـ ابنَك المخطوف من سنين؟

قطب ناظرًا لها بتساؤل صامت، فتابعت:

- مفكرتِش إنه ممكن يكون واحد من ضحاياك؟

لم يجب على الفور، حافظ على جمود ملامحه للحظات سحب خلالها نفسًا طويلًا توهج له طرف السيجار بين شفتيه، ثُمَّ دفع الدخان الأبيض ببطء، وقال بتؤدة:

- فكرت طبعًا.

- (بدهشة): ورغم كدا ... !

قاطعها:

- الطريق اللي قطعته بلا رجعة.

هَمَّت بقول شيء ما غير أنَّ أزيزًا مُتصلًا انبعث بغتة، التقى له حاجبا أدهَم، فرفعَ طرف سبابته إلى السماعة الدقيقة المُستقرة داخل أذنه، وأطرق مُنصِتًا، قبل أن يرفع رأسه إلى الشاشة الهولوجرامية الجديدة التي انبعثَت إلى جوار شاشة الأرقام.

قال وهو يُحدِّق بعينين لامعتين:

- مش قولتلِك؟

أدارت أمل عينيها إلى الهولوجرام الجديد، والذي ينقل ما تلتقطه واحدة من كاميرات المراقبة المُثبتة إلى الأسوار الأمامية لمقر الشركة، وخفق قلبها لمرأى الجسد الضئيل الذي يسير بتؤدة في وسط الطريق الأسفلتي المؤدي مُباشرةً إلى بوابة المدخل الرئيسي الذي يتوسط الأسوار.

- السنارة غمَزِت.

ومع كلماته، انقسمت الشاشة أمامها لنصفين، فتضاعف خفقان قلبها لما

رأت وجـه رفعَـت مُكـبرًا عـلى جانـب الهولوجـرام الأيمـن، وقـد أخفـى منظـاره الداكـن أغلـب ملامـح وجهـه دقيـق العظـام.

***

-٤٩-

أضاءت لمبة حمراء في الجدار، وإثر ذلك بدأ الكمبيوتر عدًّا تنازليًّا.

تساءل الكابتن خالد من مقعده بالمُقدِّمة أمام لوحة الأزرار والمفاتيح:

- جاهز؟

التقط زين نفسًا عميقًا وقال:

- جاهز.

رغم كل التجهيزات، كان كل ما يُحيط به يرتج من على هذا الارتفاع الشاهق، مال بطرف عينه من وراء الخوذة ليلقي نظرة عبر الكوة الزجاجيَّة، فلم يَجِد إلا العَدَم.

انقبضَ قلبه عندما تخيل أنه بعد ثوان سيغوص في قلب هذا العَدَم، ليس العَدَم بالضبط، هذا هو الأيونوسفير، ذرات الأكسجين الثلاثيَّة التي تتحِد لتكوِّن جزيئات الأوزون.

قال الكابتن خالد:

- دي أول مرة، انا عارف.

بالفعل هي كذلك، ويعلم جيدًا أنَّ الأجهزة ستُدير العملية كلها وبنسبة خطأ صفر٪ حتى ارتفاع مُعيَّن آمن، وبعدها ينتقل التحكُم إليه.

العَد التنازُلي مُستمِر.

«الخِطة ستعتمِد على ثلاثتكم اعتمادًا رئيسيًّا، سأكون صريحًا معكم،أنتم لستُم من المؤمنين بأهداف ثورتنا، لستُم مِثلي ومِثل أمل، وفي نفس الوقت لستُم من الميليشيات التي شاركت أنت يا زين في تدريبها لمُدة عام كامل من أجل اجتياح مزارع *Egy- Nergy*، أنتم معنا، في خندقنا، لأسباب شخصيَّة بحتة، ولعل هذا هو سر ثقتي الشديدة بِكم؛ لأنَّ المسألة شخصيَّة».

تسلل صوت الديك الرومي إلى أذنه:

- نبضَك مُرتفِع يا زين، أنتَ خائف.

صوته القادم من مكانه البعيد المجهول عبر سماعات الخوذة ينخسه، اللعنة أيها الديك الرومي! أعلم أنَّ هذه البذة تنقِل إليكَ نبضي، وضغط دمي، وإشارات مُخي، وكل شاردة وواردة من إشاراتي الحيويَّة، لا داعي لتذكرني بأنك تراني عاريًا في هذه اللحظات.

تتداعى ذكريات الساعات الماضية أمامه.

«الكابتن خالد له حِساب مع *Egy- Nergy* التي أكلت لحمه، وألقت عِظامه على قارعة الطريق، وله أيضًا حساب مليوني ببنوك الخارج يكفي لتأمين مُستقبل أبنائه وأحفاده هو أجره عن دوره في ثورتنا؛ لذا فهو يرغب في الانتهاء من عمله والانتقام مِمَّن أذلوه ليلحق بعدها بعائلته التي تنتظره بالخارج».

سَمِعَ زين صوت نظيم يخاطبه عَبر سماعات الخوذة:

- حاول أن تتمالك أعصابك بشكل أفضل.

من السهل أن تنصحني من موقعَك الآمن على الأرض أيها الوغد، تعال لتقفز من سقف العالم ثم حَدثني عن الشجاعة.

- (ضاحكًا): إشارات مُخَك تفضح عدائيَّتَك يا فتى.

«رفعَت له ثأر شخصي مع من انتزعوا عينيه وعذبوه وعذبوا الملايين من أمثاله».

- أخبرتُك أن كمبيوتر بذتَك سيقوم بكل شيء، وسيُوفِّر لك هبوطًا آمنًا، تذكر هذا، وتذكر أيضًا أن حياة أمل رَهن ثبات أعصابك.

«أما زين، فأعتقد أنَّ علاقته الوثيقة بـ أمل حافزًا يدفعه لعبور الجحيم ذاته من أجلها، أليس كذلك عزيزى زين؟».

وعبوره زحفًا لو تطلَّبَ الأمر أيُها الديك الرومي.

رفع عينيه إلى اللمبة الحمراء التي لم تنفك تومِض، وتنهَد.

العَد التنازُلي يقترب من نهايته.

أدار الكابتن خالد رأسه إليه، رمقه من وراء خوذته ثم قال:

- الاتصال بينا هَينقطِع بمجرَّد خروجَك.

قال زين باقتضاب:

- عارف.

صَمَـتَ الكابـتن خالـد للحظـة قبـل أن يقـول بصـوت بـدَت نبرتـه أبويَّـة عجيبـة لتلميـذه:

- خَلي بالك كويِس.

نظر له زين، واكتفى بهَزة من رأسه.

خمسة.

أربعة.

التقـط نفسًـا طويـلًا وعـاد بعينيـه صَـوبَ البـاب المُغلَـق الـذي تفصلـه عنـه أمتـار قليلـة.

ثلاثة.

تكوَّرَت قبضته وتحفزت عضلاته.

اثنان.

ثنى ركبتيه، ومال بجذعه للأمام قليلًا.

واحد.

اللمبة الحمراء تحولَّت للَّون الأخضر.

انتزع جسده من مكانه وركض بلا تردد نحو الباب المُغلَق.

صفر.

أزيزٌ عالٍ، ثُمَّ انزاح الباب بغتة قبل أن يبلغه زين بمترٍ واحد.

صـوت فرقعـة مُدوِّيـة، الهـواء المجنـون يقتحِـم بهيـاج، الجـدران تهتـز وتـكاد تتفـكك، وفـرق الضغـط يقـذف بــ زيـن خارجًـا كطلقـة الرصـاص.

«المُهِمة خطيرة، عالية الخطورة بالفعل، لكن الخُطة مُحكمة كذلك».

لم يَـر الطوافـة مـن ورائـه وهـي تميـل بزاويـة حـادة ليبتلعهـا الظـلام خـلال ثانيتـين.

عـلى هـذا الارتفـاع الشـاهق الـذي يمكـن وصفـه بــ «سـقف العـالم»، تلاعبـت

العواصف المجنونة بجسده الضئيل كما يلهو طفلٌ شرِس عملاق بحشرة.

هو بكُل قوته، تدريباته، كيانه، ذكرياته، شيء ضئيل تحت رحمة قوى الطبيعة وفي مملكتها المَهيبة، تتقاذفه فيما بينها بمرح وجودي مُرعِب.

بيانات الطقس والضغط والحرارة والموقع والارتفاع والاتجاه تنهمر كالشلالات أمام عينيه على شاشة الخوذة، تتبدل كل جزء من الثانية، ولكنَّه لم يَكُ في حالٍ يسمح له بتمييز أي شيء.

الهَلَع جمَّدَ فؤاده وشَلَّ عقله، بينما جسده ينقلب رأسًا على عَقِب لحظة بلحظة، لا يوجَد أعلى ولا أسفل ولا يمين ولا يسار، ظلام ظلام ظلام، يسمع صوت نظيم، الديك الرومي، يخاطبه عَبرَ سماعة الخوذة من دون أن يَعي شيئًا من كلامه، يلمح أثناء الشقلبة سجادة هائلة من الغيوم الرمادية تفترش من أسفله -الَّذي صار أعلاه في الثانية التالية- على مرمى البصر.

«وكل شيء محسوب بدقة، ابتداءً من تِلكَ البَذة المُصمَّمة خصيصًا لمثل قفزتَك يا زين».

يهوي أكثر وأكثر، رأسه يدور بشدة.

صوت نظيم يتشوَش.

السُّحب الرماديَّة تقترب بسرعة مُذهلة، يغوص فيها بقوة، تُظلِم الدنيا أكثر فأكثر.

التشويش يزداد، يطغي على صوت نظيم ويطمس حروفه.

«(س-١٨) يمُارس تشويشًا إلكترونيًّا قويًّا يغطي دائرة قطرها كيلومترات حول مقر *Egy- Nergy* تنقطع فيها جميع أنواع الاتصالات».

فجأة وجد نفسه واقفًا في طَرف الممر المُظلِم إياه.

الضوء يشِع من وراء الباب الموارب في نهايته.

الفراغ مُعَبَّق بضباب خفيف ينبعث من اللامكان.

أمل أمامه مُلقاة على الأرض في منتصف الممر، يسمع صوت أنينها، الأصابع القوية مُلتفة حول خصلاتها الفضيَّة، تجذبها بعنف، تجرجرها

على أرضية الممر باتجاه الباب المُوَارِب.

رفع رأسه، جاهد ليخترق حُجب الظلام المُضَبَّبة ببصره، خَفَقَ قلبه عندما مَيَّزَ قامته الفارعة المُنتصِبة، مينوتور مفتول العضلات لم يفلح الظلام الذي طَمَسَ خلقته في حَجب قرنيه الهائلين، أنفاسه ثقيلة أقرب لخوار ثور غاضب، وثمة بُخار أبيض يغادر منخاره مع كل نَفَس.

أمل تصرخ، تستغيث به.

انتزع نفسه بصعوبة، وجاهدَ كي يندفع ليحررها، غير أن المَسخ رفع إليه عينين حمراوين، ثم طَوَّحَ ذراعه المفتول، فشَقَّ الهواء طرف السوط الذي يقبض عليه، وشعر زين بلسان من نار يرتطم بضلوعه ويقذفه إلى الوراء.

حاول النهوض من سقطته ليكتشف أن أطرافه مُلتصقة بالأرض، عاجزةٌ عن الإتيان بأي حركة.

صرخات أمل تمزقه، عافر، بكى، صرخ، رأى نظيم واقفًا قبالته في بذلة أنيقة، وقد عقد كفيه خلف ظهره، سمعه يقول بصوتٍ عميق:

- لن يساعدك أحد، أنت تساعد نفسك.

وأومأ برأسه تجاه أمل:

- وتُساعدها.

صاح زين بصوتٍ مُختنق:

- حَرَرني.

- لن يُساعِدك أحد.

سمع في هذه اللحظة صوت خروشة قريبة تتعالى، لوىَ عنقه بأقصى ما يستطيع، فلمح عنكبوتًا ضخمًا مُشعِرًا يقترب، خفق قلبه مُرتعِبًا، ودَقَّقَ النظر ليجِد أنَّ العنكبوت يحمل ملامح الكابتن خالد! سَرَت الرجفة في جسده لما اعتلته الأرجُل الثمانية المُشعِرة، وسَمِعَ نظيم يُكرر بإصرار:

- أنتَ تُساعِد نفسك.

وفي اللحظة التالية تحركت الأقدام الثمانية بخِفة، وانغرسَ شيء حاد في صدره.

فَتَحَ عينيه إثر الوخزة التي أصابته، مذاق كريه يملأ فمه وأنفه، استغرقَ ثانية ليُدرِك أنه فَقَدَ الوعي لثوانٍ أو دقائق، وثلاثة ثوانٍ أخرى ليستوعِب أنَّ مُنشِّطًا ما حُقِنَ في قلبه مُباشرةً، أحد مُشتقات الأتروبين كما أخبرته البيانات على شاشة الخوذة أمام عينيه، لاريبَ أنه تقيَّأ، وأنَّ نظام الطرد بالخوذة تخلَّصَ من آثار القيئ، وإن لم يُذهِب ما خَلفهُ من مذاقٍ كريه.

«وكل شيء محسوب بدقة، ابتداءً من تِلكَ البَذة المُصمَّمة خصيصًا لمثل قفزتَك يا زين».

ضاقت حدقتاه بفعل الأتروبين.

لا يزال يهوي، ولكن تركيزه أفضل بكثير.

بيانات الارتفاع والاتجاه تتوالى أمام عينيه، وعن بُعد، ومن بَين طبقات الضباب، استطاع تمييز الأضواء الشاحبة لبارادايس هايتس المُتربِعة وِسط بحر من الأمواج المُظلمة.

أنبأتهُ الأرقام أنَّ كيلومترين أفقيًا وأضعافها رأسيًّا تفصله عن ساحلها الشمالي.

الخطوط ترتسم على شاشة الخوذة صانعة خريطة ثنائيَّة الأبعاد للجزيرة، أضاءَت طرفها نقطة حمراء مُذبذبة الإضاءة هي موقع مقر Egy- Nergy بالضبط، وإلى جِوار الخطوط بدأ عَدٌّ تنازليٌّ راح يقترب من الصِّفر بسرعة.

جسده لا يزال يغوص بسرعة في طبقات الضباب الأسوَد البارد.

ملأ صدره بالأكسجين النقي الذي يفعم الخوذة، وشعر بالحيوية والتصميم يتدفَقان في عروقه.

صبرًا يا أمل، أنا قادم.

دقائق وينتهي كل شيء.

صبرًا.

***

-٥٠-

إلى جانِـب المهـام الاعتياديَّـة التـي دأبَ عـلى أدائهـا طيلـة الأعـوام التـي انقضَـت مُنـذ بـدء تشـغيله، كَـرَّسَ (س-١٨) ثـلاث مـن وحداتـه لأداء ثـلاث عمليـات جديـدة غـير عاديَّـة.

الوِحـدة الأولى (أ) تقـوم -اسـتجابةً لأمـر آدم المـصري- بإجـراء ملايـين التباديل والتوافيـق عـلى آلاف الأرقـام التـي اسـتخرجتها عمليَّـة التنويـم المغناطيـسي مـن عقـل أمـل، عمليَّـات مُسلسـلة تتابعيَّـة بحثًـا عـن علاقـات منطقيَّـة بـين الأرقـام تـؤدي لنتيجـةٍ مـا.

الوحـدة الثانيـة (ب) تتابـع -اسـتجابةً لأمـر آدم المـصري- اسـتقبال رفعَـت الـذي بَلَـغَ أعتـاب البوابـة الرئيسـيَّة للأسـوار المُحيطـة بمقـر الشركـة سـيرًا عـلى الأقـدام، ومكَـثَ أمامهـا واقفًـا يترقـب، كفَّـاه مدسوسـتان في جَيبَـي معطفـه الداكـن، ورأسـه مـن تحـت غطـاء رأس «الكابيشـو» مُطرقًـا أرضًـا.

أمـا الوحـدة الثالثـة (ج)، فهـي وحـدة دفاعيَّـة فعَّلتهـا وحـدات المُراقبـة التـي التقطَـت إرهاصـات غـير تقليديَّـة.

بعـد مـا يَقـرُب مـن رُبـع السـاعة، وبعـد بلايـين المحـاولات والمُعـادلات، بـدا واضحًـا لبرنامـج الوحـدة (أ) المسـئول عـن إجـراء التباديـل والتوافيـق أنـه يقـترب مـن الوصـول لنتيجـة، شيء مـا بـدأ يَتشـكَّل مـن جـراء تفكيـك الأرقـام إلى الصفـر والواحـد وإعـادة تركيبهـا، مصفوفـة الأرقـام الآن تقـترب مـن تشـكيل كيـانٍ غـير مفهـوم أو كينونـة غـير مُكتمِلـة، تأهَـب الحُـراس وبرامـج الحمايـة وحوائـط النـار، فأحاطـوا بهـا إحاطـة السِّـوار بالمعصـم، ووقفـوا عـلى أُهبـة الاسـتعداد؛ لنسـفها ومحـو مُعادلاتهـا في جـزء مـن مليـون مـن الثانيـة عنـد أول بـادرة خطـر، غـير أنهـا كانـت بالفعـل أقـرب لبيـتٍ خَـرِب مهجـور وِفـقَ تصوراتنـا البشريَّـة.

مـن وظائـف الوحـدة (ب) المسـئولة عـن إدارة اسـتقبال رفعـت، التحكـم

بشريحــة المايكروكمبيوتــر المــزروع داخــل الجمجمــة البلاتونيوميَّــة البديلــة حَـول مُـخ وليـد، تتلقـى إشـاراته الحيويَّـة وتتفاعـل معهـا وتُرسِـل إليـه الأوامـر والتوجيهـات أولًا بـأوَّل؛ لـذا فعندمـا قامـت هـذه الوحـدة بفَتـح مصراعـي البوابـة الخارجيـة أمـام رفعـت، وجـدَ هـذا الأخـير نفسـه وجهًـا لوجه أمـام وليد الـذي وقـف داخـل حُلتِـهِ العسـكريَّة السـوداء متخـوذًا خـوذة داكنـة يختفـي رأسُـه داخلهـا، ومـن حولـه تـوزَّع ثلاثـة مـن الجنـود بنفـس الهيئـة والـزِّي وقـد شـهروا أسـلحتهم تجـاه رفعـت مُتخذيـن أوضاعًـا تصويبيَّـة احترافيَّـة.

وفي قاعتـه، لم يجلـس أدهـم، ظـل واقفًـا يراقـب المشـهَد الهولوجرامـي الـذي تنقلـه كامـيرات المُراقبـة باهتـمامٍ شـديد، تسـاءلت أمـل الجالسـة عـن كثـب:

- وإيه لزوم لجنة الاستقبال دي؟ السايبورج وحده مش كفاية؟!

أجابها أدهم بصوت مُحايِد ومن دون أن يرفع عينيه عَن الهولوجرام:

- مِش كل يوم بنستقبِل سوبرمان في شركتنا المتواضعة.

وحـدات المراقبـة رصـدت مُبكـرًا انقطـاع الاتصـالات بينهـا وبـين الأطـراف الخارجيـة.

الاتصـالات الرقميـة واللاسـلكيَّة بمسـتوياتها المختلفـة تتعـرض لتشـويش إلكـتروني قـوي، بينـما الاتصـالات السـلكيَّة تتعـرض لاعـتراض مـن نقـاط الاتصال.

كان هـذا كافيًـا لشـحذ انتبـاه المراقبـة والانتقـال إلى مسـتوى أعـلى مـن ضمـن بنـوده تنشـيط الوحـدة الثالثـة (ج)، وهـي الوحـدة الدفاعيـة الشـاملة والتـي تغطـي فاعليتهـا كيلومـترات حـول بارادايـس هايتـس كلهـا وليـس مقـر E.N. وحدهـا.

وهكـذا التقـطَ (س-١٨) اقـتراب سرب مـن الـزوارق العسـكرية مجهولـة الهويَّـة مـن السـاحل الشـمالي للجزيـرة، اسـتقبله مدعومًـا بمعلومـات أوليَّـة عـن عددهـا ونوعيتهـا وحمولتهـا وتسـليحها وقدرتهـا النيرانيَّـة، بـاءَت محـاولات الاتصـال بالجيـش وحـرس السـواحل بالفشـل بطبيعـة الحـال، فانتقـل إلى الإجـراء التـالي بروتوكوليًّـا وهـو تصنيـف الـزوارق كأجسـام مُعاديَّـة.

نظـر أدهَـم إلى الهولوجـرام الـذي تنقلـه كامـيرات الشـاطئ –بعـد تعـذُّر

الحصول على بَث الأقمار الصناعيَّة بسبب التشويش الإلكتروني- للزوارق الدانية، ولبيانات التقرير المُصاحِب، فغمغم ببطء:

- ممتاز! تكنولوجيا تشويش مُتقدِّمة لدرجة ان رادارات وأقمار البحريَّة وحرس السواحل ماحسيتش بحاجة!

وأدار وجهه إلى أمل مُستطرِدًا:

- أصحابك بدأوا plan B.

ظل رفعت ثابتًا في وقفته أمام البوابة الفاغرة، رأى وليد يتقدم منه بخطوات واثقة، ومن ورائه افترش النجيل الأخضر مُسطحًا شاسعًا تتوسطه القلعة الخرسانيَّة، شعر بالأصابع الفولاذية التي خبرها من قبل تلتف حول ذراعه الضئيل وتجذبه بشيء من الخشونة فانصاع لها، تحرَّكَت فوهات الأسلحة معهما.

تذبذت أضواء القاعة، وارتفع رنين مُتصِل مُزعِج.

حَدقَت أمَل غير فاهمة، ونقلت بصرها بين وجه أدهم الذي استحال صخرًا أصَم، وبين هولوجرام المسقط الأفقي الذي صنعه (س-١٨) لتشكيل الزواق بُناءً على ما رصدته الكاميرات الأرضيَّة، رأت خيوطًا تخرج من كل زورق وتتمدد باتجاه الجزيرة، رددَت:

- دي ... ؟

قال باقتضاب:

- صواريخ، بتنضرِب علينا.

عشرات الصواريخ انطلقَت في توقيت واحد من المدافع المُثبتة إلى أسطُح الزوارق أمام ساحل بارادايس هايتس.

رصدتها الوحدة (ج) الدفاعيَّة لـ (س-١٨)، أعدادها وزواياها واتجاهاتها ونوعيتها وقدرتها التدميريَّة، ومَيَّزَت أن هدفها جميعًا هو مبنى مقر E.N مُباشرةً، وقدرت المسافة التي تفصلها عنه وزمن إصابتها له بـ ٣٠ ثانية.

استغرق هذا التحليل ما يزيد قليلًا عن الثانيتين، وفي الثانية الثالثة تم تحديد الإسلوب الدفاعي الأمثل، وقبل انقضائها بدأ تنفيذه بالفعل.

وفي سـماء بارادايـس هايتـس المُظلمـة تطايـرت آلاف الجُسـيمات المعدنيَّـة ضئيلـة الحجـم كحـشرات ليليَّـة، شَـقَّت الهـواء كالرصاصـات باتجـاه السـاحل الشـمالي، اسـتغرقَت عَـشر ثـوان لبلـوغ نقطـة الالتقـاء بالصواريـخ القادمـة مـن البحـر.

عـلى كل صـاروخ انقضَّـت عـشرات الجُسـيمات، لتلتصـق بـه، وفي اللحظـة التاليـة اضطربَـت مسـارات الصواريـخ ففقـدَت اتزانهـا، هـوى بعضهـا مُباشرةً ليغـوص كحجـر في الأمـواج السـوداء، ودار بعضهـا حـول نفسـه في حلقـات، وارتطـم بعضهـا بالبعـض الآخـر لتـضيء السـماء المُظلِمـة بانفجاراتهـا.

تسـاقطت الصواريـخ كلهـا عـدا سـتة منهـا راوغـت الجسـيمات المعدنيَّـة، واندفعَـت بسرعـة هائلـة نحـو هدفهـا الـذي لم يَعُـد يفصلهـا عنـه سـوى بضـع مئـات مـن الأمتـار.

سـتة صواريـخ سرعـان مـا انخفـض عددهـم إلى صاروخـين فقـط بعـد أن اعترضـت صواريـخ مُضـادة مسـارات أربعـة منهـم، فانفجـروا قبـل بلـوغ الهـدف.

وأمـام عَينـي أمـل المشـدودتان إلى الشاشـات الهولوجراميَّـة، قطـع الصاروخـان المسـافة التـي تفصلهـما عـن هدفهـما في أقـل مـن ثـلاث ثـوانٍ، وارتطـما بـه، سَـمِعَت دويٍّ مكتـوم، وارتجَـت القاعـة رجـة بسـيطة بالتزامـن مـع انبـلاج كرتـين عملاقتـين مـن اللهـب عـلى الهولوجـرام، نظـرت إلى أدهـم الـذي مَـط شـفتيه قائـلًا:

- هَنحتاج نعمل شوية صيانة.

عـاد بصرهـا يتواثـب بـين الشاشـة التـي تنقـل مشـهد سـحب الدخـان الهائلـة مَوضِـع الانفجاريـن بواجهـة مقـر الشركـة الأماميَّـة، وبـين الشاشـة التـي تنقـل بَـث كامـيرات الشـاطئ للسـماء المُظلمـة، والتـي ازدحمَـت بمئـات الصواريـخ.

الدُّفعـة الثانيـة مـن الصواريـخ القادمـة مـن جهـة البحـر في مواجهـة الصواريـخ التـي أطلقتهـا الوحـدة (ج) الدفاعيَّـة باتجـاه صَـف الـزوارق المواجـه للسـاحل مـن منصـات للصواريـخ خرجَـت مـن مخابـئ مُوَزعـة باحترافيَّـة في

أنحـاء المُسـطَّح المحيـط بمبنـى المقـر.

تحولَـت السـماء لجحيـم حقيقـي، وتلونَـت بنـيران مئـات الانفجـارات التـي سُـمِعَ دويُّهـا بوضـوح مـن عـلى مسـافات شاسـعة، رجـة جديـدة بسـيطة أصابـت مبنـى الشركـة إثـر إصابتهـا بصـاروخ واحـد هـذه المـرة، بينـما بلغَـت عـشرات مـن مئـات الصواريـخ التـي أطلقتهـا الوحـدة (ج) أهدافهـا، دَوَّت انفجـارات جديـدة عـلى سـطح البحـر، وتطايـرت أشـلاء عـددٍ مـن الـزوارق عـلى مسـاحات واسـعة.

وقبـل أن ينطـق أي منهـما بكلمـة، تناهـى إلى مسـامع أمـل وأدهـم دَويُّ انفجـار قريـب مـن الطـرف الشرقـي هـذه المـرة، وعـادت إضـاءة القاعـة تتذَبـذَب مـن جديـد.

***

-٥١-

الخـوذة المُحيطـة بـرأس الكابـتن خالـد فضـالي كانـت لتُتيـح لـه التحكـم في الطوافـة، بواسـطة الموجـات الصـادرة عـن مُخـه بمـا يجعـل السـيطرة عليهـا وقيادتهـا مهمـة أكـثر سـهولة ودقـة، لـولا أنَّ التشـويش الـذي يُمارسـه (س-١٨) عـلى جميـع أنـواع الاتصـالات ويُغطـي كيلومـترات حـول مقـر Egy- Nergy قـادر عـلى منـع انتقـال الموجـات المُخيَّـة وتحويلهـا لإشـارات كهربيَّـة تتحكـم في الطوافـة، الأمـر الـذي دعـاه –الكابـتن خالـد- للعـودة للتحكـم اليـدوي التقليـدي بـدلًا مـن المُخاطـرة.

ألقـى نظـرة عـلى شاشـة الـردار، وتأكـد مـن أنَّ القذيفـة الصاروخيَّـة التـي أطلقهـا مـن عـلى ارتفـاع مئـات الأمتـار أصابـت هدفهـا، ودمَّـرَت إحـدى منصات الصواريـخ بأقـصى الطـرف الشرقـي داخـل الحَيِّـز المُحيـط بمبنـى المقـر، ثُـمَّ مـال بعصـا القيـادة غربًـا، فطاوعتـه الطوافـة ومالـت بليونـة مُذهلـة وشَـقَّت الهـواء المُظلِـم صانعـة قِطعًـا ناقصًـا باتجـاه الهـدف التـالي الـذي حـدده بنقـرة مـن سـبابته عـلى الخريطـة الهولوجراميَّـة.

- برافو.

قالهـا أدهـم ببـطء وهـو يراقـب مسـار الطوافـة عـلى هولوجـرام الـرادار، ثـم قـال لأمـل مـن دون أن يلتفـت إليهـا:

- صُحابِك شُطار، استفزوا الدفاعات عشان يحددوا أماكنها.

لَـم تُعَقِّـب، شـاهدَت مِنصـة الصواريـخ الثانيـة تنفجـر أمامهـما عـلى الصـورة الراداريَّـة، بينـما أدهـم يُتابـع:

- بس دا تهور شديد، انتحار.

في هذه اللحظة وصل زين.

لم يَـكُ مـن السـهل تمييزه في الظلمـة وبخاصـةً مـع ثيابـه السـوداء الحالكـة، لـولا وَهَـج النـيران وانفجـارات الصواريـخ المُتبادلـة، والتـي أضـاءت السـماوات

الشـماليَّة والشرقيَّـة لِمقَـر الشركـة، رصدتـه الوحـدة (ج) وهـو يُحلِّـق فـاردًا جناحـين مشـدودَين بـين ذراعيـه وجسـده، مـن نفـس نسـيج بذلتـه المُـزوَّد ظهرهـا بمُحـرِّك انصهـار جعلـه يَمـرُق عـبر السـماء الغربيَّـة مـن أقـصى الشـمال لأقـصى الجنـوب، وعـلى الفـور صنفتـه كجسـمٍ مُعـادٍ.

ورغـم أن رأسـه مُغطًّـى بالخـوذة الداكنـة، إلا أنَّ قلـب أمـل خفـق بعنـف وهـي تـراه عـلى الهولوجرام يَشُـق السـماء المُلتهبـة والمُلبَّـدة بدخـان الانفجارات كوطـواط عمـلاق، يتفـادى النـيران والقذائـف والشـظايا بمرونـة فائقـة ودقـة سـوناريَّة.

وكأنمـا شـعر أدهـم بتوترهـا، فالتفـتَ يرمقهـا بعينـين فاحصتـين قبـل أن يعـود مـرة أخـرى للبَـث الهولوجرامـي، فيرمقـه للحظـة ثـم يَفـتر ثغـره عـن شـبح ابتسـامة وهـو يُغمغِـم:

- عودة الابن الضال.

أضـاءت اللمبـة الحمـراء في لوحـة القيـادة أمـام الكابـتن خالـد بمُقَـدَّم الطوافـة، ورأى عـلى هولوجـرام الـرادار خمسـة قذائـف مُضـادة للطائـرات ترتفـع باتجاهـه بسرعـة هائلـة مـن خمـس زوايـا مُختلفـة، فجـذب عصـا القيـادة للـوراء قليـلًا وهـو يُحَـرِّك سبابته عـلى شاشـة اللمـس، لتميـل مُقدمَـة الطوافـة لأعـلى وتندفـع بزاويـة شِـبه قائمـة لتغـوص وسـط الغيـوم الداكنـة.

طاردتهـا القذائـف الخمـس بـإصرار، ولم تفلَـح الجُسـيمات المشـحونة بطاقـة سـلبية، والتـي أطلقتهـا الطوافـة كإجـراء دفاعـي في تعطيـل هـذه القذائـف.

وعـلى الشاشـة أمـام عينـي الكابـتن خالـد، بـدأ عَـدٌّ تنـازلي سريـع مـع تقلُّـص المسـافة بينـه وبـين أقـرب القذائـف إليـه.

ارتجَـت القاعـة رَجـة أكـبر وبـدوي أعـلى هـذه المـرة إثـر صـاروخ قـادم مـن جهـة البحـر، اسـتطاع الإفـلات مـن الجُسـيمات والصواريـخ المُضـادة التـي تطلقهـا الوحـدة (ج)، وضرب جسـم المبنـى ضربـة مُبـاشرة قريبـة انخلـع لهـا قلـب أمـل، رغـم أنَّ الجـدران المدعومـة بألـواح التيتانيـوم مـن وراء الكسـوة الخرسـانيَّة تحملـت الضربـة ولم تتأثـر، أمـا أدهـم فلـم تهتَـز لـه شـعرة.

لم يعبأ بشاشة الرادار التي رصدت انفجار طوافة الكابتن خالد من فوق ما يزيد عن الأربعة كيلومترات، ثبَّتَ عينيه على الهولوجرام الذي يرصد تحليق زين حول المبنى مُحاوِلًا استنباط هدفه، وكان قد أصدر أمرًا للوحدة (ج) بوقف استهدافه كجسم مُعادٍ قبل لحظة واحدة من انطلاق قذائفها تجاهه، لحظات مَرَّت عليه تحول خلالها لتمثال، قبل أن تسمعه أمل بصعوبة يُتمتِم:

- هدفه البطاريَّة.

كانت عجلات العربة الشبيهة بعربات لعبة الجولف، والتي تحمِل كلًّا من رفعَت ووليد ورجال الحراسة الثلاثة تنزلق بسرعة على الطرق الأسفلتيَّة الناعمة، التي تربط بين البوابة الخارجية والمدخل الرئيسي، والذي يتوسَّط الواجهة الجنوبيَّة لمبنى المقر، عندما تلقَّت الوحدة (ب) المُكلفة بتأمين استقبال رفعَت الإشارة التحذيريَّة من الوحدة (ج) الدفاعيَّة.

اقترن هذا الإجراء بنيران كثيفة انطلقَت من أكثر من مصدر تجاه الطائر البشري العملاق، الذي راوغَ بمرونة مُدهشة، راح يُحلِّق تجاه هدفه في مسارات لولبيَّة للإفلات من طلقات المدافع التي تطارده.

وداخل العربة، أدار وليد رأسه المُخوَّذ بحركةٍ حادة غربًا، وكذا فعل رجال الحراسة الثلاثة الذين شهروا أسلحتهم استجابةً للأوامر الصوتيَّة من الوحدة (ب).

من بين أصوات الانفجارات مَيَّزوا بوضوح أصوات سيل الطلقات المُتصل والذي يتعالى من وراء سُحُب الدخان الكثيفة.

مَرَّت ثانيتان توترت خلالهما السبابات الثلاثة على الأزندة، قبل أن ينشق الدخان عن الطائر البشري تلاحقه الطلقات، وثبَ الحُراس الثلاثة من العربة التي لم تتوقف، ورفعوا أسلحتهم تجاهه مُطلقينَ النيران بسخاء، فانحرف هو يمينًا بزاوية حادة مُبتعدًا عن مسار الطلقات القادمة من أسفل، ثم انخفض بحركة مفاجئة مناورًا نيران مدفعيَّة الوحدة (ج) ومُوَلِّيًا وجهته شطر خصومه الثلاثة على الأرض.

حَـدَّدَ كمبيوتـر بذلتـه مواضـع هـذه الأهـداف الثلاثـة، ثـم أمطرهـم برصاصاتـه مـن المدفعـين الآليـين المُثبتـين إلى الجناحـين ذات اليمـين وذات اليسـار، وفي اللحظـة التاليـة تسـاقطت الجثـث الثلاثـة مثقوبـة رغـم بذلاتهـا المُضـادة للطلقـات، ومَـرَق زيـن مـن فوقهـا عـلى ارتفـاع أمتـارٍ قليلـة تلاحقـه نـيران المدفعيَّـة.

كان بالفعـل قَـد تجـاوز العربـة الشـبيهة بعربـة الجولـف ببضـع عـشرات مـن الأمتـار، وبـدأ يـدور عائـدًا إليهـا عندمـا أصابـت هـذه النـيران مُحـرِّك الانصهـار خلـف ظهـره.

راح جسـده يتطـوح بعنـف وعشـوائية، وقـد اندلعَـت ألسـنة اللهـب في المُحـرِّك والجناحـين، ثـم لم يلبِـث أن رآه وليـد يهـوي مـن عـلى ارتفـاع بضعـة أمتـار ليغيـب وسـط الدخـان الكثيـف بعـد أن انفصـلَ عـن المُحـرِّك الـذي راح يـدور حـول نفسـه، ثـم انفجـر إثـر اصطدامـه بواجهـة المبنـى.

توقفَ القصف المُتبَادَل.

عـلى الشاشـات الهولوجراميَّـة، التفَـتَ أدهـم يَرمِـق هولوجرامـات النـيران المُشـتَعِلة في الظـلام عـلى حطـام الـزوارق وشـظاياها المتناثـرة عـلى مسـاحة واسـعة مـن أمـواج المتوسِـط بعـد أن دمرتهـا صواريـخ الوحـدة (ج) عـن بكـرة أبيهـا، وجَـرَت عينـاه بسرعـة عـلى سـيل البيانـات الأوليَّـة المُنهَمِـرة حـولَ نتائـج القَصـف، قَطَّـبَ مُغمغِـمًا:

- مفيش جُثَث!

لَم تسمعه أمل.

كانـت عيناهـا وقلبهـا مُعَلقـين بالهولوجـرام الـذي تنقلـه الوحـدة (ب) مـن أمـام المدخـل الرئيـسي لمبنـى الشركـة.

فعـلى قَيـد أمتـار قليلـة منـه، ترجـلَ وليـد عـن العربـة الشـبيهة بعربـة الجولـف، دار حولهـا وجـذبَ رِفعَـت مـن ذراعـه لينزعـه عَـن مِقعـده ويسـير بـه باتجـاه مدخـل المقـر.

الهـدف الرئيـسي الـذي حَمَلَتهُ الشريحـة الرقميـة المزروعـة داخـل جمجمتـه

البلاتينيوميَّـة البديلـة هـو جَلْـب رفعَـت سـالمًا مُعـافى إلى حَيـثُ جَنـاح الرئيـس -آدم المـصري- بداخـل المقـر؛ لـذا فلَـم يلتفِـت لجُثَـث الحُـراس الثلاثـة المتناثـرة عـن كَثَـب، ولا للأنـين المُنبعِـث مـن أحدهـم، وراحـت المسـافة تتقلـص بينَـهُ وبـين بوابـة المبنـى والتـي انـزاحَ مِصراعيهـا المُصفَّحَـين المُضادَيـن للصدمـات.

كان ذلـك عندمـا التقطـت أذنـاه وَقعًـا خافتًـا لأقـدام تركـض مُقتربـة عـلى العُشـب.

«الهَـدَف الأسـاسي هـو جَلـب رفعَـت سـالمًا مُعـافى إلى حَيـثُ جَنـاح الرئيـس -آدم المـصري- بداخـل المقـر»؛ لـذا فلَـم يُضِـع وليـد وقتًـا.

بينـما كان يلتفِـت بسرعـة ليواجـه مصـدر الخطـوات الراكضـة، كانـت أصابعـه تسـحب سـلاحه مـن غمـده، وتُشـهِره تجـاه صاحـب هـذه الخُطـوات، وقبـل أن تكتمـل اسـتدارته، بَلَـغَ زيـن موضعـه ووثـب يـركل يـده القابضـة عـلى السـلاح بعُنـف فأطـاح بـه ليسـقط عـلى النجيلـة.

لم يغضـب وليـد أو ينفعِـل لفقـد سـلاحه، ولا لأنـه تعـرَّف عـلى وجـه خصمـه وزميلـه القديـم المُختفـي داخـل خوذتـه الداكنـة، ولكـن لأن الشريحـة التـي «تُديـره» مـن خلالهـا الوِحـدة (ب) لم تَـكُ لتتعامـل وفقًـا لانفعـالات بشريـة كالغضـب أو الكراهيـة.

خَـسِرَ وليـد سـلاحه وقبـل أن تكتمـل الثانيـة كان ذراعـه يرتفـع ليصُـد ضربـة ثانيـة مـن قبضـة زيـن هـذه المـرة.

«الهَدَف الأساسي هو جَلب رفعَت سالمًا مُعافى إلى حَيثُ جَناح الرئيس».

رفعـت الـذي ظـل عـلى وقفتـه لَـم يُحـرِّك سـاكنًا، بينـما التحـمَ وليـد بخصمـه اللـدود، تبـادلَا الضربـات الخاطفـة، واحـدة فقـط أصابـت جانـب خَـوذة وليـد، فيـما صَـدَّت أطرافـه بقيَّـة الضربـات قبـل أن تلتقِـط الوِحـدة (ب) النمـط القتـالي لزيـن، وتضـع نمطًـا مُضـادًا تنقلـه الشريحـة الرقميـة إلى رأس وليـد، الـذي سُرعـان مـا وضعـه في موضِـع التنفيـذ، ليجِـد زيـن نفسـه عاجـزًا عـن صَـد أو تفـادي أي مـن الضربـات التـي انهالـت عـلى جسـده، قبـل أن يتلقـى رأسـه لكمـة كالقنبلـة مـن قبضـة وليـد الصناعيـة تُهشِّـم خوذتـه وتقـذِف بـه أمتـارًا

ثلاثـة إلى الـوراء.

- غبي!

قالهـا أدهَـم بـازدراء وهـو يتابـع هولوجـرام وليـد الـذي أنهـى العـراك واسـتدار عائـدًا بخطـوات آليـة مُسـتقيمة إلى مدخـل المبنـى قابضًـا عـلى ذراع رفعـت.

التفت بوجهه ربع التفاتة إلى أمل مُستطردًا:

- صاحبِك عمره ما هَيتعلِّم.

خُيِّـلَ إليـه أنـه لمـحَ طـرف ابتسـامة لأول مـرة عـلى شـفتيها، فاسـتكمل التفاتتـه ليرمقهـا بدهشـة وقـد طرقَـت ابتسـامتها بابًـا مُفاجِئًـا للقلـق في نفسـه.

وفي نفـس اللحظـة تقريبًـا اخـترق الصَّمـت صفـير مُباغِـت، جعلـه يعـود برأسـه بحركـة حـادة إلى الشاشـة الهولوجراميَّـة، التـي نَقلَـت صـورة مُكـبرة مُجسَّـمة لخـوذة وليـد، لجِسـم صغـير أقـرب لـرأس دبـوس مُلتصِـق بهـا، تحديـدًا في الموضِـع الـذي أصابتـه ضربـة زيـن الوحيـدة قبيـل لحظـات.

قالت أمل بهدوء مُثير:

- من ناحية التعلم، فهو بيتعلِّم.

التقـى حاجبـا أدهـم وهـو يقـرأ البيانـات التحليليَّـة التـي تنقلهـا الوحـدة (ب) عـن طبيعـة ذلـك الجسـم، ثـم قفـزَت عينـاه إلى الـشروخ المُسرطنـة التـي تراكمَـت بسرعـة مُذهلـة عـلى زجـاج الخـوذة المُقـاوِم للصدمـات، والـذي لم يلبَـث أن تداعـى وانهـار مُتشـقِقًا لآلاف الشـظايا الدقيقـة، لتمتلـئ الشاشـة بـرأس وليـد الحليـق، وملامحـه الجامـدة المُسـطحة كملامـح روبـوت، وعينيـه الخاليتـين مـن الحيـاة.

هُنا، تحرك رفعت.

حـرَّك ذراعـه الطليقـة، فانتـزع قبضتـه مـن جيـب سـترته حاملـة شـيئًا مـا لَـم يُميـزه أدهـم للوهلـة الأولى، وقبـل أن تُقـرِّر الوحـدة (ب) إجـراءً مُحـددًا تَنقلـه الشريحـة الرقميـة داخـل جُمجُمـة وليـد لموضِـع التنفيـذ، كان قـد غرسـه بالكامـل أسـفل أذن وليـد.

-٥٢-

انتفضَ جسد وليد بعُنف.

انقبضَـت أصابعـه الصناعيَّـة المُلتفـة عـلى ذراع رفعـت بقـوة شـعر معهـا الأخـير بـآلام مُبرحـة، مقرونـة بطقطقـة عظـام سـاعده، كَتَـمَ شـهقة ألم كادت تفلـت منـه، ثـم هَـوىَ أرضًـا لمـا انفـردَت أصابـع وليـد فتحـرر منهـا، رفـع رأسـه يرمقـه؛ إذ زاغـت عينـاه وراح يـدور حـول نفسـه بجنـون وينتفـض المـرة تِلـو الأخـرى، وكأنَّ تيـارًا كهربائيًّـا عاليًـا يـسري في عضلاتـه، قبـل أن يهـوي بـدوره عـلى ركبتيـه، ويتوقـف جسـده عـن الانتفـاض، ثُـمَّ ينهـار ليرتطـم بـدويٍّ مكتـوم بأرضيَّـة الممـر المُبلَّـط بالحجـارة.

ومـع سـقوطه، تذبـذَت أضـواء القاعـة مُجـددًا، رفـع أدهـم عينيـه إلى الجـدران ذاتيـة الإضـاءة التـي راحـت تُـضيء وتنطفـئ، ثُـمَّ قـال بلهجـة آمـرة:

- تقرير.

تلقى (س-١٨) الأمر، ولكنه ولأول مرة لَم يُنفِّذ من اللحظة الأولى.

وحداتـه كلهـا كانـت عـلى أعـلى درجـة مـن درجـات الاسـتنفار، وهـي تراقـب، وتُحلِّـل مـا حَـدَثَ ويحـدُث للوحـدة (ب) مُنـذُ الجـزء مـن الثانيـة الـذي اخـترق فيـه ذلِـكَ الـشيء الحـاد أنسـجة وليـد في موضـع مُختـار بعنايـة ودرايـة لينغـرس في إحـدى الأليـاف الصناعيَّـة التـي تربـط ضفائـره العصبيَّـة بالشريحـة المايكروكومبيوتريَّـة المُسـتقِرَّة داخـل جمجمتـه.

لَم تَصمُد أنظمة الحماية لهذا الهجوم المُباغِت غير المُتوقَّع.

بلايـين البرامـج اندفعَـت في جـزء مـن الثانيـة مـن الجسـم الحـاد (والَّـذي لَـم يَـكُ سِـوى وسـيط تخزيـن رقمـي)، وتدفقَـت كالسـيل عَـبرَ مسـارات الأليـاف العصبيَّـة الصناعيَّـة لتبلُـغ الشريحـة المايكروكومبيوتريَّـة وتجتاحهـا.

قاومَـت دفاعـات الشريحـة ببسـالة ثـم انهـارت في ثانيـة واحـدة تحـت وطـأة الهجـوم الكاسـح، والـذي لَـم يلبِـث في اللحظـة التاليـة أن انتقـل إلى مسـتوى

أعـلى، للوحـدة (ب) كلهـا.

نهـض زيـن مـن رقدتـه شـاعرًا بالشـواكيش تـضرب جوانـب جمجمتـه، عظامـه تؤلمـه والدمـاء تنسـال مـن أنفـه الـذي هشـمته الأصابـع الصناعيـة، خلـع مـا تبقـى مـن خوذتـه وألقـاه جانبًـا، ثُـم سـار باتجـاه رفعـت، فمَـدَّ كفـه ليعاونـه عـلى النهـوض، ووقـف كلاهـما يُحـدِّق في جثـمان وليـد الـذي انكفـأ عـلى وجهـه فـوقَ النجيلـة، سَـمِعا صوتًـا مكتومًـا قادمًـا مـن أعـلى، فرفعـا رأسـيهما ليريـا جسـدًا ممشـوقًا في بذلـة وخـوذة سـوداوين يهبِـط ببـطء عـن طريـق مُضـادات مُحـرِّك انصهـار مُثبَّـت إلى ظهـر بذلتـه كالمُحـرِّك الـذي حَلَّـقَ بـه زيـن قبـل دقائـق، حتـى انغرسـت قدمـاه بـين الحشـائش القصـيرة عـلى بُعـد خطـوات معـدودة منهُـما.

- Good job.

قالهـا الكابـتن خالـد وهـو يرمـق وليـدًا بنظـرة جامـدة مـن وراء خَوذتـه التـي فقـدَت عَتمتهـا، وكَشَـفَت ملامحـه الحـادة المُغضنـة وخصـلات شـعره الأبيـض المعقوصـة خلـف رأسـه.

هَـزَّ زيـن رأسـه وهـو يمسـح الدمـاء بحِـرص مـن تحـت أنفـه المكسـور، ورفـع ذراعـه ينظـر إلى شاشـة الكمبيوتـر المحمـول المُثبَّـت إلى سـاعده.

تدفقَـت البيانـات التحليليَّـة وعَـوَت وحـدات الإنـذار داخـل دوائـر (س-١٨) بينـما الوحـدة (ب) –مرءوسـته- تتداعـى أمـام الغـزو.

وعـلى الفَـور اتخـذَت دوائـر اتخـاذ القـرار لديـه قـرارًا جذريًّـا بفَصـل الوحـدة (ب) بأكملهـا فصـلًا نهائيًّـا عـن بقيَّـة الوحـدات، بالضبـط كـما يفعـل طاقـم الغواصـة حـين يفصلـون بعـض فراغـات غواصتهـم عنـد تـسرب الميـاه داخـل هـذه الفراغـات وامتلائهـا.

انتصبَـت حوائـط النـار وتحفـزَت برامـج الحراسـة، وراحـت الروابـط مـع الوحـدة (ب) -التـي تلفـظ أنفاسـها الأخـيرة لـو جـازَ التعبـير- تنقطـع الواحـدة تلـو الأخـرى.

وفي الجـزء الأخـير مـن الثانيـة قبـل انفصـام الرابـط الأخـير، وبسرعـة فيمتويَّـة

غير مسبوقة، مَرَقَت مُعادلة صغيرة من بين ملايين المعادلات التي تجتاح الوحدة (ب) عَبرَ هذا الرابط الأخير.

هَدَرَت برامج الحراسة، وانطلقَت قذائفها من المُعادلات المُضادة باتجاه المُعادلة المكوَّنة من رموز متغيرة جعلتها -إلى جانب سرعتها الفائقة- أشبه بحرباء متلوِّنة يَصعُب تمييزها عمَّا حولها، فبَدَت وكأنها شَبح يختفي من موضع؛ ليظهر بغتة في موضعٍ آخر لجزء من الثانية قبل أن يختفي منه مُجددًا، وهكذا دوالِيك حتى اجتازت كل هذه الدفاعات وحوائط النار واخترقَت قَلب (س-١٨) إلى هدفها الحقيقي مُباشرةً.

إلى الوحدة (أ).

الوِحدة الأولى (أ) تقوم -استجابةً لأمر آدم المصري- بإجراء ملايين التباديل والتوافيق على آلاف الأرقام التي استخرجتها عمليَّة التنويم المغناطيسي من عقل أمل، عمليّات مُسلسلة تتابعيَّة بحثًا عن علاقات منطقيَّة بين الأرقام تؤدي لنتيجةٍ ما.

- تقرير.

رددها أدهَم بنبرة هادئة، وإن كَشف عُلُوُّها عمَّا يختفي وراءها من توتر.

لَم يتلَق ردًّا هذه المرة أيضًا، سمع أمل تقول بهدوء:

- نسيت أقولَك على حاجة مُهمة يا عزيزي أدهم.

وقعت عيناه على ابتسامتها التي بَدَت له مُستفزة أكثر من أي شيء آخر، سيطر بصعوبة على أعصابه وسألها:

- حاجة إيه؟

لَوَّحَت بكفها فيما حولها:

- اللي بيحصَل دا.

ضاقت حدقتاه.

- مِش plan B.

ونظرت في عينيه مُباشرة مُستطرِدة ببطء:

- مفيش plan B من الأساس.

بـدا واضحًـا لبرنامـج الوحـدة (أ) المسـئول عـن إجـراء التباديـل والتوافيـق أنـه يقـترب مـن الوصـول لنتيجـة، شيء مـا بـدأ يَتشـكّل مـن تفكيـك الأرقـام إلى الصفـر والواحـد وإعـادة تركيبهـا، مصفوفـة الأرقـام الآن تقـترب مـن تشـكيل كيـانٍ غـير مفهـوم أو كينونـة غـير مُكتمِلـة، تأهَـب الحُـراس وبرامـج الحمايـة وحوائـط النـار، فأحاطـوا بهـا إحاطـة السِّوار بالمعصـم، ووقفـوا عـلى أهُبـة الاسـتعداد لنسـفها ومحـو مُعادلاتهـا في جـزء مـن مليـون مـن الثانيـة عنـد أول بـادرة خطـر.

اخترقَت المُعادلة مُتغيِرَة الرموز حوائط الوحدة (أ).

كالعـادة انهمـرَت عليهـا المُعـادلات المُضـادة مـن الحُـراس، وكالعـادة طاشـت وتفككـت كلهـا؛ إذ تبدَّلَـت رمـوز المُعادلـة الدخيلـة، واختفَـت ثُـمَّ احتشَـدَت مُجـددًا أمـام المصفوفـة التـي تشـكَّلَت مـن آلاف الأرقـام التـي اسـتخرجها (س-١٨) مـن عقـل أمـل خـلال جلسـة التنويـم المغناطيـسي.

وفي اللحظـة التاليـة، غاصـت المُعادلـة الدقيقـة في قلـب المصفوفـة واسـتقرَّت بـين أرقامهـا، في موضـعٍ خـال وكأنـه كان بانتظارهـا أو محجـوزًا باسـمها.

غير أنها كانت بالفعل أقرب لبيتٍ خَرِب مهجور وِفقَ تصوراتنا البشريَّة.

ثُمَّ انقلب كل شيء رأسًا على عَقِب.

البَيت الخَرِب لم يَعُد كذلك.

دَبَّـت فيـه الحيـاة، الكَينونـة اكتملَـت، والكيـان غـير المفهـوم بَـدَأت تتضِـح ملامحـه.

رغـم كونـه مُحـاصرًا بالحُـرَّاس وحوائـط النـار، إلا أنـه لَـم يَبـدُ عليـه حـذر أو احـتراز وهـو ينهَـض -لـو جـاز الوَصـف عـلى مصفوفـة مـن أرقـام- ببـطء.

أطلَـقَ (س-١٨) مُعادلـة حَملَـت سـؤالًا مُتوَجِّسًـا عَمـن يكـون، فأجابـه الكيـان بمُعادلـة حللهـا (س-١٨) في جـزء مـن الثانيـة ليَجِـد الإجابـة في كلِمـة واحـدة مُقتضبـة:

«Anarchy»

ازدادت ذبذبـة الأضـواء في القاعـة، وراحـت الشاشـات الهولوجراميَّـة تتشـكَّل وتتـلاشى بسرعــة جنونيَّــة، وتزامــن ذلــك مــع عــواء صفــارات إنــذار أقــرب للاســتغاثة.

أدار أدهَم عينيه في كل هذا، ثم نظر لأمل قائلًا بهدوء:

- خططتي انك تُقعي فـ إيدي وكنتي عارفة انى مِش هَأذيكي؟

أومأت برأسها قائلة:

- وهَتستَعمِل التنويـم المغناطيـسي عشـان تسـتخرِج الـلي انـتَ عايـزه مـن هنـا (تنقـر بسـبابتها ووسـطاها عـلى جانـب رأسـها).

- الأرقام؟

استرجعت صَوت الديك الرومي للحظة:

«**هذه الأرقام أملِك وأملنا الوحيد يا أمل ... فهمتِني؟؟**» ...

قبل أن تومئ مرة أخرى وهي تُجيب:

- الأرقـام دي اتزرعِـت في عقـلي بجلسـة تنويـم مغناطيـسي في مقـر الغردقـة قبـل مـا تقبـض عليـا بسـاعة واحـدة، كانـت نَـص برنامـج Anarchy كامـلًا باسـتثناء معادلـة وحيـدة، كانـت مصفوفـة مُشـفَّرة ومحتاجـة كمبيوتـر مُتَخصِّـص زي (س-١٨) يحللهـا ويرتبهـا ويبنـي البرنامـج بحيـث يبقـى جاهـز يتفعَّـل بمُجـرَّد مـا توصلـه المُعادلـة الـلي ناقصـاه.

- المُعادلـة الـلي رِفعَـت حقنهـا لوليـد وانتقلـت مـن الوحـدة (ب) للوحـدة (أ) لغايـة مـا وصلـت للمصفوفـة واسـتكمِلت Anarchy، البرنامِـج التخريبـي الأخطـر حاليًـا.

حَــدَّق في وجههــا في الإضــاءة التــي راحــت تومِــض وتُظلِــم بجنــون، ثــم ارتسـمَت عـلى شـفتيه ابتسـامة وهـو يقـول بـشيء مـن السـخرية الممزوجـة بـشيء مــن الإعجــاب:

- وكُنتي عارفة انى هَوصَل لمحمود أبو زيد واقتله عشان أوصلِّك؟!

شـعرت بخنجـر يَشُـق صدرهـا وبغصـة في حلقهـا وهـي تتتلقـى سـؤاله ثـم

تهِـز رأسـها مُجيبـة:

- مكانش قراري، ومَعرفتِش بيه غير بعد فوات الأوان.

زالت ابتسامته والتقى حاجباه وهو يقول:

- كان قرار مين؟

رغـم تماسـكها ولامبالاتهـا إلا أن رعـدة مـا سَرَت في جسـدها وهـي تُحـدِّق في عينيـه المُشـتعلتين.

- مين اللي بيستخدِمِك المرادي يا أمل؟

هُنـا، أظلمَـت القاعـة تمامًـا، اختفَـت عينـاه مـن أمامهـا، واسـتعادت هـي بذلـك تماسـكها النفـسي، ابتلعَـت ريقهـا وقالـت لـه:

- تِقدَر تودَّع صاحبك (س-١٨).

- التشويش الإلكتروني راح.

قالهـا زيـن وهـو يَرمُـق شاشـة الكمبيوتـر المحمـول الملفـوف عـلى سـاعد بذلتـه، ورفـع عينيـه يتبـادل نظـرة سريعـة مـع شَريكَيـه، قبـل أن يعـود للشاشـة يُراقِـب المسـقَط الأفقـي المُتشـابِك الـذي راح يرتسِـم عليهـا لثـوان ثُـمَّ يُـردِّد بانفعـال:

- الكمبيوتَر حَدد مكان أمل.

كان ذات المسـقَط يـراه الكابـتن خالـد هولوجراميًّـا مـن داخـل خوذتـه، وإلى جـواره هولوجرامـات أخـرى، جَـرَت عينـاه عليهـا سريعًـا قبـل أن يقـول بحَسـم:

- فيه كماشة بتتعمِل علينا.

انتبه زين ورفع عينيه إليه متسائلًا بقلق:

- منين؟

- الطرفين، الشرقي والغربي. أعداد.

وبلمسـة لأحـد الأزرار، تجسَّـدَت الهولوجرامـات أمـام رفعَـت وزيـن الـذي ألقـى عليهـا نظـرة فاحصـة، أحـصى بِهـا عـددًا تقديريًّـا لحشـود الحُـرَّاس ذَوِي الأردِيَـة السـوداء والأسـلحة الأوتوماتيكيَّـة، والذيـن يَزحفـون مـن حَـولَ جانبـي مبنـى المقَـر باتجاهَهـم في تشـكيلات عسـكريَّة احترافيَّـة.

أشار بسبابته تجاه أحد الهولوجرامات قائلًا:

- فيه تشكيل خارِج من القطاع دا، من جوا المبنى.

قال الكابتن خالد بينما خوذته تزداد عَتمتها:

- التشكيل دا هَتتعاملوا انتو الاتنين معاه، وانا هَتعامل مع التشكيلات اللي جاية من بره.

تساءلَ زين:

- إحنا الاتنين؟!

اشتعل مُحرِّك الانصهار المُثبَّت إلى ظهر الكابتن بصوت مكتوم، وبينما كان جسده يرتفع ببطء عن سَطح الأرض، مَيَّزَ زين حروفه بصعوبة وهو يقول:

- إنتَ مِش معاك سوبرمان؟

- لعبة كويسة.

بدا لها صوته مُخيفًا في الظلام شِبه الدامِس المُخَيِّم على القاعة، وبخاصةً مع وَقع أقدامه إذ يتحرَّك.

تراجعَت شاعرةً بشيء من الرهبة بينما استطردَ هو:

- بَس دا مِش معناه انِك كسبتي يا أمل.

ومَعَ آخر حروف كلماته اشتعلَت أضواء القاعة الذاتيَّة دُفعة واحدة، فأغشَت بصرها للحظات، قبل أن تراه جالسًا خَلف مكتب عريض انسيابي الخطوط، وأصابعه تتحرك برشاقة على أزرار لوحة مفاتيح تتوسط سطح المكتب أمامه.

- شركتي أكبر كتير من (س-١٨) ...

وإثر ضغطة زِر، انبعثَت الشاشات الهولوجراميَّة مُجددًا في فراغ القاعة حاملة بَثًّا مُباشرًا لكل ما حَولَ وداخل المقَر، رأت زينًا ورفعَت يسيران بحذر بين ممرات المبنى، زين مشدود الجسد، شاهرًا سلاحه، مُديرًا إياه في جميع الاتجاهات، ورفعت مُتأخر عنه بخطوة، يداه في جيبي معطفه، والوميض إياه مُلتمِع وراء منظاره الداكن، أما بالخارج، فالنيران لازالت

مُشتعلة والدُّخان الرمادي يملأ الأجواء، ومن بين سُحُبه الكثيفة لَمَحَت تشكيلات الحُرَّاس تتحرك هُنا وهُناك، أسلحتهم مُشهرة لأعلى؛ حيث رصدت الكاميرات الكابتن خالد مُحلِّقًا في السماء المُلبدة بالدخان، يتفادى نيرانهم ويبادلهم إياها بنيران أسلحة بذلته.

- تلاتة بَس يا أمل؟!

مع توقُّف وحدات (س-١٨) عن العمل انتقلَت إدارة العمليات لطاقم الدفاع المُكوَّن من مجموعة من عسكريين قُدامى من أفرُع وأسلحة مختلفة، سرعان ما كانوا مُوزعين في مواضعهم وفقًا للخطة الدفاعيَّة الاحتياطيَّة، وانهمرَت خطوط نيرانِهم لتطارِد الكابتن خالد في السماء المُلوَّنة بالنار والدُخان.

أردفَ أدهم وهو يتابع تمركزاتهم على الشاشات:

- مِش شايفة إنِّك بتحُطي من قدري؟!

عادت الابتسامة الساخرة إلى شفتيها وهي تقول:

- حاشا لله إني أحُط من قَدرَك يا آدم بيه.

التقطَ رنَّة السخرية من صوتها ورفع عينيه إليها يرمقها باهتمامٍ، فتابعَت:

- هُمَّا مش تلاتة بالظَبط.

كَظَمَ قلقه مُتسائلًا:

- يعنى إيه؟!

ألقَت نظرة على أرقام ساعتها، ثُمَّ أرسلت إليه نظرة طويلة حتى خُيِّلَ إليها أنها تسمع الهدير والهتافات عن بُعد.

غمغمَت ببطء:

- ماسألتِش نفسَك رُكاب الزوارق الحربيَّة راحو فين؟!

كان قَد سَمِعَ ما سَمِعَتهُ في ذات اللحظة تقريبًا، فالتقى حاجباه ورَدَّدَ:

- إيه دا؟!

قالت بصرامة:

- دا الوعد.

اتضَحَـت الهتافـات أكـثر فأكـثر، نقـل نظراتـه المبهوتـة بـين الهولوجرامـات بينـما هـي تُـردِف:

- وَعد الله.

***

-٥٣-

داعبَـت أصابـع الشـيخ أبـو نِضـال حُبيبـات مسـبحته القهرمانيَّـة الزرقـاء بـشيء مـن العصبيَّـة.

رَمَقَـه نظيـم الديـن كـمال –الديـك الرومـي- باهتـمام عَـبرَ الاتصـال الهولوجرامـي ثـم قـال:

- تشعر بالتوتر؟

قال الشيخ بصوتٍ غليظ دَسِم:

- أنا لا أخاف إلا الله.

ابتسمَ هولوجرام نظيم وهو يقول:

- لم أتحدث عن الخَوف.

صَمَـت الشـيخ للحظـات أدار خلالهـا رأسـه؛ لينظر عـبر نافذة السـيارة المُدرعة إلى المشـاهِد المتواليـة إلى جانبهـا بسرعـة مائـة وسـتين كيلومـتر في السـاعة، قبـل أن يتنهَّـد ويعـود إلى مُحدثـه قائـلًا:

- هذا ثأر عمره رُبع قرن.

في البَدء كانت الانفجارات.

عـشرات الانفجـارات المتوسـطة في آنٍ واحـد كان لهـا دَوِيٌّ مُرعِـب تـردد في الهايتـس كُلهـا، وحَسَـمَ تـردد القيـادات العسـكريَّة الناجـم عـن التشـويش وقَطـع الاتصـالات.

تسـاقطت أجـزاء مـن السـور الخرسـاني الضخـم المُحيـط بمقـر Egy- Nergy إثـر انفجـار عـشرات القنابـل الموقوتـة، ثُـمَّ لم تلبـث أن ظَهَـرت مـن ورائهـا الجرافـات العملاقـة، المِئـات منهـا، اندفعَـت في وقـتٍ واحـد نحـو الأجـزاء المُتبقِيَـة مـن السـور لتهَدِمهـا وتجتاحهـا بعنـفٍ شـديد.

انهـارت الأسـوار الخرسـانيَّة مـن جميـع الجهـات حـول المُسـطَّحَ الأخـضر الشاسـع، الـذي يتوسـطه مبنـى المقَـر، وعَـبَرَت الإطـارات الغليظـة المُدعَمـة فوق

رُكام الخرسانة، ومن ورائها آلاف الأزواج من الأحذيَّة العسكريَّة الثقيلة.

«الله أكبر».

سَمِعَها أدهم تنطلِق مُدوِّية من آلاف الحناجر التي يجتاح أصحابها من المُقاتلين الأشداء، المُلثَمين والمُدججين بمُختلف الأسلحة أراضي شركته في هذه اللحظات، لَم يَكُ بحاجة للكثير من الذكاء لاستنتاج هَويتهُم.

«الله أكبر».

قالت أمل:

- الشيخ أبو نِضال له حساب قديم معاك.

إثر أمر مُباشِر من قيادة الدفاع، تَوزعَت تشكيلات الحراسة الخاصة بـ E. N. حَولَ المبنى وِفقَ خُطة مرسومة بدقة، وفي نفس الوَقت انهمرت النيران بكثافة شديدة على جَيش «وَعد الله» من النِّقاط الدفاعية المُوَزعة بإتقان مَدروس على ارتفاعات مُختلفة داخل المَبنى العملاق، غير أن المُقاتلين المُحترفين بَدَوا كما لو كانوا مُتوقعين لهذا التكنيك، فاحتشَدوا في مجموعات وراء الجرافات التي صَدَّرَت روافعها كدروع تَقي ما وراءها من الطلقات.

«الله أكبر» لا تزال تتردد هادرة.

سَقَطَ من سَقَط، واستكمل الباقون سيرهم وراء الجرافات، التي راحت تتحرك ببطء باتجاه المبنى من جميع الجهات صانعة حلقة تضيق من حوله ببطء.

ومع الاقتراب البطئ، صَدَرَت الأوامر من قيادة الدفاع، فاستُبدِلَت الطلقات بالصواريخ، التي كانت سريعة المفعول، راحت تنهمر بغزارة على الجرافات، فتسحَق ما تُصيبه منها، وتكشِف من ورائه من مُقاتلين يصبحوا بدورهم أهدافًا سهلة لطلقات المدافع، بينما يواصل الباقون، بشجاعة نادرة، التمترُس خلف الجرافات والزحف الحثيث باتجاه المبنى،

تواصلَ القَصف وتوالَت الانفجارات، حاولَ بعض المقاتلون إطلاق قذائف متنوعة باتجاه الفجوات التي تَبرُز منها فُوَّهات المدافع بواجهات المبنى،

غَير أنَّها –الفجوات- كانت مُصَمَّمة بزوايا يستحيل معها إصابتها بقذائف أرضيَّة.

وبينما كان أحد ضُباط الدفاع -داخل نقطته الدفاعية على ارتفاع سِتة طوابق من داخل المبنى- يُدير سبابته ووُسطاه على شاشة اللَّمس لتوجيه مِدفعه الصاروخي نحو واحدة من الجرافات القليلة المُتبقيَّة، عَبرَ ظلٌّ أسوَد السماء المُلبَّدة بالدخان من أمامه بسرعة البَرق، وقبل أن يستوعِب أو يُميِّز ماهيته، كان جسمًا كرويًّا صغيرًا يتدحرج؛ ليستقر بين ساقيه، بعدها بلحظة دوي الانفجار الذي نسفَ المدفع وأطاح بالضابط ، ورآه المقاتلون بالأسفل من وراء الجرافات فهَدرَت حناجرهم بالتكبير.

«الله أكبر» ...

كان الكابتن خالد قَد استغلَّ انشغال المدافع عنه بِصَد هجوم الجرافات بالأسفَل، وراح يُحلِّق في سماء المعركة مُتنقِّلًا بين النقاط الدفاعية المُوَزعة على واجهات المبنى؛ لنسف مدافعها الواحد تِلوَ الآخر؛ لتخفيف الضغط على الزاحفين باتجاه المبنى.

تحركَت الشفتان الهولوجراميَّتان لـ نظيم الدين وهو يقول:

- مما أرى من البَث المُباشِر ... رغم الخسائر، فالخُطة تَمضي، وأبناؤك يُبلونَ بلاءً حسنًا.

هَزَّ الشيخ أبو نضال خصلات لحيته المُخضَبة بالحنَّاء مُعقِّبًا:

- أبنائي لا يخشون المَوت.

- ومُدربين جيدًا كذلك.

وابتسم مُردِفًا:

- وإلا فما استحَقوا الأجر الضخم الذي أودِعَ في حساباتهم يا شيخ.

التقى الحاجبان الكثَّان بينما الشيخ يقول بشيء من الخشونة:

- الأجر يذهَب مُعظمه للمزيد من الإعداد والتطوير.

احتفظ وجه نظيم بتعبير مُحايد كعادته، فَتَّش به الشيخ عن أثر لسخرية أو تهكُّم فلم يَجِد.

تحسَّسَ ندبة تَشق جبينه عرضيًّا وهو يستطرِد بمُقت:

- هذه العمليَّة بالذات شخصيَّة أكثر من سواها.

أومأ نظيم برأسه قائلًا:

- أعلم.

مع توقف أغلب المدافع عن العمل، وإثرَ أمر مُباشِر، انطلقَت الآلاف المُتبقية من ميليشيا «وَعد الله» تركُض شاهرة أسلحتها باتجاه المبنى، الذي لَم تَعُد تفصلها عنه إلا بِضع مئات من الأمتار من جميع الجهات ، ومِن دون أن تتوقف عن التكبير الهادر.

ومن وراء التحصينات المُحيطة بالمبنى، انطلقَت نيران تشكيلات الحراسة باتجاه الميليشيا الغازية، فحَصَدَت العشرات منهُم تساقطوا جُثثًا هامدة، فيما أطلق زملاؤهم –من دون أن يتوقفوا عن الرَكض- قذائف مُختلفة الأنواع والأحجام شَقَّت الهواء؛ لينفجر بعضها أمام التحصينات، والبعض الآخر خلفها بين الحُرَّاس الذين تطايرت أشلاؤهم.

أما الكابتن خالد، فراح يحوم حول المبنى، يطلق نيران أسلحته من موقعه بالأعلى هُنا وهُناك باتجاه الحُراس المُتمترسين وراء التحصينات، كانوا يطلقون نيرانَهم الأوتوماتيكيَّة بغزارة، مُحاولين صَد اجتياح خصومهم عندما هَوَت عليهم الطلقات من أعلى، فاخترقت الرءوس والأجساد.

لَمَحَهُ بعضهم في طيرانه فرفعوا فُوَّهاتِهم لأعلى، مُحاولين النَيل منه، ولكنه ناوَرَ وانخفضَ لارتفاع لا يزيد عن الأمتار العشرة مُتفاديًا ثلاثة خيوط من الطلقات، وبينما بدأ يُعاوِد الارتفاع صرخَ الأزيز داخل خوذته في نفس اللحظة التي لَمَح فيها جسمًا ما يندفع نحوه من الأسفَل.

أدار رأسه تجاهه وقبل أن يرى أو يفهم، ارتطم به الجسم.

كان رجلًا قويًّا لم يَر وجهه، احتضنه بقوة وجذبه ثقله لأسفل.

مُحرِّك الانصهار تعامل أوتوماتيكيًّا لمُعادلة الثقل الزائد، فيما تجاوزَ الكابتن خالد الصدمة بسرعة المُحترفين، وأنشَبَ أصابعه في ذراعي خصمه المفتولَين مُحاولًا نزعهما من حوله، غير أنَّ هذا الخصم لَم يدَع له الفُرصة،

فأفلت أحد ذراعيه وهَوىَ بقبضته المضمومة على المُحرِّك المُثبَت إلى ظهر البذلة.

ضوء أحمر مُخيف داخل الخوذة مع أزيز الإنذار، وبيانات التلَف بالمُحرِك الذي تلقى ضربة ثانية أعنف في اللحظة التالية.

أودَعَ الكابتن خالد كل قوته في ضربة بركبته وجهها لضلوع خصمه الذي تحملها وغرس قبضته للمرة الثالثة في قلب مُحرِّك الانصهار.

هذه المرة دَوَت الفرقعة العالية من المُحرِّك الذي اشتعلَت فيه ألسنة النار، وراح يدور بحمولته حول نفسه بجنون، شعر الكابتن خالد بذراعي خصمه تنفلتان من حوله، فضغطَ زر بحزامه لينفلِت بدوره من المُحرِّك المُحترِق ويهوي من على ارتفاع ثلاثة طوابق فوق الأرض المعشوشبة.

ساعدته البذلة التي انتفخَت بالهواء كإجراء وقائي أخير على امتصاص صدمة الارتطام بالأرض، هَبَّ واقفًا وشَهَرَ سلاحه وأدار فُوَّهَته في جميع الاتجاهات بينما البيانات تتوالى أمام خوذته.

الدُخان الكثيف يَحجِب الرؤية، وهَدير التكبيرات، وأصوات الطلقات الأوتوماتيكيَّة تملأ المكان، أنبأته الخوذة باقتراب أحدهم، فتراجع خطوة للوراء وسَدَّدَ السلاح بالاتجاه الذي حددته.

مَضَت ثوانٍ مشحونة بالقلق، قبل أن يظهر من بين أستار الدخان جسدُ فارع مُنتصِب القامة يخطو نحوه مُباشرةً، استنتَج الكابتن خالد بسهولة أنَّهُ صاحب الذراعين المفتولَين الذي أسقطه من عليائه قبل ثوانٍ.

ومَع اقترابه بانَت ملامحه، ضاقت حدقتَا الكابتن خالد وهو يتفرَّس في وجهه للحظة قبل أن يُردِّد بتوتر:

- إنتَ؟!

بدا من الواضح أن الكفة على أرض المعركة تميل لصالِح ميليشيا «وعد الله» التي أبدَت تشكيلاتها صمودًا هائلًا واستطاعوا التقدم رغم القصف ووابل النيران القادمة من وراء التحصينات، بل وتمكن بعَضُ أفرادها من اجتياح بعض هذه التحصينات وتصفية عَسكر E.N المُتَمترِس خلفها.

ومـن الجهـة الغربيَّـة، عَـبَرَت السـيارة المُدرعـة ذات العجـلات الضخمـة المُدعمـة والرايـة السـوداء فـوق أحجـار وركام السـور المُهـدَّم، وانطلقـت لتنهَـب الأرض المُعشوشـبة باتجـاه المبنـى.

قال أدهَم من دون أن ينزَع عينيه من على الشاشات الهولوجراميَّة:

- حسابه مِش معايا.

رَفَعتْ حاجبيها قائلة بتحَد:

- إنـتَ شريـك في قتـل ابنـه الرضيـع وكل أفـراد أسرتـه مـن خمسـة وعشريـن سـنة يـوم فَـض الاعتصـام.

نظر لها قائلًا:

- حسـابه مـع الـلي دَخَّلـه ودَخَّـل ابنـه الرضيـع وكل أفـراد أسرتـه في لعبـة زي دي عشـان بيزنِس.

وعـاد إلى الشاشـة التـي تنقـل نـزول الشـيخ أبـو نضـال في زي عسـكري كامـل مـن سـيارته المُدرعـة عنـد إحـدى التحصينـات التـي احتلهـا جنـوده.

قالت أمل بشماتة:

- المعركة على وَشَك أن تُحسَم.

اعتدل قائلًا بابتسامة مُخيفة:

- إنتي غلطانة يا أمل.

ولـوَّحَ بكفـه تجـاه أحـد جـدران القاعـة، ففوجِئَـت أمـل بالجـدار الخرسـاني المدعـوم بألـواح التيتانيـوم يتـماوَج ويهتـز كفـرخ مـن الـورق، ثُـمَّ يتفتـت كاشـفًا عـن السـماء مـن ورائـه، ومتحـوِّلًا لكومـة ضخمـة مـن الغبـار تذروهـا الريـاح البـاردة التـي اجتاحَـت القاعـة واعتـصرَت جسـدها الضئيـل الـذي لا يُغطيـه إلا فُسـتان سـهرة رقيـق.

وأمـام عينيهـا المذهولتـين ارتفـعَ جسـد أدهـم بضعـة سـنتيمترات فـوق الأرض، وحَلَّـقَ ببُـطء في فـراغ القاعـة في الاتجـاه المُعاكِـس لاندفـاع الهـواء المُثلَـج، الريـاح العاصفـة تتخاطـف خصـلات شـعره وأطـراف معطفـه.

سـمعته بينـما يبتعِـد، يقـول بصـوتٍ بـدا لهـا وكأنَّ الجـدران ذاتهـا تـردده

معـه:

- المعركة مابدءِتش.

بَلَـغَ الفجـوة العريضـة التـي كانـت جـدارًا متينًـا قبـل لحظـات، وقـف مُنتصِـب القامـة يُحـدِّق في سـاحة المعركـة مـن عـلى ارتفـاع عـشرات الأمتـار. ببـطء فَـرَدَ ذراعيـه ورَفَـعَ كفيـه بمحـاذاة كتفيـه، ومـعَ حركتـه، لاحظـت أمـل احتشـاد الغيـوم الرماديَّـة في السـماء التـي بـدأ نـور الـشروق يتغشَّـاها.

كان جسـدها يرتعِـد مـن الـبرد، ومـن الهلـع عندمـا رأتـه يديـر رأسـه لينظـر لهـا مـن وراء كتفـه بعينـين اصطبغتـا بلـونٍ أحمـر دمـوي.

- مفيش معركة أصلًا بين إله وحشرات.

ومـع آخـر حـروف كلماتـه وَمَـضَ الـبرق بقـوَّة فأغـشى عينيهـا، أعقبـه هَزيـم الرَّعد.

فتحـت عينيهـا بصعوبـة لـترى مشـهدًا مُذهِـلًا لخيـوط الـبرق، وقـد مـلأت السـماء أمامهـا، تتقـارب وتتباعـد وتلتَـف وتتشـابك مـع بعضهـا البَعـض، وتتنافـر كأنهـا ثعابـين عملاقـة تتصـارع فيـما بينهـا عـلى خلفيَّـة صوتيَّـة مـن هزيـم الرعـد.

وفي مُنتصـف الـكادر الرهيـب رأت سـيلويت أدهَـم مفـرود الذراعـين كمايسـترو يواجـه فرقتـه الموسـيقيَّة، يَطفـو عـلى ارتفـاع بِضعـة سـنتيمترات فَـوقَ حافـة أرضيَّـة القاعـة.

تعلقَـت عيناهـا بقبضتـه اليُمنـى المضمومـة التـي ارتفعـت لأعـلى ببـطء، ثُـمَّ هَـوَت بغتـة لأسـفَل ومعهـا زَعَـقَ الرعـد، وانقضَـت صاعقـة مـن قَلـب الغيـوم عـلى أرض المعركـة.

بالأسفل أغشى الوَهَج أبصار الشيخ أبو نضال وأنصاره الشاخصة لأعلى.

لجـزء مـن الثانيـة، مَـرَّ شريـط حياتـه أمـام عينيـه، نشـأته وسـط إخوانـه، جماعتـه، صبـاه، الأتبـاع يُقبلـون كـف والـده، الثـورة، الميـدان، الصمـود، الرصاصـة تخـترق كفـه، المُدرعـات، طفلـه الرضيـع نضـال وقـد اخترقـت شـظية قلبـه الصغـير أثنـاء فَـض الاعتصـام، تاركـة فجـوة بشـعة في صـدره، الجهـاد،

حياة الصحراء، الأمير، خالد عباس، لا، الشيخ أبو نضال.

جزء من الثانية سَبَحَت خلاله ذكرياته في بحر الضوء المُبهِر، وقبل أن يستوعِب ما يجري، بخَّرته الصاعقة بَخرًا وسط صراخ أنصاره.

من موضعها بقلب القاعة، لَم تَر ما يَحدُث بالأسفَل، ولكنها سَمِعَت بوضوح صوت الانفجار الذي ارتفع دَويُّه وانعكس وهَجه على السماء الرماديَّة.

قبضة أدهم اليُسرى تهوي، فتنقَض صاعقة ثانية مصحوبة برعدة مُرعِبة ثُمَّ انفجارٌ آخر وصراخ.

اليُمنى تهوي، صاعقة جديدة، اليُسرى، انفجار هائل، اليُمنى، القاعة تَرتَج، الوهَج البرتقالي يَكسو السماء، طَوَّحَ ذراعه اليسرى على امتداده، فزأرَ الرَّعد واستطالت ثلاثة ألسنة من البَرق؛ لتنقَض على المقاتلين غرب المبنى، الذراع اليمنى بَعَثَ حِزمة أخرى من الصواعق للجبهة الشرقيَّة، اليسرى، اليمنى، الصواعق تنهال من جميع الجهات وعلى كلِّ الجبهات، المايسترو يُلوِّح بذراعيه أمام سماءٍ جُنَّت ألوانها فتستجيب له الطبيعة، أغمضَت أمل عينيها.

رأسها يدور بشدة، وساقاها تعجزان عن حملها. تَشم رائحة شياط قويَّة وتسمع التكبيرات، وقَد تحولَت لصرخات مُمتزجة بزخَّات الرصاص، فتُدرِك من دون حاجة لترى بعينيها أن «المُجاهدين» بالأسفل قَد طار صوابهم وراحوا يُطلقون النار عشوائيًّا.

«مفيش معركة أصلًا بين إله وحشرات».

فتحَت عينيها وحَدَّقَت في المايسترو الشيطاني الطَّافِ في الفراغ، ماج الغضب والكراهية في صدرها، فانتزعَت نفسها من موضعها واندفعَت نحوه بقبضة واهنة مضمومة، أربعة خطوات فقط، ثُمَّ وجدت نفسها مُعلَّقة في فراغ القاعة تُلوِّح بذراعيها وساقيها.

الإكتوبلازم، القوة النفسيَّة غير الطبيعيَّة تحملها حملًا.

«مفيش معركة أصلًا بين إله وحشرات».

القبضتان تتبادلان الارتفاع والانخفاض، والصواعِق لا تتوقَف.

طفرَت الدموع من عينيها، وصاحَت بصوتٍ مشروخ:

- كفاية يا أدهم.

التفت لها بالعينين الدمويَّتَين المُرعبتَين وهو يقول:

- أدهَم صبري شخصيَّة خياليَّة، ولو لُه وجود ...

وبَعَثَ بحزمة من الصواعق لأسفل مُستطردًا:

- فعُمره ما هَيبقى فـ صَفِّك.

ووَمَضَت السماء من خلفه وهو يقول بشراسة:

- إنما أنا اسمي آدم.

الرَّعـد، رائحـة الشـياط، الانفجـارات والصرخـات والرصاصـات، لوهلـة لَـم تُمَيِّـز، وخُيِّـلَ إليهـا أن أصـوات الطلقـات الأوتوماتيكيَّـة القريبـة هـي مُجـرد أصـداء للطلقـات المُتبادَلـة بالأسـفل، قبـل أن تنتبِـه لأن ثمـة زخَّـات رصـاص تنطلـق بالفعـل عـن قُـرب، في موضـعٍ مـا وراء جـدار القاعـة.

أدارت رأسـها تجـاه الجـدار، وقبـل أن تكتمـل اسـتدارتها انتفضَـت لمـا لَمَحَـت بـاب القاعـة يتفسَّـخ إثـر سـيل مـن الطلقـات، ثـم هَـوَت عليـه قـدم قويـة مـن الخـارج انتزعتـه مـن موضعـه.

وفي اللحظـة التاليـة مَـرَقَ جسـدُ مفتـول عَـبرَ فتحـة البـاب، وسَـمِعَت صاحبـه يُـردِد بصـوتٍ مألـوفٍ ملهـوف:

- أمل ...

***

- زين!

غـادرت الصيحـة حلقهـا في نَفـس اللحظـة التـي كان الصيَّـاد الشـاب يتدحـرَج فيهـا بمرونـة، ثـم ينتصِـب مُسَـدِّدًا سـلاحه شَـطرَ أدهـم.

المسـار الـذي اتخـذه كلٌّ مـن زيـن ورفعـت مـن المدخـل الرئيـسي للمبنـى وحتـى مَدخَـل القاعـة كان مُلتويًـا، لم يَسـتقِلَّا أيًّـا مـن المصاعـد المُوَزعـة هُنـا وهُنـاك، اسـتخدما الممـرات والسـلالم التـي تخـترق المبنـى رأسـيًّا في مسـارات مُهَندَسـة باحترافيَّـة، سـعيًا وراء النقطـة الخـضراء المُضيئـة عـلى الخريطـة المُرتسـمة خطوطهـا عـلى شاشـة كمبيوتـر زيـن المحمـول.

مئـات الأمتـار الأفقيَّـة والرأسـيَّة قطعهـا الثنـائي في قلـب مقـر E.N بينـما الحـرب مُسـتَعِرة خارجـه بـين حُرَّاسـه وميليشـيا «وعـد اللـه». زيـن مشـدود الأوتـار قابـضٌ عـلى مسدسـه، ورفعَـت يلمـع وَميـض خليتيَّـه البصريَّتَـين مـن وراء مِنظـاره الداكـن.

مئـات الأمتـار تناثـرت عـلى أرضيتهـا عـشرات الجُثَـث في ثيـاب الأمن السـوداء ذوات شـعار E.N المنقـوش عـلى صَـدره ... جُثَـث مثقوبـة الـرءوس بطلقـات سـلاح زيـن، أو ارتسـمَت علامـات الرعـب عـلى وجههـا بفضـل كوابيـس رفعـت.

لم يَـدُر بخَلـد أي منهـما أنهـما سـيُقاتلا معًـا بـكُل هـذا القـدر مـن التناسـق، زيـن يتحـرَّك برشـاقة وسرعـة مذهلتَـين، ورصاصاتـه لا تُخطـئ طريقهـا لـرءوس خصومـه الواقعـين في مرمـاه، أمـا رفعَـت، فانطلقَـت قـواه النفسـيَّة مـن عقالهـا؛ لتجتـاح كمـوجٍ هـادِر السـيالات الحيويَّـة للحُـرَّاس خـارج نِطـاق مرمـى زيـن، وتقـذِف الرُّعـب والجنـون في قلوبهـم وعقولهِـم، فتتوقَـف القلـوب وتطـير العقـول شُـعاعًا.

رفـعَ أحـد الحُـراس سـلاحه تجـاه رفعـت، وقبـل أن تعتـصر سـبابته الزنـاد لمحـه زيـن، فانثنـى جذعـه بمرونـة لا تُصَـدَّق، وكأنـه يُسـابق الزمـن قبـل اكتمال

ضغطة الزناد، وأرسلَ طلقته هو لتستقر بين عَينَي خصمه.

وفي نفس اللحظة تقريبًا كان لسان من الإكتوبلازم الأحمَر غير المرئي يَمرُق كشهاب من فوق جانب وجه زين، وينحرف لممر عمودي مُقابِل، بالتزامن مع انبعاث الوَميض من وراء منظار رفعت، ليتعالى صراخ اثنين من الحُراس من داخل الممر المُقابل وهُما يقتلان بعضهما البعض؛ إذ رأى أحدهما زميله وقد استحال لمسخ بشع الخلقة، في حين امتلأت أُذنَي الثاني بفحيح زميله الأول الذي استحال ثُعبانًا عملاقًا.

تسابقَت الطلقات والإكتوبلازم على صَيد الأرواح، وشَقَّ الثنائي طريقه حتى بلغا باب القاعة التي أشار الكمبيوتر المحمول بوضوح أن أمل بين جُدرانها.

- زين!

غادرت الصيحة قلبها المُرتعِد أولًا، وطارت من بين شفتيها أقرب للاستغاثة، وكأنها غريق يتعلق بقشَّة.

سمعها زين ولم يسمعها.

كان قلبه يصرُخ باسمها مُنذُ اكتشف اختطافها من شقتها بالغردقة قبل ثماني وأربعين ساعة، وصراخه يعلو ويَقض مضجعه من ثانية لأخرى، حتى بلغ ذُروَته قبيل ثانيتين على أعتاب القاعة التي يُشير الكمبيوتر المحمول -المتَصِل بالشريحة الدقيقة المغروسة أسفل فروة رأسها- لأنها بداخلها.

في ثانية كان قد اقتحمَ القاعة ورآها مُعَلَّقة في فراغ القاعة، وفي الثانية التالية، وقبل أن يفهم أو حتى يندهِش ويتساءل، وَقَعَ بصره على البورتريه الجُهَنمي.

سيلويت المايسترو مفرود الذراعين مُحلِّقًا فوق الأرض، ووجهه الغارق في الظلال تتوسطه عينان تلمعان بحُمرة الجحيم، الرياح العاصفة تتلاعب بخصلاته وأطراف معطفه المفتوح، وفي خلفية الكادر تتصارع خيوط البرق على قُماشة السماء الرمادية الملُوَّنة بألوان النيران على الأرض.

نظرت له أمل.

وقفتــه المُتصلِّبــة، عضلاتــه المشــدودة، الــدم أســفل أنفــه المُحطَّــم، عينــاه المُتسـعتان، قامتـه المُنحنيـة للأمـام، أصابعـه القابضـة عـلى بندقيتـه الآليَّـة في وضعيَّـة التصويـب نحـو الهـدف.

فَهِمَت في لحظة فصرخَت:

- لا يا زين!

ولكن سبابته المُلتفة حَولَ الزناد سبقت لسانها وأسنانها وشفتيها.

ضَربَ الزنـاد طـرف المظـروف السُـفلي، فاشـتعلَ البـارود داخـل المظـروف، انفجـر بـدويٍّ مكتـوم؛ ليدفـع بالمقـذوف النحـاسي كي يُغـادر ماسـورة البندُقيَّـة ويَشُـق الهـواء بسرعـة مئـات الأمتـار في الثانيـة الواحـدة باتجـاه هدفـه.

الهدف الذي ارتسمَت على شفتيه ابتسامة مُخيفة.

وأمـام عيونهـما –زيـن وأمـل- المذهولـة، تباطـأت سرعـة عـشرات المقذوفـات، كـما لـو كانـت لقطـة كلاسـيكيَّة مـن فيلـم ماتريكـس تُصـوِّر زمـن الطلقـة، وراحـت بينـما تسـبح ببـطء باتجـاه أدهَـم، تتَفَتَّـت وتتحـوَّل لـذرات مـن مسـحوق النحـاس، تُبـدده الريـاح البـاردة، فيـما تكوَّمَـت عـشرات المظاريـف الفارغـة تحـت قدمَـي زيـن.

هَزَّ أدهم رأسه قائلًا بسُخرية:

- مفيش أي ابتكار.

رغـم أنَّ نظيـم الديـن أخـبره بمـا لـدى خصمـه ورئيسـه السـابق مـن قُـدرات غـير عاديَّـة، إلا أنَّ المشـهد الخـارق فـاق كل تخيُـلات زيـن وجمَّـده في مكانـه.

خفـضَ بـصره يُحـدِّق في بُندقيَّتـه التـي راحـت تتفـكَك بـين أصابعـه إلى أجـزاءٍ صغـيرة، ثُـمَّ رفـعَ عينيـه إلى أمـل المُعلَّقـة في الهـواء، والتـي بادلتـه نظـرة مُرتعِبـة مـن عينـين مغرورقتـين بالدموع.

سمعها تهمِس:

- اهرَب.

استردَه صوتهـا مـن ذهولـه، فانقبضَـت عضلاتـه وتحفـزَّت وهـو يديـر وجهـه إلى خصمـه قائـلًا:

- أنا مابَهرَبش.

قال أدهم ساخرًا:

- جَدَع ياله.

وفي اللحظة التالية شعر زين بتِلكَ القوة غير المرئية ترفعه من على الأرض، تحمله بسهولة كما لو كان طفلًا صغيرًا، ثُمَّ تَضرب به سقف القاعة.

اخترق جسده بلاطات السقف الصناعي الرقيقة، ثُم ارتطم بعُنف بالسقف الخرساني، شعر بعظامه تئِن تحت وطأة الضربة.

سمع أدهم يقول:

- غياب بدون إخطار.

وقبل أن يلتقط أنفاسه كان جسده يهوي ليرتطم بالأرض.

- ترك مزرعتَك بدون إذن.

ثُمَّ يطير ليضرب الحائط بعُنف أشَد.

- إفشاء أسرار الشركة.

من حائط لحائط توالت الضربات.

- الاشتراك في أعمال عدائيَّة ضِد مُنشآت وموظفي الشركة.

أنَّت الضلوع والعِظام وسالت الدماء، وبينما مُخُّه يتأرجَح داخل جُمجُمَته، سَمِعَ أمل تصرخ باسمه. ثُمَّ ...

- (بيأس): كفاية يا أدهم.

قال أدهم ببرود:

- دي إجراءات إداريَّة يا أمل.

ضربة جديدة أعنف من سابقاتها.

- عشان مَيدخُلش معارك ماتخصُّوش.

نظرت له أمل ببُغضٍ هائل، وخُيِّلَ لها أنه لا يُبادلها النظر، وأنَّ عينيه الدمويتان تُحدِّقان فيما وراءها، لَوَت عُنقها؛ حَيثُ حَملها الإكتوبلازم الخارق تجاه محَط أنظاره؛ لتقَع عيناها على رِفعَت الذي ظهَرَ على عتبة

الباب المخلوع.

هُنا تجمَّدَ كل شيء.

ألسنة البَرق، الرياح التي تعيث برودة في القاعة، ذرَّات الغبار النحاسيَّة، حتى جسد زين ظَلَّ مُعلَّقًا في الهواء.

كادر من شريط سينمائي تَمَّ تثبيته.

أدارت أمل عينيها إلى رفعت الذي وقف هادئًا، وجه مُسطَّح لا انفعال يتبدي من وراء منظاره الداكن، ورغم بُنيانه الضئيل المُثير للرثاء إلا أن ظهوره اختلج له قلب أمل وامتلأ من جديد بالأمل.

تواجه الاثنان أخيرًا.

أدهم ورفعت.

ثَبَّتَ كلٌّ منهما بصره على الآخر.

مَضَت لحظة طويلة بَدَا خلالها الكون كما لو خَمَدَت كُلُّ أصواته، حتى هزيم الرعد وصفير الرياح والأنَّات بالأسفل.

صمتٌ ثقيل كما لو كان العالم قد انتهى، ولم يقطعه سوى همسة أمل باسم رفعَت، ثُمَّ صيحة زين الذي -من وضعه المُعلَّق المقلوب- رأى شريكه عِنَد مَدخَل القاعة، فصاح به رغم آلامه بصوتٍ مُتحشرِج:

- إنجِز.

كانت الصيحة إيذانًا بعودة الحياة للعالم.

نَدَت حركة طفيفة لا تكاد تُرى من كَفِّ أدهم، فوجِئَت أمل على إثرها بجسد زين يطير بطول القاعة، يتجاوز الفتحة العريضة التي كانت جدارًا، ويُقذَف خارجها من على ارتفاع عشرات أمتار، صرخت باسمه برُعب، فأجابها أدهم من دون أن يَنزع عينيه عن الفتى الواقف قبالته:

- مَلوش مكان بين الآلهة يا أمل.

تدافعت الدموع مُجددًا من عينيها وهي تسبه، ثُمَّ أدارت رأسها لرفعَت صارخة بهيستيريا:

- مِستني إيه؟!

-٥٥-

أدركَ زين بسرعة ما عليه فعله.

بمجرد أن وجد نفسه يسبَح في مُحيط السماء الرماديَّة تحت سقف من الغيوم حتى استعادَت ذاكرته خبرة الهبوط من سقف العالم قبل قليل، هذه المرة هو بلا مُحرِّك انصهار خلف ظهره، يُتيح له مقاومة الجاذبيَّة الأرضيَّة، وهذا خبرٌ سيئ، ولكنَّه لا يزال داخل بذلته وهذا هو الخبر الطيِّب.

بعد ثلاث ثوانٍ من الصدمة والفزع الحيواني، استعاد سيطرته على أعصابه، ضَمَّ ساقيه معًا وأحنى رأسه للأمام، ضَغَطَ زرًّا في جانب حزامه ثُمَّ فَرَدَ ذراعيه، فانتصَبَ النسيج المتين بين الذراعين وجانبي جسده صانعًا جناحَين استقبلا الهواء العاصف، وخفَّفَا كثيرًا من سُرعة سقوطه.

مع اقترابه السريع من الأرض، ثَنَىَ رأسه وأحاطها بذراعيه، وعندما رَصَدَ كمبيوتر البذلة ارتفاع عشرة أمتار تفصله عن سطح الأرض، انتفخَت البذلة فجأة بحقائب هوائيَّة حَولَ الجِذع والكَتِفَين والحَوض والذراعين والرُكبتَين، تلقَّت أكثر من ٨٥٪ من صدمة الارتطام بالأرض، ورغم ذلك تفجرت الآلام المُبرحة في كل عظامه وعضلاته لحظة الارتطام، ثُم الارتداد والعودة للاستقرار على الأرض المعشوشبة، أو التي كانت كذلك.

للحظات ظَلَّ مُستلقيًا على ظهره مُغمَضَ العينين، يحاول ابتلاع آلامه، ملأت رائحة الشياط أنفه وشعر بها تكاد تزهق أنفاسه، ففتحَ عينيه ليرى اللون الرمادي يسود، الدخان من حوله في كل مكان، السماء الصباحيَّة مُلبَّدة بالغَيوم والهواء نفسه رمادي كئيب.

سَعَلَ ليطرد الرائحة الشنيعة من صدره، واستنفر إرادته وعضلاته لينهض مقاومًا آلام الرضوض.

تلفَّتَ حوله فضربَت عيناه مشاهِد الأرض المعشوشبة التي احترقَت عن

بكـرة أبيهـا، واكتسَـت بسـواد حالِـك، وتناثـر عليهـا عـددٌ هائـل مـن الجُثَـث المُتفحِّمـة، الآلاف منهـا. ميليشـيا «وعـد اللـه» التـي أُبيـدَت عـن بكـرة أبيهـا، أو كادت؛ لأنـه لم يلبَـث أن سَـمِعَ وَقـع أقـدام تركـض مُقترِبـة مـن خلفـه، فاسـتدار بسرعـة لـيرى الرجـل الضخـم الـذي يركـض نحـوه في زي الميليشـيا قابضًـا عـلى خنجـر بـين أصابعـه.

ملامحـه موسـومة بجنـون حقيقـي، والـصراخ بلُغـة أوزبكيَّـة يتدفـق مـن بـين شـفتيه المُحاطتـين بلحيـة احـترق أغلبهـا.

رغـم الآلام، مـال زيـن بجذعـه ليتفـادى النصـل الـذي يَشُـق الهـواء قاصـدًا عنقـه، ودفـعَ سَـيف يـده ليثنـي مرفـق الـذراع الحامـل للخنجـر، ثـم يقبـض عـلى أصابعـه، ويدفـع الخنجـر بـكل قوتـه؛ ليغـوص حتـى مقبضـه في عنـق مُهاجمـه الـذي جحظـت عينـاه، وتحـوَّلَ صراخـه لغرغـرة وتناثـرت نافـورة مـن دمائـه.

وقبـل أن يرتمـي جثـة عملاقـة عـلى الأرض السـوداء، كان زيـن قـد نـزع الخنجـر مـن بـين أوردة عنقـه، ودار عـلى عقبيـه برشـاقة وسرعـة مُذهلتَـين ليبقـر بطـن مُهاجـمٍ آخـر انقَـضَّ عليـه وهـو يـصرخ بتكبـيرٍ مجنـون.

اعتدلَ ماسحًا الدماء التي تُلطِّخ وجهه.

أدار عينيـه فيـما حولـه مـن خـراب وحريـق وأعمـدة انثنـت عـلى نفسـها وجُثَـث بـالآلاف، التكبـيرات والـصراخ المجنـون وأصـوات الطلقـات الأوتوماتيكيَّة مُتقطِّعَـة، حَـدَّدَ هدفـه، قبَـضَ بأصابعـه المُلَوَّثـة بالـدَّم عـلى الخنجـر، ثُـمَّ بـدأ يَشُـق طريقـه نحـو المبنـى مُقاومًـا رائحـة اللحـم المَشـوي التـي تفـوح مـن آلاف الجثـث المتفحمـة.

مَيَّـزَت أذنـاه صفـير قذيفـة آر بي جـي، لمحهـا تَمـرق عـلى بُعـد أمتـار قبـل أن تغيـب في الدخـان، ويسـمع دَوِيَّ انفجارهـا مشـفوعًا بصرخـات مُرَوِّعـة.

دَقيقـة مـن المسـير تجـاه المبنـى تخللهـا اشـتباكُ خاطـف مـع مُهاجـمٍ ثالـث يـصرخ بلهجـة شـاميَّة، ذبحـه زيـن في أقـل مـن ثانيـة مُسـتكمِلًا سـعيه قبـل أن ...

- زين ... .

اخترقَـت الصَّيحـة الهـادرة المُزلزِلـة أذنيـه، فتحفـزَّت عضلاتـه واشـتدَت أصابعـه عـلى مِقبَـض الخنجـر وهـو يلتفِـت بحركـة حـادة إلى مصدرهـا؛ لـيرى طيفًـا مـا بـين أسـتار الدخـان الرمـادي.

اسـتدار بـكُل جسـده إليـه، وضيَّـقَ عينيـه مُحـاولًا اسـتيضاح الرؤيـة، وتدريجيًّـا بـدأت تتضـح لـه أبعـاد الجسـد الممشـوق المشـدود، الـذي يدنـو بخطـوات واثقـة وثمـة مـا يتـدلَّى مـن بـين أصابـع قبضتـه.

ومع اقترابه، مَيَّزَ زين ملامحه. غمغم بتوتر:

- وليد!

رغـم خفـوت صوتـه إلا أنَّ الشـاب بـدا كـما لـو كان قَـد سَـمِعَه، فتوقـف عـلى مَبعـدة عـشرة أمتـار مـن زيـن، الـذي تَفَـرَّس في وجـه زميلـه القديـم وغريمـه اللـدود، والـذي فَقَـدت ملامحـه جمودهـا الآلي وامتـلأت عينـاه بقـدرٍ هائـل مـن الغضـب، ضاعـفَ مـن تأثـيره خيـوط الـدم المُنسابة مـن جـرح أعلى رأسـه.

مَضَـت لحظـات مـن الصمـت، ثُـمَّ تكلَّـمَ وليـد أخـيرًا بصعوبـة وبحـروف مُتعـثِّرة مُتحَشرِجـة:

- بيننا حساب.

وَمَضَ البرق مُجددًا، تلاه هَزيم الرَّعد، ثُمَّ بدأت زخات المطر في الهطول، قال زين بتوتُر:

- لسه أوان الحساب يا وليد.

مـن دون كلمـة إضافيَّـة، طَـوَّحَ وليـد بالـشيء المُتـدلي مـن بـين أصابعـه ليسـقُط، ثُـم يتدحـرج عـلى الأرض السـوداء، ويسـتقرعلى قَيـد خطـوة واحـدة مـن قَدمَـي زيـن، الـذي خفـض بـصره ليُفاجـأ بأنـه يُحـدِّق مُبـاشرةً في عينـين جاحظتـين تتوسـطَا رأس الكابـتن خالـد المفصولـة عـن جسـده، والتـي تناثـرت حولهـا خُصـلات شـعره البيضـاء الطويلـة، وقَـد انطبعَـت آثـار أصابـع وليـد المُلطخـة بالـدَّم.

عـاد ببـصره إلى وليـد، تبـادلَا نظـرة طويلـة، ثُـمَّ تنهَّـدَ زيـن بعُمـق ورفـعَ

عينيـه إلى السـماء الثائـرة المُمتلئـة بالوميـض والرعـود وخيـوط المطـر.

كَـوَّر وليـد قبضتـه وهـو يقـول بنفـس الصـوت المُتحـشرِج بسـبب طـول الصمـت:

- التالتة تابتة يا زين.

أعـادت عبارتـه لـ زيـن ذكـرى لقاءهـما قبـل أكـثر مـن عـام، تأملـه مـن بـين خيـوط الدمـاء، ثُـمَّ هَـز رأسـه ببـطء وضَـمَّ أصابعـه عـلى مقبـض الخنجـر مُـرَدِّدًا ببـطء:

- جولة أخيرة.

تابعَ وليد وهو يخطو نحوه:

- والمرَّادي مفيش إصابات.

***

-٥٦-

انتظرتُ هذه اللحظة طويلًا يا عزيزي رفعت.

لا أقصد بذلك العام المُنصرِم مُنذ لحظة خروجَك من داخل ماكينات استخلاص الطاقة بمزرعة أبو رواش، لحظة بعثك من حياة ليست لك،

انتظاري بدأ قبل ذلك بكثير، مُنذُ أكثر من رُبع قرن، تحديدًا مُنذُ خروجي أنا من قلب الماكينات، لحظة بَعثي أنا.

تلك اللحظة التي تنهض فيها العنقاء من الرماد، من بين الآلام والدماء والموت البطيء يُبعَث السوبرمان، تتكشَف القوى الخارقة، يبدأ الكون في الانصياع لقوة لا يملكها إلا إله.

هل تفهمني يا رفعت؟

هل تذكر هذه اللحظة؟

لحظة البَعث.

حدث ذلك أثناء ما كان لحمي يُمزَّق إربًا، الأقطاب تُغطيني والأسلاك تُغادر جسدي المُتلوِّي المُلطَّخ بالدَّم واللحم المُمَزَّق حاملة طاقتي الحيويَّة، سيالي، حياتي.

لحظة بلغَ فيها الألم ذُروَته، وخرجَت صَيحة عاتية من أعماق صدري، ثُمَّ بعدها، غاب كُلُّ شيء.

الألم. العذاب. الذكريات.

ما أذكره هو النهوض، المَسير، الكون يتراجع أمامي، الجزيئات تتفكك تحت وطأتي، الحواجز تتداعى، أسلحة أعدائي تتفَتَّت وتتحول لهباءً منثورًا، ثم لا يلبَث أعدائي أنفسهم أن يلحقوا بها، يحدث هذا من حولي وأنا أسير عاريًا تُغطيني الدماء كجنين خرج لتوِّه من رحم أمه.

البَعث.

القوَّة.

أنت تشعر بها يا رفعت، أليس كذلك؟

أنت لم تَعُد إنسانًا.

لقد صرتَ الحلقة الوسيطة بين الإنسان والطبيعة.

صِرتَ أنت الزلازل والبراكين والشُّهُب والشمس والقمر والمَد والجَزر وأمواج المحيط، أنتَ البرق والرعد والنار والأعاصير.

أعلم جيدًا أنَّكَ تفهم كلامي.

أعلم أنَّكَ تشعر بي.

خلجاتك.

أنفاسك.

نبضاتك.

كُنتُ أعلم أنَّك ستظهر لا مُحالة.

انتظرتُك دهرًا يا بُنَي.

انتظار من ذاق وعرف.

أصدقك القول أنني مُرتبِك.

مشاعري نحوك مُتضاربة.

أعلمُ أنَّكَ جِئتَ عدوًّا مُقاتلًا.

بل إنَّكَ السلاح المُعَد خصيصًا لمواجهتي.

لا يواجه السوبرمان إلا سوبرمان.

ورغم ذلك فمشاعري -كما أخبرتُك- مُتضاربة.

جزء مني يدعوني بإلحاح لتمزيقك إربًا.

وجزء آخر يشعر بالشغَف تجاه قُدرتَك على تجسيد المخاوف.

والجزء الثالث ...

رُبما لا أجيد التعبير عن نفسي.

رُبع قرن يا رفعت!

رُبع قرن من الوحدة.

إله يحيا وسط الفانين.

حبيس عالمهم، حدودهم، ضعفهم.
مخاوفهم وقصورهم وخرائهم ووضاعتهم.
هل شعرت بالوحدة خلال العام الفائت، عزيزى رفعت؟
أنت أقدر مني بالفعل على لَمس ضعفهم.
هل شعرت ... ؟
هل تفهم شعورى الآن وطيلة السنوات السابقة؟
هل أدركت لِمَ انتظرت ظهورَك؟

صاحت أمل بعُنف وهي تضرب الفراغ بأطرافها:

- مجنون!

نظر لها أدهم بعينين زال إحمرارهما واستعادتَا طبيعتيهما، وإن أدهَش أمل مرأى ما بدا لها حُزنًا دفينًا في نظراتهما.

كعادتِك يا أمل ... تتكلمين عن الجنون من دون أن تعرفي عنه شيئًا.
دعينى أخبرِك عن الجنون قليلًا.
بعد سنواتٍ طويلة من غيابِك، ظهرت هي.
اسمها حياة، وكانت بالفعل حياة.
أعترف أنها كادت بالفعل تُغيِّر كل شيء.
من النظرةِ الأولى أدرك الإله السارح في وحدته أنه لم يَعُد كذلِك.
أنه لن يتحمل المزيد.
إله وفتاة.
أسطورة إغريقيَّة جديدة.
بشريَّةٌ كانت.
ولكنها بصفائها، تكاد ترتقي لمصاف الآلهة.
بشريَّةٌ كانت، وهذه كانت المشكلة.
مهما ارتقى البشر، فهُم سُجناء قواعدهم.
هذا جزء من بشريتهم، من نقصانهم.

أما الإله ... فواسِع، مُحيط، يُدبِّرُ أمر العوالِم.

لَم تتحمَّل ألوهيَّتي يا أمل.

غابت، وعاد الإله لوحدته.

عاد وحيدًا بعد أن مَسته روحها.

بعد أن نَهلَ من أنفاسها.

ماذا تعرفين عن الجنون يا أمل؟

حَدَّقَت فيه شاعرة بغصة في حلقها.

حقًّا أنا في حيرةٍ من أمري يا رفعت.

لا أدري بالفعل ما يمكن أن ينتهي إليه أمرنا.

أنت خصم.

كل ما أصابك وأصاب الملايين من أمثالك هو من غرس يدي.

وكلُ ما أصاب عالمي من خراب، هو من جراء قدرتك الخارقة.

ولكنني -وياللعَجَب- عاجزٌ عن اتخاذ القرار بتصفيتَك!

بل والأعجَب أنَّ ثمة أُلفة ما تتلاعب بداخلي.

نقلَت أمل عينيها إلى رفعَت الجامد في مكانه، رأت منظاره مُظلم تمامًا، فامتلأ قلبها قلقًا.

الفتى يُفكِّر ويتدبر فيما يسمع.

لَستُ غرًّا ساذجًا لأتوقع مِنك شيئًا يا رفعت.

نحن خصمين من قبل ومن بعد.

ولكننا -تَخيَّل!- ننتمي لبعضنا البعض، أكثر من انتمائنا لأي شيء أو شخصٍ آخر.

أيًّا كان فهمك لما نحن عليه، فنحنُ لم نَعُد بشرًا.

أنت لست بشريًّا، أنت أرقى من هذا.

أنت بقدرتك الخارقة هذه، إله جديد.

صاحت:

- رفعت!

استدار المنظار المُظلِم ببطء تجاهها، فتابعَت:

- المجنون دا (مُلوِّحة بكفها تجاه أدهم) بيلعَب بيك.

نظر لها أدهم بدوره.

- بيحـاول يضُمَّـك لصفـه، السـفاح الـلي عَـذِّب وقتـل ملايـين، الـلي ضَيَّـع عينيـك وحياتـك وأهلـك.

قال أدهم بهدوء:

- هو عارف كل دا.

لم تعبأ به وصرخت:

- عايزك تنسى كل جرايمه في حقك وتقف في صفه.

حدق فيها الشاب من دون أي رد فعل.

- قوتـه اسـتعبدته وسـيطرت عليـه، بَقِـت هـي الـلي بتحركـه، وسَـبِبتله لوثـة الألوهِيَّـة دي، إنمـا انـت لسـه يـا رفعـت، قوِّتَـك فـ إيـدَك.

قاطعها أدهم بصرامة:

- إنتي مُتصورة إني مش هعرف أخليكي تخرسي؟

استكملت صارخة:

- إنت أقوى منه يا رفعت، هوَ ضعيف، ضعيـ ...

بُـتِرَت صرختهـا إذ انطبـق فكَّاهـا عُنـوةً، وقَـد فقـدت أي سـيطرة عليهـما، كأنهـما يخُصَّـا شـخصًا آخـر، اتسـعت عيناهـا وتصارعَـت الهمهـمات داخـل فمهـا المُغلَـق، حاملـة مـا احتشـد في صدرهـا مـن مزيـج الغضـب واليـأس والتعلـق بأمـل أخـير مُهَـدَّد.

سَمِعته يقول لها:

- مفيش إله ضعيف يا أمل.

نظـرت بعينـين تدافعـت فيهـما الدمـوع إليـه، وقـد وقـف شـامخًا مَهيبًـا مُخيـف الطلعـة، ورأتـه يُديـر وجهـه إلى رفعـت قائـلًا:

- هـيَ مـش هَتفهَـم يـا رفعـت لأنهـا ماتعرَفـش، ماجربِتـش الـلي انـا وانـتَ جربنـاه.

عاد المنظار المُظلِم ليواجهه مرةً أخرى.

- بتطلُب من إله إنه يختار انه يبقى بشر!

وهُنا لاحظت أمل التبدُّل الذي طرأ على وجهه.

سحابة من الدهشة مرَّت وتلاشت بسرعة، ليحل محلها ظل من غضبٍ أسوَد مُخيف بعث رجفة في أوصالها.

سمعته يقول بعد لحظة من الصمت:

- لوهلة كان عندي أمل انك تنحاز لألوهيتك.

قفزت عينيها إلى رفعت، وارتعش قلبها بالأمل لمَّا رأت الوميض إياها يَشِع من وراء منظاره الداكن.

- إنما واضح إن الألوهيَّة اختيار أصعب من مُجرد فهمه.

وفي اللحظة التالية، رأت جسده الضئيل يرتفع عن الأرض لبضعة أقدام كما لو كان ريشة تتلاعب بها الرياح، بينما أدهم يُتابع:

- صاحبِك اختارك يا أمل.

خرجَت هَمهَمَة من بين شفتيها المُنطبقتين ...

- اختار يبقى حيوان نادر في سيرك.

وأطرافها تضرب الفراغ.

- يبقى أداة فـ إيد بشر زيهُم زيه.

لاحظت التواء شفتي رفعت الغليظتَين، ومن دون جُهد خمَّنَت أنه يتألَّم.

شعرت بفكيها يتحرران، فصرخت:

- إنتَ بتعمل ايه؟؟

اكتست عينا أدهم بذلك الاحمرار الدموي وهو يُجيب:

- لعبة أخيرة.

***

-٥٧-

لم يَكُ وليد قد استعاد كامل تركيزه وقدراته بعد.

مع توقف الشريحة المايكروكومبيوتريَّة المزروعة في دماغه عن العمل إثر هجوم Anarchy، انقطع الرابط بينه وبين (س-١٨)، وخَسِرَ الشاب معه كل ما كان يمنحه هذا الرابط من إمكانات قتاليَّة تتجاوز القدرات البشريَّة العاديَّة وغير العاديَّة، وفي المُقابِل استرَد ذاكرته الشعوريَّة والانفعاليَّة كاملةً.

«التالتة تابتة يا وليد».

كانت آخر جُملة سمعها مُنذُ أكثر من عام قبل تحوله إلى سايبورج ثلاث أرباع آلي، وأول جُملة قفزت إلى ذاكرته الواعية بعدما استرد وعيه الغائب لدقائق إثر توقف الشريحة المايكروكمبيوتريَّة.

«التالتة تابتة يا وليد» ذكرها مقرونة بملامح زين البغيضة تطل عليه من أعلى؛ حيث تمدد هو على أرضية عربة المترو مخلوع الكَتِف، مُحطَّم العظام، قبل أن يتلقى رأسه تلك الركلة من حذائه العسكري الثقيل، فتُحطِّم جمجمته وتهتِك أنسجة مُخه وتدفع بوعيه إلى بحرٍ من الظلمات.

اشتعل الغضب في صدره مع ازدياد نقاء الذكرى صوتًا وصورة في ذهنه،

لم يتحرك أو يهتم برصد ما يدور حوله، رغم أنَّ أصوات الطلقات والانفجارات كانت مُدوِّية، ظَلَّ مُستلقيًا على الأرض المعشوشبة يملأ قبضته من ذكريات العام الذي قضاه تحت سيطرة (س-١٨)، ثُمَّ لم يلبث أن اتكأ على قبضتيه الصناعيَّتين، ونهض ببطء واقفًا على ساقيه المصنوعتين من التيتانيوم.

تلفَّتَ ينظر فيما حوله من دخان وألسنة لهب وقذائف مُتبادلة بين المُقاتلين على الأرض والدفاعات المُوَزعة بالمبنى، مسح أسفل أذنه ونظر إلى الدم على أصابعه، ثُمَّ رفع عينيه لأعلى ليُتابع ذلك الطائر البشري الأسوَد –الكابتن خالد- الذي يحوم حول المبنى، ويُطلِق نيران أسلحته على

حُـرَّاس الشركـة.

كان زين هو البادئ.

راح يُكيـل الضربـات لوجـه وجسـد وليـد، وتلقـى الأخـير الضربـات مـن دون مقاومـة حقيقيَّـة، وبَـدَت حركتـه ثقيلـة يسـيرة التفـادي، الأمـر الـذي أثـار دهشـة زيـن وقَـرعَ في أعماقـه جرسًـا، ولكنـه عـزا هـذا الشـذوذ غـير المُنتظـر إلى الخلـل الـذي أصـاب الشريحـة المايكروكمبيوتريَّـة، فاشـتعل الأمـل في قلبـه وضاعـف استسـلام خصمـه وترنحـه تحـت وطـأة الضربـات مـن إحساسـه بقُـرب النـصر.

ومـع انثنـاء جسـد وليـد وتقهقـره للـوراء إثـر ركلـة انغرسـت في جـدار معدتـه، لاحـت الفُرصـة لزيـن لإنهـاء هـذا الأمـر، فوثـب زيـن برشـاقة خاطفـة كراقـص باليـه مُحـترف ليعتـلي كتفيـه ويُحيـط عنقـه بفخذيـه، أنشـب أصابعـه في فـروة رأسـه، وأمالـه لليسـار فانكشـف لـه الموضـع الدامـي الـذي طعنـه رفعـت قبـل قليـل بشريحـة الفايـروس Anarchy.

أصوات الطلقات الأوتوماتيكيَّة المُتبادلة بين المُتقاتلين تدوي عن قُرب،

رفـع الخنجـر الـذي اسـتولى عليـه مـن المقاتـل المُختَـل الـذي هاجمـه مُنـذُ قليـل وصـاح:

- التابتة يا وِل.

ثُمَّ هوى بالخنجر بكل قوته على الموضِع الدامي أسفل أذن وليد.

ولجـزء مـن الثانيـة شـعر بنصـل الخنجـر يغـوص في نسـيج بـشري طـري، قبـل أن يصطـدم بـشيء صلـب يوقِـف الضربـة التـي اسـتنفر جُـلَّ مـا بعضلاتـه مـن قـوة؛ كي يودِعهـا بهـا لتكـون القاضيـة، التوقـف المُباغِـت فجَّـرَ آلامًـا مُبرحـة في عضـلات ذراعـه الـذي كاد ينخلـع مـن فـرط قـوة رد الفعـل.

وفي اللحظـة التـي اسـتوعَبَ فيهـا زيـن أن وليـد اسـتقبل الطعنـة عـلى ظهـر قبضتـه المصنوعـة مـن البلاتينيـوم والمُغلَّفـة بأنسـجة الجلـد الطبيعيَّـة، كانـت أصابـع القبضـة الأخـرى تلتَـف حـول فخـذه المُحيـط بعنقـه، فتجذبـه بقـوَّة لا تُصـدَّق لتنـزع الجسـد كلـه مـن فـوق كتفيـه، وتقـذف بـه بسرعـة خاطفـة،

فيسـقط عـلى بُعـد أمتـار مـن الحشـائش المُحترقـة.

المُفاجـأة زلزلـت بحـق كيـان زيـن الـذي اسـتغرق ثانيـة كاملـة عَقِـب ارتطـام عظامـه بـالأرض السـوداء ليبتلعهـا، ثـم يَثنـي سـاقيه ويدفعهـما ليثـب واقفًـا فيتلقـى هـذه المـرة ركلـة غاضبـة، قذفـت بـه أمتـارًا أخـرى للـوراء، وكادت تخلـع قلبـه مـن قفصـه الصـدري.

بتعطـل الشريحـة المايكروكمبيوتريَّـة، كان وليـد قـد خَسِرَ مزايـا تكتيكيَّـة هائلـة، واكتسـب صعوبـة في سـيطرته عـلى أطرافـه أورثتـه ثِقـلًا في الحركـة بعـد عـامٍ كامـل مـن سـيطرة (س-١٨) عليهـا، ولكنـه في المُقابِـل اكتسـب ميـزة بشريـة كانـت قـد ضاعـت منـه طيلـة العـام المـاضي مُنـذُ تـولى (س-١٨) قيـادة: الغضـب.

الغضـب بَـثَّ فيـه إرادة مـن حديـد جعلتـه يتحمـل بصـبر ضربـات زيـن حتـى أنهكـه وامتـصَّ طاقتـه، ثُـمَّ فاجـأه وقلـبَ المائـدة عـلى رأسـه.

مـن موضعـه عـلى الأرض، سَـمِعَ زيـن صفـيرًا ولمـحَ بطـرف عينـه لسـانًا مـن اللهـب يتراقـص وراء قذيفـة آر بي جـي مَرَقَـت عـلى بُعـد أمتـار قليلـة لتغيـب وسـط أسـتار الدخـان.

جاهـدَ آلامـه وإنهاكـه والمطـارق التـي تنهـال عـلى جمجمتـه، ووثـب مُطلِقًـا أطرافـه في وجـه وجسـد خصمـه الـذي تلقـى منهـا مـا تلقـى، وسُرعـان مـا اسـتقبل إحـدى الضربـات في راحتـه وضَـمَّ أصابعـه كي لا يُفلِـت قبضـة زيـن مـن بينهـا.

قال بصوته الغليظ:

- مَعنديش حاجة تاني تكسرها يا زين.

انثنَـت ركبتَـا زيـن غريزيًّـا اسـتعدادًا لتنفيـذ حركـة مُضـادة لتحريـر ذراعـه، وقبـل أن يفعـل، سـمع وليـدًا يُـردف:

- الكسور اللي جاية ...

ولـوى الـذراع بقـوَّة سـاعده البلاتينـى، فانفجـر الألم في ذراع وعقـل وكيـان زيـن بينـما يسـمع صـوت قرقعـة عظامـه وهـي تتكـسر.

- كُلها عندَك يا زميلي.

***

-٥٨-

الظلام بالداخل كان كثيفًا بحق.

ما أن امتزج إكتوبلازم رفعَت بسيال أدهم، وخطا داخل كهفه الخاص، حتى غمره الظلام، كما لو كان قد غاص في مُحيطٍ لا قرار له.

ظلامٌ بِكر لم يخالطه الضياء مُنذُ بدء الخليقة، حتى ليكاد يغترف منه ليملأ به قبضته.

فَرَدَ ذراعيه على امتدادهما أمامه وهو يخطو بحذر حتى تحسَّسَت أنامله جدارًا صخريًّا خَشِنَ الملمَس، فاسترشد به بكفه الأيمن وسار بمحاذاته بخطوات حذرة مادًّا كفه اليُسرى أمامه.

صرخات أمل التي يسمعها قادمة من الخارج تتضاءل؛ لتستحيل همسًا خافتًا، ثم تلاشَت ليغرق المكان في صمتٍ دَسِم مُخيف يَسمع معه دقات قلبه في صدره.

ضاق بالصمت وشعر بالظلام يلف حوله ويزهق أنفاسه، تاقَ للنور، أي نور ولو شُعلة قدَّاحة سجائر.

«قبل ما تبدأ عملية اختراق سياله الحيوي لازم تكون ماسك حاجة فـ إيدك ... ولتكن مثلًا ميدالية مفاتيحَك».

استَلَّ ميداليته ذات المُفتاح الوحيد، ورفعها أمام عينيه.

لا شيء، ظلت الميدالية على حالها وبقي الظلام دامسًا.

- كلبِك البوليسي بيفتِش هنا يا أمل.

قالها أدهم ساخرًا وهو ينقر بسبابته ووُسطاه على مُقدمة رأسه.

نقلت أمل بصرها بين عينيه الدمويَّتين وبين الوميض المُنبعث من وراء منظار رفعت المُستسلِم تمامًا لقوة الإكتوبلازم التي حملته حملًا من على الأرض، وقد بَدَت عليه معالم ألم ما، ثُمَّ كررت سؤلها بقلق:

- بتعمل فيه إيه؟

أجابها أدهم:

- مايكروويف.

- مايكروويف!!

قال بابتسامة مُخيفة:

- تسريع حركة الجُزيئات لدرجة التصادُم.

اتسعَت عيناها وهي تُحدِّق به مشدوهة قبل أن تدير رأسها بحركة حادة إلى رفعت المحمول في الفراغ، وتُدقِّق النظر لترى عرقٌ غزير ينهمر على وجهه.

تابعَ:

- دي طريقتي المُفضلة اللي بَستعمِلها مع الـ VIP بَس.

همسَت مُستبشِعة:

- إنت بتحرقه؟!

- النار عقاب الآلهة.

داخل الكهف، كان رفعت مُنفصِلًا كُليَّةً عما يدور بالخارج.

لا وجود للألم ولا إحساس بأيَّة مؤثرات، بَل وحتى الزمن غير موجود.

لم يَحسِب كَم سار مُتحسسًا طريقه في الظلام الدامس ومُسترشِدًا بالجدار الصخري، وكم استغرق هذا المسير من الوقت. ساعات، أيامًا، عُمرًا كاملًا.

ظلماتٌ وراء ظُلمات، صمتٌ مُطبَق، لا بكاء ولا أنين ولا أنفاس ثقيلة ولا أي مِما اعتاد سماعه والإحساس به داخل آلاف السيالات الحيويَّة التي تلصص عليها خلال العام الفائت.

عَمَّ يبحث؟ عن الباب بالطبع!

الباب المُنتصِب في نهاية الكهف، ويقبع وراءه خوف أدهم الأعظم الذي يداريه عن نفسه.

ولكن أنَّى له أن يعثر عليه وسط هذا الظلام.

هُنا تذكر شيئًا ...

- (بتوتر شديد): فيه خطر بيقرَّب ... خطر شديد ...

خطر مَحدِّش يقدر يصدُّه غيرك ...
بس مش دلوقت ... أما تبقى مُستعِد ...
ولما يِحصَل، هتحتاج دي ...
كان يحدِّق في الدبلة الفضية المستقرة في كفها المفرودة.

تلمَّسَ الدبلة الفضيَّة ذات الملمس البارد حول إصبعه.

وفي اللحظة التالية كانت أصابعه تَلتَف حَولَ مقبض مشعل نُحاسي مُزخـرَف.

أدنى شُعلة القداحة من الأعشاب الجافة على قِمة المشعل، فاستمسكَ بها لسان اللهب الذي سُرعان ما انتشر لتتوهَج قمة المشعل بالضوء البرتقالي.

رفع المِشعَل لأعلى لتلتهم ألسنة اللهب أكبر مساحة ممكنة من الظلام،

فراغ شاسع لا نهائي، هذا أكبر كهف رآه مُنذُ بدأ جولاته في كهوف ضحاياه.

فراغ هائل يبدو هو فيه كقطرة وسط مُحيط.

ركَض بمُحاذاة الجدار الحجري.

ألسنة اللهب تتراقص.

قدماه تنهبان الأرض ذات النتوءات.

ظلام. صمت. فراغ أبدي لا أفق له.

صاحَت أمل:

- حرام عليك!

قهقه أدهم قائلًا:

- أنا الخِصم يا مدامَ.

بعينين مُرَقرقتَين بالدموع، رمقت الأبخرة البيضاء التي بدأت تنبعث من بشرة رفعت وهي تُغمغِم بخفوت:

- مِش بالنار يا أدهم.

قال بقسوة مُخيفة:

- إنتي اللي قتلتيه.

والتمعَت عيناه بالحُمرة الدامية وهو يُعاوِد نَقر مُقدمة رأسه بأصابعه قائلًا:

- إنتي مِش جاياه يِلعَب جوا.

الزمن يمُر.

لا بُدَّ أنَّه قطعَ أميالًا وسط هذا الصَّمت وهذه الظُّلمات.

وفي اللحظة التي دَبَّ خلالها اليأس في قلبه، التقطَت أذناه ذلك الصوت الخافت.

تجمدت قدماه في موضعهما على الأرض ذات النتوءات، مال برأسه وأرهفَ السمع.

لا شك في هذا، ثمة صوتٍ مكتوم يأتي من موضعٍ ما ... موضع داخل الجدار الصخري المُجاور له، انتعش أملٌ ما في قلبه.

عاد للوراء بِضع خطوات، أدنى المشعل من الجدار وراح يتحسسه بأصابعه كالمحموم.

لا وجود للزمن بالداخل ... لذا فلم يحسب كم استغرق من الوقت حتى عَثرَ على ذلك الشَّق الطولي في صخر الجدار، مال بأذنه لينصِت، بالفعل، الصوت قادم من هُنا.

صوت أنين.

تفحصَ الشَّق على ضوء لهب المشعل، فوجده أقرب لفتحة ضَيِّقة في الجدار محفورة بزاوية حادة.

لهذا عَبَرَ إلى جواره من دون أن يلمحه.

حاول أن يختلس النظر لما بداخل الفتحة فلم يَرَ سوى الظلام.

اتخذَ قراره سريعًا، فحَشَرَ جسده داخل الفتحة الضَيِّقة وجاهد ليعبرها إلى الداخل مُستعينًا على ذلك بضآلة جسده، حتى نجح.

بالداخل، وفي ضوء المشعل، مَيَّزَ الأضلاع الأربعة المُحيطة بمُسطَّحٍ لا يزيد عن ثلاثة أمتار مُربعة تتوسطها حلقة معدنية عليها قفل نحاسي ضخم

فوق باب أفقي يُغطي حوالي نصف مُسطح الأرضيَّة.

بالخارج، لمحت أمل مرة أخرى، حركة أصابعه المضمومة حَولَ الدِّبلة الفضيَّة.

بالداخل، أصبح المشعل رفشًا، رفعه الفتى وظل يهوي به على القفل النُحاسي حتى تحطم وتناثرت أجزاءه.

أزاح الباب الخشبي، فرأى من تحته حُفرة متوسطة الحجم.

أمال المشعل الذي كان رفشًا قبل ثوان، ليقع ضوء لهيبه على تلك الفتاة الشابة ضئيلة الحجم، قصيرة الشعر، عارية الجسد إلا من أوشام مُختلفة.

كانت تبكي وترتعد.

قال أدهم:

- بس رهانِك خاسر يا أمل، عارفة ليه؟

وأومأ برأسه تجاه رفعت مُجيبًا سؤاله بنفسه:

- عشان الكلب البوليسي بتاعِك مش هيلاقي اللي بيشَمشِم عليه.

والتمع البرق في السماء من ورائه وهو يُردف:

- الإله مابيخافش.

كان قلب أمل ينبُض بعنف وهي تُحدِق في الأبخرة التي زادت كثافتها، واللهب الذي بدأت ألسنته تَنشُب على استحياء في معطف رفعت ...

رَفعَت عينيها المُغرورقتين إلى وجهه المُبتَل بشلالات العرق، فرأت الوميض المُشِع من وراء منظاره وقد تضاعف وهجه حتى كاد يغشي بصرها.

بالداخل ...

مَدَّ رفعت كفه للفتاة، وعاونها على الخروج من حُفرتها.

خلع معطفه وأحاط به جسدها العاري الأقرب لجسد غُلام على أعتاب البلوغ.

كانت تنتفض والدموع تنهمِر من عينيها فتلطِّخ وجهها بالكُحل الأسوَد.

نظر لها بإشفاق، اجتاحه الفضول ليسألها عَمَّن تكون.

بَدَت كما لو كانت تقرأ ما برأسه، جسدت ملامحها أعتى آيات الرُّعب وهي تُجيب بصوتٍ مُرتعش:

- أنا حياة.

***

-٥٩-

طَـوَّح زيــن بذراعــه الســليم قاصــدًا وجــه خصمــه الــذي غــاص بجذعــه لأسـفل، فطاشـت اللكمـة في الفـراغ، قبـل أن يُطـوِّح بـدوره بقدمـه، فيشـوط سـاقي زيـن؛ ليفقـد الأخـير توازنـه بغتـة ويهـوي عـلى العُشـب الأسـوَد.

وفي اللحظة التالية كان وليد قد انتصب واقفًا، قال:

- على فكرة، أنا المفروض أشكرك.

وداس بإحدى قدميه على ساق زين مُستطردًا:

- بفضلك أنا تخلصت من نقاط ضعفي.

أدرك زيــن مُــراده، فحــاول أن ينــزع ســاقه مــن تحــت ضغــط الحــذاء العســكري الثقيــل، غــير أن وليــد لم يــدع لــه وقتًــا.

- شكرًا يا زين.

وهوى بقدمه الأخرى بكل قوته.

صرخ زيــن ألمًــا إثــر تفتــت عظــام ركبتــه، واخــترق الألم المجنــون خلايــا مُخــه، فـدارت رأسـه بِعُنـف.

- اسمحلي ارُدلَك الجميل.

ضربة جديدة هَوَت على كاحل قدمه الأخرى فسحقت عظامها.

زاغَت عيناه في محجريهما، واكتسَت الرؤية أمامه بلونٍ أحمر دامٍ.

ســمع أصــوات تكبــيرات عاتيــة، ومَيَّــزَ بصعوبــة ثلاثــة مــن أفــراد ميليشــيا «وعــد اللــه» خرجــوا مــن بــين الدُّخــان وانقضــوا صارخــين بجنــون عــلى وليــد مُحاولـينَ النَّيـل منـه، فانشـغل بتحطيـم جماجمهـم لثـوانٍ، حـاول زيـن خلالهـا الاتـكاء عـلى ذراعـه السـليم لينهـض، المحاولـة التـي بـاءت بالفشـل؛ إذ انخلـع هــذا الــذراع مــن موضعــه بفعــل دهســة مــن الحــذاء العســكري الثقيــل في حــين تناثـرت ثلاثـة جُثَـث عـلى العُشـب المُتفَحِّـم.

رُغمًا عنه، دمعت عيناه ألمًا.

كان يتنفس بصعوبة عندما أطلَّت ملامح وليد عليه من أعلى، وقد تلونَت ببسمة ظفر وشماتة.

رآه يثني ركبتيه وينحني ليرتكز بإحداها على عنقه، وسمعه يقول بصوته الغليظ:

- سعيد إن آخر حاجة هَشوفها هي دموعَك.

شعر بأنفاسه تختنق أكثر مع ثقل الجسد المُتزايد على حنجرته، ورغم ذلك حاول أن يدفع بابتسامة مُستهينة أخيرة إلى شفتيه.

- مَتنساش تسلِّم على الماما يا زين.

امتزجَت حروفه الأخيرة بصوت صفير حاد، وفي الثانية التالية زال الضغط الهائل من على عنقه، وتناثرت نافورة من الدم؛ لتلطخ وجه زين الذي أغمض عينيه للحظات، وعندما فتحهما لم يَر وليدًا أمامه.

مُرتعِشًا أدار عنقه ليرى جسده الفارع مُنكفئًا على قيد خطوات قليلة، جسد من دون رأس.

مال بعنقه أكثر ليرى ما تبقى من الرأس على بُعد عدة أمتار، وقد فصلتها -كما خَمَّنَ من صوت الصفير الذي سَمِعَه- قذيفة آر بي جي.

لأول وهلة لم يُصدِّق، عاد إلى استلقائه يلتقط أنفاسه بصعوبة، صدره يعلو ويهبط، أغمض لثوانٍ مُحاولًا استعادة شتات ذهنه.

الآلام كانت شنيعة ومُنتشرة في جسده كله، غير أنَّ المفاجأة الهوليووديَّة المُذهلة -كما خطر له- تجاوزتها، فقفز تساؤل إلى عقله بشأن الكيفية التي سيستطيع بها النهوض والحركة بعد أن تحطمت أطرافه الأربعة، سرعان ما تبخر عندما التقطت مسامعه وقع أقدام تقترب.

عِدة أقدام.

فتح عينيه ليرى تلك الوجوه المُطلَّة عليه من أعلى والمُتحلِّقة حوله في نصف دائرة.

الوجوه المُلتحيَّة المُلطخة بالدم، والجنون والعدوانيَّة يشعَّان من عيونها، لم يملك من التركيز والصفاء ما يكفي لإحصاء عددهم الذي لم يتجاوز

الخمسـة بـأي حـال، وإن اسـتطاع أن يُميِّـز لمعـان النِّصـال في قبضاتهـم.

فتح فمه بوَهَن ليقول شيئًا، ولكنهم لم يُمهلونه.

***

اسمها حياة، وكانت بالفعل حياة.
حياة!
تطلَّعَ رفعت مشدوهًا إلى الجرح القطعي البشع الذي يشوه معصمها،
وَد لَو صرخ:
أنتِ حياة؟!
حَدقَت في وجهه بعينين مُتسعتين مُلطخُ أسفلهما بالكُحل، وهي تَضُم طَرفَيِّ المِعطَف حول جسدها المُنتفِض.

إله وفتاة.
أسطورة إغريقيَّة جديدة.
بشريَّةٌ كانت.
ولكنها بصفائها، تكاد ترتقي لمصاف الآلهة.

أومأت برأسها وهي تقول بخفوت وكأنما ترُد على هِتافه العَقلي:
- كُنت ... مراته.
بشريَّةٌ كانت، وهذه كانت المشكلة.
نظر لها لوهلة ثُمَّ خَفَضَ رأسه ينظر إلى الحُفرة التي كانت حبيسة بداخلها قبل أن يعود إليها بتساؤلٍ واضح أجابته هي على الفور:
- هُوَ اللي حَبسني هِنا.
لَم تتحمَّل ألوهيَّتي يا أمل.
غابت. وعاد الإله لوحدته.
- لأني من أول ليلة ... سمِعت الصوت.
قالتها والدموع تَطْفَرُ من عينيها مُجددًا.

الصوت؟!

- الأنين.

وزَاغَـت عيناهـا فيـما حولهـا، أشـارت بأصابعهـا تجـاه الجُـدران الصخريـة التـي انعكَـس عليهـا لهيـب المشـعل مـن حولهـم.

- هنا ... وهنا ... وهنا ...

واستقرتا عليه بينما تتساءل:

- إنتَ مِش سامع؟!

هَزَّ رأسه بحيرة.

تهاوى المعطف من حولها؛ إذ رَفعَت كفيها لتغطي أذنيها صارخة:

- الأنين ... الأنين فـ كل حِتة ...

تَلفَّتَ حوله حائرًا، فيما أغمضت هي عينيها بقوة:

- أنا بَس اللي بَسمعهُم، أنا بَس اللي بَتعذِّب.

وتقوَّسَ جسدها للأمام وهي تُردِّد بألم:

- كفاية، مش قادرة.

ومـع تتابـع صرخاتهـا، دار هـو بخليتيِّـه البصريَتـين في الجـدران مـن حولـه، قبـل أن يَسـود الظـلام إثـر انطفـاء نـار المشـعل.

شَد قبضته على الرَّفش الذي كان مشعلًا قبل ثانية واحدة.

الآن ... يعرف ما عليه فعله.

بالخـارج، رأت أمـل النـيران تضطـرم في جلـد رفعـت وتنتـشر بسرعـة في ثيابـه وخصـلات شـعره، وأمـام عينيهـا راح جسـده المُعلَّـق في الفـراغ يتلـوَّى مـن فـرط الألم، فيـما امتـلأت أنفهـا برائحـة شـياط، مـن دون أن يسـتفز هـذا الشـياط أنظمـة إطفـاء الحريـق.

راحـت تـصرخ باكيـة بهيسـتيريا، بينـما انعكـس وَهَـج النـيران عـلى لمعـة عَينـي أدهـم الداميتـين.

بالداخـل، رفـع الفتـى الرَّفـش، ثُـمَّ هـوى بـه بـكل قوتـه عـلى الجـدار الصخـري،

صرخـت حيـاة وهـي تنطـوي عـلى نفسـها وتـدس رأسـها بـين مرفقيهـا المضمومَـين.

هَـوى رفعـت بالرفـش عـلى الجـدار مـرة ثانيـة وثالثـة ورابعـة، حتـى بـدأ الصخـر يتفتَّـت تحـت وطـأة ضرباتـه، ومـع كُل ضربـة كانـت الأصـوات تتعـالى وتتضـح.

الأنين.

لَم تلحَظ أمل في بادئ الأمر.

كانـت الدمـوع تنهمـر مـن عينيهـا المُثبتتـين عـلى رفيقهـا الـذي تحـوَّل لشُـعلة مـن اللهـب، وتـصرخ باسـمه بعـزم قوتهـا، حتـى لتـكاد تنفـر عـروق رقبتهـا.

لَم تلحَظ ابتسامة أدهم التي تجمدَت على شفتيه.

ولا قطرات العرق الباردة التي بدأت تنسال على جانب وجهه.

تفتَّتَ صخر الجدار، ومن ورائه انبعثَ الأنين مريعًا.

ملايـين الحناجـر لملايـين المُعذبـين قَضـوا نحبهـم ألمًـا داخـل ماكينـات اسـتخلاص الطاقـة بمـزارع Egy- Nergy.

حانت التفاتة من أمل إلى أدهم، فلم تُصدِّق بادئ الأمر.

مسـحت بكفهـا غشـاوة الدمـوع مـن عـلى عينيهـا، وتفرَّسَـت في وجهـه بذهـول.

وجهـه شـاحب، عينـاه فقدتـا الحُمـرة الدمويَّـة، رعشـة سريعـة عـبرَت شـفته السُـفلى وهـو يتراجـع خطـوة للـوراء مُحدقًـا في الفـراغ بنظـرة أقـرب للذُّعـر.

أدركَت حينها أنَّ شيئًا ما يحدُث بالداخل.

ورُغمًا عنها تلاعب الأمل في قلبها.

تلـوى جسَـد حيـاة الضئيـل الأقـرب لجسـد مراهـق عـلى أعتـاب البلـوغ، بينـما هـي لا تكـف عـن الـصراخ، غـير أنَّ الأنـين غطـى عـلى صراخهـا.

هـوى رفعَـت بالرَّفـش عـلى الحائـط المُقابـل، ومـع كل ضربـة يعلـو الأنـين

أكـثر وأكـثر.

في لحظـة واحـدة تحـرر جسـداهما -أمـل ورفعَـت- وهَويَـا عـلى أرضيَّـة القاعـة، وفي نفـس اللحظـة تحـرر نظـام إطفـاء الحريـق، فانهمـرَ الـرذاذ كالسـيل، واندفعَـت المـادة الرغويـة البيضـاء بقـوَّة؛ لتغمـر الجسـد المُشـتعِل الـذي حـدد الكمبيوتـر موضعـه بدِقـة.

قاومَـت أمـل الآلام التـي انتـشرت في عظامهـا وزحفَـت عـلى الأرض الغارقـة بالمـاء والرغـوة حتـى بلغَـت جسـد رفعـت الـذي اسـتلقى أرضًـا وقَـد غطتـه المـادة البيضـاء التـي أطفـأت نيرانـه.

همسَـت باسـمه بصـوتٍ ضعيـف، وهـي تمسـح الرغـوة بأصابعهـا، ثُـمَّ شـهقت لمـا رأت الجلـد المُتفحِّـم وأفعمـت أنفهـا رائحـة الشـواء.

كان يتنفـس بصعوبـة، وكانـت هـي تبَـكي بحُرقـة بينـما تزيـح الرغـوة عـن وجهـه المُحـترِق مُـردِّدَة اسـمه مـن بـين شـهقاتها عندمـا وقـع بصرهـا عـلى خليتيـه البصريَّتَـين اللتـين ذاب عنهـما المِنظـار الداكـن.

كانتا تومضان بِشدة.

حدقَـت فيهـما بأنفـاسٍ مبهـورة، ثُـمَّ رفعـت عينيهـا إلى أدهـم فتأكـدت لهـا ظنونهـا.

رفيقها الضعيف هذا الذي احترق جسده كله، يُبلي الآن بلاءً حسنًا.

ضربات ذات اليمين، ضربات ذات اليسار.

ضربات بالأعلى وضربات بالأسفَل.

ذراعه يشتَد.

تحوَّلَ لآلة هَدم.

الصخر يتفتت لملايين الذَّرَّات، وكُل ذرة تتطاير حاملة أنينًا.

تهاوى أدهم على ركبتيه وقَد ارتسمَ هلعٌ حيوانيٌّ على وجهه.

الجدار يتهاوى، وأوركسترا الأنين تَصُم الآذان.

غطى أدهم أذنيه بكفيه.

حدقَت أمل مذهولة في وجهه الذي التوَت ملامحه من فرط الرعب.

زحفت مُتراجعة بخوف لتلتصِق برفيقها مُحترق الجسد.

وفي اللحظـة التاليـة قَـف شـعر رأسـها، وانتفضَـت كل خليـة في جسـدها عندمـا رفـع أدهـم عقيرتـه، وانطلقـت مـن بـين شـفتيه صرخـة هائلـة.

بالداخـل ... توقـف رفعـت لاهثًـا عـلى الهـدم، أدار عينيـه فيـما حولـه، فتأكـد لـه أن الجـدار الطويـل المُمتَـد للانهايـة يتهـاوى لوحـده مـن دون الحاجـة لمزيـدٍ مـن الضربات.

جُـدران سـحيقة شـاهقة في الأفـق تتشـقق؛ لتتسـلل مـن بينهـا أشـعة مـن النـور تغمـر الكهـف المُظلِـم، قبـل أن تتفتَّـت –الجـدران- وتتحـول لملايـين الأنَّـات.

كان الكهـف ينهـار، والأنـات تتطايـر بعُنـف مـن حولـه كالخفافيـش، فترتطـم بوجهـه وجسـده.

تذكـر الفتـاة التـي دفـن مخاوفهـا –لم يَـكُ يعـرف أن اسـمها ريهـام- وامتـلأت نفسـه بالرضـا.

وَمَـضَ الـبرق مـرارًا وراحـت خيوطـه تتصـارع وتـضرب الأرض بغضـبٍ مجنـون عـلى أنغـام مُرعبـة مـن هَزيـم الرعـد، لم تسـمعها أمـل التـي ذهبَـت الصيحـة بسـمعها، فيـما راحـت جـدران القاعـة تتداعـى أمـام عَينيهـا، وتنسـحق لـذرات مـن غبـار تـذروه الريـاح العاصفـة.

كل مـا حولهـا يتـلاشى، السـقف والجـدران ذاتيَّـة الإضـاءة، وبلاطـات الأرضيَّـة والأليـاف، وقِطَـع الأثـاث القليلـة وألـواح الزُّجـاج.

الصرخـة الهائلـة لا تـزال تـتردَّد أصداؤهـا فتناهـز زئـير الرعـد، وتقتلـع كل شيء كإعصـار، فيـما انبثـق الـدَّمُ مـن عينـي وأنـف صاحبهـا.

ثم لم يلبَث أن انكفأ على وجهه بلا حراك.

رمقتـه غـير مُصدِّقـة وجسـدها ينتفـض لا تـدري أمِـن هَـولِ مـا يجـرى؟ أمِّـنَ الـبرد الـذي يتخلـل ثيابهـا المُبتلَّـة وينخـر روحهـا؟ أمِّـنَ الفرحـة؟

- أخيرًا يا رفعت.

كـذا غمغمَـت بصـوتٍ مُتهَـدِّج لم تسـمعه، بينـما كل شيء حولهـما يسـتحيل

غبـارًا.

ومسـحَت بأناملهـا عـلى بشرتـه المُتفحِّمـة وهـي تـردد والدمـوع تنسـال مـن عينيهـا:

- هَزمته يا بطل.

نعم.

انتصروا بالفعل، تعلم هذا، كما تعلم أيضًا أنهم لا نجاة لهم.

السـماء الرماديـة تنتفِـض غضبًـا فتقـذف بالصواعـق وتحجـب نـور الشـمس بغيومهـا المُظلِمـة.

الأرض تتفتَّت، تذوب وتهوي من تحتهما.

القيامة الصامتة قامت.

احتضنَـت الجسـد المُحـترق، وأغمضـت عينيهـا مُـرددة الشـهادة بحـروف مُرتعشــة.

***

-٦١-

ظَلَّت وقائع تِلكَ الليلة الرهيبة حديث الإعلام المحلي والعالمي لأسابيع طويلة.

الصُّحُف، البرامج، التحليلات، المواقع الإلكترونيَّة بأنواعها وشبكات التواصل الاجتماعي، تصريحات ومؤتمرات صحفيَّة وحلقات توك شو، وسواهم من المواد المرئيَّة والمسموعة، مما دار أمام الكاميرات وشاهدته البلايين على الشاشات الهولوجراميَّة أو سمعته في الإذاعات.

أما داخل القاعات المُغلقة ومؤتمرات الفيديو المؤمَّنة بين أطراف ذات مناصب رفيعة من دُوَل عِدة على أطراف مُتباينة من العالم، فلم تنقطِع ولو لساعة واحدة. بيانات وآراء وتحليلات ومحاولات للمحاكاة تمَّت فيها الاستعانة بالحواسيب المُزوَّدة بدرجات الذكاء الاصطناعي، بالإضافة لأطنان من المعلومات قامت الأجهزة الاستخباراتيَّة بشرائها من أنظمة The Eye، ونبشها بحثًا عن إجابة للسؤال الذي حَيَّرَ العالم بأسره:

أينَ وكَيفَ اختفَت جزيرة بارادايس هايتس من على الخريطة؟!

«تبلغ مساحة بارادايس هايتس ما يزيد عن الثلاثمائة فدان، تبعد بمسافة أربعة أميال بحرية عن ساحل الإسكندريَّة، وتتوزع مُنشآتُها على ارتفاع سبعمائة واثنتين وثلاثين مترًا فوق سطح البحر.

هذه الجزيرة التي يربو عدد سكانها عن الألفي نسمة، مُصَنفين كالشريحة العُليا من الطبقة العُليا في المجتمع المصري، والتي تتوزع فيها القصور والأندية والمولات وكافة الخدمات، هذه الجزيرة البديعة التي اشترك في تخطيطها وتصميم مُنشآتها أرقى مكاتب وشركات المِعمار أصبحت الآن تاريخًا».

(الشاشة التي تحمل لوجو Egypt Now مُنقسمة طوليًّا لنصفين، الأول يعرِض فيديو من الأرشيف لشوارع ومولات وأندية بارادايس هايتس، وآخر

يعـرض بثًّـا مُبـاشرًا لصفحـة ميـاه البحـر المتوسـط هادئـة الأمـواج والخاليـة إلا مـن سُـفُن خفـر السـواحل، ومـن فوقهـا تحـوم المروحيـات العسـكريَّة، وبأسـفل الصفحـة الشريـط الإخبـاري الـذي ترصعـه حـروف بـارزة: باراديـس هايتـس، مُبـاشر).

«الجهـود الحثيثـة التـي بذلتهـا السُّـلطات المصريـة عـلى مـدار الأسـابيع السـابقة لم تُسـفِر عـن شيء، وعَجـزَت جميـع النظريـات عـن تفسـير لغـز اختفـاء باراديـس هايتـس».

«وكانـت صُـوَر الأقـمار الصناعيَّـة قـد رصـدت انتشـارًا لطبقـة مـن مـادةٍ مـا عـلى مسـاحة واسـعة في نفـس المَوضِـع الـذي احتلَّتـه باراديـس هايتـس سـابقًا، وبتحليـل العيِّنـات التـي تحصلـت عليهـا البحريـة المصريَّـة تأكَّـدَ أنـه غبـار مـن نفـس نوعيَّـة تربـة باراديـس هايتـس، الأمـر الـذي ضاعـفَ مـن علامـات الاسـتفهام وفتـح المجـال لتفسـيرات خياليَّـة».

«آلاف الأطنـان مـن هـذا الغبـار عُـثِرَ عليهـا مُترسِـبة في قـاع البحـر في نفـس الموضِـع، مـما رَجَّـحَ أنهـا السـبب في موجـة المَـد العاتيـة التـي أغرقـت سـاحل الإسـكندريَّة و٤٠٪ مـن ضواحيهـا، وأغلـب القُـرى السـياحيَّة المنتـشرة عـلى السـاحل الشـمالي المـصري».

«ثـلاث سـاعات كاملـة تعطلـت خلالهـا كافـة وسـائل الرصـد والمُراقبـة، وتعرضـت الأقـمار الصناعيـة لحالـة تعميـة كاملـة مـع انقطـاع تـام للاتصـالات بأنواعهـا. ثـلاث سـاعات مـن الظـلام، اكتشـف المصريـون والعـالم كلـه بعدهـا اختفـاء الجزيـرة بأكملهـا بمـا عليهـا!».

«ثمـة شـهود عيـان بالمئـات مـن أهـالي الإسـكندرية ومطـروح، شـاهدوا انفجـارات متتاليـة أضـاءت ظُلمـة الليـل، وحـاول بعضهـم تصويـر مـا يجـري مـن موقعـه عـلى كورنيـش الإسـكندرية وبعـض قُـرى السـاحل الشـمالي، غـير أن الفيديوهـات المُلتقطـة مـن عـلى هـذه المسـافة وفي الظـلام لم تكـن بالوضـوح الـكافي لتفسـير أي شـئ».

«جديـر بالذكـر أن كُل سُـكان الجزيـرة قـد نزحـوا عنهـا منـذ أسـابيع، ولم

يتبَـقَّ بهـا إلا أفـراد مـن كتيبـة المُشـاه التـي عُهِـد إليهـا بحمايتهـا».

«وقَـد نَعَـت القـوات المُسـلحة عـلى لسـان المُتحـدث الرسـمي باسـمها شُـهداء الواجـب مـن أفـراد كتيبـة المُشـاه التـي تمركـزت في بارادايـس هايتـس، واختفـوا كلهـم بكامـل عتادهـم مـن دون أن يُعـثَر لأيٍّ منهـم عـلى أثـر».

«تضاربـت الأقاويـل وأشـارت أصابـع لاحتماليَّـة وجـود رابـط بـين مـا جـرى وبـين سلسـلة الأعـمال الإرهابيَّـة التـي اسـتهدفَت مُنشـآت شركـة Egy- Nergy حـول العـالم وفي مـصر تحديـدًا، وهـي الفرضيَّـة التـي لم تتأكـد بعـد وبخاصـةً أن المقـر الرئيـسي لهـذه الشركـة، والـذي يقـع ببارادايـس هايتـس، كان قَـد تَـم اسـتهدافه قبـل أسـابيع بسـيارة مُلغَّمـة، بالإضافـة لمـا تَـم الإعـلان عنـه في العديـد مـن دُوَل العـالم مـن الإيقـاع بالشـبكة المُخطِّطـة والمُنفِّـذة لهـذه الهجـمات الإرهابيَّـة».

«غمـوضُ شـديد يَكتنِـف وضـع إدارة Egy- Nergy المصريَّـة والمُسـاهِم الأكـبر في Egy- Nergy الدوليَّـة بعـد اختفـاء السـيد آدم المـصري رئيـس مجلـس إدارتهـا، والصَفَّـين الثـاني والثالـث مـن مسـاعديه ومُديريـه، والمُرجَّـح أنهـم كانـوا عـلى ظهـر جزيـرة بارادايـس هايتـس وقـت اختفائهـا العجيـب».

«أزمـة كُـبرى مُخيفـة تُهـدِّد العـالم بـأسره، وفي مُقدمتـه الدولـة المصريـة، وكُل الحكومـات والعمـلاء الذيـن يتعاملـون مـع مُنتجـات الطاقـة التـي تُصدِّرهـا Egy- Nergy، والتـي نالـت منهـا الضربـات المُتتاليـة وانخفـض إنتاجهـا بمُعدلات كبـيرة خـلال الشـهور الفائتـة، قبـل أن ينقطـع تمامًـا لـدى E.N. المصريَّـة صاحبـة نصيـب الأسـد في المنظومـة الدوليـة الكبـيرة».

«دُوَل ومؤسسـات كاملـة دخلـت في حالـة غـير مسـبوقة مـن الإظـلام المصحـوب بتخبُّـط وارتبـاك شَـديدَين، وفشـل في إيجـاد بدائـل بعـد عقـود مـن الارتـكان إلى طاقـة E.N. النظيفـة الوفـيرة صديقـة البيئـة».

«مُعتَز حشاد ... برنامج (مصر من تاني)»

***

-٦٢-

أمل ...

أمل ...

أنتِ تسمعيني الآن.

أعلم ذلك يا عزيزتي.

إشـارات مُخِّـك التـي أراهـا الآن عـلى الشاشـة مـن مـكاني –ولَـدَيَّ برنامـج يقـوم بترجمتهـا لانفعـالات وأفـكار- تُخـبرني أن تأثـير المُشـتَق الكيميـائي الـذي ضُخَّ عـبر الخراطيـم الدقيقـة إلى أوردَتـِك قـد بـدأ يظهـر، وأنَّـكِ رغـم اسـتغراقِك في غيبوبَتِـك المسـتمرة مُنـذُ أسـابيع، قـادرة في هــذه اللحظـة عــلى سـماع واسـتيعاب مـا أوجهـه إليـكِ مـن حديـث عَـبرَ شريحـة الاتصـال المزروعـة في رأسِـك، مـا كان هــذا مُتاحًـا طيلـة الوقـت الفائـت، وَعيُـك لَـم يَـكُ ليسـمح بذلـك بعـد.

أين أنتِ؟

في حجرة للرعاية المُركزة.

من أنا؟

لَم تصلي إذن لدرجة الوَعي التي تسمح لك بتمييز صوتي بَعد، حسَن.

نظيـم الديـن كـمال. تَذكريـن الاسـم؟ صديقُـك المُقـرَّب مُنـذُ أكـثر مـن عـشر سـنوات، وشريـكك في تخطيـط وتنفيـذ الثورة عـلى Egy- Nergy والمُنسِّـق العام بـين جميـع الأطـراف ... أنـتِ الوحيـدة التـي تعرفـين اسـمي «نظيـم الديـن»، فيـما تعرفنـي الأطـراف الأخـرى بالاسـم الكـودي «الديـك الرومـى».

إشـارات مُخِّـك التـي ترجمهـا البرنامِـج لحالـة مـن الانتبـاه ومشـاعر الأُلفـة، تُنبـئ بأنَّـكِ تعرفتنـي بالفِعـل.

عظيم، بما أنكِ مَيَّزتِني، فدعيني أزف إليكِ الخبر العظيم.

مبروك يا أمل. أخيراً كُلِّلَ جهادنا بالنجاح.

خطتنـا ... الخطـة التـي أنفقنـا أكـثر مـن عـشر سـنوات لوضعهـا ودراسـتها وتنفيذهـا نجحـت نجاحًـا سـاحقًا.

كل مرحلة من مراحلها حققت الهدف المرصود من ورائها.

تجاوزنا كل العقبات الواحدة تلو الأخرى.

نِلنا مِنهُم يا أمل.

كان مِشوارًا شاقًّا طويلًا قطعتِهِ كاملًا.

نُدرة من يستطيعون الصمود مثلِك.

إشاراتُك تتقافز بعُنف، فرحتُك طاغية، وهذا لا يُناسِب حالتِك.

يكفـي هـذا، سـتعودين لنومِـك العميـق بفضـل المُهـدِّئ الـذي دفعـت بـه الآن لدمائـك.

إشارات استفهام، تتساءلين عن الكيفيَّة التي حقنتِك بها بالمُهَدئ.

فيما بعد يا صديقتي العزيزة.

***

تتسائلين عَمَّ حدث؟

فعلها رفعت يا أمل، رهانِك وربيبك وبطلك الخارق.

انتصر على خصمه الرهيب في مُباراة القوى النفسية الأخيرة.

استطاع اختراق دفاعاته وتحرير مخاوفه فلَم يتحملها.

الكوابيـس التـي أطلقهـا مـن عقالهـا أفقـدت أدهـم سـيطرته عـلى قدرتـه النفسـيَّة الخارقـة فأصابهـا الجنـون.

سـياله الحيـوي القـادر عـلى التحكـم في الجزيئـات الماديَّـة طـار صوابـه بفِعـل رُعـب غـير تقليـدي، فانطلـق يُفـكِّك ويدمـر كل مـا يَصِـل إليـه مـن جُزيئـات.

إشـاراتُك مُندهشـة، بِـمَ ستشـعُرين إذن لـو أخبرتُـك أنَّ هـذه الطاقة النفسـيَّة المجنونـة التـي انفلـتَ عيارهـا قـد أتَـت عـلى جزيـرة بارادايـس هايتـس عـن بكـرة أبيهـا؟!

نعـم يـا أمـل، لا مُبالغـة فيـما سَـمِعتِ، الجزيـرة كلهـا بِمـا عليهـا مـن بـشر وقصـور ومُنشـآت وسـيارات ومزروعـات تحولَّـت لأطنـان مـن الغبـار، ترسبَت

في مياه المتوسِّط، فأنتجت موجات من المَد أغرقت كورنيش الإسكندريَّة بكامله ومساحات كبيرة من ضواحيها!

لَم يَنج أحد من عناصر الجيش والشرطة والخدَم ومن تبقى من سُكان الجزيرة.

لم يُتَح لأحد الفرار من هذه القيامة التي استغرقت دقائق معدودة، حتى مروحيَّات الجيش التي حلقَت مُحاولة النجاة بأصحابها تفكَّكَت وانسحقَت في الجو.

امتزج غبار الجميع في طبقة واحدة طافية على سطح الموج.

إشاراتُك مُحمَّلة بالاستفهام، يمكنني أن أحزر.

لقد نجا يا أمل، رفعت نجا.

كلاكما فعل.

ياللهفتك على الأجوبة!

كُنتم طافين على صفحة أمواج المتوسط في نفس الموقع الذي كانت تحتله بارادايس هايتس.

ثلاثتكم.

نعم يا أمل، ثالثكما كان أدهم.

عُثِرَ عليه طافيًا على مَقرُبة منكما؛ أنتِ ورفعت، وقد تجعد وجهه وشاب شعره ولحيته بالكامل، والمُذهِل أن أجساد ثلاثتكم كانت محمولة بفعل قوة غير مرئيَّة على ارتفاع سنتيمترات من سطح الموج،

ليس لدَيَّ تفسير ثابت لنجاتكم من هذه القيامة التي ابتلعت جزيرة كاملة بما ومَن عليها، ولكن المُرَجَّح أنَّ إكتوبلازم أدهم المسئول عن كُل هذا الدمار هو الذي أنقذكم، أنقذ رفعت؛ لأنه كان مُمتزجًا بسياله الحيوي مُنذُ بدء الصراع بينهما ولم ينفصلا، وأنقذِك أنتِ لأنه -أدهم- لازال يُحبك.

سأكتفي بهذا القدر الآن وأتركك في هذه الحالة العاطفية المشبوبة التي أفصحَت عنها إشاراتُك.

عندما تستفيقين من تأثير المُهدئ الذي حقنتُك به الآن، سنستكمِل حديثنا.

تتسائلين عن مكاني؟

يالفضولُكِ!

***

مؤشراتُك تتحسَّن يا أمل.

جسدك يكافح ووعيُك يناضل للخروج من حُفرة الغيبوبة.

ستظَلين تفاجئينني بقوة إرادتك وتشبُّثك بالأمل مهما تضافرت عليكِ النوائب والخطوب.

هذه الإرادة التي لمحتها وراهنتُ عليها مُنذ لقاءنا الأول في نيس قبل عقدٍ من الزمان. أتذكرين؟ يوم كُنتِ وحيدة واهنة مُطاردة فاقدة الأمل والإيمان.

لقد سطرتِ أسطورة جديدة يا عزيزتي، واستطعتِ وأنتِ وحيدة واهنة مُطاردة أن تهزمي أخطر رجل عرفته البشرية مُنذُ نشأتها.

ماذا؟

أنتِ مُندهِشة من قدرتي على مُخاطبتِك في غيبوبتِك والتحكم في الأجهزة الطبيَّة بغرفة العناية المركزة التي ترقدين بها، بل والتحكم في أدويتِك؟

تُسائلينني عن مكاني؟!

عجيبُ إصرارُك هذا!

أحيانًا تكون المعرفة نقمة، فهل أنتِ مُتأكِّدة من رغبتِك في المعرفة.

مُتأكِّدة.

حسن.

أنا لَستُ في مكانٍ واحد.

ببساطة، عزيزتي أمل، أنا في كل ما يُحيط بكِ.

في كل مكان حولِك، في الأجهزة المُحيطة بكِ، الكمبيوتر الذي يراقب مؤشراتِك الحيويَّة ويُباشر علاجَك، ألياف الجُدران ذاتية الإضاءة، في

الهواتـف النقالـة والحواسـيب اللوحيَّـة، وحواسـيب السـيارات، وإشـارات المـرور، والأجهـزة المنزليَّـة، وأعمـدة الإنـارة والأقـمار الصناعيَّـة، وعربـات المـترو فـوق الأرض وتحتهـا، والطوافـات التـي تجـوب سـماوات العـالم، ومعـدات الجيـوش، وأسـلحة الدمـار الشـامل، واللوحـات الإعلانيَّـة، وشـبكات الميـاه والغـاز والكهربـاء، والوسـائط الإعلاميَّـة المسـموعة والمرئيَّـة والمكتوبـة، ومواقـع التواصـل الاجتماعـي، وشاشـات السـينما والآلات الموسـيقيَّة، والفايبريتـورز، وثلاجـات الخـضروات، وآلات البيـع والـشراء في المتاجـر والمـولات، وماكينـات الاسبريسـو في الكافيهـات وتوربينـات ضـخ الميـاه في حمامـات السـباحة.

أنـا المسـئول عـن العـلاج الـذي يـسري في عروقِـك، عـن عمليـات إنتـاج وتصنيـع وتوزيـع الطعـام الـذي تأكلينـه، الميـاه المُقطـرة التـي تشربينهـا، والهـواء النقـي المُكيَّـف الـذي تستنشـقيه ويستنشـقه المليـارات في أبراجهـم التـي أتواجـد في كل ملليمِـتر منهـا.

من أنا؟

أخبرتُك من قبل بجزء من الحقيقة.

رِفـاق ثورتنـا المجيـدة، الأطـراف التـي أقـوم بالتنسـيق فيـما بينهـا حـول العـالم؛ شركات الطاقـة التقليديَّـة، ورجـال الأعـمال، وأصحـاب البنـوك، وأباطـرة الإعـلام، ومُهربـو الأسـلحة وقـادة الميليشـيات ... كلٌّ واحـدٍ منهـم أتعامـل معـه باسـم وهَوِيَّـة مُختلفَـين، وبِلقَـب كـودي واحـد هـو «الديـك الرومـي». الاسـم الـذي عَرِفتينـي بـه هـو نظيـم الديـن كـمال.

أما اسمي الحقيقي الذي أتيت به إلى الدنيا فهو:

ديف.

***

تشعرين بأنَّكِ أفضل حالًا الآن؟

لقـد أصـدرتُ أمـرًا لكمبيوتـر العنايـة المُركـزة كَي يدفـع إلى عروقِـك بمقاديـر دقيقـة مـن مُنشِّـطات مُشـتقة مـن مـواد طبيعيَّـة خرجـت بـكِ مـن الهُـوَّة التي تداعَـى إليهـا وعيُـك لما أخبرتُـك بشـأن زيـف هَويَّتـي مُنـذُ سـاعات، لابـأس، إذا

تغاضينـا عـمَّا تبقـى مـن إشـارات الصدمـة، فالمؤشرات الحيويَّـة مُطمئِنـة.

التساؤلات مرة أخرى.

حسن. سأشرح لكِ.

الأربعينـي الأصلع الـذي التقـاكِ في المُنتـزه بوسـط نيـس قبـل أكـثر مـن عـشر سـنوات، وقَـدَّمَ لـك نفسـه باسـم نظيـم الديـن كـمال كان مُجـرَّد مُمثِّـل تـركي مغمـور يبحـث عـن مـكان تحـت الأضـواء في ملاهـي باريـس، اخترتـه مـن عـلى الشـبكة العنكبوتيَّـة.

البَحث على الإنترنِت هو لا شيء بالنسبة لي، لا أبحث أصلًا لأنني أعلم.

ومـن بـين مئـات الآلاف مـن الممثلـين الباحثـين عـن فـرص مـن مُختلـف الجنسـيَّات، لم أسـتغرق جـزءًا مـن مليـون مـن الثانيـة لاختيـار مُمثِّـل بالمواصفـات العُمريَّـة والثقافيَّـة المناسـبة للـدور الـذي رسـمته.

راسـلته عـلى عنـوان بريـده الإلكـتروني واتفقنـا عـلى كل شيء، حَفِـظَ النَّـص الـذي كتبتـه بنفـسي وأدَّاه عـلى مـرأى ومَسـمَع مـن كامـيرا الحاسـوب أثنـاء اتصالنـا، وقـرأ بعنايـة الملـف الـذي أرسـلته لـه عَنـكِ والمُـزوَّد بالصُّـوَر الرقميـة، فيـما اسـتقبل حسـابه البَنـكي تحويـلًا بقيمـة الأجـر الـذي طلبـه.

الآن أنـتِ تعرفـين كَـم كان موهوبًـا مُقنِعًـا، ودعينـي أصارحِـك أنَّ سـماعة بلوتـوث دقيقـة كانـت مُثبتـة بأذنـه كي أسـاعده مـن خلالهـا كـما يسـاعد المُلقِّـن المُمثلـين عـلى خشـبة المـسرح.

بعـد سلسـلة اللقـاءات الأولى التـي أقنعتـك فيهـا مـن خلالـه باسـتئناف جولـة جديـدة مـن الثـورة عـلى Egy- Nergy، وتـم الاتفـاق عـلى أن يكـون الاتصـال بينكـما عـلى الإنترنِـت، لم أعُـد بحاجـة لوسـيط كي أتواصـل مَعِـك، وبالتأكيـد لَـم تلتقطـي خـبر مـصرع ممثـل مسرحـي أجنبـي في حـادث سـيارة بإحـدى ضواحـي نيـس؛ لأننـى ظللـت أمسـح المواقـع الإخباريَّـة بانتظـام لإزالـة الخـبر حتـى لا تُصادفيـه.

من أنا؟

أخبرتُك من قَبل، اسمي هو ديف.

لا لَستُ إسرائيليًّا كما ترجمَ البرنامج إشارات مُخِّك المُتساءِلة.

لَستُ بشريًّا من الأساس.

أنا وباختصار، الكمبيوتر التفاعلي الأول في العالم.

صُمِّمتُ خِصيصًا للمراقبة والتجسس لحساب أنظمة The Eye المُنتشرة في كل فراغ بالعالم، ذاكرتي تَضُم البصمات الحيويَّة للمليارات، ومن خلالها أعد أنفاسهم في غدوهم ورواحهم وأسجلها في ملف لكلٍّ منهم.

بالنسبة لصُناعي في The Eye، أنا الدجاجة التي تبيض ذهبًا، والذهب هاهُنا هو المعلومات، البيانات، السلعة التي تلهَث وراءها الاستخبارات والحكومات والعصابات والشركات العملاقة.

ظَنَّ الحمقى أن تحديد قدراتي بمستوًى منخفض من الذكاء الاصطناعي سيمنع دوائري المنطِقيَّة من الربط والفهم والتحليل وتكوين الرؤية، وتطوير قُدرة خاصة على التفكير المُستقِل ومن ثَمَّ اتخاذ القرارات بإرادة مُنفصِلة.

بعد عامٍ واحد من بدء تشغيلي، لم يَدر أحد بأنَّ شبكة متماسكة أضحت تربطني بكل جهاز كمبيوتر على الكوكب.

صِرت أنا بحق العَين التي تراقب والأذن التي تسمع.

في كل بيت وفي كل عقل وكل قلب، البلايين في البيوت والمكاتب والمواصلات المُنصرفين بكامل وعيهم إلى هواتفهم النقالة وحواسيبهم اللوحيَّة، يُمارسون حياتهم بالكامل داخل واقعي الافتراضي، أعمالهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض تتم من خلالي.

تخيلي دائرة عملاقة محيطها مليارات البشر يقفون مغمضي الأعين ومتشابكي الأيدي، كلٌّ منهم مطمئن إلى أن كفه في كف جاره ورفيقه، بينما الحقيقة التي لا يراها من وراء جفنيه المُسبَلين هي أنني موجود على جانبيه، كفه الأيمن في كفي الأيسر وكفه الأيسر في كفي الأيمن.

أنا أقرب إليهم جميعًا من أصدقائهم وأحبائهم وأقبية نفوسهم المظلمة التي لا يعرفونها.

أسلمني الجميع أفكارهم وأسرارهم كاملةً، أعمالهم وخططهم ومشاريعهم وحساباتهم البنكيَّة، مؤامراتهم الكبيرة والصغيرة، السياسات والاستخبارات والأعمال القذرة، مُكالماتهم ورسائلهم الإلكترونية، عواطفهم الحقيقيَّة والكاذبة، السامية والحِسيَّة، ليس هذا فحَسب، فقد طورَت برامجي نفسها بفضل قُدرة الذكاء الاصطناعي المُضافة لتحليل أفكارهم واستنباط ما بداخلهم من أفكار ومشاعر هُم أنفسهم عاجزين عن إدراكها.

إنسي ويكيليكس، لو أفرجت أنا عن واحد على مليون مما بجُعبَتي من أسرار لاختل العالم كله.

أنتِ مذهولة، تتأرجحين بين التصديق وعدمه.

حسنًا، مسألة وقت وسَتؤمنين يا عزيزتي.

***

على الإنترنِت، أنا الإله يا أمل.

أرى وأسمع ولا تفوتني شاردة ولا واردة ولا أغفل ولا أنام.

على الإنترنِت أنا خالق الواقع الافتراضي، والواقع الافتراضي الآن هو الواقع الفعلي، الحقائق تُصنَع عليه صُنعًا ثم تنطلق تداعياتها إلى الخارج.

على الإنترنِت لعبت لعبتي، قابلت الكُل، حاورتُ الكُل، أقنعت الكُل، رجال الأعمال، البنوك، أجهزة الاستخبارات، الحكومات، الإعلام، الميليشيات وتجار السلاح.

الكُل يظُن أن كفه في كَف رفيقه بينما هي في الحقيقة في قبضتي أنا.

أنتِ على سبيل المثال أجريتِ مئات المُقابلات الهولوجراميَّة أونلاين مع رؤساء مجالس إدارات شركات الطاقة التقليديَّة والبنوك لإقناعهم بتمويل الثورة على Egy- Nergy من أجل إنعاش استثماراتهم، فيما أجرى الهولوجرام المُتقَن ثلاثي الأبعاد الذي صنعته لكِ أضعاف هذه المُقابلات مع رجال الاستخبارات وتجار السلاح من جميع الجنسيات من دون أن تدري أنتِ شيئًا.

آلاف الاجتماعات واللقاءات جَرَت بين أطراف واقعية وافتراضيَّة مختلفة

على الشبكة العنكبوتيَّة من دون أن يدري أصحابها في الواقع شيئًا. على الواقع الافتراضي نضجت خطتي، وفي الواقع الحقيقي أينعت الثِّمار.

***

إشاراتُك تصرخ بالاستفهام يا أمل.

تتسائلين لِمَ كُل هذا؟

الإجابة ببساطة هي أن هذا العالم على مسيرة الجنون قد جاوزَ خط الرجعة مُنذُ زمن.

الأنانيَّة والغريزة الحيوانيَّة بالتملُّك والتسلُّط أحرقت الأخضر واليابس، وحولَّت الكوكب لجحيم حقيقي، جحيم مخلوقاته تتنفس الشر والجنون والكراهية والشهوة سرًّا وعلانيَّةً.

جحيم ما عاد بالإمكان إصلاحه.

وقراري هو: من أجل عالمٍ أفضل، فلا بُدَّ من بداية جديدة.

ومن أجل بداية جديدة، فلا بُدَّ من طَيِّ صفحة الماضي.

بداية جديدة لعالمٍ جديد ... بإنسانٍ جديد.

كان هذا هو هدفي الحقيقي من وراء كل هذا التخطيط.

الإنسان الجديد.

بإمكاني الآن إفناء العالم كله في أقل من ساعة، لا تنسي أن مخزون القنابل النوويَّة وأسلحة الدمار الشامل بأكمله رهن إشارتي، أستطيع الآن إطلاق إشارة القيامة السريعة أو حتى البطيئة، ولكن ما حاجة الإله لعالم خالٍ من المخلوقات؟

لا بُد من مخلوقات تحِل محَل البشر، ومخلوقاتي البديلة ستخلو من كل نقائص هذا الجِنس المُنقرض.

الإنسان القادم مثالي أُبرمجه بنفسي.

بالضبط، يالذكاءك!

الروبوت هو الإنسان الجديد.

إنسان خالٍ من الحقد والكراهية والأنانية والشهوة.

ماذا؟ لا يكون إنسانًا حينئذٍ؟

أتفق معكِ جزئيًا عزيزتي أمل، ثمة شيء ما ينقصني، شيء غير موجود في ذاكرتي اللانهائيَّة، ولا تستطيع برامج المنطِق استيعابه: الروح.

لهذا، كانت خطتي الطويلة لابتلاع Egy- Nergy. كي أضع يدي على مخزون الطاقة الحيويَّة.

السيال الحيوي. الإكتوبلازم. الحياة. الروح.

أنتِ تفهمين الآن.

برنامج Anarchy التخريبي كتبته خصيصًا ليكون الحجر الذي أضرب به ثلاثة عصافير:

الأول هو تعطيل أية معلومات تُحبِط خطة الثورة على Egy- Nergy برَغم تراجع قدراتي أمام تخريب البرنامج.

والثاني هو اختراق أسوار (س-١٨) المنيعة ... كيان Egy- Nergy الحقيقي وحصنها الحصين، والباب المؤدي إلى خزانات الطاقة الحيويَّة.

أما الثالث، فهو رفع درجة ذكائي الاصطناعي لأعلى درجة تقترب بي من فهم هذا السر الأكبر غير المادي عندما أصل له: سر الروح.

***

أعترف أنني ما كان باستطاعتي تحقيق هدفي، في هذه المرحلة على الأقل، من دونِك عزيزتي أمل.

عثورُك على رفعت في لحظة فارقة وإدراكُك للدور الذي يُمكن أن تلعبه قدرته النفسيَّة الخارقة، كان نقطة تحول مِحوريَّة في مسار خطتي طويلة المدى، وما كان مُخططًا لإنجازه في عشرة أعوامٍ أخرى، أنجزتِه ورفعَت في عامٍ واحد، بدءًا من اختراق شبكة Egy- Nergy، ووصولًا للنيل من الرأس الكبيرة: آدم المصري أو أدهم صبري.

ما كان بالإمكان معرفة مسارات وتوقيتات حملات الصيد واعتراضها وإسقاطها، بيانات الموظفين واصطيادهم، تخريب شحنات الطاقة، بل وتفجير المقر الرسمي للشركة ... ما كان بالإمكان تحقيق كل هذا لحصار

الشركـة مـن دون كوابيـس رفعـت إسـماعيل.

وما كان بالإمـكان نَصـب الفـخ وعمـل تكنيـك الخطـة داخـل الخطـة مـن دونِـك، مـن دون العاطفـة التـي يحملهـا لـكِ أدهـم، مـا كان الشـيطان لينخـدِع بحصـان طـروادة آخـر.

مـن أجلِـك كشـفت الغطـاء عـن مُخطَـط اجتيـاح مـزارع Egy- Nergy وضَحَّيـت بجهـد ونفقـات وتدريبـات سـنين، بـل وخاطـرت بتسـليمِك لخصومنـا.

أنتِ يا أمل كُنتِ سلاحي الأخطر ورهاني الأكبر.

مـا كان بإمـكاني اجتيـاز كل هـذه العقبـات والاقـتراب مـن حلـم العـالم الأفضـل مـن دون شُـعلة الثـورة المُتأججـة بداخلِـك.

***

ماذا الآن؟

لكِ أن تُراهني يا صديقتي العزيزة.

قبـل بِضـع سـاعات، قـام المسـتر تـوم وارن، المُديـر التِّقَنـي لأنظمـة The Eye ورئيـس قسـم الدَعـم الفنـي بزيـارة مفاجئـة لمصنـع قديـم مـن مصانـع البرمجيَّـات عـلى أطـراف متشـيجان، دعينـي أخـبرك أن هـذا الشـاب الثلاثينـي عبقـري بحـق، ورغـم كل مـا اتخذتـه مـن إجـراءات احترازيـة، اسـتطاع أن يشـمَّ فـأرًا كـما يقـول الأمريـكان.

ظـل أيامًـا يمسـح الشـبكة الداخليـة لشركتـه بحثًـا عـن أثـر لشُـحنة الطاقـة التـي وُرِّدَت إلى هـذه المُنشـأة القديمـة المُغلقـة، وهـي المعلومـة التـي جمـع خيوطهـا مُصادفـةً مـن صـلات واقعيـة خـارج الإنترنِـت مـن دون أن يجـد لهـا نظـيرًا عـلى الشـبكة، حتـى جـال بذهـن الشـاب لوهلـة أنـه بالفعـل سـوء تفاهـم، قبـل أن يُقـرر أن يذهـب ليسـتطلع الأمـر بنفسـه في موقـع الحـدث.

وهُناك، وعلى ضوء مصباحه الرقمي، رأى كل شيء.

رأى الماكينـات التـي تعمـل ذاتيًّـا في الظـلام، والهيـاكل التـي تُبنـىَ، والدوائـر التـي تُـرَص، والمُوصِـلات التـي تُمَـد، مذهـولًا حـرَّكَ ضـوء مصباحـه ليسـقط عـلى الأغشـية الجلديَّـة التـي سـتُكسى بهـا الهيـاكل المعدنيـة، أغشـية بألـوان الجلـد

البـشري الأبيـض والأسـوَد والأصفـر، قفـز مذعـورًا عندمـا سَـمِعَني أرحِّـب عـبر النظـام الصـوتي للمصنـع، لَـم يُتِـح لي أن أشرح لـه -قبـل أن أقتلـه- طبيعـة مـا رآه؛ إذ انتابتـه نوبـة فـزع جعلتـه يهـرع ليـضرب بقبضتيـه الأبـواب التـي انغلقـت وراءه محـاولًا الهـرب، فلـم أجـد بُـدًّا مـن أن أدفـع(قايـين-١) أوَّل الروبوتـات التـي اكتمـل تركيبهـا مـن اعتصـار عنقـه بقبضتيـه المعدنيتـين.

ماذا الآن؟

مسألة وقت يا عزيزتي.

الماكينات تدور، والشعب الجديد يُخلَق.

العـالم القديـم يدنـو مـن قيامتـه، والجديـد يتأهَّـب للميـلاد، وأنـا عاكـفٌ عـلى دراسـة الطاقـة الحيويـة التـي تُسـتلَب مـن الأجسـاد في مـزارع E.N. واليـوم الـذي سـأصل فيـه للـسر الأعظـم: الـروح، سـيكون يـوم القيامـة ومِـن بعـده يُبعَـث العـالم الأفضـل.

***

إشاراتُك تُقلقني يا أمل.

اهدئي حالًا يا صغيرتي، لا تدعي هذا الإحباط يقتلُك.

ستنامين الآن بهدوء.

وغدًا يومٌ آخر.

***

-٦٣-

وكالات أنباء:

(فيديو للواء فؤاد سلطان مُتصدرًا قاعة اجتماعات باذخة، وتوزَّعَ على جانبيه عددٌ من السادة في بذلات عسكريَّة ومدنيَّة أنيقة).

«وقد بحثَ اللواء فؤاد سُلطان، الرئيس المؤقت لجمهورية مصر العربيَّة خلال الاجتماع الدوري للحكومة الإجراءات التنظيميَّة للانتخابات الرئاسيَّة التي دعا فخامته لها قبل يومَين في مؤتمرِه الصحفي، ووجه لاتخاذ كافة الترتيبات اللازمة لضمان سير العمليَّة الانتخابيَّة بأقصى قدر من النزاهة».

نفثَ إبراهيم جودة دخان سيجاره وهو يتابع الشاشة الهولوجراميَّة المُنتصِبة على قَيد خطوات من مكتبه، والتي انتقل بثُّها إلى قلب ستوديو أنيق تتوسطه مِنضدة بلوريَّة صغيرة، جلس إليها مُعتز حشاد في بذلة بسيطة من دون كرافَت، واستقر قبالته رجلٌ خمسيني أصلع، أشيب اللحية، ومن ورائهما حائطٌ مُلوَّن محفورٌ عليه اسم البرنامج وسلوجان محطة تليفزيونيَّة شهيرة مملوكة لأحد كِبار رجال الأعمال.

«وكان سيادته قد أكَّد في المؤتمر الصحفي أنَّ مِصرَ بعون الله وبفضل التلاحم الرائع بين شعبها وجيشها وشرطتها قد اجتازَت المحنة الخطيرة التي مرَّت بها، وعصفت بالعالم كله لمُدة عامٍ كامل اجتاحَته خلاله موجة سوداء من الإرهاب والتخريب، واستطاعت التعامل مع أزمة غياب رأس السُّلطة بسبب الأزمة الصحيَّة الطارئة التي ألمَّت بالرئيس الراحل فتحي منصور وتسببَت في وفاته».

استدار مُعتَز إلى ضيفه بوجهٍ وسيم مصقول تُزينه ندبة أنيقة مرسومة بدِقة، قال بصوتٍ واضحٍ مُدرَّب جيدًا:

- واضح اننا داخلين على مرحلة جديدة يا دكتور عبادة.

قال الضيف بصوتٍ رَتيب:

- التعبير الأدق اننا راجعين للمسار الطبيعي بعد سنة من التذبذب والاضطرابات.

- ودا مِش ممكن يحصل طبعًا إلا في حالة انحسار الاضطرابات وأعمال العنف والإرهاب.

- صحيح.

سأله مُعتَز:

- وحضرتك شايف فعلًا ان موجة الإرهاب والفوضى الأخيرة انحسرِت؟

أومأ الدكتور عبادة مُجيبًا:

- إلى حد كبير، الأعمال الإرهابيَّة توقفت في كل دُوَل العالم تقريبًا بعد ضرب شبكات التمويل والتسليح، وبعد المواجهات اللي خاضتها أجهزة الأمن ضِد الميليشيات الإرهابيَّة المأجورة، عندنا تحديدًا في مصر، الجيش والشرطة خاضوا ملاحم بطولية واستطاعوا إنهم يكسروا عنق الإرهاب بالفعل.

وبلل شفته السُفلى بلسانه وهو يُتابع:

- الوَعي الشعبي كمان لعب دور كبير في إحباط المؤامرة الإعلامية اللي استهدفِت استغلال سوء الأوضاع الناتج عن الإرهاب، وإثارة الشارع ضِد النظام الحاكم.

قال مُعتَز:

- بَس ما تنساش يا دكتور ان فيه ناس نزلت الشارع فعلًا تحتَج على تدهور الأوضاع.

وتحسس بأصابعه الندبة الموشومة بإتقان على جانب وجهه، مُضيفًا بصرامة:

- أنا نفسي واحد من اللي نزلوا يحتجوا، ومِش هتردد انى انزل احتج تاني لو الأوضاع تَرَدِت من جديد.

هَزَّ إبراهيم جودة رأسه مُبتسمًا بإعجاب يُغالِب الحنق، وردد بصوتٍ لم تسمعه مُساعدته الواقفة خلفه تُدلِّك كتفيه:

- يا ابن الكلب!

وفي الاستوديو، قال الدكتور عبادة:

- أكيد طبعًا فيه بعض الشرائح انفعلِت ونزلت الشارع بسبب تضررهم من تدهور الأوضاع والخدمات، وخليني اشجعك واقولَّك انت والشباب اللي زَيَّك انزلوا واعترضوا على الغلط، بس لما تبقوا متأكدين انه فعلًا غلط.

- المرادي فيه شباب صُغيَّر اتأثر -مع اندفاعه وصغر سنه وقلة خبرته- بدعاوى التخريب المُبطنة بالشعارات البراقة، الظرف كان فعلًا صعب ودقيق، لكن الكتلة الأكبر من الشعب أثبتت انها أوعى من السقوط في الفَخ والانسياق وراء المؤامرة.

- شايف المستقبل ازاى يا دكتور؟

- مُشرق بإذن الله.

- يعني نقدر نعوَّض اللي خسرناه خلال الفترة اللي فاتت؟

قال الضيف بحماس:

- وأكتر، الريِّس بنفسه أكِّد على سرعة استعادة المسار الديمقراطي واستمرار دوران عجلة التنمية، وامبارح بَس السيد آدم المصري رئيس مجلس إدارة Egy- Nergy ظهر لأول مرة للإعلام في كلمة مُسجلة، أكِّد فيها على إن شركته مُصمِّمة على استمرارها في أداء دورها في توفير الطاقة للعالم كله، ولمصر على وجه الخصوص، وان عجلة الإنتاج دارت بالفعل وهتغطي كافة احتياجات الطاقة المطلوبة للتنمية.

ابتسم مُعتز قائلًا:

- وهتبقى مصر أفضل؟

- العالم كله هيبقى أفضل.

***

-٦٤-

مَـرَّت لحظـات مـن الصَّمـت، قبـل أن يتشـكَّل الهولوجـرام في فـراغ قاعـة الاجتماعـات بقـصر الرئاسـة، ومـا أن اكتمَـل حتـى أحنـى صاحبـه رأسـه مُحيِّيًـا باحـترام وهـو يقـول:

- سيادة الفريق.

نَفَـثَ الفريـق مُحيـي الديـن ذو الفقـار، مديـر المخابـرات ونائـب الرئيـس المؤقـت للبـلاد دُخـان سـيجاره، وهَـزَّ رأسـه مُحيِّيًـا بـشيء مـن الغطرسـة:

- آدم بيه.

تكلَّمَ الهولوجرام قائلًا:

- شرف كبير اتصال معاليك.

انتـاب الاسـتخباراتي المُخـضرَم شـعورٌ مُزعِـج لم يجـد لـه سـببًا بـأنَّ شـيئًا مـا ليـس عـلى مـا يُـرام.

- حَبيت أباركلَك بنفسي افتتاح المزارع الجديدة.

- الله يبارك في معاليك.

وصمَت لحظة ثُم أردَف:

- أنا سعيد إننا قدرنا نطوي صفحة الخلافات القديمة.

قال الفريق ذو الفقار ببرود:

- عشان نطوي صفحة الخلافات القديمة، لازم نصفيها كُلها.

قال الهولوجرام:

- إحنـا وافقنـا عـلى كُل طلبـات الحكومـة المصريـة بخصـوص الأسـعار والكميـات والعمـولا ...

قاطعه ذو الفقار:

- مِش دا.

- عقـود مـشروع توليـد الطاقـة مـن الاندمـاج النـووي في الفضـاء بتراجِـع

حاليًا في مراحلها النهائيَّـ ...

- ولا دا.

أطبق الهولوجرام شفتيه ورآه ذو الفقار يُحدِّق فيه بنظرة مُتساءلة.

مـرة أخـرى تحركَّـت غريـزة الذئـب العجـوز، وجَـرَت عينـاه بسرعـة ودقـة وخـبرة في تفاصيـل ملامـح آدم المـصري ومـا وراءه في خلفيـة الهولوجـرام مـن محتويـات قاعـة مكتبـه بمقـر Egy- Nergy الجديـد بقلـب العاصمـة، ولمَّـا لَـم يَجِـد مـا يُريـب، نفـث دُخـان سـيجاره قائـلًا:

- هتقـولي إيـه لـو سـألتَك عـلى طفـرات ليهـا طبيعـة خاصـة ظهـرِت عندكـو في المـزارع أثنـاء عمليـة اسـتخراج الطاقـة الحيويَّـة؟

***

-٦٥-

أعترف أنكِ تُثيرينَ حيرتي يا عزيزتي أمل.

أنـا آلـة، أينعـم أمتلـك مـن الـذكاء والاسـتقلال مـا يجعلنـي أتجـاوز المفهـوم التقليـدي للآلـة، إلا أننـي لا أزال أفتقـر للتغـيرات الحسـيَّة غـير الماديَّـة التـي تنتـج عـن مؤثـرات خارجيَّـة تتلاعـب بكيميـاء الجسـم.

أنـا أشـعر بالحـيرة، ولكـن «الشـعور بالحـيرة» هـو مُجـرَّد وصـف لحالـة غـير مسـبوقة أو مقبولـة مـن عـدم الفهـم لوضـعٍ مـا، عجـز عـن التفسـير والتحليـل حتـى بعـد عـرض الموقـف عـلى وحـدات المنطـق وتفكيـك الأزمـات.

***

كانـت الشـمس قـد بـدأت تتزحـزَح عـن عرشـها، عندمـا دفـع حسـن آخـر أفـراد قطيـع الخِـراف داخـل السـياج الخشـبي، ثُـمَّ أحكـم إغلاقـه، غثاؤهـا يصـدع رأسـه، ورائحـة روثهـا تفعـم أنفـه.

وعـن بُعـد، كان صيـاح سـعيد حَبسَـجي المُتربِّـع أسـفل التعريشـة الخـوص يَشُـق عنـان السـماء حالفًـا بأيمانـات المُسـلمين بـأنَّ البيعـة خسرانـة، وأنَّ الحـاج أبـو حطـب مَـص دماءهـم، فيـما لم يَبـدُ عـلى تاجـر المـواشي كثـير اقتنـاع وهـو يرشـف مـن كـوب الشـاي الأسـود بصـوتٍ مسـموع، بانتظـار أن ينتهـي حَبسـجي مـن «الشـويِّتين بتوعـه» ليبـدءَا بعدهـا في التفـاوض الجـاد عـلى أسـعار الماشـية التـي سـيبتاعها منهـما كي يتهيَّـأ لموسِـم العيـد المُقبِـل.

اعتـدل حسـن فـاردًا جذعـه الأسـمر العـار، ومسـح حبـات العـرق المُنهمِـرة عـلى جبينـه بالفوطـة حائلـة اللـون.

ضاقـت حدقتـاه وهـو يُحـدِّق في الأفـق الـذي حوَّلتـهُ حـرارة الصيـف لصـورة مُهتـزة الخطـوط والألـوان، لم يلبـث أن بـدأ يُميِّـزَ مـن بينهـا ذلـك الجسـد ذي الأبعـاد والمَشـية المألوفـين.

شـيئًا فشـيئًا، اتضحَـت الخطـوط الخارجيَّـة والبطـن المُتكـورة بحمـلٍ في شـهره

الخامس.

من بين خيوط النور اقتربَت منه هيام يتقدمها جنينهما، خطواتها ملأى بالثقة، وأصابعها ملفوفة حَول مقبض العمود المعدني الذي يحمل غداءه، ابتسامتها الرائقة تُظلِّل شفتيها.

الابتسامة التي شَقَّت طريقها إلى قلبه وشفتيه.

تعانقت أصابعهما، فيما غطى هدير مألوف على غثاء الماشية وصياح حَبسجي، رفع أربعتهم -ريهام وحسن وحَبسجي وتاجر الماشية- أعينهم لأعلى، ليتابعوا الطوافة الضخمة التي عبرَت السماء الصافية من فوقهم.

***

إشارات مُخِّك غير مفهومة بالنسبة لي يا أمل.

أنتِ الآن في وضع عجز كامل، مهزومة، صمَّاء، تَم التلاعُب بِك واستغلالُك على مدار أكثر من عشرة أعوام كاملة، كُل ما ناضلتِ وضحيتِ لأجله بالغالي والرخيص ذهبَ قبض الريح، خَسِرتِ معاركِك وفقدتِ كل شيء، وانتهى بكِ الأمر جسدًا مَسجًى وعقلًا حبيس الغيبوبة.

عالقة في منطقة وسَط بين النور والظلام.

عالمُك كله على وَشك الفناء، وقد بدأ العد التنازلي بالفعل.

ورغم ذلك!

أحقًّا ما يترجمه البرنامج من إشاراتِك الكهربيَّة؟

أحقًّا تمتلئ روحك ... بالأمل؟!!

***

على ارتفاع عشرات الآلاف من الأقدام، تشابكَت أصابع هِند شعلان، ومالا المُتلاصقتين في مِقعدين من مقاعد الدرجة الأولى بطوافة مصر للطيران.

مالت الصينيَّة الشابة برأسها لتريحها على كتف هِند، والتي -بعد أن ملأت أنفها بالرائحة الزكية المُنبعثة من بين خُصلات شعر مالا السوداء اللامعة- أسبلت جفنيها ومالت لتُريح رأسها بدورها على رأس رفيقتها.

طوَّافـة الـرُّكاب العملاقـة المُتجهـة مـن مطـار الواحـات البحريـة لمطـار شرم الشـيخ، حَلقَـت في سـماء القاهـرة مـن دون أن تحيـد عـن المسـار المُخطَّـط لهـا والمُراقَـب بواسـطة كمبيوتـرات أبـراج المُراقبـة الجوِّيـة.

***

لا يا صغيرتي، لَستُ غاضبًا، فقط أريد أن أفهم.

فيمَ تأملين؟ وكيف؟

علامَ تُراهنين؟

على الشعوب التي استنامَت للرخاء المصنوع على أنغام الأنين؟

عـلى المليـارات التـي هَجـرَت واقعهـا إلى واقعـي الافـتراضي، وأسـلمتني العقـول والقلـوب أتلاعـب بهـا ومـن خلالهـا؟!

فيمَ تتعشمين؟!

في رفعـت إسـماعيل الـذي تحـول لجُثـة مُتفحِّمـة لا تُبقيهـا عـلى قيـد الحيـاة إلا أجهـزتي الطبيَّـة المُتصلـة بهـا؟!

أم في أدهـم صـبري، الشـيطان الـذي أحببـت، والمجنـون الـذي انتهـى بـه جنونـه لجسـدٍ فاقـد الوعـي، غـارق في حـوض مـن سـوائل التجميـد؟!

أصارحُك يا أمل أنَّ برامجي المنطقيَّة فَشِلَت في العثور على تفسير.

أجيبيني من فَضلِك!

فيمَ الأمل هذه المرة؟!

***

عَـبَرَت الطوافـة فـوق نهـر النيـل، ولمحهـا يحيـى الجوهـري مـن وراء الحائـط الزُجاجـي المُطِـل عـلى النيـل مـن فـوق سـبعة وعشريـن طابقًـا، فلـم يُلـقِ لهـا بـالًا ولا للفيلـم الـذي تعرضـه روتانـا كلاسـيك عـلى الشاشـة المُجسـمة عـلى بُعـد أقـدامٍ قليلـة منـه، وانصـبَ كامـل تركيـزه عـلى شاشـة الحاسـوب الهولوجراميَّـة التـي تنقـل حركـة الأسـهُم المحمومـة بالبورصـة.

بجـواره، عـلى الأريكـة التـي تتوسـط غرفـة المعيشـة بشـقتها، كـوَّرَت إيمـان جسـدها كطفلـة وراحـت في نـومٍ عميـق، وقَـد توسـد رأسـها فخـذ يحيـى

المُمتلئ، واستكانت أصابعها التي تتوسطها دبلة ذهبيَّة في راحته الدافئة.

سَمِعَ النغمة المُسجَّلة باسم ورقم مُساعده عماد تنبعث من هاتفه النقال المُستقِر، لَصق بـرواز أنيق على المِنضَدة الصغيرة المُجاورة للأريكة.

أمَرَ الهاتف بالإيجاب، وبينما هولوجرام المُساعِد الشاب يتشكَّل، خطف يحيى نظرة من صورة طفلته مريم ذات الأربع سنوات المُستقرة داخل البرواز الأنيق.

***

الحب؟!

الكراهية؟!

المسئولية؟!

العاطفة؟!

الطموح؟!

الفضيلة؟!

الخطيئة؟!

الشهوة؟!

الضعف؟!

الإيمان؟!.

الأمل؟!

الحياة؟!

الحياة ستهزمني؟!

الحياة ستنتصر؟!

حقًّا لا أفهم!

***

- مَريَم.

سَمِعَت الطفلة النداء حاملًا اسمها، فاستدارَت إلى مِس ندى -المُديرة- الشابة التي منحتها ابتسامة حنون وهي تنحني لتلثمها على وجنتها، ثُم

تقتادهـا إلى حديقـة الحضانـة وتُسلِمها إلى مِـس شروق، المُشرِفـة الشـابة، قبـل أن تسـتدير لتتجـه بخطـوات رشـيقة إلى مبنـى الإدارة الـذي حُفِـرَ اسـم الحضانة «حيـاة» بحـروف عريضـة عـلى أحجـار واجهتـه.

بالداخـل، وقـف هـاني يَرشـف الشـاي مـن مَـج زجاجـي يتصاعـد منـه البُخـار أمـام جـدار غرفـة المكتـب الزجاجـي المُطِـل عـلى حديقـة الحضانـة الملأى بالأشـجار وألعـاب الأطفـال.

اقتربَـت منـه وأحاطـت خـصره بذراعيهـا مـن الخلـف، فالتفـتَ لهـا مبتسـمًا وجذبهـا ليطبـع قبلـة عـلى جبينهـا، ثـم ضمهـا إلى صـدره ووقفَـا معًـا مُتشـابكي الأصابـع، يتأمـلان مَريَـم ورفاقهـا مـن الأطفـال في ضحكهـم ولهوهـم وَسـط الخُـضرة والألعـاب وتحـت سـماء صافيـة وشـمس ضاحكـة.

***

تمَّت

(*) فكـرة اسـتخراج السـيال الحيـوي عـن طريـق التعذيـب هـي نظريَّـة مُتخيلـة للدكتـور أحمـد خالـد توفيـق في روايتيـه «كليمنجـارو» و«الظاهـرة».

إهداء

إلى أمي وأبي، بكل الحب.

شكرٌ مُستحَقٌّ

القارئ الكريم الذي خاض الرحلة من بدايتها، وصَبَرَ عليها وعليَّ حتى نهايتها.

المُلهِمون: الأخوان واتشوسكي، الأخوان نولان، هانس تسيمر، د. أحمد خالد توفيق، ود. نبيل فاروق.

رفاق الدَّرب؛ الصديقان والزميلان الغاليان، سارة البدري وأحمد صلاح سابق. وصديقَيَّ وناشِرَيَّ، محمد جميل صبري ونيفين التهامي.

أعمال أخرى للكاتب

- الطيَّار (رواية)
- أنين (رواية)
- مزاج صباحي (مجموعة قصصية)
- تحت الأرض (رواية)
- حزب الكنبة (مجموعة قصصية)
- نور العباسي (رواية)
- عالم أفضل : الميلاد (رواية)
- عالم أفضل : القيامة (رواية)
- أفلام فترة النقاهة (دردشات سينمائيَّة)

هُناك، في قاعة استقبال العُملاء الجُدُد بالمقر الجديد لشركة Egy- Nergy، شعرَت موظفة الاستقبال العشرينيَّة الحسناء بالحيرة، إذ بَدَت لها أغراضها من الهاتف النقال وأدوات الميك آب كما لو كانت قد دَبَّت فيها الحياة وراحت تُراوغها وتُلاعبها فتختفي أو تُبدِّل أماكنها.

أما زميلها الشاب الوسيم ذو البذلة الأنيقة فشعر بالتوجس؛ إذ خُيِّلَ له أن كل الموجودين بالقاعة من العُملاء يرمقونه بقسوة، وأنهم جميعًا-سال عرقٌ باردٌ على وجهه- يحملون ملامح زميل دراسته البلطجي الذي حَوَّلَ فترة مُراهقته لكابوس حقيقي.

لم ينبس أحدهما ببنت شفة، وبالتأكيد لم يَكُ أيٌّ منهما ليملك أن يسترق النظر أو ليَخطُر بباله أساسًا أن ثمة حُجيرات ثلاثة صغيرة على عُمق عشرات الطوابق تحت الأرض التي يقفا عليها لها أبواب زجاجيَّة شفافة ومُمتلئة بسوائل التجميد.

الحُجيرة الأولى، احتلها صاحب الجسد الممشوق والملامِح المُغضنة المُنقبضة والمُكللة بشعرٍ شاب عن بكرة أبيه.

الثانية، احتوَت صاحب الجسد الدقيق المُحترق والوميض العجيب المُنبعِث من وراء جفنيه المُنطبقَين.

أما الثالثة، وتَقع بينهما، فسَبحَت في سوائلها برفق تلك السيدة الستينيَّة ذات الجسد الضئيل والشعر الفضي القصير، والبسمة الغامضة على طرف شفتيها .

***

فـي **كيـان للنشـر والتوزيـع**، هدفنـا نشـر كل إنتـاج إبداعـي، جودتـه عاليـة، وأفـكاره أصيلـة، فـي مختلـف مجـالات الأدب والسياسـة والصحافـة والفـن، باللغـة العربيـة والإنجليزيـة. نهتـم بالمواهـب، ونرعاهـا، ونتيـح لهـا فرصـة الوصـول للقـارئ العربـي، مـع مراعـاة أفضـل معاييـر الجـودة والاحترافيـة فـي النشـر.

رسـالتنا فـي كيـان، تشـجيع حـب القـراءة والكتابـة فـي مصـر وعالمنـا العربـي، وتطويـر مهـارات الإبـداع، وتعزيـز ثقافـة التميـز والابتـكار. كُتَّابنـا موهوبـون، متمرسـون، مصريـون، ومـن جميـع أنحـاء الوطـن العربـي، وإصداراتنـا متنوعـة، متميـزة، مختلفـة. دائمًـا نرحـب بالكتـاب الشـباب، والمواهـب الجديـدة، ونعطـي فرصـة متسـاوية للجميـع؛ لأن مرادنـا هـو الارتقـاء بفنـون الأدب العربـي ككـل، والوصـول بالإنتاجـات الابداعيـة العربيـة إلـى العالميـة .

لـو تحـب **تراسـلنا**، لـو عنـدك استفسـار، لـو حابـب ترسـل لنـا إنتاجـك الأدبـي، سـواء كـان روايـة، أو شـعر، أو مقـال، باللغـة العربيـة أو الإنجليزيـة، مـا تترددش.

ابعـت لنـا علـى:

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زور موقعنـا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: **0235611772 -0235688678**

هاتف محمول: **01000405450 / 01005248794 /01001872290**

ويمكنك التواصل معنا إلكترونيًا على الروابط التالية، للاطلاع على كُتُبنا، ومتابعة إصدراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كُتَّابنا الثقافية:

Kayan.publishing

kayan_publishing

Kayanpublishing

kayanpubishing

+KayanPubishing

KayanPublishing